# أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين

# علي بن أبي طالب

تأليف

دكتور/ علي محمد محمد الصلابي

الجزء الأول

الناشر

مكتبة الإيمان - بالمنصورة

بسم الله الرحمن الرحيم

مكتبة الإيمان



الطبعة الأولى

رقم الإيداع
٢٠٠٥/٢١٣١٠

مكتبة الإيمان بالمنصورة
أمام جامعة الأزهر
٠٥٠/٢٢٥٧٨٨٢
كمبيوتر «٠١٢٢٥١١٢٠٣»

# بسم الله الرحمن الرحيم

إلى العلماء العاملين، والدعاة المخلصين، وطلاب العلم المجتهدين، وأبناء الأمة الغيورين...

أهدي هذا الكتاب، سائلاً المولى (عز وجل) بأسمائه الحسنى، وصفاته العلا أن يكون خالصاً لوجهه الكريم.

قال (تعالى): ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (الكهف: ١١٠).

## مقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ،ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.[آل عمران : ١٠٢] .

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١] .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١] .

يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك ، ولك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت ،ولك الحمد بعد الرضى.

أما بعد . .

فهذا الكتاب الرابع في دراسة عهد الخلافة الراشدة، فقد صدرت عدة كتب عن الصديق والفاروق وذي النورين، وقد سميت هذا الكتاب : «أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب شخصيته وعصره»، ويتحدث هذا الكتاب عن أمير المؤمنين علي من الميلاد حتى الاستشهاد، فيبدأ بالحديث عن اسمه ونسبه ولقبه ومولده وأسرته وقبيلته وإسلامه وأهم أعماله في مكة، وعن هجرته ،ومعايشته للقرآن الكريم وأثرها عليه في حياته، وعن تصوره عن الله والكون والحياة والجنة والنار والقضاء والقدر، وعن مكانة القرآن الكريم عنده، وما نزل فيه من القرآن الكريم، وعن الأصول والأسس التي سار عليها أمير المؤمنين علي في استنباط الأحكام من القرآن الكريم وفهم معانيه، وعن تفسير أمير المؤمنين علي لبعض الآيات الكريمة، وعن ملازمته لرسول الله (ﷺ) منذ طفولته، ومعرفته العميقة بمقام النبوة وكيفية التعامل معه،فقد أوضح معالمه بأقواله وأفعاله، وكان حريصًا على تعليم الناس وحثهم على الاقتداء برسول الله في أقواله وأعماله وتقريراته، فبين وجوب طاعة النبي (ﷺ) ولزوم سنته والمحافظة عليها، وأوضح دلائل نبوة الرسول (ﷺ)، وفضله وبعض حقوقه على أمته (ﷺ). ويجد القارئ الكريم نماذج من اتباع أمير المؤمنين علي للسنة النبوية المطهرة، ويتحدث الكتاب عن أسماء بعض الرواة عن أمير المؤمنين علي من الصحابة والتابعين وأهل بيته .

وينتقل الكتاب بالقارئ إلى حياة أمير المؤمنين في المدينة في عهد النبي (ﷺ) فيتكلم عن

زواج أمير المؤمنين علي من السيدة فاطمة رضي الله عنهما، وما في هذا الزواج من دروس وعبر في المهر والجهاز، والزفاف والمعيشة والزهد وصدق لهجة السيدة فاطمة وسيادتها في الدنيا والآخرة، وترجمت للحسن والحسين رضي الله عنهما ترجمة مختصرة، وبينت فضلهما وما ورد فيهما من أحاديث عن رسول الله (ﷺ)، وتكلمت عن مفهوم أهل البيت عند أهل السنة، وما يخصهم من أحكام، كتحريم الزكاة عليهم، وكونهم لا يرثون رسول الله (ﷺ)، وحقهم في خمس الخمس في الغنيمة والفيء، والصلاة عليهم مع النبي (ﷺ)، ووجوب محبتهم واحترامهم ومودتهم، وبينت مواقف أمير المؤمنين في سرايا رسول الله وغزواته، كبدر وأحد والخندق، وبني قريظة، والحديبية وخيبر، وفتح مكة، وغزوة حنين، وعن استخلاف النبي (ﷺ) لعلي على المدينة في غزوة تبوك (٨هـ) وحج أبي بكر بالناس، ودور علي رضي الله عنه الإعلامي، ووفد نصارى نجران وآية المباهلة، وإرسال النبي (ﷺ) عليًا داعيًا وقاضيًا لليمن، وأقضيته التي حكم بها في اليمن السعيد الحبيب، ومواقف علي في حجة الوداع، وقصة الكتاب الذي هم النبي (ﷺ) بكتابته في مرض موته.

وعن علاقة علي بالخلفاء الراشدين، ومكانته في دولة الخلافة الراشدة، فتكلمت عن مبايعته لأبي بكر بالخلافة ومساندته له في حروب الردة، وتقديمه وتفضيله للصديق، واقتدائه به في الصلوات وقبول الهدايا منه، وأشرت إلى العلاقة بين الصديق والسيدة فاطمة وقصة ميراث النبي (ﷺ)، ورددت على الشبهات الرافضية حول قصة الميراث ونسفت حججهم، وأدلتهم بالبراهين القاطعة والأدلة الناصعة، وكشفت الستار عن رواياتهم الضعيفة والموضوعة، وأثبت محبة السيدة فاطمة للحق والتزامها بالشريعة، واحترامها لخليفة رسول الله أبي بكر، وتسامحها معه، واحترام أهل البيت للصديق والمصاهرات المتبادلة بين آل الصديق وأهل البيت، ومحبتهم له وتسمية أولادهم عليه، وتحدثت عن مساهمات علي في عهد الفاروق في الأمور القضائية، والتنظيمات المالية والإدارية واستخلاف عمر لعلي على المدينة مرارًا، ومشاورته له في أمور الجهاد وشؤون الدولة وعن العلاقة الحميمة المتينة بين الفاروق وأهل البيت، وزواج عمر من أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب، وحقيقة هذا الزواج الميمون المبارك وتركت الحجج الدامغة، والبراهين الساطعة تنسف الأكاذيب من جذورها فتركتها قاعًا صفصفًا، وأخذت الحقائق التاريخية ترسم لنا حقيقة المحبة والمودة بين الصحابة الكرام. كما جاءت في القرآن الكريم، ووضحت بيعة علي لعثمان رضي الله عنه ورددت على الأكاذيب التي ألصقت بها، وتحدثت عن جهوده في دعم دولة ذي النورين، ودفاعه عنه أمام الغوغاء، ومواقفه في فتنة مقتله في بدايتها وأثناء الحصار وبعد استشهاده، وتحدثت عن المصاهرات بين آل علي وآل عثمان وأتيت بأقوال علي في الخلفاء الراشدين الذين سبقوه في الدلالة على محبتهم واحترامهم ومودتهم والبراءة ممن يسبهم ويشتمهم، وإقامة حد المفتري على من يسب الشيخين ،ولا يتمالك القارئ المسلم نفسه من البكاء وهو يتأمل في أقوال أمير المؤمنين في الخلفاء وتعامله مع ذلك الجيل القرآني الفريد وساداته الكرام.

قال الشاعر:

ومن عجب أني أحن إليهم ... وأسأل عنهم من لقيت وهم معي
وتطلبهم عيني وهم في سوادها ... ويشتاقهم قلبي وهم بين أضلعي

وقال الشاعر:

إني أحب أبا حفص وشيعته ... كما أحب عتيقًا صاحب الغار
وقد رضيت عليًا قدوة علمًا ... وما رضيت بقتل الشيخ[1] في الدار
كل الصحابة ساداتي ومعتقدي ... فهل علي بهذا القول من عار

هذا وقد تحدثت عن بيعة علي بالخلافة كيف تمت؟ وعن أحقيته بها، وإجماع الصحابة على ذلك، وبيعة طلحة والزبير له طوعًا بدون ضغط أو إكراه، وانعقاد الإجماع على خلافته، وشروط أمير المؤمنين في بيعته، وأول خطبة له، وأهل الحل والعقد في دولته، وشيء من فضائله وأهم صفاته وقواعد نظام حكمه، وتوسعت في الحديث عن صفاته، فبينت علمه الواسع وفقهه الغزير، وزهده، وتواضعه، وكرمه وجوده، وحياءه، وشدة عبوديته وصبره، وإخلاصه، وشكره لله، ودعاءه الخاشع، وعن المرجعية العليا لدولته، وسيرها على كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ)، والاقتداء بالخلفاء الراشدين الذين سبقوه، وعن حق الأمة في الرقابة على الأحكام، والشورى، والعدل والمساواة والحريات، وعن حياته في المجتمع واهتمامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ودعوته للتوحيد ومحاربته للشرك، وتعريفه الناس بأسماء الله وصفاته، وبنعم الله المستوجبة لشكره، وحرصه على محو آثار الجاهلية ، وحرصه على بطلان الاعتقاد بالكواكب، وإحراقه لمن غلوا فيه وادعوا فيه الألوهية، وحديثه عن كيفية بداية الإيمان في القلب، وتعريفه للتقوى، ومفهوم القضاء والقدر، وكيف يحاسب الله العباد على كثرة عددهم؟ ونقلت شيئًا من خطبه ومواعظه، وما ينسب إليه من شعر أو يتمثل به في مناسبات عديدة ، واخترت مجموعة قيمة من حكمه التي سارت مضرب المثل بين الناس، وتكلمت عن حديثه عن صفات خيار العباد، وعن تطوع النبي (ﷺ)، ووصف الصحابة الكرام، وتحذيره من الأمراض الخطيرة التي تصيب القلوب، كطول الأمل واتباع الهوى، والرياء، والعجب، وعن اهتمامه بترشيد الأسواق، ومحاربته للبدع، والأعمال التي تخالف الشرع في أوساط الناس.

وتحدثت عن المؤسسات التي في دولته، كالمالية، والقضائية، ومؤسسة الولاة، وعن الخطة القضائية التشريعية في عهد الخلفاء الراشدين، والمصادر التي اعتمدها الصحابة في ذلك العهد، وعن ميزات القضاء في عهد الراشدين، وعن أشهر قضاة أمير المؤمنين علي، وعن أسلوبه القضائي، ونظرته للأحكام الصادرة قبله، والمؤهلين للقضاء ومجانية الحصول على الحكم، وعن اجتهاداته الفقهية في العبادات، والمعاملات المالية، والحدود والقصاص والجنايات، وأشرت إلى مسألة حجية قول الصحابي والخلفاء الراشدين، وبينت في حديثي مؤسسة الولاة، وأقاليم الدولة في عهده وما وقع في كل إقليم من أمور جسام، وتكلمت عن

(١) الشيخ هو: عثمان رضي الله عنه.

منهجه في تعيين الولاة، ومراقبته لعماله وبعض توجيهاته، والصلاحيات الممنوحة للولاة، من تعيين وزراء مع كل والي في كل إقليم، وتشكيل مجالس الشورى وإنشاء الجيوش في كل ولاية، وترسيم السياسة الخارجية في مجال الحرب والسلم والحفاظ على الأمن الداخلي، وتشكيل الجهاز القضائي في كل ولاية، والنفقات المالية، والعمال التابعين لكل ولاية ومتابعتهم، ودور العرفاء والنقباء في تثبيت نظام الولايات.

ووضحت بعض المفاهيم الإدارية من أقوال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، كتأكيده على العنصر الإنساني، وعامل الخبرة والعلم، والعلاقة بين الرئيس والمرؤوس، ومكافحة الجمود، والرقابة الواعية، والضبط، والمشاركة في صنع القرار وحسن الاختيار لدى الوالي والضمانات المادية والنفسية لموظفي الدولة، ومرافقة ذوي الخبرات، ومفهوم الإدارة الأبوية، وكون التوظيف يتم عبر الضوابط وليس عبر الروابط الشخصية.

ثم انتقلت إلى المشاكل الداخلية في عهد علي رضي الله عنه، فتحدثت عن معركة الجمل مبتدئا بالأحداث التي سبقتها ، وعن أثر التنظيم السيئ في اندلاعها ودور عبد الله بن سبأ في إذكاء الفتن الداخلية، وعن اختلاف الصحابة في الطريقة التي يأخذ بها القصاص من قتلة عثمان، وعن موقف السيدة عائشة أم المؤمنين، وطلحة والزبير ومعاوية بن أبي سفيان ومن كان معهم في الإسراع بالقصاص من قتلة عثمان، وبينت موقف معتزلي الفتنة، كسعد ابن أبي وقاص وعبد الله بن عمر، ومحمد بن مسلمة، وأبي موسى الأشعري، وعمران بن حصين، وأسامة بن زيد ومن سار على نهجهم، وتكلمت عن موقف المتريثين في تنفيذ القصاص حتى تستقر الأحوال، كأمير المؤمنين علي، وعن محاولات الصلح قبل اندلاع معركة الجمل، وعن نشوب القتال، وجولته الأولى والثانية، واستشهاد طلحة والزبير، ومبايعة أهل البصرة لعلي رضي الله عنه، وعن موقف علي رضي الله عنه من أم المؤمنين عائشة وكيف عاملها واحترمها وقدرها وردها إلى المدينة معززة مكرمة، وأشرت إلى فضائلها وشيء من سيرتها، كما ترجمت للزبير وطلحة رضي الله عنهما، لكونهما من الشخصيات المؤثرة في عهد النبوة والخلافة الراشدة وفي عهد أمير المؤمنين علي ودافعت عنهم دفاعًا عن الحق لكونهم ظلموا، فبينت فضلهم ومكانتهم في الإسلام، ورددت الشبهات والأكاذيب التي ألصقت بهم من خلال إثبات الحقائق الناصعة، والحجج الدامغة، وصفاتهم الرفيعة، وأخلاقهم الكريمة، بحيث يخرج القارئ المسلم بمعرفة حقيقية لا لبس فيها ولا غموض، لهذه الشخصيات الفذة، فلا يتأثر بالروايات الضعيفة، ولا القصص الموضوعة التي وضعها مؤرخو الشيعة الرافضة، والتي شوهت ثقافة الناس عن هذه الشخصيات العظيمة، فالحديث عن ترجمة عائشة أو طلحة والزبير أو غيرهم من كبار الصحابة التي ساهمت في الأحداث التي وقعت في عهد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ينسجم مع منهجي في دراسة شخصية أمير المؤمنين وعصره، والشخصيات التي أثرت في ذلك العهد ملتزمًا في طرحي بمنهج أهل السنة والجماعة جملة وتفصيلا، أصولا وفروعا.

قال الشاعر أبو محمد القحطاني:

أكرم بطلحة والزبير وسعدهم وسعيدهم وبعابد الرحمن
وأبي عبيدة ذي الديانة والتقى وامدح جماعة بيعة الرضوان
قل خير قول في صحابة أحمد وامدح جميع الآل والنسوان
دع ما جرى بين الصحابة في الوغى بسيوفهم يوم التقى الجمعان
فقتيلهم منهم وقاتلهم لهم وكلاهما في الحشر مرحومان
والله يوم الحشر ينزع كل ما تحوي صدورهم من الأضغان
لا تركنن إلى الروافض إنهم شتموا الصحابة دون ما برهان
لعنوا كما بغضوا صحابة أحمد وودادهم فرض على الإنسان
حب الصحابة والقرابة سنة ألقى بها ربي إذا أحياني

وقال أيضًا:

إن الروافض شر من وطئ الحصى من كل إنس ناطق أو جان
مدحوا النبي وخونوا أصحابه ورموهم بالظلم والعدوان
حبوا قرابته وسبوا صحبه جدلان عند الله منتقضان
فكأنما آل النبي وصحبه روح يضم جميعها جسدان
فئتان عقدهما شريعة أحمد بأبي وأمي ذانك الفئتان
فئتان سالكتان في سبل الهدى وهما بدين الله قائمتان

هذا وقد تحدثت عن معركة صفين ، ودوافع معاوية رضي الله عنه في عدم البيعة، والمراسلات التي تمت بينه وبين علي رضي الله عنه، ومحاولات الصلح، ونشوب القتال، والدعوة إلى التحكيم، ومقتل عمار بن ياسر رضي الله عنه وأثره على المسلمين، وعن المعاملة الكريمة من الطرفين أثناء الحرب والمواجهة، ومعاملة الأسرى، وعدد القتلى، وترحم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه على قتلى الطرفين، ونهيه عن شتم معاوية ولعن أهل الشام، ثم تكلمت عن قصة التحكيم، فترجمت لسيرة أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص رضي الله عنهما، وبينت بطلان الأكاذيب والقصص الواهية، والموضوعة التي ألصقت بهما في حادثة التحكيم، وأشرت إلى كيفية الاستفادة من قصة التحكيم في فض النزاعات بين الدول الإسلامية، وركزت على موقف أهل السنة من تلك الحروب، وحذرت من بعض الكتب التي شوهت تاريخ الصحابة بالظلم والعدوان، ككتاب «الإمامة والسياسية» المنسوب زورًا لابن قتيبة، وكتاب «الأغاني» للأصفهاني، و«تاريخ اليعقوبي»، و«المسعودي» وغيرها من الكتب المنحرفة عن منهج أهل السنة والجماعة، وبينت دور المستشرقين في تحريف التاريخ الإسلامي وتزويره وتشويهه، وكيف استفادوا من كتب الشيعة الروافض وأسسوا مدرسة

معـارضة ساهمت في تلـويث الأفكار، وتحريف الوقائع وطمس الحـقائق، وتوسـيع النقاط السوداء في تـاريخنا، مع المبالغـة والتهويل تحـت شعارات براقـة، كالبـحث العلمي النزيه، والواقعيـة، والموضوعية، والحياد، وتبنـي تلك الأفكار التدميرية مجـموعة من أبناء المسلمين ينتمون للإسلام لا يحسنون فهمه ولا عرضه، ولا العمل به، ولا الدفاع عنه، بل تورطوا في شباك أعداء الإسلام الذين يعملون على تشويه تاريخ هذه الأمـة وحضارتها التي صنعها دينها العظيم.

هذا وقد قـمت بدراسة مـوضوعـية علميـة في الفصل الأخـير عن الخـوارج والشيـعة الرافضة، فبينت نشأة الخوارج وعرفت بهم ، وذكرت الأحاديث النبوية التي تضمنت ذمهم، وانحيازهم إلى حروراء ومناظرة ابن عـباس لهم ، وسياسة أمير المؤمنين في التـعامل معهم، وأسباب مقاتلته لهم، ونشوب القتال مـعه وقصة ذي الثدية أو المخدج وأثر مقتله على جيش علي رضي الله عنه، ووقـفت مع الأحكام الفقهـية التي اجتـهد فيـها أميـر المؤمنين علي في معاركه -الجمل وصفين والخوارج- وكيف اعتمد عليها الفقهاء فيما بعد، ودونوها في كتبهم بما يعرف بأحكام فقه البـغاة، وأشرت إلى أهم صفات الخوارج في عـهد أمير المؤمنين علي، كالـغلو في الدين، والجهل به، وشق عـصا الطاعـة، والتكفيـر بالذنوب واسـتحـلال دماء المسلمين، وأموالهم، والطعن والـتضليل وسوء الظن والشدة علـى المسلمين، وناقشت بعض الآراء الاعتقـادية للخوارج، كتكفيـر صاحب الكبيرة، ورأيهم في الإمامـة، وطعنهم لبعض الصحـابة وتكفيـرهم لعثمـان وعلي رضي الله عنهما، وتـطرقت لأسباب انحـراف الخوارج ونزعاتهم في العصر الحديث، كالجهل بالعلوم الشرعية بسبب الإعراض عن العلماء، والقراءة من الكتب بدون معلم، وغلوهم في ذم التقليد، وتخلي كثير من العلماء عن القيام بواجبهم وشيوع الظلم والتحاكم للقوانين الوضعيـة، وانتشار الفساد بين الناس، وعدم تزكية النفوس، وأشرت إلى أهم مظاهر غلوهم، كـالتشدد في الدين على الـنفس والتعسيـر على الآخرين، والتعالي والغرور، والاستبداد بالرأي وتجـهيل الآخرين، والطعن في العلماء العاملين، وسوء الظن، والشدة والعنف مع الآخرين، وتكفير المسلمين.

وتكلمت عن فرقة الشيعة الرافضة، فـبينت معنى الشيعة في اللغة والاصطلاح، ومعنى الرفض في اللغة والاصطلاح، وسبب تسـميتهم بالرافضة، ونشـأتهم ودور اليهود في ذلك، والمراحل التي مر بها الشيعة وأهم عقائد الشـيعة الرافضة، وموقف أمير المؤمنين وعلماء أهل البيت من تلك العقائد المنسوبة إليهم، كعقيدة الإمامة وحكم من جحدها، والعصمة ومناقشة أدلتهم عـلى العصمـة وبيان بطلانهـا، وكذلك أدلتـهم على النص من القرآن الـكريم، كآية التطهيـر، والمباهلة، والولاية، وأدلتـهم المزعومة من السنة، كـخطبة غـدير خم، وحديث: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى»، وبيان الأحـاديث الضعيفة والموضوعـة التي استدلوا بها على الإمـامة، كـحديث الطائر، وحـديث الدار، و«أنا مديـنة العلم وعلي بابها»، وألحـقت بالكتاب فهرسًا للأحاديث الضعيفة والموضوعة التي يحتج بها الشيعة الرافضة لتحذير المسلمين

من الوقوع في حبائلهم، وبينت حقيقة التوحيد عند الشيعة الرافضة وكيف حرفوا نصوص التوحيد وجعلوها في ولاية الأئمة، وجعلوا الإمامة أصل قبول الأعمال، واعتقادهم أن الأئمة هم الواسطة بين الله وخلقه، وقولهم: لا هداية للناس إلا بالأئمة، ولا يقبل الدعاء إلا بأسماء الأئمة، وكون الحج إلى المشاهد الشيعية أعظم عندهم من الحج إلى بيت الله، وكون الإمام عندهم يحرم ما يشاء ويحل ما يشاء، وأن الدنيا والآخرة كلها للإمام يتصرف بها كيف يشاء، وإسناد الحوادث الكونية إلى الأئمة، وقولهم: إن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم شيء، وغلوهم في الإثبات، وحقيقة التعطيل عندهم، ومسألة خلق القرآن، ومسألة رؤية الله (عز وجل) في الآخرة، وتفضيلهم الأئمة على الأنبياء والرسل، وموقفهم من القرآن الكريم، واعتقاد بعض علمائهم بتحريف كتاب الله (عز وجل) والرد عليهم، وموقف الشيعة الرافضة من الصحابة الكرام والسنة النبوية المطهرة، ومفهوم التقية عند القوم، وعقيدة المهدي المنتظر عندهم، والرجعة، وقولهم بالبداء على الله (سبحانه وتعالى)، وقد بينت موقف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأئمة أهل البيت الأطهار، وعلماء أهل السنة من تلك العقائد الفاسدة والمنحرفة عن كتاب الله (تعالى)، والتزمت في مناقشتي بالأدب والابتعاد عن السب والشتم، ومناقشة القوم من خلال أصولهم وكتبهم المعتمدة، والحرص على بيان الحقيقة لمحبي أهل البيت من الشيعة، ودعوتهم بالاقتداء بأمير المؤمنين رضي الله عنه وتحذيرهم من المندسين تحت عباءة أهل البيت لغرض إفساد الناس وإبعادهم عن كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ)، كما أن هناك رغبة صادقة مخلصة لتعريف الجمهور العريض من أهل السنة لحقيقة هؤلاء الشيعة الرافضة، فالقضية لها وجودها وآثارها بين الشعوب في أفريقيا، وآسيا، وأوروبا والأمريكتين، ودعاة التشيع الرافضي نشطون في دعوتهم المنحرفة يبذلون في سبيلها الغالي والنفيس، ويتحالفون مع خصوم الإسلام الصحيح لضربه والقضاء عليه، وتشويه منهجه، وهذا ليس بجديد، وأهل السنة -إلا ما رحم الله- في استرخاء عجيب، ونوم عميق وغفلة عما يراد بهم، وبعضهم يقول : إن الصراع السني الشيعي الرافضي قد عفا عليه الزمن، وهذا الكلام عار من الحقيقة، ودليل على الجهل ، وفي طياته خداع لجمهور المسلمين العريض، باسم التقريب وتوحيد الصف الإسلامي.

إن المنهج الصحيح للتقريب هو أن يقوم علماء أهل السنة بجهد كبير لنشر اعتقادهم الصحيح المنبثق من كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ) وبيان صحته وتمييزه عن مذهب أهل البدع، فأهل السنة والجماعة هم المتبعون لما كان عليه رسول الله (ﷺ) وأصحابه ونسبتهم إلى سنة الرسول (ﷺ) التي حث على التمسك بها بقوله (ﷺ): «**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ**»[٢] ،وحذر من مخالفتها بقوله : «**وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**»[٣] ،وقوله:«**من رغب عن سنتي فليس مني**»، وهذا بخلاف غيرهم من أهل الأهواء والبدع الذين سلكوا

---

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٦٤٧-٦٤٨).

(٣) مسلم في (٢/ ٥٩٢) .

مسالك لم يكن عليها الرسول (ﷺ)، فأهل السنة ظهرت عقيدتهم بظهور بعثته (ﷺ) وهي محفوظة بحفظ الله لها في كتابه وسنة رسوله (ﷺ)، وأهل الأهواء ولدت عقائدهم بعد زمنه (ﷺ)، ومنها ما كان في آخر عهد الصحابة، ومنها ما كان بعد ذلك، والرسول (ﷺ) أخبر أن من عاش من أصحابه سيدرك هذا التفرق والاختلاف فقال: «وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا»[٤]، ثم أرشد إلى سلوك الصراط المستقيم ، وهو اتباع سنته وسنن خلفائه الراشدين، وحذر من محدثات الأمور، وأخبر بأنها ضلال، وليس من المعقول ولا المقبول أن يحجب حق وهدي عن الصحابة رضي الله عنهم ويدخر لأناس يجيئون بعدهم، فإن تلك البدع المحدثة كلها شر، ولو كان في شيء منها خير لسبق إليه الصحابة رضي الله عنهم، لكنها ابتلي بها كثير ممن جاء بعدهم ممن انحرفوا عما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم، وقد قال الإمام مالك (رحمه الله) : لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، ولذا فإن أهل السنة ينتسبون إلى السنة، وغيرهم ينتسبون إلى نحلهم الباطلة، أو إلى أسماء أشخاص معينين.

إن المنهج الأصيل للتقريب هو بيان الحق وكشف الباطل وتقريب الشيعة إلى كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ) وفهم الإسلام الصحيح من خلال علماء أهل السنة، وعلى رأسهم فقهاء وعلماء أهل البيت، كأمير المؤمنين علي رضي الله عنه وأبنائه وأحفاده، كما أنه ينبغي التنويه، وتشجيع الأصوات الإصلاحية الشيعية الصادقة واحترامها وتقديرها والوقوف معها في نصيحة أقوامها، كالذي قام به السيد حسين الموسوي في كتابه القيم لله ثم للتاريخ، «كشف الأسرار وتبرئة الأئمة الأطهار» وكالجهد العلمي الذي قام به السيد أحمد الكاتب مشكورًا في كتابه «تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه»، وعلينا أن نقف مع كل محب صادق لأهل البيت مقتفيًا لآثارهم الصحيحة وهديهم الجميل في إرشاد الناس لكتاب الله وسنة نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام، ونعاملهم بكل احترام وتقدير، ونأخذ بأيديهم نحو شواطئ الأمان ونحثهم على إعمال العقل ، وتحريره من أغلاله، وإزاحة الركام الثقيل من الأباطيل التي على الفطر، حتى تأخذ العقول النيرة، والفطر السليمة مجالها في الوصول للحقيقة التي لها نور ساطع وبريق لامع لا تخفيه الغيوم.

وعلى علماء أهل السنة أن يلتزموا أسلوب البحث العلمي الهادئ في مناقشة بدع المبتدعة وأن يترفقوا معهم، وقد يكون من تمام الترفق زيارتهم ومعاونتهم في الحدود التي لا خلاف فيها أو نجدتهم في الملمات وأيام المصاعب أو نصرتهم إذا كانوا في نزاع مع الكافر أو ظالم لهم، وفق فقه السياسة الشرعية الخاضعة للمصالح والمفاسد، إلا أن هذا الأصل في التعاون وحسن العلاقة وهدوء البحث لا يمكن أن يطرد دائما ليشمل من يأتي من الشيعة الرافضة بغلو قد يكون في السكوت عنه تحريك للغوغاء والدهماء، بل الواجب أن ننكر على أهل الغلو الشديد، والأقوال الشاذة في كل الأحوال، والحد المميز بين الطائفتين الأولى التي نترفق معها في الكلام، والثانية التي نغلظ لها بالكلام، إنما يكون كامنًا في مدى اعتماد القائل على

(٤) سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٦٤٧-٦٤٨).

نص شرعي تتكون منه شبهة أو على تأويل قد تميل إليه بعض الأذهان، وأما من يتتبع غرائب النقول عن المجاهيل والمتأخرين ومن لا تأويل له فالإنكار منا تجاهه أولى، وربما كان الإغلاظ في إنكار بدعته أوجب.

قال الشاعر:

واحـذر مـجـادلة الرجـال فـإنهـا تدعـو إلى الشـحـناء والشنآن
وإذا اضطررت إلى الجدال ولم تجد لك مـهـربًا وتـلاقت الصـفـان
فـاجـعـل كـتـاب الله درعًا سـابغًا والشـرع سـيفك وابد فـي الميدان
والسـنة البـيـضـاء دونك جـنة واركب جـواد العـزم في الجـولان
واثبت بصـبـرك تحت ألويـة الهـدى فـالصـبـر أوثـق عـدة الإنسـان
واطعـن برمح الحـق كل مـعـانـد لله در الـفـارس الطعـان
واحمل بسيف الصدق حملة مخلص مـتـجـردًا لله غـيـر جـبـان

كما أن علماء أهل السنة وأهل الحل والعقد منهم في المجتمعات الطائفية لهم دور كبير في قيادة المسلمين نحو الخير، فهم الذين يقدرون المواقف السياسية والتحالفات الحزبية مع الطوائف الأخرى وفق فقه المصالح والمفاسد الذي تضبطه قواعد السياسة الشرعية، وهذا لا يمنع العلماء والدعاة من تعليم المسلمين أصول منهج أهل السنة وتربيتهم عليه ودعوة الناس إليه، والتحذير من العقائد الفاسدة المندسة في أوساط المسلمين؛ حتى لا يتأثروا بها والتي يجتهد دعاتها في نشرها بالليل والنهار والسر والإعلان بدون ملل ولا كلل، ولنا أسوة حسنة في رسول الله (ﷺ) إبان هجرته للمدينة عندما عقد المعاهدات مع اليهود التي تؤمن لهم حياة كريمة في ظل الدولة الإسلامية، وكان القرآن الكريم في نفس الوقت يتحدث عن عقائد اليهود وتاريخهم وأخلاقهم حتى يتعرف المسلمون على حقيقة الشخصية اليهودية فلا ينخدعوا بها. وعندما غدر اليهود كان الصف الإسلامي محصنًا ضد هذه الطائفة.

إن الدارس لحركة التاريخ الإسلامي، كمرحلة الحروب الصليبية في عهد نور الدين وصلاح الدين، وزمن العثمانيين في عهد السلطان محمد الفاتح وغيره، والمرابطين في عصر يوسف بن تاشفين، يلاحظ أن عوامل النهوض، وأسباب النصر كثيرة، ومنها: صفاء العقيدة، ووضوح المنهج، وتحكيم شرع الله في الدولة، ووجود القيادة الربانية التي تنظر بنور الله، وقدرتها في التعامل مع سنن الله وتربية الأمم، وبناء الدول وسقوطها، ومعرفة علل المجتمعات، وأطوار الأمم، وأسرار التاريخ، ومخططات الأعداء، من الصليبين واليهود والملاحدة والفرق الباطنية، والمبتدعة، وإعطاء كل عامل حقه الطبيعي في التعامل معه، فقضايا فقه النهوض، والمشاريع النهوضية البعيدة المدى متداخلة متشابكة لا يستطيع استيعابها إلا من فهم كتاب الله (عز وجل) وسنة رسوله (ﷺ) وارتبط بالفقه الراشدي المحفوظ عن سلفنا العظيم، فعلم معالمه وخصائصه وأسباب وجوده وعوامل زواله، واستفاد من التاريخ

الإسلامي وتجارب النهوض، فأيقن بأن هذه الأمة ما فقدت الصدارة قط وهي وفية لربها ونبيها (ﷺ)، وعلم بأن الهزائم العسكرية عرض يزول، أما الهزائم الثقافية فجرح مميت، والثقافة الصحيحة تبني الإنسان المسلم والأسرة المسلمة والمجتمع المسلم والدولة المسلمة على قواعدها المتينة من كتاب الله وسنة رسوله وهدي الخلفاء الراشدين ومن سار على نهجهم، وعبقرية البناء الحضاري الصحيح هي التي أبقت صرح الإسلام إلى يومنا هذا -بعد توفيق الله وحفظه.

فعلينا أن نعمل لهذا الدين وسعادتنا ليست باقتطاف الثمر العاجل، إنما في الشعور بتوفيق الله والأمل في رضاه، إنني في دراستي لعهد الخلافة الراشدة، من خلال الروايات الصحيحة، لكي يستفيد أبناء المسلمين من تلك الحقبة، العلم الغزير، والفقه الدقيق، وشمولية فهم الإسلام، فلعل الله (سبحانه) أن يبارك في هذا الجهد وينتفع به أولئك الدعاة الذين لا نعرف أسماءهم، ولكن سيرى التاريخ آثارهم وسيقيلون العالم الإسلامي من عثرته وينهضون به من كبوته، أولئك الربانيون المتجردون الذين عرفوا الحق واستشعروا السعادة في نصرته، وتعصبوا له ودافعوا عنه ووقفوا بجانبه على رقة الحال وقلة النصير، فأخذ الله بأيديهم لصدقهم وإخلاصهم ومتابعتهم للنبي (ﷺ)، وأولئك العلماء، وطلاب العلم الذين توزن مداد أقلامهم بدماء الشهداء، وأولئك التجار الذين يقفون خلف موكب الدعوة بأموالهم وثرواتهم وأنفسهم ولسان حالهم يقول: ﴿**لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا**﴾ وأولئك الجنود المجهولون في هذه الدنيا ولكنهم غدًا أعلام شامخة في ربى الخلد، إن العواصف العاتية تهب بعنف تريد اجتياح إسلامنا وديننا وعقيدتنا من جذورها، وجهود خصوم الإسلام من الصليبية واليهودية والعلمانية والباطنية والمبتدعة تستبيح قادتنا وكبراءنا في ميدان العلم والأدب والسياسة، وتريد تشويه تاريخنا، فعندما نكون أمة بدون تاريخ، فلن نكون أمة صالحة. فما قيمة أمة ليس لها رجال؟ وما قيمة دين لم يصنع رجالاً على تراخي العصور؟ فهل يمكننا أن نستلهم الدروس والعبر من تاريخنا ما يخزي أعداء الله ويرد كيدهم في نحورهم، وما يساعدنا على استئناف رسالتنا ودعم حضارتنا؟

إن الإنسانية تترنح في هذه الآونة الكالحة من التاريخ لبعدها عن منهج الله (تعالى)، والدواء عند المسلمين وحدهم فهل ينصفون أنفسهم، وينقذون الآخرين؟

قال الشاعر:

ومن العجائب -والعجائب جمة- ... قرب الحبيب وما إليه وصول

كالعيس في البيداء يقتلها الظما ... والماء فوق ظهورها محمول

فهل من عودة إلى الإسلام، تزكي السرائر، وتبني الأخلاق، وتصلنا بالقرآن الكريم، وتشعرنا بشرف الانتماء إلى محمد ودينه وضرورة العمل بدعوته وسنة خلفائه الراشدين، أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر أصحابه الكرام رضي الله عنهم أجمعين، ونكون حلقة

موصولة، في دعم رسالة الحبيب (ﷺ) التي استوعبت الزمن كله.

وقبل الحديث عن المصادر والمراجع التي تعاملت معها، لا بد من الاعتراف بأن هذا الجهد لولا توفيق الله (سبحانه وتعالى) ثم جهود علماء أهل السنة وطلاب العلم ممن ساروا على منهجهم، ما استطعت أن أبحر في هذا البحر العميق؛ ولذلك أقر بأنني استفدت من الرسائل العلمية التي طبعت والتي لم تنشر، من حيث المادة والمنهج، والحكم على الروايات، والرجوع إلى المصادر الحديثية والتاريخية وغيرها، مع محاولة التطوير والاستفادة من جهود الآخرين في البناء، وأخص بالذكر الدكتور أكرم ضياء العمري الذي أشرف وناقش الكثير من هذه الرسائل في هذا المجال، فقد استفدت من كتبه. «كالسيرة النبوية الصحيحة»، و«عصر الخلافة الراشدة»، ومن الرسائل التي أشرف عليها كرسالة الدكتور يحيى اليحيى، «الخلافة الراشدة والدولة الأموية من فتح الباري جمعًا وتوثيقًا»، ورسالة الأستاذ عبد العزيز المقبل في: «خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه من خلال كتب السنة والتاريخ دراسة نقدية للروايات باستثناء حروب الردة»، ورسالة الدكتور عبد العزيز بن محمد الفريح في تحقيق كتاب، «محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب» ليوسف بن الحسن بن عبد الهادي الدمشقي الصالحي الحنبلي، ورسالة الدكتور محمد بن عبد الله الغبان في :«فتنة مقتل عثمان بن عفان»، ورسالة الأستاذ عبد الحميد على ناصر في «خلافة علي بن أبي طالب»، وغير ذلك من الرسائل الجامعية التي أشرف عليها آخرون، كرسالة د. محمد أمحزون في «تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الطبري والمحدثين»، ورسالة سليمان العودة، «عبد الله بن سبأ وأثره في إحداث الفتنة في صدر الإسلام»، ورسالة الأستاذة أسماء محمد أحمد زيادة «دور المرأة السياسي في عهد النبي (ﷺ) والخلفاء الراشدين»، وغير ذلك من الرسائل الجامعية، فالفضل لله (سبحانه وتعالى) ثم لأساتذتي وإخواني الذين مهدوا لي الطريق، فلهم مني الدعاء في ظهر الغيب بأن يتقبل الله جهودهم وتكون في ميزان حسناتهم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

**أما المصادر التي في هذه الدراسة المتعلقة بعهد الخلافة الراشدة فقد بدأت :**

**١- كتب الحديث:**

وقد بدأت بالكتب الستة صحيحي البخاري ومسلم وسنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، ثم موطأ مالك ومسند أحمد، فبذلت جهدًا لاستخراج المادة التاريخية ، التي لها علاقة بعهد الخلافة الراشدة ثم جمعت مادة تاريخية من مصنف عبد الرزاق وابن أبي شيبة ومستدرك الحاكم والسنن الكبرى للبيهقي وسنن سعيد بن منصور، ومسند الحميدي والطيالسي، ومجمع الزوائد وكشف الأستار عن زوائد البزار وموارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، ولم أغفل المعجم الكبير للطبراني وسنن الدارقطني واستفدت من جهود المحققين لما سبق ذكره من كتب الحديث في الحكم على الروايات.

**٢- كتب شروح الحديث :**

وأهمها : فتح الباري لابن حجر، وشرح النووي على صحيح مسلم ففيها مادة تاريخية

لا يستهان بها، كما أن تعليقات ابن حجر والنووي على بعض الأحاديث التاريخية ذات أهمية تاريخية.

**٣- كتب التفسير:**

وأهم هذه الكتب: تفسير الطبري، والقرطبي، وابن كثير، وأهتم بتعليقاتهم أكثر من الروايات التي نقلوها، حيث إن معظمها ذكر في كتب الحديث والتاريخ.

**٤- كتب العقائد:**

وأهم هذه الكتب: منهاج السنة النبوية، لابن تيمية، وهذا الكتاب استفدت منه فائدة عظيمة، وشرح الطحاوية، والإبانة في أصول الديانة، والاعتقاد للبيهقي، والشريعة للآجري وغيرها من كتب العقائد، حيث نقلت منها أقوال السلف فيما يتعلق بالخلفاء الراشدين، ومكانة الصحابة رضي الله عنهم.

**٥- كتب الفقه:**

وأهمها: المغني لابن قدامة، والمجموع للنووي، وبداية المجتهد لابن رشد وغيرها من كتب الفقه، حيث استفدت منها في المسائل الفقهية والقضائية التي اجتهد فيها الخلفاء الراشدون.

**٦- كتب الأدب:**

حيث استخرجت منها بعض الأبيات المنسوبة للخلفاء الراشدين أو تمثلوا بها، أو استمعوا إليها، ولكون كتب الأدب ليس لها أسانيد وفيها الغث والسمين، لذلك كان اختياري للأبيات الشعرية التي تنسجم مع كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ) وأخلاق ذلك الجيل الفريد، ومن أهم هذه الكتب: عيون الأخبار لابن قتيبة، والأدب الإسلامي في عهد النبوة، نايف معروف.

**٧- كتب الزهد والرقائق:**

واستخرجت منها أقوال الخلفاء الراشدين في هذا العلم ومن أهم هذه الكتب: عدة الصابرين، وذخيرة الشاكرين لابن القيم، ومدارج السالكين لابن القيم، ومختصر منهاج القاصدين لأحمد بن عبد الرحمن المقدسي، وغيرها من الكتب.

**٨- كتب الفرق والمذاهب:**

وأهم هذه الكتب: الفصل في الملل والأهواء والنحل، لأبي محمد بن حزم الظاهري، وأصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية، د. ناصر القفاري.

**٩- كتب في أنظمة الحكم:**

وأهم هذه الكتب نظام الحكومة الإسلامية للكتاني: المسمى التراتيب الإدارية، ونظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي لظافر القاسمي.

**١٠- كتب في التراجم:**

وأهم هذه الكتب: سير أعلام النبلاء للذهبي، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، لعبد الحي الحنبلي، وأسد الغابة، لابن الأثير، وسير السلف لأبي القاسم الأصفهاني.

**١١- كتب في الجرح والتعديل:**

وأهم هذه الكتب: تهذيب الكمال في أسماء الرجال للحافظ المزي، والجرح والتعديل، لابن أبي حاتم، الثقات لابن حبان، والكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي .

**١٢- كتب التاريخ:**

وأهمها: تاريخ الطبري، وهذا الكتاب نقل إلينا الروايات الصحيحة والضعيفة والموضوعة بأسانيدها، وفيما يتعلق بالعقيدة والأحكام الشرعية والأحداث التي تتعلق بالصحابة، لا بد من خضوع الروايات للجرح والتعديل وبيان الروايات الشيعية الرافضية، والكذابين والمجاهيل، وقد استفدت في هذا الشأن من كتاب استشهاد عثمان ووقعة الجمل في مرويات سيف بن عمر في تاريخ الطبري، لخالد الغيث، ومرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، للدكتور يحيى إبراهيم اليحيى، وأثر التشيع على الروايات التاريخية د. عبد العزيز نور ولي، ومن أهم هذه الكتب : البداية والنهاية لابن كثير، وغيرها من الكتب التاريخية.

هذه أهم المصادر التي رجعت إليها مع كم كبير من المراجع الحديثية المتنوعة.

هذا وقد تشددت في تصحيح الروايات أو الحكم عليها فيما يتعلق بالعقائد والأحكام والصحابة رضي الله عنهم، وفي هذا الشأن ما أنا إلا ناقل لأقوال العلماء المتخصصين في هذا العلم -فالفضل لله ثم لهم- واجتهدت في تصوير الحدث التاريخي من الروايات الصحيحة فقدمتها وأخذت بالحسنة ولم أهمل الروايات الضعيفة، فقد أفدت منها في إكمال الصورة التي لا تسدها الروايات الصحيحة والحسنة بما يتوافق مع روح ذلك العصر، لكن فيما يتعلق بعقيدة أو شريعة، ودخلت في مناقشات لشبهات وافتراءات الرافضة والمستشرقين وبعض الكتاب المعاصرين، وقد حرصت على طرح منهج أهل السنة فيما يتعلق بالعهد الراشدي والرد على الشبهات خصوصًا في عهد عثمان وعلي رضي الله عنهما، وقد جدّت أفكار كثيرة من بعض الإخوة الأعزاء حول دراسة عهد الخلافة الراشدة والعزم ماضي بإذن الله على تطويرها، بما يلائم ذلك العصر الزاهر، ونسأل الله (تعالى) السداد والتوفيق.

هذا وقد أفردت، خامس الخلفاء الراشدين الحسن بن علي بن أبي طالب بدراسة خاصة، نظرًا لأهمية اجتهاداته في فقه السياسة الشرعية وفقه المصالح والمفاسد، وما كان يملكه من رؤية إصلاحية توجت بتنازله عن الخلافة لمعاوية رضي الله عنه، وما تعرض له أثناء اتخاذ الخطوات التنفيذية لتلك الرؤية من عوائق ومصائب، وما تميزت به شخصيته الفذة من قدرة على امتلاك مشروع إصلاحي وعزم على التنفيذ كان سببًا في توحيد الأمة وتحقيق نبوة النبي (ﷺ) في قوله :«ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»[٥] وبتنازل الحسن بن علي عن الخلافة ومبايعته معاوية رضوان الله عليهم أجمعين تنتهي بذلك

(٥) البخاري رقم (٣٧٤٦) .

فترة خلافة النبوة وهي ثلاثون سنة ،والحجة في ذلك قول رسول الله (ﷺ) :«**خلافة النبوة ثلاثون سنة ، ثم يؤتي الله الملك -أو ملكه- من يشاء**»(٦) ،وقوله: «**الخلافة في أمتي ثلاثون سنة، ثم ملك بعد ذلك**»(٧)،وقد علق ابن كثير على هذا الحديث فقال : وإنما كملت الثلاثون بخلافة الحسن بن علي، فإنه نزل عن الخلافة لمعاوية في ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين، وذلك كمال ثلاثين سنة من موت رسول الله (ﷺ)، فإنه توفي في ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة، وهذا من دلائل النبوة صلوات الله عليه وسلم تسليمًا(٨) .وبذلك يكون الحسن بن علي رضي الله عنه خامس الخلفاء الراشدين، وبإذن الله (تعالى) سوف تكون مع كتاب الحسن بن علي خلاصات مهمة فيما يتعلق بدراسة عهد الخلافة الراشدة من معالمها وخصائصها، وأسباب زوالها، ونظام حكمها وصفات جيلها، وقادتها، ودستورها، وإدارة الأزمات فيها، واستنباط قوانين وسنن للنهوض، ومكانة المرأة في العهد الراشدي، ومؤسسات الدولة، وفقه القدوم على الله عند ذلك الجيل.

هذا وقد حرصت على تناول شخصية أمير المؤمنين علي من جوانبها المتنوعة، فحياته صفحة مشرقة من تاريخ الأمة، وهو من الأئمة الذين يتأسى الناس بهديهم وبأقوالهم وأفعالهم في هذه الحياة، فسيرته من أقوى مصادر الإيمان، والعاطفة الإسلامية الصحيحة، والفهم السليم لهذا الدين ، فنتعلم منه فقهه في التعامل مع السنن وحسن توجيهها، وكيف نعيش مع القرآن ونهتدي بهديه ونقتدي برسول الله (ﷺ)، وأهمية الخوف من الله والإخلاص له وابتغاء ما عنده في نجاح العبد في الدارين، وأثر هذه المعاني في حياة الأمة الإسلامية ونهوضها وقيامها بدورها الحضاري المنشود؛ فلذلك اجتهدت في دراسة شخصيته وعصره حسب وسعي وطاقتي، غير مدع عصمة، ولا متبرئ من زلة، ووجه الله الكريم لا غيره قصدت، وثوابه أردت، وهو المسؤول في المعونة عليه، والانتفاع به إنه طيب الأسماء وسميع الدعاء.

هذا وقد انتهيت من هذا الكتاب يوم السبت الساعة واحدة إلا خمس دقائق ظهرًا بتاريخ (١٧ ربيع الآخر ١٤٢٤هـ الموافق ٧يونيو٢٠٠٣م) والفضل لله من قبل ومن بعد، وأسأله (سبحانه وتعالى) بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعل عملي لوجهه خالصًا ولعباده نافعًا، وأن يثيبني على كل حرف كتبته ويجعله في ميزان حسناتي، وأن يثيب إخواني الذين أعانوني بكل ما يملكون من أجل إتمام هذا الجهد المتواضع، ونرجو من كل مسلم يطلع على هذا الكتاب ألا ينسى العبد الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه من دعائه ﴿**رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ**﴾ [النمل :١٩].

قال (تعالى) : ﴿**مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ**

(٦) صحيح سنن أبي داود (٣/ ٨٧٩) للألباني.
(٧) سنن الترمذي مع شرحها، الأحوذي (٦/ ٣٩٥-٣٩٧) قال الترمذي :هذا حديث حسن.
(٨) البداية والنهاية (٨/ ١٦).

من بَعْده وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٢] . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد، أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

●●●

الإخوة القراء الكرام يسر المؤلف أن تصله ملاحظاتكم حول هـذا الكتاب وغيره من كتبه من خـلال دور النشر، ويـطلب من إخوانه الدعـاء في ظهـر الغـيب بالإخلاص والصـواب ومواصلة المسيرة في خدمة تاريخ أمتنا .

**الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته ورضوانه علي محمد الصلابي**

# الفصل الأول

## علي بن أبي طالب رضي الله عنه بمكة

## المبحث الأول: اسمه ونسبه وكنيته وصفته، وأسرته

**أولاً: اسمه وكنيته ولقبه:**

١- **اسمه ونسبه:** هو علي بن أبي طالب (عبد مناف)[١] بن عبد المطلب يقال له: شيبة الحمد[٢] بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[٣]، فهو ابن عم رسول الله (ﷺ) ويلتقي معه في جده الأول عبد المطلب بن هاشم، ووالده أبو طالب شقيق عبد الله والد النبي (ﷺ)، وكان اسم علي عند مولده أسد، سمته بذلك أمه رضي الله عنها باسم أبيها أسد بن هاشم، ويدل على ذلك ارتجازه يوم خيبر حيث يقول:

أنا الذي سمتني أمي حيدرة[٤] كليث غابات كريه المنظرة[٥]

وكان أبو طالب غائبًا، فلما عاد، لم يعجبه هذا الاسم وسماه عليًا[٦].

٢- **كنيته:** أبو الحسن، نسبة إلى ابنه الأكبر الحسن وهو من ولد فاطمة بنت رسول الله (ﷺ) ويكنى أيضًا: بأبي تراب كنية كناه بها النبي (ﷺ) وكان يفرح إذا نودي بها، وسبب ذلك: أن رسول الله (ﷺ) جاء بيت فاطمة رضي الله عنها فلم يجد عليًا في البيت، فقال: **«أين ابن عمك؟»**.

قالت: كان بيني وبينه شيء فغاضبني فخرج فلم يقل[٧] عندي، فقال (ﷺ) لإنسان: **«انظر أين هو؟»** فجاء فقال: يا رسول الله؟ هو في المسجد راقد، فجاء رسول الله (ﷺ) وهو مضطجع وقد سقط رداؤه عن شقه، وأصابه تراب، فجعل رسول الله (ﷺ) يمسحه عنه ويقول: **«قم أبا تراب»**[٨]، ومن رواية البخاري: والله ما سماه إلا النبي[٩]، ومن كناه: أبو الحسن والحسين وأبو القاسم الهاشمي[١٠]، وأبو السبطين[١١].

---

(١) أبو طالب اسمه عبد مناف. (٢) عبد المطلب: اسمه شيبة الحمد. الاستيعاب (٣/١٠٨٩).

(٣) الطبقات الكبرى (٣/١٩)، صفة الصفوة (١/٣٠٨)، البداية والنهاية (٧/٣٣٣)، الإصابة (١/٥٠٧)، الاستيعاب (١/١٠٨٩)، المنتظم (٥/٦٦)، المعجم الكبير للطبراني(١/ ٥٠).

(٤) حيدرة من أسماء الأسد. (٥) الرياض النضرة في مناقب العشرة ص(٦١٧).

(٦) غريب الحديث للخطابي (٢/ ١٧٠)، خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد بن علي ناصر فقيهي ص(١٨). (٧) من قال يقيل فالقيلولة: الظهيرة وتكون بمعنى النوم في الظهيرة اللسان(١١/ ٥٧٧).

(٨) مسلم في صحيحه رقم (٢٤٠٩). (٩) البخاري في صحيحه رقم (٤٤١، ٣٢٨٠، ٣٧٠٣).

(١٠) البداية والنهاية(٧/ ٢٢٣). (١١) أسد الغابة (٤/ ١٦) والسبطان: الحسن والحسين.

٣- **لقبه:** أمير المؤمنين، ورابع الخلفاء الراشدين[١٢].

**ثانيا: مولده:**

اختلفت الروايات وتعددت في تحديد سنة ولادته، فقد ذكر الحسن البصري أن ولادته قبل البعثة بخمس عشرة أو ست عشرة سنة[١٣]، وذكر ابن إسحاق أن ولادته قبل البعثة بعشر سنين[١٤]، ورجح ابن حجر قوله[١٥]، وذكر الباقر محمد بن علي قولين: الأول: كالذي ذكره ابن إسحاق، ورجحه ابن حجر وهو أنه ولد قبل البعثة بعشر سنين[١٦]، وأما الثاني: فيذكر أنه ولد قبل البعثة بخمس سنين[١٧]، وقد ملت إلى قول ابن حجر وابن اسحاق، فيكون مولده على التحقيق قبل البعثة بعشر سنين[١٨] وذكر الفاكهي[١٩]، بأن عليًا أول من ولد من بني هاشم في جوف الكعبة، وأما الحاكم فقال: إن الأخبار تواترت بأن عليًا ولد في جوف الكعبة[٢٠].

**ثالثا: الأسرة وأثرها في الأعقاب:**

لقد دل علم التشريح -وهو دراسة التركيب الجسدي وعلم النفس، وعلم الأخلاق، وعلم الاجتماع، على تأثير الدم والسلالات في أخلاق الأجيال وصلاحياتها ومواهبها، وطاقاتها، إلى حد معين، وفي أكثر الأحوال، وذلك عن ثلاثة طرق:

(أ) القيم والمثل التي ما زال آباء هذه الأسرة وأجدادها يؤمنون بها أشد الإيمان ويحافظون عليها أو يحاولون أن يحافظوا عليها أشد المحافظة، ويتنبلون بها ويمجدون ويعتبرون من ثار عليها من أبناء الأسرة، أو خالفها وحاد عنها شاردًا غريبًا، ويرون في ذلك غضاضة، وسقوط همة، وقلة مروءة، وعقوقًا للآباء، وإساءة إليهم، لا تغتفر في قوانين هذه الأسرة العرفية المتوارثة.

(ب) حكايات الآباء وعظماء الأسرة في البطولة والفتوة والفروسية، والشهامة، والأنفة والإباء، والجود والسخاء، وحماية المظلومين والضعفاء، تتناقلها الأجيال وتتباهى بها، وذلك من سن مبكرة، ومن أيام الصبا إلى سن الشباب والكهولة، فتؤثر في تكوين عقليتها ومشاعرها، وتعيين المقاييس للعظمة والرجولة، والبر بالآباء وتبرير شهرة الأسرة والسلالة.

---

(١٢) تاريخ الإسلام للذهبي ص(٣٧٦)، البداية والنهاية (٧/ ٢٢٣)، خلاصة تهذيب الكمال (٢/ ٢٥٠).
(١٣) المعجم الكبير للطبراني(١/ ٥٤) رقم (١٦٣) بسند مرسل.
(١٤) السيرة النبوية (١/ ٢٦٢) دون إسناد.
(١٥) الإصابة (٢/ ٥٠١) ترجمة علي.
(١٦) المعجم الكبير للطبراني (١/ ٥٣) رقم (١٦٥) إسناده حسن.
(١٧) المصدر السابق (١/ ٥٣) رقم (١٦٦) إسناده حسن إلى محمد الباقر حيث أرسلها.
(١٨) فتح الباري (٧/ ١٧٤)، والإصابة (٢/ ٥٠٧).
(١٩) صاحب أخبار مكة، حقق الكتاب عبد الملك بن دهيش.
(٢٠) المستدرك على الصحيحين (٣/ ٤٨٣) دون إسناد.

(ج) تأثير الدم الموروث في أعضاء الأسرة كابرًا عن كابر، في أسرة حافظت على أنسابها وأصالتها، وذلك ما أيده علم السلالات[٢١]، وهذا ليس على إطلاقه، وقاعدة مطردة، لا تقبل استثناء ولا شذوذا كالسنن الإلهية التي قال الله عنها: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً﴾ [فاطر: ٤٣]، وإلى ذلك أشار النبي (ﷺ) في قوله: «**الناس معادن كمعادن الفضة والذهب، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا**»[٢٢]، وقوله (ﷺ): «**من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه**»[٢٣]، وليس في ذلك من تقديس الدم الموروث الدائم، وتركز الرئاسة الدينية والزعامة الروحية العلمية في أسرة معينة، واحتكارها لقيادة أمة، دينيًا وروحيًا وعلميًا بشكل دائم، وهو الذي عانى منه العالم القديم -قبل الإسلام- فسادًا اجتماعيًا وخلقيًا جارفًا، واستبدادًا فظيعًا، واستغلالاً ماديًا شنيعًا، وتزخر به كتب التاريخ وشهادات المؤرخين للإمبراطوريتين الرومية والساسانية، والمجتمعين الإغريقي والهندي[٢٤] وغيرها من الجاهليات، ولذلك يحسن بنا أن نشير إلى وضع الأسرة والسلالة -اللتين ولد ونشأ فيهما أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه- العرقي والاجتماعي، وما كانتا تمتازان به من خصائص وأعراف، وتقاليد وتراث خلقي ونفسي، وكيف كان العرب ينظرون إليهما ويقرون لهما بالفضل، ونبدأ في ذلك بقريش، ثم ببني هاشم[٢٥].

**١- قبيلة قريش:**

أقر العرب كلهم بعلو نسب قريس، والسيادة، وفصاحة اللغة، ونصاعة البيان، وكرم الأخلاق والشجاعة والفتوة، وذهب ذلك مثلاً لا يقبل نقاشًا ولا جدلاً[٢٦]، وكانوا حلفاء متآلفين متمسكين بكثير من شريعة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، ولم يكونوا كالأعراب الذين لا يوقرهم دين، ولا يزينهم أدب، وكانوا يحبون أولادهم، ويحجون البيت ويقيمون المناسك، ويكفنون موتاهم، ويغتسلون من الجنابة، ويتبرؤون من الهرابذة[٢٧]، ويتباعدون في المناكح من البنت وبنت البنت والأخت وبنت الأخت، غيرةً وبعدًا من المجوسية، ونزل القرآن بتأكيد صنيعهم وحسن اختيارهم، وكانوا يتزوجون بالصداق والشهود ويطلقون ثلاثًا[٢٨]، ومما زاد شرفهم أنهم كانوا يتزوجون من أي قبيلة

---

(٢١) المرتضى في سيرة أمير المؤمنين أبي الحسن، للندوي ص(١٩، ٢٠).
(٢٢) مسند أحمد (٢/٥٣٩) إسناده صحيح.
(٢٣) مسلم، ك الذكر والدعاء والتوبة.
(٢٤) المرتضى للندوي ص(٢٠).
(٢٥) فيما يتعلق بخصائص ومزايا العرب ينظر إلى السيرة النبوية للندوي.
(٢٦) السيرة النبوية للندوي ص(٧٤).
(٢٧) الهرابذة: قوام بيت النار، فارسي معرب وقيل: عظماء الهند أو علماؤهم.
(٢٨) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب(١/٢٤٣) للألوسي.

شـاؤوا، ولا شرط عليـهم في ذلك، ولا يزوجـون أحدًا حـتى يشـترطوا عليـه، أن يكون متـحمـسًا(٢٩) على دينهم، يرون ذلك لا يحل لهم ولا يجـوز لشرفهم، حـتى يدان إليهم وينقاد(٣٠).

**٢- بنو هاشم:**

أما بنو هاشم فكانوا واسطة العقد في قريش، وإذا قرأنا مـا حفظه التاريخ وكتب السيرة من أخبارهم وأقوالهم -وهو قليل من كثير جـدًا- استدللنا به على ما كان يمتاز به هؤلاء من مشاعر الإنسـانية الكريمة، والاعتدال في كل شيء، ورجاحة العـقل، وقوة الإيمان بما للبيت من مكانة عند الله، والبعـد عن الظلم ومكابرة الحق، وعلو الهمة، والعطف على الـضعيف والمظلوم، والسخاء والشجاعة، وما تشتمل عليه كلمة (الفروسية) عند العرب من معان كريمة وخلال حـميدة السـيرة، التي تليق بأجداد الرسـول الكريم (ﷺ)، تتفق ويتفق مع مـا كان يفضله ويدعو إليه من مكارم الأخلاق، غير أنهم عاشوا في زمن الفترة، وسايروا أبناء قومهم في عقـائد الجاهلية، وعبـاداتها(٣١) ولم يصل بنو هاشم إلى هذه المكانة في مـجتمـعهم إلا بالتضحية والعطاء والبذل وخدمة الناس.

**٣- عبد المطلب بن هاشم:**

جـد الرسول (ﷺ) وعـلي بن أبي طالب رضي الله عنه: ولي عـبـد المطلب بن هاشم السقاية والرفادة(٣٢)، بعد عمه عبد المطلب، فأقامها للناس، وأقام لقومه ما كان آباؤه يقيمون قبله لقومهم من أمـرهم، وشرف في قومه شرفًا لم يبلغه أحد من آبائه، وأحـبه قومه وعظم خطره فيهم(٣٣).

ولم يكن عبـد المطلب أغنى رجل في قريش، ولم يكن سيـد مكة الوحيد المطاع، كـما كان قصي، إذ كـان في مكة رجال كانوا أكثـر منه مالاً وسلطانًا، إنما كان وجيـه قومه، لأنه كان يتولى السقاية والرفادة، وبئر زمزم، فهي وجاهة ذات صلة بالبيت(٣٤) ويتجلى إيمان عبد المطلب بأن لهـذا البيت مكانة عند الله، وأنه حـاميه ومـانعه، وتتـجلى نفسيـة سيـد قريش السامية، وشـخصيته القوية الشـامخة في حديث دار بينه وبين أبرهة ملك الحبـشة، وقد غزا مكة وأراد أن يهين البيت ويقضي على مكانته، وقد أصاب لعبد المطلب مائتي بعير، فاستأذن له عليه، وقـد أعظمه أبرهة ونزل له عن سريره فـأجلسه معه، وسـأله عن حاجته، فـقال: حاجتي أن يرد علي الملك مـائتي بعير أصابها لي. فلما قال له ذلك زهـد فيه الملك وتفادته

(٢٩) متحمسًا: التحمس التشدد في الدين.
(٣٠) المرتضى للندوي ص(٢٢)، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب (١/ ٢٤٣).
(٣١) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب للألوسي (١/ ٢٤٣).
(٣٢) الرفادة: إطعام الحجاج في أيام الموسم حتى يتفرقوا.
(٣٣) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ١٤٢).
(٣٤) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي(٤/ ٧٨) المرتضى ص(٢٢).

عينه، وقال: أتكلمني في مائتي بعير أصبتها لك، وتترك بيتًا هو دينك ودين آبائك، قد جئت لهدمه، لا تكلمني فيه؟! قال عبد المطلب: إني أنا رب الإبل، وإن للبيت ربًا سيمنعه، قال: ما كان يمتنع مني، قال: أنت وذاك[٣٥]: وقد كان ما قاله عبد المطلب، فحمى رب البيت بيته، وجعل كيد أبرهة وجيشه في تضليل، وقال (تعالى): ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [الفيل: ٣-٥].

وكان عبد المطلب يأمر أولاده بترك الظلم والبغي، ويحثهم على مكارم الأخلاق، وينهاهم عن دنيئات الأمور[٣٦]، ومات عبد المطلب بعد أن جاوز الثمانين، وعمر الرسول ثماني سنين، ومعنى ذلك: أنه توفي حوالي سنة (٥٧٨) للميلاد[٣٧]، وذكر أنه لم تقم بمكة سوق أيامًا كثيرة لوفاة عبد المطلب[٣٨].

**٤- أبو طالب والد علي بن أبي طالب رضي الله عنه:**

أبو طالب لا مال له، وكان يحب ابن أخيه حبًا شديدًا، فإذا خرج فيخرج معه، فقد كان أبو طالب هو الذي يلي أمر رسول الله (ﷺ) بعد جده، فكان إليه ومعه[٣٩]، وعندما أعلن رسول الله الدعوة إلى الله وصدع بها ووقف أبو طالب بجانب رسول الله وصمم على مناصرته وعدم خذلانه، فاشتد ذلك على قريش غمًا وحسدًا ومكرًا، وإن المرء ليسمع عجبًا ويقف مذهولاً أمام مروءة أبي طالب مع رسول الله، فقد ربط أبو طالب مصيره بمصير ابن أخيه محمد (ﷺ)، بل واستفاد من كونه زعيم بني هاشم أن ضم بني هاشم، وبني عبد المطلب إليه في حلف واحد على الحياة والموت، دفاعًا لرسول الله (ﷺ)، مسلمهم ومشركهم على السواء[٤٠]، وأجار ابن أخيه محمدًا (ﷺ) إجارة مفتوحة لا تقبل التردد أو الإحجام، لما رأى أبو طالب من قومه ما سره من جهدهم معه، وحدبهم عليه، جعل يمدحهم ويذكر قديمهم، وفضل رسول الله فيهم، ومكانه ليشد لهم رأيهم وليحدبوا معه على أمره[٤١] فقال:

إذا اجتمعت يومًا قريش لمفخر ... فعبد مناف سرها وصميمها
وإن حصلت أشراف عبد منافها ... ففي هاشم أشرافها وقديمها
وإن فخرت يومًا فإن محمدًا ... هو المصطفى من سرها وكريمها
تداعت قريش غثها وسمينها ... علينا فلم تظفر وطاشت حلومها
وكنا قديمًا لا نقر ظلامة ... إذا ما ثنوا صعر الخدود نقيمها

---

(٣٥) سيرة ابن هشام (١/ ٤٩) المرتضى ص(٢٣). (٣٦) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب (١/ ٣٢٤).
(٣٧) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (٤/ ٧٨).
(٣٨) أنساب الأشراف للبلاذري (١/ ٧٨).
(٣٩) المرتضى ص(٢٤)، السيرة النبوية لابن هشام (١/ ١٧٩).
(٤٠) فقه السيرة النبوية للغضبان ص(١٨٤).
(٤١) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث للصلابي (١/ ١٥٨).

ولما خشي أبو طالب دهماء العرب أن يركبوه مع قومه، قال قصيدته التي تعوذ فيها بحرمة مكة، وبمكانه منها، وتودد فيها أشراف قومه، وهو على ذلك يخبرهم في ذلك من شعره، أنه غير مسلم رسول الله (ﷺ)، ولا تاركه لشيء أبدًا حتى يهلك دونه فقال:

ولما رأيت القوم لا ود فيهم فعبد مناف سرها وصميمها
وقد صارحونا بالعداوة والأذى ففي هاشم أشرافها وقديمها
وقد حالفوا قومًا علينا أظنة هو المصطفى من سرها وكريمها
صبرت لهم نفسي بسمراء سمحة علينا فلم تظفر وطاشت حلومها
وأحضرت عند البيت رهطي وإخوتي إذا ما ثنوا صعر الخدود نقيمها

وتعوذ بالبيت وبكل المقدسات التي فيه، وأقسم بالبيت بأنه لن يسلم محمدًا ولو سالت الدماء أنهارًا، واشتدت المعارك مع بطون قريش:

كذبتم وبيت الله نبزي[٤٢] محمدًا ولما نطاعن دونه ونناضل
ونسلمه[٤٣] حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل[٤٤]
وينهض قوم في الحديد إليكم نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل[٤٥]

واستمر أبو طالب في مناصرة ابن أخيه، واستطاع أن يغزو المجتمع القرشي بقصائده الضخمة التي هزت كيانه هزًا، ولما تغلغل الإسلام في قلوب أبناء بعض القبائل، اجتمعت قريش فائتمروا بينهم أن يكتبوا كتابًا يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب، على ألا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم ، ولا يبيعوهم شيئا ولا يبتاعوا منهم، وكتبوا صحيفة وعلقوها في جوف الكعبة، وتواثقوا على ذلك، وانحازت بنو هاشم وبنو عبد المطلب إلى أبي طالب فدخلوا معه في شعبه[٤٦]،وذلك في محرم سنة سبع من النبوة، ومكث بنو هاشم على ذلك نحو ثلاث سنوات لا يصل إليهم شيء إلا سرًا، ثم كان ما كان من أكل الأرضة للصحيفة، وإخبار النبي (ﷺ) أبا طالب بذلك، وتمزيق الصحيفة، وبطلان ما فيها[٤٧]،ومات أبو طالب في النصف من شوال في السنة العاشرة من النبوة، وهو ابن بضع وثمانين سنة ولم يسلم أبو طالب[٤٨]،وهو العام الذي ماتت فيه خديجة زوج النبي (ﷺ)، وتتابعت على رسول الله (ﷺ) المصائب، وسمي هذا العام بعام الحزن[٤٩].

---

(٤٢) نبزي: أي نسلمه ونغلب. (٤٣) أي كذبتم أن نسلمه قبل أن نصرع حوله.
(٤٤) الحلائل : الزوجات.
(٤٥) الصلاصل: المزادات لها صلصلة بالماء.
(٤٦) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٣٥٠- ٣٥١).
(٤٧) المصدر نفسه (١/٣٧٣-٣٧٧)، المرتضى ص(٢٦)، وقد فصلت ذلك في كتابي السيرة النبوية.
(٤٨) بلوغ الأرب (١/ ٣٢٤).
(٤٩) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٤١٥- ٤١٦) المرتضى ص (٢٦).

**٥- أم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.**

هي الصحابية الجليلة السيدة الفاضلة فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي الهاشمية[٥٠]، وهي أول هاشمية ولدت هاشميًا[٥١]، وقد حظيت برعاية النبي (ﷺ) حين كفله عمه أبو طالب بناء على وصية أبيه عبد المطلب، فكانت له أما بعد أمه، تقوم على شؤونه وترعى أموره ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً، وقد قضى الحبيب المصطفى قرابة عقدين من حياته في كنفها، وقد استجابت لدعوة الإسلام وأصبحت من السابقات الأوليات وصارت من صفوة النساء ممن أخذن المكانة العليا في ساحة الفضيلة، وكانت رضي الله عنها مثالاً للرأفة والرحمة في معاملة الزهراء رضي الله عنها، إذ كانت تقوم بمساعدتها برًا بها وبوالدها (ﷺ)، وروي عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أنه قال: قلت لأمي: اكفي فاطمة بنت رسول الله سقاية الماء والذهاب في الحاجة، وتكفيك هي الطحن والعجن[٥٢]، كما أن صلتها بالنبي (ﷺ) أضافت إلى شخصيتها مكرمة حفظ الحديث وروايته، فقد روت عن النبي (ﷺ) مجموعة من الأحاديث، وقد كانت لها مكانة كبرى عند رسول الله، ويخصها بالهدية، فقد أورد ابن حجر بالإصابة: أن عليًا رضي الله عنه قال: أهدي إلى رسول الله (ﷺ) حلة إستبرق فقال: اجعلها خمرًا بين الفواطم[٥٣]، فشققتها أربعة أخمرة، خمارًا لفاطمة بنت رسول الله (ﷺ) ، وخمارًا لفاطمة بنت أسد رضي الله عنها، وخمارًا لفاطمة بنت حمزة رضي الله عنها، ولم يذكر الرابعة[٥٤].

ولقد كان حظ السيدة فاطمة مباركًا في حياتها وعند وفاتها، وحظيت بالتكريم إذ توفيت في حياة الحبيب المصطفى (ﷺ) [٥٥]، وأما ما روي عن أنس في دفنها فهو واه ضعيف شديد الضعف ولا يتقوى من طرقه الأخرى التي جاءت؛ لأنها كلها ضعيفة، فعنّ أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد أم علي رضي الله عنها دخل عليها رسول الله (ﷺ) فجلس عند رأسها فقال: «**رحمك الله يا أمي، كنت أمي بعد أمي، تجوعين وتشبعينني، وتعرين وتكسينني، وتمنعين نفسك طيبًا وتطعمينني، تريدين بذلك وجه الله والدار الآخرة**»، ثم أمر أن تغسل ثلاثًا ثلاثًا، فلما بلغ الماء الذي فيه الكافور سكبه رسول الله بيده، ثم خلع رسول الله قميصه فألبسها إياه وكفنها ببرد فوقه، ثم دعا رسول الله أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري وعمر بن الخطاب وغلامًا أسود يحفرون، فحفروا قبرها، فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله (ﷺ) بيده وأخرج ترابه بيده، فلما فرغ دخل رسول الله فاضطجع

---

(٥٠) نسب قريش ص(٤٠)، فضائل الصحابة (٢/ ٦٨٥).
(٥١) فضائل الصحابة (٢/ ٦٨٥).
(٥٢) مجمع الزوائد (٩/ ٣٥٦) رجال السند رجال الصحيح.
(٥٣) سنن ابن ماجه، ك اللباس رقم(٣٥٩٦).
(٥٤) الإصابة (٨/ ٢٧) رقم (١١٥٩٣).
(٥٥) أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، أحمد السيد ص(٢٤).

فيه وقال: «**الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ولقنها حجتها ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي فإنك أرحم الراحمين**». وكبر عليها أربعا وأدخلها اللحد هو والعباس وأبو بكر رضي الله عنهما[٥٦].

وقد احتج من احتج[٥٧] بهذا الحديث على جواز التوسل بالذوات، وقد قام الأستاذ أبو عبد الرحمن جيلان بن خضر العروسي في رسالته لمرحلة الماجستير بتتبع طرق الحديث وبين ضعفها وبطلانها[٥٨]، ووضح أن الحديث قد روي من خمسة طرق، ثلاثة موصولة، ومرسلان، فلم تخل واحدة منها من عدة علل، فهو شديد الضعف، ومع هذا لم يرد التوسل المزعوم إلا في طريق واحد وهو طريق أنس، فهذه الأحاديث يمكن أن يعل بها الحديث؛ لأن الكل ضعيف فيعل بعضه البعض ولا يزيدها إلا وهنًا وضعفًا وأما من ناحية المتن فهو منقوض من عدة وجوه:

* إن في هذا الحديث مبالغة وإطراء متجاوزًا للمألوف في ذلك العهد النبوي.

* هذا الحديث يخالف هديه وسنته في غسل جنازة المرأة، وذلك في أمور منها:

* سكبه بيده الشريفة لم يرد إلا في هذه القصة، وأما الذي ورد في غسل بنته زينب أنه أمرهن بالغسل، ولم يسكب بنفسه، فقد روى البخاري ومسلم عن محمد بن سيرين عن أم عطية قالت: دخل علينا النبي (ﷺ) ونحن نغسل ابنته فقال: «**اغسلنها ثلاثًا أو خمسًا أو أكثر من ذلك إن رأيتن ذلك بماء وسدر، واجعلن في الآخرة كافورًا، فإذا فرغتن فآذنني**» قالت: فلما فرغنا ألقى إلينا حقوه فقال: «**أشعرنها إياه**» ولم يزد على ذلك[٥٩].

* إن الحفر بيده وإخراجه التراب بيده والاضطجاع فيه كلها لم تعهد إلا في هذا الحديث الضعيف، مخالفًا هديه المشهور عنه وهو من المبالغة والإطراء.

* ثم لفظ الدعاء الذي بدأ بلفظة الغيبة ثم الخطاب بعيد عن الأسلوب المعهود في الدعوات المأثورات «**اللهم أنت** ....» ولم نر في غير هذا الدعاء «**الله الذي** ....».

* ومما يدل على ضعفه أن الراوي اعترف بأن النبي (ﷺ) لم يفعل هذه الأفعال إلا في هذه المرة، ولكنه أراد أن يبرر ذلك بما ذكره، وهيهات[٦٠].

**٦- إخوة علي بن أبي طالب رضي الله عنه:**

كان لأبي طالب أربعة أبناء، وهم: طالب، وهو الذي تكنى به، وعقيل، وجعفر،

---

(٥٦) السلسلة الضعيفة للألباني (١/ ٣٢) رقم (٢٣).

(٥٧) السمهودي في وفاء الوفاء (٤/ ١٣٧٣)، الكوثري في محق التقول ص(٣٧٩، ٣٩١) والبوطي في السلفية مرحلة: (١٥٥) العلوي في مفاهيم ص(٦٥)، نقلاً عن الدعاء ومنزلته من العقيدة، جيلان ابن خضر.

(٥٨) الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية ص(٧٩٤ إلى ٧٩٨).

(٥٩) المصدر نفسه ص(٧٩٩).

(٦٠) الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية ص(٧٩٤ إلى ٧٩٨).

وعلي، وبنتـان هما أم هانئ، وجمـانة، وكلهم من فاطمـة بنت أسد، وكـان بين كل واحد منهم وأخيه عشر سنوات، وكذلك الشأن مع جعفر وعلي ، فكان جعفر أكبر من علي بعشر سنوات(٦١)، وهذه نبذة مختصرة عن إخوة علي رضي الله عنه.

**(أ) طالب بن أبي طالب:**

هلك طالب مشـركًا بعـد غزوة بدر، وقيل : إنه ذهب فلم يرجـع، ولم يدر له موضع ولا خبر، وهو أحد الذين تاهوا في الأرض، وكان محبًا لرسول الله (ﷺ)، وله فيه مدائح، وكان خرج إلـى بدر كرهًا، وجرت بينه وبين قريش حين خـرجوا إلى بدر محاورة فـقالوا: والله يا بني هاشم لقد عـرفنا -وإن خرجتم مـعنا- أن هواكم مع محمـد، فرجع طالب إلى مكة مع من رجع، وقال شـعرًا وقصـيدة ثناء على النبي (ﷺ) وبكى فـيها أصـحاب قليب بدر(٦٢).

**(ب) عقيل بن أبي طالب:**

وكان يكنى أبا يزيد، تأخر إسـلامه إلى عام الفتح، وقيل: أسلم بعد الحـديبية، وهاجر في أول سنة ثمـان، وكان أسـر يوم بدر ففـداه عمه العـباس، وقع ذكـره في الصحـيح في مواضع، وشهد غزوة مؤتة، ولم يسمع له ذكر في الفتح وحنين، كأنه كان مريضًا، أشار إلى ذلك ابن سعد، لكن روى الزبير بن بكار بسنده إلى الحسن بن علي، أن عقيلاً كان ممن ثبت يوم حنين، ومات في خلافة معاوية، وفي تاريخ البـخاري الأصغر بسند صحيح أنه مات في أول خلافة يزيد قبل الحرة(٦٣)، وعمرة ست وتسعون سنة(٦٤).

**(جـ) جعفر بن أبي طالب:**

فهو أحد السابقين إلى الإسلام وكان يحب المسـاكين ويجلس إليهم ويخدمهم ويخدمونه يحدثهم ويحدثونه، وهاجـر إلى الحبشة، فأسلم النجاشي ومن تبعـه على يديه -ولقد تحدثت عنه في كتابي «السيرة النبوية عرض وقـائع وتحليل أحداث»- واستشهد بمؤتة من أرض الشام مقبلاً غير مدبر(٦٥).

**(د) أم هانئ بنت أبي طالب:**

ابنة عم النبي (ﷺ) فقيل: اسمـها فاختة، وقيل : اسمهـا فاطمة وقيل: هند، والأول أشهر، وكانت زوج هبيرة بن عمرو بن عـائد المخزومي وكان له منها عمرو، وبه كان يكنى، وفي فتح مكة أجـارت أم هانئ رجلين من بني مخزوم، وقال لـها رسول الله: «أجـرنا من

---

(٦١) البداية والنهاية (٧/ ٢٢٣)، المرتضى ص(٢٦).
(٦٢) الجوهرة في نسب النبي وأصحابه من المرتضى للندوي ص(٢٣).
(٦٣) الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٤٩٤).
(٦٤) المرتضى للندوي ص(٢٤).
(٦٥) المرتضى ص(٢٥).

أجـرت يا أم هانئ» وروت أم هانئ عن النبي (ﷺ) في الكتب الستة وغيرها[٦٦]، قـال الترمذي وغيره: عاشت بعد علي رضي الله عنه[٦٧].

**(هـ) جمانة بنت أبي طالب:**

هي أم عبد الله بن أبي سـفيان بن الحارث بن عـبد المطلب ذكرها ابن سعـد في ترجمة أمها فاطمة بنت أسد وأفـردها في باب بنات عم النبي (ﷺ)، وقال: ولدت لأبي سفيان بن الحارث ابنه جعفر بن أبي سفيان، وأطعمها رسول الله من خيبر ثلاثين وسقًا[٦٨].

**٧- أزواجه وأولاده:**

ولد له من فاطمة[٦٩] بنت رسول الله (ﷺ): الحسن والحسين -وسيأتي الحديث عنهما مفصـلاً- . . وزينب الكبرى وأم كلثوم الكبـرى، وولد له من خولة بنت جعفـر بن قيس بن مسلمة: محمد الأكبر (محـمد ابن الحنفية)، وولد له من ليلى بنت مسعود بن خالد من بني تميم: عبيد الله وأبو بكر، وولد له من أم البنين بنت حزام[٧٠] بن خالد بن جعفر بن ربيعة: العبـاس الأكبـر، وعثمـان، وجعفـر الأكبـر، وعبد الله، وولد له من أسـماء بنت عـميس الخثـعمية: يحـيى وعون[٧١]، وولد له من الصـهبـاء[٧٢]: عمـر الأكبر ورقـية، وولد له من أمـامـة[٧٣] بنت العاص بن الربيع: مـحمد الأوسط؛ وولد له من أم سعـيد بنت عروة بن مسـعود الثقفي: أم الحـسن ورملة الكبرى، وولد له من أمهـات أولاد: محمد الأصـغر وأم هانئ وميـمونة وزينب الصـغرى ورملة الصـغرى وأم كلثـوم الصغرى، وفـاطمة، وأمـامة، وخديجـة، وأم الكرام، وأم سلمة، وأم جعفـر، وجمانة ونفـيسة، وولد له من محـياة بنت امرئ القيس : ابنة هلكت وهي جارية. قال ابن سعد: ولم يصح لنا من ولد علي رضي الله عنه غير هؤلاء[٧٤]، وجميع ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه لصلبه أربعة عشر ذكرًا، وتسع عـشرة امـرأة، وقيل : سـبع عـشرة امـرأة. وكان النسـل من ولده لخمـسة: الحـسن والحسين، ومحمد ابن الحنفية، والعباس ابن الكلابية، وعمر ابن التغلبية[٧٥]، وسيأتي الحديث عن السـيدة فـاطمة وذريتـها، الحـسن والحسين، وأم كلـثوم في ثنايا هذا الكتـاب بإذن الله (تعالى).

---

(٦٦) المرتضى ص(٢٧). (٦٧) الإصابة في تمييز الصحابة(٩/ ٣١٧- ٣١٨).

(٦٨) الإصابة (٤/ ٢٥٩-٢٦٠)، المرتضى ص(٢٧).

(٦٩) هي أول زوجة تزوجها علي بن أبي طالب ولم يتزوج عليها حتى ماتت.

(٧٠) البداية والنهاية (٧/ ٣٣٢). (٧١) المصدر نفسه(٧/ ٣٣٢).

(٧٢) وهي أم حبيب بنت ربيعة بن بجير، من سبي عين التمر في عهد الصديق.

(٧٣) وأمها زينب بنت رسول الله (ﷺ).

(٧٤) الطبقات الكبرى (٣/ ٢٠).

(٧٥) الطبقات (٣/ ١٩، ٢٠)، البداية والنهاية (٧/ ٣٣١- ٣٣٣) منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله سليمان العيد ص(٢٩-٣١).

**٨- صفاته الخلقية:**

يقول ابن عبد البر (رحمه الله): وأحسن ما رأيت في صفة علي رضي الله عنه أنه كان ربعة من الرجال إلى القصر ما هو، أدعج العينين، حسن الوجه، كأنه القمر ليلة البدر حسنًا، ضخم البطن، عريض المنكبين، شثن الكفين (عتدا)[٧٦] أغيد، كأن عنقه إبريق فضة، أصلع ليس في رأسه شعر إلا من خلفه، كبير اللحية، لمنكبه مشاش كمشاش السبع الضاري، لا يتبين عضده من ساعده، قد أدمجت دمجا، إذا مشى تكفأ، وإذا مسك بذراع رجل أمسك بنفسه فلم يستطع أن يتنفس، وهو إلى السمن ما هو، شديد الساعد واليد، وإذا مشى للحرب هرول، ثبت الجنان، قوي شجاع[٧٧].

●●●

(٧٦) العتد الشديد التام الخلق.
(٧٧) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ١١٢٣).

## المبحث الثاني
## إسلامه وأهم أعماله في مكة قبل الهجرة

**أولا: إسلامه:**

كان من نعمة الله (عز وجل) على علي بن أبي طالب وما وضع الله له وأراد به من الخير أن قريشًا أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثير، فقال رسول الله (ﷺ) للعباس عمه -وكان من أيسر بني هاشم: «**يا عباس، إن أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد ترى ما أصاب الناس من هذه الأزمة، فانطلق بنا فلنخفف عنه من عياله آخذ من بيته واحدًا وتأخذ واحدًا، فنكفيهما عنه**» فقال العباس: نعم. فانطلقا حتى أتيا أبا طالب، فقالا له: إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه، فقال لهما: إن تركتما لي عقيلا فاصنعا ما شئتما، فأخذ رسول الله (ﷺ) عليًا فضمه إليه، وأخذ العباس جعفرًا رضي الله عنه فضمه إليه، فلم يزل علي بن أبي طالب رضي الله عنه مع رسول الله (ﷺ) حتى بعثه الله نبيًا، فاتبعه علي، فأقر به وصدقه، ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه(٧٨).

نلاحظ أن الرسول (ﷺ) أراد أن يرد الجميل والمعروف لعمه أبي طالب الذي كفله بعد وفاة جده عبد المطلب، فكان هذا من أكبر نعم الله (عز وجل) على علي رضي الله عنه، إذ رباه وأدبه الذي أدبه الله (عز وجل) وحفظه وعصمه ورعاه، والذي كان خلقه القرآن، فانعكس هذا الحق القرآني على علي رضي الله عنه، فقد نشأ في بيت الإسلام وتعرف إلى أسراره في مرحلة مبكرة من حياته، وذلك قبل أن تتخطى البيت وتنطلق إلى البحث عن أنصار يشدون أزرها وينطلقون بها في دنيا الناس، ويخرجونهم من الظلمات إلى النور، ولقد اختلف العلماء فيمن آمن بعد السيدة خديجة بنت خويلد أم المؤمنين، هل هو أبو بكر الصديق، أو علي رضي الله عنهما، والذي أميل إليه من بين العلماء، أن أول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر، ومن الصبيان علي، ومن النساء خديجة، وهي أول من آمن على الإطلاق، ومن الموالي زيد بن حارثة رضوان الله عليهم(٧٩) وبهذا يكون أمير المؤمنين أول الصغار إسلامًا.

**ثانيًا: كيف أسلم علي؟**

روي ابن إسحاق أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه جاء إلى النبي (ﷺ) بعد إسلام

---

(٧٨) السيرة النبوية (١/ ٢٤٦) لابن هشام.

(٧٩) البداية والنهاية (٣/ ٢٦-٢٨)، الأوائل من الصحابة وذوو الفضل منهم والنجابة، رضوان جامع ص(٢٣).

خديجة رضي الله عنها، فوجدهما يصليان، فقال علي: ما هذا يا محمد؟ فقال النبي (ﷺ): «دين الله الذي اصطفاه لنفسه، وبعث به رسله، فأدعوك إلى الله وحده وإلى عبادته، وتكفر باللات والعزى»، فقال له علي: هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم، فلست بقاض أمرًا حتى أحدث أبا طالب، فكره رسول الله (ﷺ) أن يفشي عليه سره، قبل أن يستعلن أمره، فقال له: «يا علي، إذا لم تسلم فاكتم» فمكث علي تلك الليلة. ثم إن الله أوقع في قلب علي الإسلام، فأصبح غاديًا إلى رسول الله (ﷺ)، حتى جاءه فقال: ما عرضت علي يا محمد؟ فقال له رسول الله (ﷺ): «تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وتكفر باللات والعزى، وتبرأ من الأنداد» ففعل علي وأسلم، ومكث علي يأتيه على خوف من أبي طالب، وكتم علي إسلامه ولم يظهر به[٨٠].

**ثالثًا: بين علي رضي الله عنه وأبي طالب:**

قال ابن إسحاق: وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله (ﷺ) كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة، وخرج معه علي بن أبي طالب مستخفيًا من أبيه أبي طالب، ومن جميع أعمامه وسائر قومه، يصليان الصلوات فيها، فإذا أمسيا رجعا، فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا، ثم إن أبا طالب عثر عليهما يومًا وهما يصليان، فقال لرسول الله (ﷺ): يا ابن أخي، ما هذا الدين الذي أراك تدين به، قال: «أي عم هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ودين أبينا إبراهيم»، أو كما قال (ﷺ): «بعثني رسولاً إلى العباد وأنت -أي عم- أحق من بذلت له النصيحة، ودعوته إلى الهدى، وأحق من أجابني إليه وأعانني عليه» أو كما قال. فقال أبو طالب: أي ابن أخي، إني لا أستطيع أن أفارق دين آبائي وما كانوا عليه، ولكن والله لا يخلص إليك[٨١] بشيء تكرهه ما بقيت ذكروا أنه قال لعلي: أي بني، ما هذا الدين الذي أنت عليه؟ فقال: يا أبت آمنت بالله وبرسول الله وصدقته بما جاء به، وصليت معه لله واتبعته، فزعموا أنه قال له: إنه لم يدعك إلا إلى خير فالزمه[٨٢].

**رابعًا: هل كسر علي رضي الله عنه الأصنام مع رسول الله في مكة؟**

عن علي رضي الله عنه، قال: انطلقت أنا والنبي (ﷺ) حتى أتينا الكعبة، فقال لي رسول الله (ﷺ): «اجلس» وصعد على منكبي، فذهبت لأنهض به، فرأى مني ضعفًا، فنزل، وجلس لي نبي الله (ﷺ) وقال: «اصعد على منكبي» قال: فصعدت على منكبيه قال: فنهض بي، قال: فإنه يخيل إلي أني لو شئت لنلت أفق السماء، حتى صعدت على البيت، وعليه تمثال صفر أو نحاس، فجعلت أزاوله عن يمينه وعن شماله، وبين يديه ومن خلفه، حتى إذا استمكنت منه قال لي رسول الله (ﷺ): «اقذف به» فقذفت به فانكسر كما

---

(٨٠) البداية والنهاية(٣/ ٤).

(٨١) لا يخلص إليك: لا يصل إليك.

(٨٢) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٢٤٦) ص(٣٥).

تنكسر القوارير ، ثم نزلت، فانطلقت أنا ورسول الله (ﷺ) نستبق حتى توارينا بالبيوت، خشية أن يلقانا أحد من الناس(٨٣).

وهذا الحديث إسناده ضعيف ، وبالتالي لا يمكن أن يبنى عليه حكم كما زعم بعض الناس، ويبقى الأصل الثابت في الفترة المكية، في منع النبي (ﷺ) للصحابة لاستخدام القوة مع الخصوم أو الاعتداء على أصنامهم وأوثانهم بالقوة، وقد قام رسول الله (ﷺ) بتطهير مكة في عام الفتح من الأوثان وأرسل السرايا بعد ذلك الفتح العظيم لهدم ولتطهير الجزيرة العربية، من مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على إزالتها وإبطالها.

**خامساً: هل دفن علي رضي الله عنه أبا طالب بإرشاد رسول الله؟**

عن علي رضي الله عنه: أنه أتى النبي (ﷺ) فقال: إن أبا طالب مات. فقال له النبي (ﷺ): «**اذهب فواره**»، فقال: إنه مات مشركًا. قال: «**اذهب فواره**» قال: فلما واريته رجعت إلى النبي (ﷺ)، فقال لي «**اغتسل**»(٨٤). وجاء في رواية: «**اذهب فاغتسل ثم لا تحدث شيئًا حتى تأتيني**» قال: فاغتسلت ثم أتيته قال: فدعا لي بدعوات ما يسرني أن لي بها حمر النعم وسودها. قال الراوي عبد الرحمن السلمي: وكان علي رضي الله عنه إذا غسل ميتًا اغتسل(٨٥).

**سادساً: الحس الأمني عند علي رضي الله عنه ودوره في إيصال أبي ذر رضي الله عنه لرسول الله (ﷺ):**

إن من معالم المرحلة المكية، الكتمان والسرية، حتى عن أقرب الناس، وكانت الأوامر النبوية على وجوب المحافظة على السرية واضحة وصارمة ، وقد قام علي رضي الله عنه بدور عظيم في أخذ أبي ذر إلى مقر رسول الله (ﷺ)، فقد كان رضي الله عنه منكرًا لحال الجاهلية، ويأبى عبادة الأصنام، وينكر على من يشرك بالله، وكان يصلي لله قبل إسلامه بثلاث سنوات، دون أن يخص قبلة بعينها بالتوجه، ويظهر أنه كان على نهج الأحناف، ولما سمع بالنبي (ﷺ) قدم إلى مكة، وكره أن يسأل عنه، حتى أدركه الليل، فاضطجع فرآه علي رضي الله عنه ، فعرف أنه غريب، فاستضافه ولم يسأله عن شيء، ثم غادر صباحًا إلى المسجد الحرام، فمكث حتى أمسى ، فرآه علي فاستضافه لليلة ثانية ، وحدث مثل ذلك

---

(٨٣) مسند أحمد ، الموسوعة الحديثية رقم(٦٤٤) إسناده ضعيف، وصحح الحاكم إسناده واستدرك عليه الذهبي فقال: إسناده ضعيف ومتنه منكر، وقد قام أحمد ميرين البلوشي في رسالته التي حقق فيه خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، بالحكم على رجال السند وحكم عليه بالضعف، خصائص علي بن أبي طالب ص(١٣٥، ١٣٦). وقد صحح الحديث أحمد شاكر (٢/٥٨).

(٨٤) مسند أحمد الموسوعة الحديثية رقم (٧٥٩) إسناده ضعيف وفي الموسوعة تفصيل مفيد في الحكم على رجال السند.

(٨٥) الصحيح المسند في فضائل الصحابة ص(١١٨)، وقال مصطفى العدوي: حسن بمجموع طرقه. وجاء بشواهد الحديث.

الليلة الثالثة، ثم سأله عن سبب قدومه، فلما استوثق منه أبو ذر أخبره بأنه يريد مقابلة الرسول (ﷺ)، فقال له علي: فإنه حق، وهو رسول الله، فإذا أصبحت فاتبعني، فإني إن رأيت شيئًا أخاف عليك قمت كأني أريق الماء، فإن مضيت فاتبعني، فتبعه، وقابل الرسول (ﷺ)، واستمع إلى قوله، فأسلم، فقال له النبي (ﷺ): «**ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري**». فقال: والذي نفسي بيده لأصرخن بين ظهرانيهم، فخرج حتى أتى المسجد، فنادى بأعلى صوته: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وثار القوم حتى أضجعوه فأتى العباس بن عبد المطلب، فحذرهم من انتقام غفار والتعرض لتجارتهم، التي تمر بديارهم إلى الشام، فأنقذه منهم[٨٦]، وكان أبو ذر قبل مجيئه قد أرسل أخاه، ليعلم له علم النبي (ﷺ) ويسمع من قوله ثم يأتيه، فانطلق الأخ حتى قدمه، وسمع من قوله، ثم رجع إلى أبي ذر، فقال له: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق، وكلامًا ما هو بالشعر. فقال: ما شفيتني[٨٧] مما أردت، وعزم على الذهاب بنفسه لرسول الله (ﷺ)، فقال أخوه له: وكن على حذر من أهل مكة فإنهم قد شنفوا له وتجهموا[٨٨].

**ومن الدروس والعبر والفوائد من هذه الحادثة:**

**١- التأني والتريث في الحصول على المعلومة:**

حيث تأنى أبو ذر رضي الله عنه لما يعرفه من كراهية قريش لكل من يخاطب الرسول (ﷺ)، وهذا التأني تصرف أمني، تقتضيه حساسية الموقف، فلو سأل عنه لعلمت به قريش، وبالتالي قد يتعرض للأذى والطرد ويخسر الوصول إلى هدفه الذي من أجله ترك مضارب قومه وتحمل في سبيله مصاعب ومشاق السفر.

**٢- الاحتياط والحذر قبل النطق بالمعلومة:**

حين سأل علي رضي الله عنه أبا ذر رضي الله عنه عن أمره وسبب مجيئه إلى مكة، ولم يخبره بالرغم من أنه استضافه ثلاثة أيام إمعانًا في الحذر، فاشترط عليه قبل أن يخبره أن يكتم عنه، وفي الوقت ذاته أن يرشده، فهذا غاية في الاحتياط وتم ما أراده.

**٣- التغطية الأمنية للتحرك:**

الاتفاق بين علي وأبي ذر رضي الله عنهما على إشارة، أو حركة معينة، كأنه يصلح نعله، أو كأنه يريق الماء، وذلك عندما يرى علي رضي الله عنه من يترصدهما أو يراقبهما، فهذه تغطية أمنية لتحركهما تجاه المقر (دار الأرقم)، هذا إلى جانب أن أبا ذر كان يسير على مسافة من علي، فيعد هذا الموقف احتياطًا، وتحسبًا لكل طارئ، قد يحدث أثناء الحركة.

---

(٨٦) صحيح البخاري (فتح الباري) (٧/ ١٧٣).

(٨٧) ما شفيتني مما أردت: ما بلغتني غرضي وأزلت عني همي.

(٨٨) مسلم (٤/ ١٩٢٣) رقمه (٢٤٧٣)، صحيح السيرة النبوية إبراهيم العلي ص(٨٣)، السيرة النبوية الصحيحة للعمري (١/ ١٤٥) شنفوا له: أي أبغضوه.

٤- هذه الإشارات الأمنيـة العابرة تدل على تفوق الصحـابة رضي الله عنهم في الجوانب الأمنية، وعلى مدى توافر الحس الأمني لديهم، وتغلغله في نفوسهم، حتى أصبح سمة مميزة لكل تصرف من تصرفاتهم الخـاصة والعامة، فأتت تحركاتهم منظمة ومـدروسة، فما أحوجنا لمثل هذا الحس الذي كـان عند الصحابة، بعـد أن أصبح للأمن في عصـرنا أهميـة بالغة في زوال واستمرار الدول والحـضارات، وضعف قوة الأمم والشعوب، والجمـاعات والمؤسسات والمنظمات، وأصـبحت له مدارسـه الخاصة وتقنيـاته المتقدمـة، وأساليبـه ووسائله المتطورة، وأجهزته المسـتقلة، وميزانياته ذات الأرقـام الكبيرة، وأضحت المعلومات عـامة، والمعلومات الأمنية تباع بأغلى الأثمان، ويضحى في سبـيل الحصول عليها بالنفس إذا لزم الأمر، وما دام الأمر كذلك فعلى المسلمين الاهتمام بالناحية الأمنية حتى لا تصبح قضايانا مستباحة للأعداء، وأسرارنا في متناول أيديهم(٨٩).

**سابعًا: علي رضي الله عنه مع رسول الله في طوافه على القبائل وعرضه للدعوة عليها وحضوره المفاوضات مع بني شيبان:**

عن أبان بن تغلب عن عكرمة عن ابن عباس: حدثني علي بن أبي طالب. قال: لما أمر الله رسوله أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وأنا معـه و أبو بكر إلى منى حتى دفعنا إلى مجلس من مجالـس العرب، فتقدم أبو بكر رضي الله عنه فسلم، وكـان أبو بكر مقدمًا في كل خير، وكان رجلاً نسابة . . . إلى أن قـال: ثم دفعنا إلى مجلس آخر، عليه السكينة والوقار، فتقدم أبو بكر فسلم فقال: من القـوم؟ قالوا: شيبان بن ثعلبة، فالتفت أبو بكر إلى رسول الله (ﷺ) وقال: بأبي وأمي، هؤلاء غـرر الناس، وفيهم ؛ مفروق؛ قـد غلبهم لسانًا وجمالاً -وكـانت له غديرتان تسقطان على تريبـتيه، وكان أدنى القوم مـجلسًا من أبي بكر- فقال أبو بكر : كـيف العدد؟ فقال مفـروق: إنا لنزيد على الألف ولن تغلب ألف من قلة، فقال أبو بكر: وكيف المنعة فيكم؟ فقال مـفروق: إنا لأشد ما نكون غضبًا حين نلقى، وأشد ما نكون لقاء حين نغضب، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد، والسلاح على اللقاح، والنصر من عند الله، يديلنا مرة، ويـديل علينا مرة أخرى، لعلك أخـو قريش؟ فقـال أبو بكر: إن كان بلغكم أنه رسول الله فها هـو ذا. فقال مفروق: إلام تدعونا يا أخا قـريش. فقال رسول الله (ﷺ) : **«أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأني عبد الله ورسوله، وإلى أن تؤوني وتنصروني، فإن قريشًا قد تظاهرت على الله، وكذبت رسوله، واستغنت بالباطل عن الحق، والله هو الغني الحميد»**، فقال مفروق: وإلام تدعـو أيضًا يا أخا قريش؟ فوالله ما سمعت كلامـا أحسن من هذا، فتلا رسول الله (ﷺ) : ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ

(٨٩) دروس في الكتـمان، محـمود شـيت خطاب ص(٩)، السيـرة النبوية عـرض وقائع وتحلـيل أحداث للصلابي (١/ ١٧١).

بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١].

فقال مفروق: دعوت -والله- إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال ولقد أفك قوم كذبوك، وظاهروا عليك، ثم رد الأمر إلى هانئ بن قبيصة فقال: وهذا هانئ شيخنا وصاحب ديننا، فقال هانئ: قد سمعت مقالتك يا أخا قريش، وإني أرى تركنا ديننا، واتباعنا دينك لمجلس جلست إلينا، لا أول له ولا آخر، لذل في الرأي، وقلة نظر في العاقبة. إن الزلة مع العجلة، وإنا نكره أن نعقد على من وراءنا عقدًا، ولكن نرجع وترجع، وننظر. ثم كأنه أحب أن يشركه المثنى بن حارثة، فقال: وهذا المثنى شيخنا وصاحب حربنا، فقال المثنى -وأسلم بعد ذلك: قد سمعت مقالتك يا أخا قريش، والجواب فيه جواب هانئ ابن قبيصة في تركنا ديننا ومتابعتنا دينك، وإنا إنما نزلنا بين صريين: أحدهما اليمامة، والآخر السمامة، فقال له رسول الله (ﷺ): **«ما هذان الصريان»**، قال: أنهار كسرى، ومياه العرب، فأما ما كان من أنهار كسرى فذنب صاحبه غير مغفور وعذره غير مقبول، وإنا إنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى ألا نحدث حدثًا، ولا نؤوي محدثًا، وإني أرى هذا الأمر الذي تدعونا إليه يا أخا قريش مما تكرهه الملوك، فإن أحببت أن نؤويك وننصرك مما يلي مياه العرب، فعلنا، فقال رسول الله (ﷺ): **«ما أسأتم في الرد، إذ أفصحتم بالصدق، وإن دين الله (عز وجل) لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه، أريتم إن تلبثوا إلا قليلاً، حتى يورثكم الله (تعالى) أرضهم وديارهم ويفرشكم نساءهم، أتسبحون الله وتقدسونه»**، فقال النعمان بن شريك: اللهم فلك ذاك[٩٠]. وهذا الحدث فيه دروس وعبر وفوائد تعلمها علي بن أبي طالب رضي الله عنه منها:

**١- تعلم علي رضي الله عنه أن النبي (ﷺ)** رفض أن يعطي القوى المستعدة لتقديم نصرتها، أية ضمانات بأن يكون لأشخاصهم شيء في الحكم والسلطان على سبيل الثمن، أو المكافأة لما يقدمونه من نصرة وتأييد للدعوة الإسلامية، وذلك لأن الدعوة الإسلامية إنما هي دعوة إلى الله، فالشرط الأساسي فيمن يؤمن بها ويستعد لنصرتها أن يكون الإخلاص لله، ونشدان رضاه هما الغاية التي يسعى إليها من النصرة والتضحية، وليس طمعًا في نفوذ أو رغبة في سلطان، وذلك لأن الغاية التي يضعها الإنسان للشيء هي التي تكيف نشاط الإنسان في السعي إليه، فلا بد إذن من أن تتجرد الغاية المستهدفة من وراء نصرة الدعوة، عن أي مصلحة مادية لضمان دوام التأييد لها، وضمان المحافظة عليها من أي انحراف، وضمان أقصى ما يمكن من بذل الدعم لها، وتقديم التضحيات في سبيلها[٩١]، فيجب على كل من يريد أن يلتزم بالجماعة التي تدعو إلى الله ألا يشترط عليها منصبًا، أو عرضًا من أعراض الدنيا، لأن هذه الدعوة لله، والأمر لله يضعه حيث يشاء والداخل في أمر الدعوة إنما يريد ابتداء وجه الله، والعمل من أجل رفع رايته، أما إذا كان المنصب هو همه الشاغل فهذه

---

(٩٠) البداية والنهاية (٣/ ١٤٢-١٤٥)، البيهقي دلائل النبوة إسناده حسن ونقل عنه ابن كثير.
(٩١) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية (١/ ٤٢١).

علامة خطيرة تنبئ عن دخن في نية صاحبها[٩٢]، لذا قال يحيى بن معاذ الرازي: لا يفلح من شممت منه رائحة الرياسة[٩٣].

**٢- وتعلم علي رضي الله عنه من رسول الله:** أن صفة النصرة التي كان يطلبها رسول الله لدعوته من زعماء القبائل بأن تكون غير مرتبطة بمعاهدات دولية، تتناقض مع الدعوة، ولا يستطيعون التحرر منها، وذلك لأن احتضانهم للدعوة -والحالة هذه- يعرضها لخطر القضاء عليها، من قبل الدول التي بينهم وبينها تلك المعاهدات، والتي تجد في الدعوة الإسلامية خطرا عليها، وتهديدًا لمصالحها[٩٤]، إن الحماية المشروطة أو الجزئية لا تحقق الهدف المقصود، فلن يخوض بنو شيبان حربًا ضد كسرى، لو أراد القبض على رسول الله (ﷺ) وتسليمه، ولن يخوضوا حربًا ضد كسرى لو أراد مهاجمة رسول الله (ﷺ) وأتباعه، وبذلك فشلت المباحثات[٩٥].

**٣- «إن دين الله لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه»:**

كان هذا الرد من النبي (ﷺ) على المثنى بن حارثة، حين عرض على النبي (ﷺ) حمايته على مياه العرب، دون مياه الفرس، فمن يسبر أغوار السياسة البعيدة يرَ بعد النظر الإسلامي النبوي الذي لا يسامى[٩٦].

**٤- لمس علي رضي الله عنه أثر الإسلام على المثنى وقومه بعد أن أسلموا:**

وكيف تحملت قبيلة بني شيبان عبء مواجهة الفرس، وكان المثنى بن حارثة -فيما بعد- من قادة فتح العراق في عهد الصديق رضي الله عنه، فقد أكسبهم الإيمان بهذا الدين جرأة على قتال الفرس.

هذه بعض المفاهيم والدروس والعبر التي استفادها علي رضي الله عنه من رسول الله عند مفاوضاته لزعماء بني شيبان.

**ثامنا: تقديمه نفسه فداء للنبي (ﷺ):**

عندما اجتمعت قبيلة قريش في دار الندوة، وأجمعوا على قتل النبي (ﷺ) والتخلص منه، أعلم الله نبيه (ﷺ) بذلك، وكان النبي (ﷺ) أحكم خلق الله، فأراد أن يبقي من أراد قتله ينظر إلى فراشه، ينتظرونه يخرج عليهم، فأمر علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن ينام في فراشه تلك الليلة، ومن يجرؤ على البقاء في فراش رسول الله (ﷺ) والأعداء قد أحاطوا بالبيت يتربصون به ليقتلوه؟ من يفعل هذا ويستطيع البقاء في هذا البيت وهو يعلم أن الأعداء لا يفرقون بينه وبين رسول الله (ﷺ) في مضجعه؟ إنه لا يفعل ذلك إلا أبطال

---

(٩٢) وقفات تربوية من السيرة النبوية، عبد الحميد البلالي ص(٧٢).
(٩٣) صفة الصفوة (٤/ ٩٤).
(٩٤) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية (١/ ٤٢١).
(٩٥) التحالف السياسي في الإسلام، منير الغضبان ص(٥٣).
(٩٦) المصدر نفسه ص(٦٤).

الرجال وشجعانهم بفضل الله[٩٧] (تعالى) وقد أمر النبي (ﷺ) أن يقيم بمكة حتى يؤدي أمانة الودائع والوصايا التي كانت عنده إلى أصحابها من أعدائه كاملة غير منقوصة، وهذا من أعظم العدل، وأداء الأمانة[٩٨].

وقد جاء في رواية: أن رسول الله قال له: «**نم على فراشي، وتسبح ببردي هذا الخضري، فنم فيه، فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم**»[٩٩]، وقال ابن حجر: وذكر موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال: فرقد علي على فراش رسول الله يواري عنه، وباتت قريش تختلف وتأتمر، أيهم يهجم على صاحب الفراش فيوثقه، حتى أصبحوا، فإذا هم بعلي، فسألوه، فقال: لا علم لي، فعلموا أنه قد فر[١٠٠]، وعن ابن عباس: أن عليًا قد شرى نفسه تلك الليلة، حين لبس ثوب النبي، ثم نام مكانه[١٠١]، وفي علي وإخوانه من الصحابة المجاهدين الذين يبتغون الله والدار الآخرة نزل قوله (تعالى): ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ**﴾ [البقرة: ٢٠٧].

**وفي هذا الموقف دروس وعبر وفوائد منها:**

**١-إن خطة الهجرة، كما رسمها رسول الله (ﷺ):**

كانت تتطلب أن يأخذ مكانه في البيت رجل تشغل حركته داخل الدار أنظار المحاصرين لها من مشركي قريش وتخدعهم بعض الوقت عن مخرج رسول الله (ﷺ)، حتى يكون وصاحبه أبو بكر قد جاوزا منطقة الخطر[١٠٢].

**٢- في تلبية علي رضي الله عنه لأمر النبي (ﷺ) مثال للجندي الصادق، المخلص لدعوة الإسلام:**

حيث فدى قائده بحياته، ففي سلامة القائد سلامة للدعوة وفي هلاكه خذلانها، ووهنها، فما فعله علي رضي الله عنه ليلة الهجرة من بياته على فراش الرسول (ﷺ) يعتبر تضحية غالية، إذ كان من المحتمل أن تهوي سيوف فتيان قريش على رأس علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ولكن عليًا رضي الله عنه لم يبال ذلك، فحسبه أن يسلم رسول الله نبي الأمة، وقائد الدعوة[١٠٣].

---

(٩٧) الحكمة في الدعوة إلى الله للقحطاني ص(٢٣٥).
(٩٨) الطبقات الكبرى (٣/ ٢٢)، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص(١٦٦).
(٩٩) السيرة لابن هشام (٢/ ٩١)، فتح الباري (٧/ ٢٣٦).
(١٠٠) فتح الباري (٧/ ٢٣٦).
(١٠١) فضائل الصحابة رقم (١١٦٨) إسناده حسن.
(١٠٢) خلفاء الرسول (٣٩٦)، العشرة المبشرون بالجنة محمد صالح.
(١٠٣) السيرة النبوية للسباعي ص(٣٤٥).

**٣-في إيداع المشركين ودائعهم عند رسول الله (ﷺ) مع محاربتهم له:**

وتصميمهم على قتله، دليل باهر على تناقضهم العجيب الذي كانوا واقعين فيه، ففي الوقت الذي كانوا يكذبونه، ويزعمون أنه ساحر، أو مجنون، أو كذاب، لم يكونوا يجدون فيمن حولهم من هو خير منه أمانة وصدقًا، فكانوا لا يضعون حوائجهم، ولا أموالهم التي يخافون عليها إلا عنده، وهذا يدل على أن كفرانهم لم يكن بسبب الشك لديهم في صدقه، وإنما بسبب تكبرهم واستعلائهم على الحق الذي جاء به، وخوفًا على زعامتهم وطغيانهم[١٠٤]، وصدق الله العظيم: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣].

**٤- وفي أمر النبي (ﷺ) لعلي رضي الله عنه بتأدية هذه الأمانات لأصحابها في مكة:**

على الرغم من هذه الظروف الشديدة التي كان من المفروض أن يكتنفها الاضطراب، بحيث لا يتجه التفكير إلى إنجاح خطة هجرته فقط، على الرغم من ذلك فإن الرسول (ﷺ) ما كان لينسى أو ينشغل عن رد الأمانات إلى أهلها، حتى ولو كان في أصعب الظروف التي تنسي الإنسان نفسه فضلاً عن غيره[١٠٥]، فقد أبى أن يخون من ائتمنه ولو كان عدوًا يحرض عليه ويؤذيه، لأن خيانة الأمانة من صفات المنافقين، ويتنزه عنها المؤمنون[١٠٦].

**٥- هذا الحدث العظيم فيه دلالة قاطعة على شجاعة علي رضي الله عنه:**

لأنه يعلم وهو يقوم بتنفيذ ما أمر به أنه معرض لخطر عظيم، فقد يقتحمون عليه داره ويقتلونه دون أن يتثبتوا من هويته، وقد يباغتونه وهو خارج في الصباح من غير أن يتبينوا من هو والقوم يتربصون به طول الليل يترقبون هذه اللحظة، وقد بلغ منهم الجهد كل مبلغ، فأصبحوا غير قادرين على التأكد من شخصية الخارج من الدار أهو محمد (ﷺ) أم هو رجل آخر، لا بد أن ذلك كله قد دار في عقل علي ولكنه بادر وسعد بالتنفيذ، فهو أولا: يحب الله ورسوله حبًا ملك عليه قلبه، وجعل سلامة رسول الله (ﷺ) هدفه الأسمى ولو كلفه ذلك التضحية بحياته. ثانيًا: هي عملية لا بد منها لكي يخرج الرسول سالمًا من تدبير الأعداء حتى يتمكن من نشر الإسلام في كل مكان، فالأمر إذن يتعلق بمصلحة الإسلام أولا وثانيًا، وقد نام علي رضي الله عنه في فراش رسول الله (ﷺ) وسلم مع كل هذه التوقعات وهذا دليل على عمق إيمانه لقضاء الله وقدره، فهو بحق مؤمن بقوله (تعالى): ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١].

وإننا لنلمح في اختيار رسول الله لعلي ليقوم بهذا الدور الخطير ثقة تامة لا تعدلها ثقة، واطمئنانًا إلى قدرات خاصة امتاز بها علي قد لا تتوفر في غيره، فإنه لم يتردد حين دعاه الرسول لينام في فراشه، وهو يعلم أنه ليس وراء ذلك إلا الموت الذي أعد له المشركون

---

(١٠٤) فقه السيرة للبوطي ص(١٥٣). (١٠٥) الهجرة في القرآن الكريم ص(٣٦٤).
(١٠٦) جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين ص(٤٢٣).

أشجع فتيان قريش، ولم يسمح لنفسه أن يفكر في العاقبة لأنه يعلم أنه حين يكون فداء لرسول الله ينال بذلك شرفًا لا يناله بغير هذا الطريق(١٠٧).

**تاسعًا: هجرته:**

لما أصبح قام علي رضي الله عنه عن فراشه، فعرفه القوم وتأكدوا من نجاة رسول الله (ﷺ) فقالوا لعلي: أين صاحبك؟ قال: لا أدري أو رقيبًا كنت عليه أمرتموه بالخروج فخرج. وضاق القوم بتلك الإجابة الجريئة وغاظهم خروج رسول الله من بين أظهرهم، وقد عموا عنه فلم يروه، فانتهروا عليًا وضربوه، وأخذوه إلى المسجد فحبسوه هناك ساعة، ثم تركوه(١٠٨)، وتحمل علي ما نزل به في سبيل الله، وكان فرحه بنجاة رسول الله أعظم عنده من كل أذى نزل به، ولم يضعف ولم يخبر عن مكان رسول الله (ﷺ)، وانطلق علي في مكة يجوب شوارعها باحثًا عن أصحاب الودائع التي خلفه رسول الله (ﷺ) من أجلها وردها إلى أصحابها، وظل يرد هذه الأمانات حتى برئت فيها ذمة رسول الله (ﷺ) ، وهناك تأهب للخروج ليلحق برسول الله بعد ثلاث ليال قضاهن في مكة(١٠٩).

وكان علي في أثناء هجرته يكمن بالنهار فإذا جن عليه الليل سار، حتى قدم المدينة وقد تفطرت قدماه(١١٠)، وهكذا يكون علي رضي الله عنه، قد لاقى في هجرته من الشدة، فلم تكن له راحلة يمتطيها ولم يستطع السير في النهار لشدة حرارة الشمس وفي مشي الليل ما فيه من الظلمة المفجعة والوحدة المفزعة، ولو أضفنا إلى ذلك أنه رضي الله عنه قد قطع الطريق على قدميه دون أن يكون معه رفيق يؤنسه لعلمنا مقدار ما تحمله من قسوة الطريق ووعثاء السفر وآلام الوحدة، وقد سهل عليه تلك العقبات والمصاعب شعوره بأنه يعمل ابتغاء مرضاة الله (عز وجل) وأنه في نهاية المطاف سيلحق برسول الله ، ويستمتع بجواره آمنًا مطمئنًا في المدينة، ولم يكد علي يقطع الطريق ويصل إلى المدينة حتى نزل في بني عمرو بن عوف على كلثوم بن الهدم، حيث كان ينزل رسول الله (ﷺ)(١١١)، وهكذا كانت هجرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه تضحية وفداء وتحملاً وصبرًا وشجاعة وإقدامًا.

وقد لاحظ سيدنا علي مدة إقامته بقباء امرأة مسلمة لا زوج لها، ورأى إنسانًا يأتيها في جوف الليل، فيضرب عليها بابها، فتخرج إليه، فيعطيها شيئًا معه، فتأخذه، ولنستمع إليه رضي الله عنه وهو يحدثنا بالقصة حيث قال: فاستربت بشأنه، فقلت لها: يا أمة الله، من هذا الذي يضرب عليك بابك في كل ليلة فتخرجين إليه، فيعطيك شيئًا لا أدري ما هو؟

---

(١٠٧) جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين ص(٤٢٦).

(١٠٨) تاريخ الطبري (٢/ ٣٧٤).

(١٠٩) المصدر نفسه (٢/ ٣٨٢) ، البداية والنهاية (٧/ ٣٣٥)، جولة تاريخية ص(٤٢٤).

(١١٠) الكامل (٢/ ١٠٦).

(١١١) الطبقات الكبرى (٣/ ٢٢)، السيرة لابن هشام (٢/ ١٢٩). ذكره ابن إسحاق بدون إسناد جولة تاريخية ص(٤٢٥).

وأنت امـرأة مسلمـة، لا زوج لك ؟ قالت: هذا سـهل بن حنيف بن وهب، قد عـرف أني امرأة لا أحـد لي ، فإذا أمـسى عدا على أوثـان قومه فكـسرها، ثم جـاءني بها ، فـقال : احتطبي بهـذا، فكان علي رضي الله عنه يأثر ذلك من أمر سهل بـن حنيف حتى هلك عنده بالعراق(١١٢). ونلاحظ صفة النباهة واليقظة التي لا بد للمسلم أن يتحلى بها ولا يكون غافلاً عما يدور حوله.

●●●

(١١٢) محمد رسول الله، صادق عرجون (٤٢١/٢).

## المبحث الثالث:
## معايشة أمير المؤمنين علي للقرآن الكريم وأثرها عليه في حياته

### أولاً: تصوره عن الله والكون والحياة والجنة والنار والقضاء والقدر:

كان المنهج التربوي الذي تربى عليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه هو نفسه الذي خضع له كل الخلفاء الراشدين، والصحابة الكرام، فقد تربوا على القرآن الكريم، وكان المربي سيد الخلق أجمعين محمد (ﷺ)، فقد حرص الحبيب المصطفى على توحيد مصدر التلقي وتفرده، وأن يكون القرآن الكريم وحده هو المنهج، مع ما يوحي إليه المولى (عز وجل) من الحكمة، ولقد تربى الفرد المسلم، والأسرة المسلمة والجماعة المسلمة على العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق التي جاءت في كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ)، ولقد كانت للآيات الكريمة التي سمعها علي من رسول الله مباشرة أثرها في صياغة شخصيته الإسلامية، فقد طهرت قلبه، وزكت نفسه، ونورت عقله، وتفاعلت معها روحه، فتحول إلى إنسان جديد بقيمه ومشاعره وأهدافه وسلوكه وتطلعاته[١١٣].

فقد عرف علي رضي الله عنه من خلال القرآن الكريم والتربية النبوية الراشدة من هو الإله الذي يجب أن يعبده، وكان النبي (ﷺ) يغرس في نفسه معاني تلك الآيات العظيمة، فقد حرص (ﷺ) أن يربي أصحابه على التصور الصحيح عن ربهم وعن حقه عليهم، مدركًا أن هذا التصور سيورث التصديق واليقين عندما تصفى النفوس، وتستقيم الفطرة، فأصبحت نظرة علي رضي الله عنه إلى الله والكون والحياة والجنة والنار، والقضاء والقدر، وحقيقة الإنسان، وصراعه مع الشيطان مستمدة من القرآن الكريم وهدي النبي (ﷺ).

فالله (سبحانه وتعالى) منزه عن النقائص موصوف بالكمالات التي لا تتناهى، فهو «واحد لا شريك له ولم يتخذ صاحبة ولا ولدًا».

وأنه (سبحانه) خالق كل شيء ومالكه ومدبره: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وأنه (تعالى) مصدر كل نعمة في هذا الوجود دقت أو عظمت، ظهرت أو خفيت ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ [النحل: ٥٣].

وأن علمه محيط بكل شيء فلا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء ولا ما يخفي الإنسان وما يعلن، وأنه (سبحانه) يقيد على الإنسان أعماله بواسطة ملائكته، في

(١١٣) السيرة النبوية للصلابي (١/ ١٤٥).

كتاب لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وسينشر ذلك في اللحظة المناسبة والوقت المناسب ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

وأنه (سبحانه) يبتلي عباده بأمور تخالف ما يحبون وما يهوون ليعرف الناس معادنهم، ومن منهم يرضى بقضاء الله وقدره، ويسلم له ظاهرًا وباطنًا، فيكون جديرًا بالخلافة والأمانة والسيادة، ومن منهم يغضب ويسخط فلا يساوي شيئًا، ولا يسند إليه شيء ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢].

وأنه (سبحانه) يوفق ويؤيد وينصر من لجأ إليه، ولاذ بحماه ونزل على حكمه في كل ما يأتي وما يذر: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦].

وأنه (سبحانه وتعالى) حقه على العباد أن يعبدوه ويوحدوه فلا يشركوا به شيئًا ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٦].

وأنه وحده المستحق للعبادة، وهذا حق الله على العباد كما قال (تعالى): ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

وأنه (سبحانه) حدد مضمون هذه العبودية، وهذا التوحيد في القرآن الكريم(١١٤).

وأما نظرته للكون فقد استمدها من قول الله (تعالى): ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ * ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ٩-١٢].

وأما هذه الحياة مهما طالت فهي إلى زوال، وأن متاعها مهما عظم فإنه قليل حقير. قال (تعالى): ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا * الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾ [الكهف: ٤٥، ٤٦]. فعرف الله (تعالى) الإنسان المسلم حقيقة الحياة، وأنها ليست دار كرامة، وأن الآخرة خير وأبقى، وهي تهدي من تمكن حب الله ورسوله في قلبه على أن يقدم رضا الله ورسوله على ما سواه، ولو كان الثمن الدنيا وما فيها، وقد عبر عن هذه الحقيقة أمير المؤمنين علي عندما قال: «يا دنيا غري غيري، إليَّ تعرضت أم إليَّ تشوقت؟ هيهات هيهات، قد باينتك ثلاثًا لا رجعة فيها، فعمرك قصير، وخطرك قليل، آه من قلة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق»(١١٥).

(١١٤) منهج الرسول في غرس الروح الجهادية ص(١٠- ١٦).
(١١٥) الاستيعاب (١١٠٨/٣).

وأما نظرته إلى الجنة فقد استمدها من خلال الآيات الكريمة التي وصفتها، فأصبح حاله ممن قال الله فيهم: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٦، ١٧].

وأما تصوره للنار فقد استمده من القرآن الكريم، فأصبح هذا التصور رادعًا له في حياته عن أي انحراف عن شريعة الله، فيرى المتتبع لسيرة أمير المؤمنين رضي الله عنه عمق استيعابه لفقه القدوم على الله (عز وجل)، وشدة خوفه من عذاب الله وعقابه، وستتضح كثيرًا من هذه المعالم في هذا الكتاب بإذن الله (تعالى).

وأما مفهوم القضاء والقدر: فقد استمده من كتاب الله وتعليم رسول الله (ﷺ)، فقد رسخ مفهوم القضاء والقدر في قلبه، واستوعب مراتبه من كتاب الله (تعالى)، فكان على يقين بأن علم الله محيط بكل شيء ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس: ٦١]، وأن الله قد كتب كل شيء كائن ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢]، وأن مشيئة الله نافذة وقدرته تامة ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤]. وأن الله خالق كل شيء ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

وقد ترتب على الفهم الصحيح والاعتقاد الراسخ في قلبه لحقيقة القضاء والقدر ثمار نافعة ومفيدة، ظهرت في حياته وسنراها بإذن الله (تعالى) في هذا الكتاب.

وعرف من خلال القرآن الكريم حقيقة نفسه وبني الإنسان، وأن حقيقة الإنسان ترجع إلى أصلين: الأصل البعيد وهو الخلقة الأولى من طين، حين سواه ونفخ فيه الروح، والأصل القريب وهو خلقه من نطفة[١١٦]، فقال (تعالى): ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة: ٧-٩]. وعرف أن هذا الإنسان خلقه الله بيده، وأكرمه بالصورة الحسنة والقامة المعتدلة، ومنحه العقل والنطق والتمييز، وسخر الله له ما في السماء والأرض، وفضله على كثير من خلقه، وكرمه بإرساله الرسل له، وأن من أروع مظاهر تكريم المولى (عز وجل) للإنسان أن جعله أهلاً لحبه ورضاه؛ ويكون ذلك باتباع النبي (ﷺ) الذي دعا الناس إلى الإسلام لكي يحيوا حياة طيبة في الدنيا ويظفروا بالنعيم المقيم في الآخرة، قال (تعالى): ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:

---

(١١٦) أصول التربية للنحلاوي ص(٣١).

.[٩٧

وعرف أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حقيقة الصراع بين الإنسان والشيطان وأن هذا العدو يأتي للإنسان من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، يوسوس له بالمعصية، يستثير فيه كوامن الشهوات، فكان مستعينًا بالله على عدوه إبليس منتصرًا عليه في حياته -كما سترى في سيرته- وتعلم من قصة آدم مع الشيطان في القرآن الكريم، أن آدم هو أصل البشر، وأن جوهر الإسلام الطاعة المطلقة لله، وأن الإنسان له قابلية للوقوع في الخطيئة، وتعلم من خطيئة آدم ضرورة توكل المسلم على ربه، وأهمية التوبة والاستغفار في حياة المؤمن، وضرورة الاحتراز من الحسد والكبر وتقديم مرضاة الله (سبحانه وتعالى) على كل ما سواه، وأهمية التخاطب بأحسن الكلام مع إخوته من الصحابة، قال (تعالى): ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣]. وسار على منهج رسول الله في تزكية أصحابه لأرواحهم، وتطهير قلوبهم بأنواع العبادات، وتربيتهم على التخلق بأخلاق القرآن الكريم.

**ثانيًا: مكانة القرآن الكريم عنده:**

عاش أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حياته مع القرآن تلاوة وحفظًا وفهمًا وعملاً، وكان يقول: من قرأ القرآن، فمات فدخل النار فهو ممن كان يتخذ آيات الله هزوا[(١١٧)]، وكان يقول: طوبى لهؤلاء، كانوا أحب الناس إلى رسول الله (ﷺ) [(١١٨)]، وكان يقول: ما كنت أرى أحدًا يعقل ينام قبل أن يقرأ الآيات الثلاثة الأواخر من سورة البقرة[(١١٩)] أي أهل القرآن، وقال يصف القرآن الكريم ويبين عظيم قدره في القرآن الكريم: كتاب الله فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو الحبل المتين وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسن، ولا تنقضي عجائبه، ولا يشبع منه العلماء، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم[(١٢٠)].

ولشدة اهتمام أمير المؤمنين علي بالقرآن حصل على علم كبير به وبعلومه، فقد روي عنه أنه قال: والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم نزلت وأين نزلت وعلى من نزلت، إن ربي وهب لي قلبًا عقولاً ولسانًا صادقًا ناطقًا[(١٢١)]، وقد قال رضي الله عنه: سلوني عن كتاب الله، فإنه ليس من آية إلا وقد عرفت بليل نزلت أم نهار في سهل أم في جبل[(١٢٢)]، ويرى

(١١٧) المستطرف (١/ ٢٩)، فرائد الكلام ص(٣٧٥).
(١١٨) التبيان في آداب حملة القرآن ص(١٤٦)، فرائد الكلام ص(٣٩٠).
(١١٩) التبيان في آداب حملة القرآن ص(٢٦٦)، فرائد الكلام ص(٣٨٧).
(١٢٠) فضائل القرآن لابن كثير ص(١٥) موقف علي أمير المؤمنين.
(١٢١) الطبقات لابن سعد (٢/ ٣٣٨)، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص(١٥٢).
(١٢٢) الصواعق المحرقة (٢/ ٣٧٥) الطبقات (٢/ ٣٣٨).

ابن عبد البر أن عليًا رضي الله عنه كان ممن جمع القرآن الكريم على عهد رسول الله وهو حي(١٢٣)، وقد قال في آخر عهده: سلوني قبل أن تفتقدوني(١٢٤)، وكان ذلك عندما مات أكثر علماء الصحابة، وكان رضي الله عنه بالعراق ، فكان من حرصه على تعليم الناس القرآن الكريم والهدي النبوي الشريف في قوم كثر فيهم الجهل ولا يعرفون الكثير من أحكام الدين، فكان رضي الله عنه يحرص على تعليمهم وإرشادهم للحق ، فقد كان أعلم أهل زمانه، وهذا نموذج للعالم الرباني الذي يحرص على تعليم الناس الخير وتربيتهم عليه.

**ثالثًا: ما نزل فيه من القرآن الكريم:**

كان القرآن الكريم ينزل على رسول الله يعالج أحداثًا واقعية حصلت في المجتمع النبوي الكريم فيثني على عمل ما، ويشيد بأقوام، ويحذر من آخرين ، وينبه على بعض الأخطاء، وقد نزلت بعض الآيات التي خلدت بعض المآثر لأمير المؤمنين وبعض الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

**١- منها قوله (تعالى):** ﴿**هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ * وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ * كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ * إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ**﴾ [الحج: ١٩- ٢٣]. روى البخاري بسنده عن علي بن أبي طالب أنه قال: أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة. وقال قيس بن عبادة : فيهم نزلت : ﴿**هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ**﴾ قال: هم الذين تبارزوا يوم بدر حمزة وعلي وأبو عبيدة بن الحارث، وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة(١٢٥).

**٢- وهو أحد من نزل فيهم قول الله (تعالى):** ﴿**فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**﴾ [آل عمران: ٦١].

وذلك في وفد نجران حينما جادلهم النبي (ﷺ) في عيسى ابن مريم، وأنه عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى أمه الطاهرة، فأجابوه، وكذبهم في أنه الله وابن الله أو ثالث ثلاثة، ودعاهم إلى الإسلام، فأبوا، فدعاهم إلى المباهلة، فعن عامر بن سعد بن أبي وقاص، قال: ولما نزلت: ﴿**قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ**﴾ دعا رسول الله عليًا، وفاطمة، وحسنًا وحسينًا رضي الله عنهما فقال : «**اللهم هؤلاء أهلي**» (١٢٦).

---

(١٢٣) الاستيعاب (٣/ ١١٣٠)، وجمع القرآن الكريم أي حفظه عن ظهر قلب .
(١٢٤) منهاج السنة (٨/ ٥٧-٥٨).
(١٢٥) البخاري رقم (٣٩٦٥).
(١٢٦) مسلم (٤/ ١٨٧١، ٤٢٥). (١/ ١٧١).

**٣- موافقة القرآن له في كون الجهاد أفضل من عمارة المسجد الحرام:**

ففي الصحيح، أن رجلاً قال : لا أبالي لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام، فقال علي بن أبي طالب : الجهاد في سبيل الله أفضل من هذا كله، فقال عمر بن الخطاب: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله (ﷺ)، ولكن إذا قضيت الصلاة سألته عن عن ذلك، فسأله ،فأنزل الله هذه الآية: ﴿**أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ * يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾ [التوبة: ١٩- ٢٢]. فبينّ لهم أن الإيمان والجهاد أفضل من عمارة المسجد الحرام والحج والعمرة والطواف ومن الإحسان إلى الحجاج[(١٢٧)].

**٤- شفقته على أمة محمد** (ﷺ) : عن علي رضي الله عنه، قال : لما نزلت هذه الآية: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً**﴾ [المجادلة: ١٢]. قال النبي (ﷺ) لعليَ :«**مرهم أن يتصدقوا**» قال : يا رسول الله، بكم؟ قال: «**بدينار**»، قال: لا يطيقونه قال: «**بنصف دينار**». قال: لا يطيقونه، قال «**فبكم**» قال: بشعيرة[(١٢٨)]، قال: فقال النبي (ﷺ) لعلي «**إنك لزهيد**»، قال : فأنزل الله :﴿ **أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ**﴾ [المجادلة :١٢]. قال: فكانّ علي يقول: فبي خفف الله عن هذه الأمة[(١٢٩)].

**رابعاً: تبليغه تفسير رسول الله لبعض آيات القرآن الكريم:**

استفاد علي رضي الله عنه من تفسير رسول الله (ﷺ) وبلغ ما تعلم من رسول الله للناس، وإليك بعض الأمثلة على ذلك:

(أ) قوله (تعالى): ﴿**وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ**﴾ عن علي رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال : ﴿**وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ**﴾ [الواقعة: ٨٢]. قال: «**شكركم: أنكم تكذبون مطرنا بنوء كذا وكذاً، بنجم كذا وكذا**»[(١٣٠)].

**(ب) فكل ميسر لما خلق له:**

عن علي رضي الله عنه قال : كنا في جنازة في بقيع الغرقد ، فأتانا رسول الله (ﷺ) فقعد وقعدنا حوله، ومعه مخصرة فنكس فجعل ينكت بمخصرته، ثم قال : «**ما منكم من**

---

(١٢٧) الفتاوي (٨/ ١٦٦).

(١٢٨) بشعيرة: وزن شعيرة من ذهب.

(١٢٩) رواه الترمذي رقم (٣٢٩٧) وقال: حسن غريب وضعفه الألباني في ضعيف موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ص(١٢٧، ١٢٨).

(١٣٠) مسند الموسوعة الحديثية رقم (٨٤٩) حسن لغيره.

أحد، من نفس منفوسة، **إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار، إلا وقد كتبت شقية أو سعيدة**». فقال رجل: يا رسول الله ، أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل، من كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة؟ فقال: «**اعملوا فكل ميسر، أما أهل السعادة فسييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فسييسرون إلى عمل أهل الشقاوة**» ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ [الليل: ٥-١٠]. (١٣١)، وفي رواية : أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ فمن كان منا من أهل السعادة سيصير إلى عمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة سيصير إلى عمل أهل الشقاوة(١٣٢).

وفي رواية في الصحيحين عن علي قال : كان رسول الله (ﷺ) ذات يوم وفي يده عود ينكت به فرفع رأسه فقال: «**ما منكم من نفس إلا وقد علم منزلها من الجنة والنار**». فقالوا : يا رسول الله، فلم نعمل، أولا نتكل؟ قال: «**لا! اعملوا ، فكل ميسر لما خلق له**» ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾(١٣٣) [الليل : ٥-١٠]. فقد أخبر النبي (ﷺ) في هذه الأحاديث وغيرها بما دل عليه القرآن من أن الله (سبحانه وتعالى) تقدم علمه وكتابه وقضاؤه بما سيصير إليه العباد من السعادة والشقاوة، كما تقدم علمه وكتابه بغير ذلك من أحوال العباد وغيرهم(١٣٤) ،وقد بين النبي (ﷺ) أن ذلك لا ينافي وجود الأعمال التي بها تكون السعادة والشقاوة، وأن من كان من أهل السعادة فإنه ييسر لعمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة فإنه ييسر لعمل أهل الشقاوة.

وقد نهى أن يتكل الإنسان على القدر السابق ويدع العمل، ولهذا كان من اتكل على القدر السابق وترك ما أمر به من الأعمال هو من الأخسرين أعمالاً، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا، وكان تركهم لما يجب عليهم من العمل من جملة المقدور الذي يسروا به لعمل أهل الشقاوة، فإن أهل السعادة هم الذين يعملون المأمور ويتركون المحظور، فمن ترك العمل الواجب الذي أمر به وفعل المحظور متكلاً على القدر ، كان من جملة أهل الشقاوة والميسرين لعمل أهل الشقاوة، وهذا الجواب الذي أجاب به النبي (ﷺ) وتعلمه علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأصحاب النبي (ﷺ) في غاية السداد والاستقامة(١٣٥).

---

(١٣١) البخاري رقم (١٣٦٢).
(١٣٢) البخاري رقم (٦٦٠٥).
(١٣٣) المصدر نفسه رقم (٦٦٠٥)، الفتاوي (٨/ ١٦٥).
(١٣٤) الفتاوي (٨/ ١٦٦).
(١٣٥) مصنف عبد الرزاق (١٧٤٤).

**خامسًا: الأصول والأسس التي سار عليها أمير المؤمنين في استنباط الأحكام من القرآن الكريم وفهم معانيه:**

كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه على مبلغ كبير من العلم بالقرآن وعلومه، وقد جعله هذا العلم بالقرآن يعتقد أن القرآن فيه جميع الأحكام الشرعية إما صراحة أو ضمنًا، فكان يقول بصدد ذلك: «**إن الله لم يك نسيًا**»(١٣٦)، ولذلك كان كثيرًا ما يحتج بالقرآن ويتلو الآية التي يستند إليها لبيان الحكم الشرعي، وكانت طريقته في الاستنباط كالآتي:

**١- الالتزام بظاهر القرآن الكريم:**

كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يلتزم أحيانًا بظاهر القرآن الكريم حين لا يرى قرينة تقتضي صرفه عن ظاهره، فإنه كان يتوضأ لكل صلاة ويقرأ الآية ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مَّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ [المائدة: ٦](١٣٧)، لأن ظاهرها يدل على الوضوء عند إرادة الصلاة كل مرة. وأوجب الصوم على المقيم إذا أدركه الصوم ثم سافر، فقال: من أدركه الصوم وهو مقيم ثم سافر بعد لزمه الصوم لأن الله (تعالى) قال: ﴿**فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ**﴾(١٣٨) [البقرة: ١٨٥]، ورأى عدم تحريم إرضاع الكبير لأنه ليس ضمن حولي الرضاعة استنادًا إلى ظاهر آية الرضاعة، حيث روي عنه أنه قال: في قوله (تعالى): ﴿**وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ**﴾ [البقرة: ٢٣٣]، الرضاعة سنتان فما كان من رضاع الحولين حرم وما كان بعد الحولين فلا يحرم(١٣٩)، وحمل ظاهر القرآن الكريم على ظاهره في مكان آخر، حيث حكم ببراءة امرأة اتهمت بالزنا لأنها ولدت بعد ستة أشهر من زوجها، فجمع بين قوله (تعالى): ﴿**وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ**﴾ وقوله (تعالى): ﴿**وحمله وفصاله ثلاثون شهرًا**﴾ فقال: الحمل ستة أشهر والفصل أربعة وعشرون شهرًا(١٤٠)، أي أنه طرح مدة الرضاعة وهي السنتان من مجموع مدة الرضاعة والحمل وهي ثلاثون شهرًا فبقيت ستة أشهر، فجمع بين ظاهر كلا الآيتين وحكم بهما(١٤١).

**٢- حمل المجمل على المفسر:**

المجمل هو ما خفي مراده بحيث لا يدرك إلا ببيان يرجى(١٤٢)، والمفسر: هو ما ظهر

(١٣٦) مصنف عبد الرزاق (١٧٤٤).
(١٣٧) تفسير القرطبي (٢/ ٨٠).
(١٣٨) فقه الإمام علي (١/ ٤٥).
(١٣٩) المجموع للنووي (٨/ ٢١٣).
(١٤٠) مصنف عبد الرزاق (١٢٤٤٣)، فقه الإمام علي (١/ ٤١).
(١٤١) فقه الإمام علي (١/ ٤٦١). (١٤٢) مرآة الأصول في شرح مرقاة الوصول ص(١٩٧).

المراد منه دون الحاجة إلى بيان[١٤٣]، وقد حمل علي مجمل القرآن في قوله (تعالى): ﴿ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾ [المائدة: ٩٥]. على مفسره في مواضع أخرى، حيث ورد أنه سأل رجل عليًا عن الهدي مما هو؟. فقال: من الثمانية أزواج، فكأن الرجل شك، فقال له علي: أتقرأ القرآن؟ قال: نعم، قال: فهل سمعت الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ﴾ [المائدة: ١]. قال: نعم، قال: فهل سمعته يقول: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ﴾ [الحج: ٢٨]. قال: ﴿وَمِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ١٤٢]. قال: فسمعت الله يقول: ﴿مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ﴾ ﴿وَمِنَ الإِبْلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٣-١٤٤]. قال: نعم، قال: فهل سمعت الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾ [المائدة: ٩٥]. فقال الرجل: نعم، قال: فقتلت ظبيًا فماذا علي؟ قال: هديا بالغ الكعبة[١٤٤].

**٣- حمل المطلق على المقيد في القرآن الكريم:**

المطلق: هو ما دل على الماهية بلا قيد، والمقيد: هو ما قيد لفظًا بأي قيد[١٤٥]. ولقد حمل أمير المؤمنين علي مطلق القرآن على مقيده في استنباط الحكم، إذ حمل مطلق الأمر بالقطع في آية السرقة على مقيده في آية المحاربة بعدم القطع إلا مرتين، وعدم قطع أكثر من يد ورجل عند تكرار السرقة، فإذا سرق مرة قطعت يده اليمين، وإذا سرق قطعت رجله اليسرى عند علي، فإن زاد وسرق مرة ثالثة ورابعة لم يزد علي ذلك، ويعزره بدل القطع؛ لأنه حمل قوله (تعالى): ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة :٣٨]. على آية المحاربة ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ﴾ [المائدة : ٣٣]. وقال: إن الله لم يزد على قطع يد ورجل في آية المحاربة؛ ولذلك كان يُعاقب مثل هذا بالسجن[١٤٦]. فعن الشعبي قال: كان علي لا يقطع إلا اليد والرجل وإن سرق بعد ذلك سجن ونكل، وإنه كان يقول : إني لأستحي من الله ألا أدع له يدًا يأكل بها ويستنجي[١٤٧].

**٤- العلم بالناسخ والمنسوخ:**

النسخ: هو رفع الحكم الشرعي بخطاب متأخر عنه[١٤٨]، ويقول الزركشي: قال الأئمة:

---

(١٤٣) المصدر نفسه ص(١٩١).
(١٤٤) الدر المنثور (٣/١٩٣).
(١٤٥) جمع الجوامع بشرح المحلي (٢/٧٩)، فقه الإمام علي (١/٤٧).
(١٤٦) فقه الإمام علي (١/٤٧)، مصنف عبد الرزاق (١٨٧٤٢).
(١٤٧) مصنف عبد الرزاق (١٧٨٦٤)، فقه الإمام علي (٢/٨١٨).
(١٤٨) فقه الإمام علي (١/٤٨).

لا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله إلا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ(١٤٩)، وعلى هذا المعنى يؤكد رأي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وذلك عندما عاتب قاصا بقوله: أتعرف الناسخ والمنسوخ؟ قال: لا، قال: هلكت وأهلكت(١٥٠).

**٥- النظر في لغة العرب:**

ومن منهج أمير المؤمنين علي في فهم القرآن الكريم: النظر في لغة العرب، كما فهم من قوله (تعالى): ﴿**وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ**﴾[البقرة: ٢٢٨]. أن المراد بالإقراء الحيض، فلا تنقضي العدة حتى تطهر من الحيضة الثالثة(١٥١)، لذا قال علي رضي الله عنه عن المطلقة: لا تحل لزوجها الرجعة عليها حتى تغتسل من الحيضة الثالثة(١٥٢) والقروء في كلام العرب جمع قرء، وهو الحيض، والقرء أيضًا الطهر، وأقرأت المرأة حاضت، وأقرأت: أطهرت(١٥٣).

ومن ذلك فهمه رضي الله عنه من قوله (تعالى): ﴿**أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ**﴾ اللمس هو الجماع فقد قال: اللمس هو الجماع، ولكن الله كنى عنه(١٥٤)، وحمل المس في قوله (تعالى): ﴿**وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً**﴾[البقرة: ٢٣٧]. على الخلوة، فقال: المراد بالمس هنا الخلوة(١٥٥)، فأوجب الصداق كله بالخلوة(١٥٦)، وقد قال: إذا أرخى سترًا على امرأته وأغلق بابًا وجب الصداق والعدة(١٥٧).

**٦- فهم النص بنص آخر:**

ومن ذلك ما فهمه أمير المؤمنين علي رضي الله عنه من قوله: ﴿**وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً**﴾ [النساء: ١٤١]. أن ذلك يكون يوم القيامة، اعتمادًا على قوله (سبحانه وتعالى): ﴿**فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾ [النساء: ١٤١]. وذلك لما جاءه رجل يسأله كيف هذه الآية: ﴿**وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً**﴾ فقال علي رضي الله عنه: ادنه، ادنه، ﴿**فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً**﴾ [النساء: ١٤١](١٥٨). ومنه ما فهمه من قوله (تعالى): ﴿ **وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ**﴾

(١٤٩) البرهان في علوم القرآن (٢/ ٢٩).

(١٥٠) أبو خيثمة، ك العلم ص(٣١) تحقيق الألباني وقال: إسناده صحيح.

(١٥١) تفسير ابن كثير(١/ ٢٧١).

(١٥٢) الدر المنثور(١/ ٢٣٤).

(١٥٣) الصحاح للجوهري (١/ ٦٤) مادة (قرأ).

(١٥٤) فقه الإمام علي (١/ ٤٨)، الفصول في الأصول للجصاص (١/ ٢٠٣).

(١٥٥) الفصول في الأصول(١/ ٢٠٢).

(١٥٦) فقه الإمام علي (١/ ٤٨) أي خلوة الرجل بزوجته.

(١٥٧) مصنف ابن أبي شيبة (٤/ ٢٣٤) فقه الإمام علي (٢/ ٥٣١).

(١٥٨) تفسير ابن جرير، إسناده صحيح (٩/ ٣٢٧).

[الطور: ٥]. بأنه السماء؛ لما رواه ابن جرير وذكره ابن كثير عن علي ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ يعني السماء قال سفيان: ثم تلا . . . ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٢].

ومن ذلك أيضًا ما فهمه من قوله (تعالى): ﴿حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]. أن الصلاة الوسطى هي صلاة العصر، معتمداً في ذلك على نص من حديث رسول الله (ﷺ) يوم الأحزاب: «**شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر، ملأ الله بيوتهم،وقبورهم نارًا**»[١٥٩]، ومن هذا الباب أيضًا ما ورد في فهمه لقوله (تعالى): ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١]. فعن سهل بن أبي خيثمة عن أبيه قال: إن لفي هذا المسجد -مسجد الكوفة- وعلي رضي الله عنه يخطب الناس على المنبر يقول: يا أيها الناس، الكبائر سبع، فأصاح الناس، فأعادها ثلاث مرات ثم قال: لم لا تسألوني عنها؟ قالوا: يا أمير المؤمنين ما هي؟ قال: الإشراك بالله، وقتل النفس التي حرم الله، وقذف المحصنة، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والفرار يوم الزحف، والتعرب[١٦٠] بعد الهجرة[١٦١]. وهذا الفهم مبني على حديث رسول الله (ﷺ) الذي قال فيه: «**اجتنبوا السبع الموبقات**»[١٦٢]. قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: «**الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات**»[١٦٣]. هذا يدخل ضمن منهج أمير المؤمنين علي في تفسير القرآن الكريم بالسنة.

**٧- السؤال عن مشكله:**

ومنهج أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في فهم القرآن الكريم: سؤاله عما أشكل فيه، ومن ذلك سؤاله لرسول الله (ﷺ) عن يوم الحج الأكبر في قوله (تعالى): ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣]. فقد قال: سألت النبي (ﷺ) عن يوم الحج الأكبر فقال: «**يوم النحر**»[١٦٤]، وبيَّن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه هذا المنهج فيما يرويه عن رسول الله (ﷺ)، قال: قلت: يا رسول الله، إن نزل بنا أمر ليس فيه بيان أمر أو نهي، فما تأمرنا، قال: «**شاوروا الفقهاء**

---

(١٥٩) مسلم (١/ ٤٣٧).

(١٦٠) أن يهاجر الرجل، حتى إذا وقع سهمه في الفيء، ووجب عليه الجهاد، خلع ذلك من عنقه، فرجع أعرابيًا كما كان.

(١٦١) تفسير الطبري (٥/ ٢٥).

(١٦٢) الموبقات: جمع موبقة وهي المهلكة.

(١٦٣) البخاري، ك الوصايا رقم(٢٧٦٦).

(١٦٤) سنن الترمذي رقم(٩٧٠) وصححه الألباني (١/ ٢٨٢).

والعابدين، ولا تمضوا فيه خاصة»[١٦٥].

**٨- العلم بمناسبة الآيات:**

إن العلم بالمناسبة التي نزلت فيها الآيات، والسبب الداعي ، يفيد في إدراك معنى الآية، واستنباط الحكم منها ، لأن بيان النزول طريق قوي في فهم معاني الكتاب العزيز[١٦٦]،ولقد بلغ أمير المؤمنين علي رضي الله عنه مبلغًا في العلم بأسباب نزول الآيات، كما يقول عن نفسه حاثا على سؤاله عن كتاب الله: «سلوني سلوني وسلوني عن كتاب الله (تعالى)، فوالله، ما من آية إلا وأنا أعلم أنزلت بليل أو نهار»[١٦٧]،وفي رواية: «والله ما أنزلت آية إلا وقد علمت فيم نزلت ، وأين نزلت»[١٦٨].

**٩- تخصيص العام:**

العام: هو اللفظ المستغرق لجميع ما يصلح له بوضع واحد دفعه واحدة من غير حصر[١٦٩]، وقاعدة العموم: كل لفظ باق على عمومه حتى يرد التخصيص[١٧٠]،وقد يرد من الشارع ما يدل على قصر العام على بعض أفراده، وهذا هو تخصيص العام[١٧١].

وقد ورد عن علي رضي الله عنه ما يفيد قوله بتخصيص العموم، فقد سئل رضي الله عنه عن رجل له أمتان أختان وطئ إحداهما ثم أراد أن يطأ الأخرى قال: لا . . حتى يخرجهما من ملكه[١٧٢]،وعن ابن الكواء سأل عليًا عن الجمع بين الأختين فقال: حرمتهما آية وأحلتهما آية أخرى، ولست أفعل أنا ولا أهلي[١٧٣] وقصد أمير المؤمنين علي بالآية التي حرمتها هي قوله (تعالى): ﴿وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الأُخْتَيْنِ﴾ [النساء ٢٣]. وبالتي أحلتها هي قوله (تعالى): ﴿إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [المؤمنون: ٦]. فهاتان الآيتان بينهما عموم وخصوص، إذ خصص عموم التمتع بملك اليمين بخصوص عدم جواز الجمع بين الأختين[١٧٤].

ومنها أنه حكم في عدة الحامل المتوفى عنها زوجها بأن تعتد أبعد الأجلين، فقال: عدتها

---

(١٦٥) تاريخ خليفة بن خياط ص(٦٦)، منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله ص(٧٨).
(١٦٦) منهج علي بن أبي طالب ص(٧٩).
(١٦٧) الإصابة (٢/ ٥٠٩).
(١٦٨) الطبقات (٢/ ٣٣٨).
(١٦٩) تيسير علم أصول الفقه، عبد الله الجديع ص(٢٦٢).
(١٧٠) المصدر نفسه ص(٢٦٩).
(١٧١) المصدر نفسه ص(٢٦٩).
(١٧٢) فقه الإمام علي (١/ ٥٦٠) نقلاً عن مصنف ابن أبي شيبة.
(١٧٣) المصدر نفسه (٢/ ٥٦٠).
(١٧٤) الأحكام للآمدي (٢/ ٤٤٥)، روضة الناظر(٢/ ١٢٩).

أبعد الأجلين(١٧٥)، أي أنه خصص عموم الآيتين ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤]. ﴿وَأُوْلاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤]، فالحامل المتوفى عنها زوجها إذا وضعت حملها قبل الأربعة أشهر وعشرة أيام فإنها تكمل المدة ولا تعمل بعموم الآية الثالثة لأنها تخصصها الأولى، وإن أكملت المدة فلا تنقضي عدتها إلا بوضع الحمل لأن عموم الآية الأولى مخصص بالثانية، فكل من الآيتين عام في وجه وخاص في وجه آخر تخصص إحداهما الأخرى عند علي، ولعله عمل بالاحتياط جمعًا بين الآيتين(١٧٦)، ولكن الراجح: أن عدتها وضع الحمل في كلتا الحالتين فقد صح عن عبد الله بن عتبة أن سبيعة بنت الحارث أخبرته أنها كانت تحت سعد بن خولة، وكان ممن شهد بدرًا، فتوفي عنها في حجة الوداع وهي حامل، فلم تنشب أن وضعت حملها بعد وفاته، فلما تعلت من نفاسها تجملت للخطاب فدخل عليها أبو السنابل، فقال لها: ما لي أراك متجملة؟ لعلك ترجين النكاح؟ إنك والله ما أنت بنكاح حتى تمر عليك أربعة أشهر وعشرًا. قالت سبيعة: فلما قال لي ذلك جمعت علي ثيابي حين أمسيت فأتيت رسول الله (ﷺ) فسألته عن ذلك، فأفتاني بأني قد حللت حين وضعت حملي، وأمرني بالتزوج إن بدا لي(١٧٧).

ولعل عليًا قال بذلك لعدم بلوغه حديث سبيعة، وإلا فلا يخالف علي الصحيح الثابت عن النبي (ﷺ)(١٧٨).

**١٠- معرفة عادات العرب ومن حولهم:**

ولمعرفة طبيعة وعادات العرب ومن حولهم من اليهود والنصارى وقت نزول القرآن دور كبير في فهم القرآن الكريم، وعلي رضي الله عنه عاش في ذلك الزمان وعرف الكثير من العادات التي نهى عنها القرآن، أو تلك التي أقرها، ومن أمثلة هذا الفهم: ما رواه ابن أبي حاتم: لما نافر ابن وائل أبا الفرزدق، فعقر كل واحد منهما مائة من الإبل، فخرج علي على بغلة رسول الله (ﷺ) البيضاء وهو ينادي: يا أيها الناس لا تأكلوا من لحومها، فإنها أُهلَّ بها لغير الله، فعلي رضي الله عنه عرف من عادات العرب في وقته أن مثل هذه المنافرة ليست لله وإنما هي للشيطان؛ فلذلك نهى عنها مستدلاً بقوله (تعالى): ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ (١٧٩) [المائدة: ٣].

---

(١٧٥) الفصول في الأصول للجصاص (٦/١٠٦).

(١٧٦) فقه الإمام علي (١/ ٥٠).

(١٧٧) مسلم رقم (١٤٨٤).

(١٧٨) فقه الإمام علي (٢/٦١٧).

(١٧٩) تفسير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فهد بن عبد العزيز الفاضل رسالة علمية جامعية لم تنشر (١/ ٣٠).

**١١- قوة الفهم وسعة الإدراك:**

وقوة الفهم وسعة الإدراك من المزايا التي امتاز واستشعر بها علي رضي الله عنه، والأمثلة التي تدل على هذه كثيرة جدًا، يذكر منها ما رواه ابن جرير قال: نادى رجل من الخوارج عليًا رضي الله عنه وهو في صلاة الفجر، فقال: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، فأجابه علي رضي الله عنه وهو في الصلاة: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠][١٨٠].

هذه بعض الأصول والأسس التي سار عليها أمير المؤمنين رضي الله عنه في استنباط الأحكام من القرآن وفهم معانيه، وهي ترشد محبيه وأبناء المسلمين المخلصين في كيفية التعامل مع كتاب الله (سبحانه وتعالى).

**سادسًا: تفسير أمير المؤمنين علي لبعض الآيات الكريمة:**

**١- (الذاريات):**

عن الثوري عن حبيب بن أبي صامت عن أبي الطفيل. قال: سمعت ابن الكواء يسأل علي بن أبي طالب عن ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾ قال: الرياح، وعن ﴿فَالْحَامِلاتِ وِقْرًا﴾ قال: السحاب، وعن ﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا﴾ قال: السفن، وعن ﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾ قال: الملائكة[١٨١]، وصححه الحاكم من وجه آخر عن أبي الطفيل، وقد أطنب الطبري في تخريج طرقه إلى علي[١٨٢]، وأخرجه عبد الرزاق من وجه آخر عن الطفيل قال: شهدت عليًا وهو يخطب ويقول: سلوني... سلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل. فقال ابن الكواء -وأنا بينه وبين علي وهو خلفي- فقال: ما ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾ فذكر مثله وقال فيه: ويلك سل تفقهًا ولا تسأل تعنتًا. وفيه سؤال عن أشياء غير هذا[١٨٣].

**٢- قوله (تعالى):** ﴿فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ﴾ [التكوير: ١٥]. روى سعيد بن منصور بإسناد حسن عن علي قال: هن الكواكب تكنس بالليل وتخنس بالنهار فلا ترى[١٨٤].

**٣- بكاء الأرض على العبد الصالح:** قال علي رضي الله عنه: إذا مات العبد الصالح بكى عليه مصلاه من الأرض ومصعد عمله من السماء والأرض، ثم قرأ: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٩].

---

(١٨٠) تفسير الطبري (٢١/ ٥٩).

(١٨١) الخلافة الراشدة، يحيى اليحيى ص(٤٨٦).

(١٨٢) الدر المنثور (٧/ ٤-٦)، المستدرك (٢/ ٤٦٧)، تفسير الطبري (٢٦/ ١٨٥-١٨٨).

(١٨٣) الخلافة الراشدة، يحيى اليحيى ص(٤٨٦).

(١٨٤) الخلافة الراشدة، اليحيى ص(٤٨٧). الفتح (٨/ ٥٦٣).

٤- **الخشوع في القلب** وأن تلين كنفك للمرء المسلم: سئل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه عن قوله (تعالى): ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٢]. قال: الخشوع في القلب، وأن تلين كنفك للمرء المسلم ولا تلتفت في صلاتك(١٨٥).

**٥- خليلان مؤمنان، وخليلان كافران:**

سئل أمير المؤمنين رضي الله عنه عن قول الله (تعالى): ﴿الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧]. قال: خليلان مؤمنان وخليلان كافران، فمات أحد المؤمنين، فبشر بالجنة فذكر خليله المؤمن، قال: فيقول: يا رب! إن خليلي فلانًا كان يأمرني بالخير وينهاني عن الشر، فيأمرني بطاعتك وطاعة رسولك، ويخبرني أني ملاقيك، فلا تضله بعدي واهده كما هداني، وأكرمه كما أكرمني، فإذا مات جمع بينهما في الجنة، ويقال لهما: ليثن كل واحد منهما على صاحبه، فيقول: اللهم كان يأمرني بالخير وينهاني عن الشر، فيأمرني بطاعتك وطاعة رسولك، ويخبرني أني ملاقيك، فنعم الأخ ونعم الخليل ونعم الصاحب، قال: ثم يموت أحد الكافرين، فيبشر بالنار، فيذكر خليله، فيقول: اللهم خليلي فلان كان يأمرني بالشر، وينهاني عن الخير، ويأمرني بمعصيتك ومعصية رسولك، ويخبرني أني غير ملاقيك اللهم فأضله كما أضلني، فإذا مات جمع بينهما في النار، فيقال: ليثن كل واحد منكما على صاحبه، قال: فيقول: اللهم كان يأمرني بالشر وينهاني عن الخير ويأمرني بمعصيتك ومعصية رسولك، ويخبرني أني غير ملاقيك، فبئس الأخ وبئس الخليل والصاحب(١٨٦).

**٦- الزهد بين كلمتين من القرآن:**

قال رضي الله عنه: الزهد بين كلمتين من القرآن الكريم، قال (سبحانه): ﴿لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣]. ومن لم ييأس على الماضي، ولم يفرح بالآتي فقد أخذ الزهد بطرفيه(١٨٧).

**٧- أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وتدبره في الصلاة:**

بين أمير المؤمنين رضي الله عنه استحباب المصلي إذا مر بآية رحمة أن يسأل الله (تعالى) منها وإذا مر بآية عذاب أن يستعيذ بالله (تعالى)، فعن عبد خير الهمذاني قال: سمعت علي ابن أبي طالب قرأ في صلاة: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾. فقال: سبحان ربي الأعلى(١٨٨)، وعن حجر بن قيس المدري قال: بت عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فسمعته وهو يصلي من الليل يقرأ فمر بهذه الآية: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ * أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ

---

(١٨٥) الزهد لابن المبارك ص(٤٠٣) رقم (١١٤٨).
(١٨٦) الزهد لابن المبارك رقم (٣٦٨).
(١٨٧) رسالة المسترشدين ص(٢٢٤)، فرائد الكلام ص(٣٧٦).
(١٨٨) المحلي (٤/ ١١٨) السنن الصغرى (١/ ١٤٦).

نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ قال: بل أنت يا رب ثلاثا، ثم قرأ: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ * أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ قال: بل أنت يا رب ثلاثا، ثم قرأ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ * أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ﴾ قال: بل أنت يا رب ثلاثا، ثم قرأ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ * أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ﴾ قال: بل أنت يا رب ثلاثا(١٨٩).

٨- قوله (تعالى): ﴿يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ * إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩].

قال علي رضي الله عنه: المال والبنون حرث الدنيا، والعمل الصالح حرث الآخرة وقد يجمعهما الله لأقوام(١٩٠).

●●●

(١٨٩) الدر المنثور للسيوطي (٨/ ٢٢، ٢٣).

(١٩٠) تفسير أمير المؤمنين علي، لفهد بن عبد العزيز الفاضل(٢/ ٦٦١) رسالة جامعية لم تنشر.

## المبحث الرابع: ملازمته لرسول الله (ﷺ)

كان علي رضي الله عنه واحدًا من المكيين الذين قرأوا وكتبوا في مجتمعهم الأمي، وهذا دليل على حبه للعلم وشغفه منذ صغره، وقد وفقه الله (تعالى) أن يعيش منذ طفولته في بيت رسول الله (ﷺ) فتربى على يده وزادت عناية رسول الله به بعد إسلامه، فكان رسول الله (ﷺ) الرافد القوي الذي أقر في شخصيته وصقل مواهبه وفجر طاقاته، وهذب نفسه، وطهر قلبه ونور عقله، وأحيا روحه، فقد لازم رسول الله(ﷺ) في مكة والمدينة، فقد كان حريصًا على التتلمذ على يد رسول الله الذي كان يربي أصحابه على القرآن الكريم، فقد كان هو الينبوع المتدفق الذي استمد منه علي رضي الله عنه علمه وتربيته وثقافته، وقد كان النبي (ﷺ)، تنزل عليه الآيات منجمة على حسب الوقائع والأحداث، وكان يقرأها على أصحابه الذين وقفوا على معانيها وتعمقوا في فهمها، وتأثروا بمبادئها، وكان له عمق الأثر في نفوسهم وعقولهم وقلوبهم وأرواحهم، كما كان علي رضي الله عنه واحدًا من الذين تأثروا بالتربية القرآنية على يدي رسول الله (ﷺ) وتشرب تعاليمه ، وتوجيهاته النبوية، وقد اهتم علي رضي الله عنه منذ أن أسلم بحفظ القرآن الكريم وفهمه وتأمله، وظل ملازمًا للرسول (ﷺ) يتلقى عنه ما أنزل عليه حتى تم له حفظ جميع آياته وسوره، لقد حصل علي رضي الله عنه ببركة صحبته لرسول الله (ﷺ) وتربيته على يديه خيرًا كثيرًا، وأصبح من الخلفاء الراشدين فيما بعد، فقد حرص على التبحر في الهدي النبوي الكريم في غزواته وسلمه، وأصبح لعلي رضي الله عنه علمًا واسعًا ومعرفة غزيرة بالسنة النبوية المطهرة، فقد استمد من رسول الله علمًا وتربية ومعرفة بمقاصد هذا الدين العظيم، وقد جمع بين رسول الله وبين علي حب شديد، والحب هام في تهيئة مناخ علمي ممتاز بين المعلم وبين تلميذه، يأتي بخير النتائج العلمية، والثقافية، لما له من عطاء متجدد، وعلي رضي الله عنه قد أحب رسول الله حبًا جمًا، وتعلق فؤاده به، وقدم نفسه فداء له، وتضحية في سبيل نشر دعوته.

**أولاً: أمير المؤمنين ومقام النبوة:**

أوجب الله (سبحانه وتعالى) على الثقلين -الإنس والجن- الذين أدركتهم رسالة النبي (ﷺ)، أن يؤمنوا بالنبي (ﷺ) وبما جاء به، كما شهدت بذلك نصوص الكتاب العزيز، كما أكد الله وجوب الإيمان بنبيه بأن جعله مقترنًا بالإيمان به (سبحانه وتعالى) في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، منها:

قال (تعالى): ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقال (ﷺ) : «**والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار**»(١٩١)، وقد أجمعت الأمة على وجوب الإيمان بالنبي (ﷺ)، كما أجمعت كذلك على أن كل من قامت عليه الحجة برسالة محمد (ﷺ) من الإنس والجن فلم يؤمن به استحق عقاب الله (تعالى) كما يستحقه أمثاله من الكافرين الذين بعث إليهم الرسول، وهذا أصل متفق عليه بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين وسائر طوائف المسلمين وأهل السنة والجماعة وغيرهم(١٩٢).

وقد أعطى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه مقام النبوة حقه وأوضح معالمه بأقواله وأفعاله، وكان يحرص على تعليم الناس وحثهم على الاقتداء برسول الله في أقواله وأعماله وتقريراته، ومن أقواله في هذا النص: واقتدوا بهدي نبيكم (ﷺ)، فإنه أفضل الهدي واستنوا بسنته فإنها أفضل السنن(١٩٣).

**١- وجوب طاعة النبي (ﷺ) ولزوم سنته والمحافظة عليها:**

تربى أمير المؤمنين علي على وجوب طاعة رسول الله (ﷺ)، فهو ممن قرأ وحفظ وفهم قول الله (تعالى): ﴿**مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ**﴾ [النساء: ٨٠]. فهذه الآية -ضمن سلسلة من الآيات- ربطت بين طاعة الله (تبارك وتعالى) وطاعة رسوله (ﷺ)، فقد جعل الله طاعته وطاعة رسوله شيئًا واحدًا، وجعل الأمر بطاعة رسوله مندرجًا في الأمر بطاعته (سبحانه)، وفي ذلك بيان للعباد بأن طاعته (سبحانه) لا تتحقق إلا بطاعة الرسول (ﷺ)، والآيات الواردة بهذا المعنى كثيرة(١٩٤).

وقد تربى أمير المؤمنين علي على يد رسول الله (ﷺ) وتعلم منه وجوب طاعته وامتثال أمره واتباع ما جاء به والسير على سنته والاقتداء به في كل ما جاء به عن ربه (عز وجل)، وأحاديثه (ﷺ) في هذا المجال أعطت للأمة توجيهات عظيمة متى ما ساروا عليها وامتثلوا ما فيها واستناروا بها فقد تحققت لهم سعادة الدارين وفازوا وأفلحوا بإذن الله (تعالى)، وقد امتازت الأحاديث في هذا الشأن بكثرتها وتنوع عباراتها وتعدد أسبابها، واشتمال بعضها على الأمثلة التي ضربها رسول الله (ﷺ) لأمته في هذا الشأن، ومما لا شك فيه أن هذه المميزات زادت الأمر توكيدًا وتوضيحًا وبيانًا، بحيث إنها لم تدع مجالاً لمتأول أو محرف بغير معناها بهواه ورأيه الفاسد، وهذه الأحاديث على تنوع عباراتها وتعدد أسبابها اتحدت جميعها في مضمون واحد، وهو : التأكيد على وجوب طاعته (ﷺ) واتباع ما جاء به من الترغيب في ذلك، إضافة إلى التحذير من مخالفته، وتحريم معصيته وبيان الوعيد الشديد في ذلك(١٩٥).

(١٩١) مسلم (١/ ٩٣) ك الإيمان.
(١٩٢) حقوق النبي على أمته في ضوء الكتاب والسنة (١/ ٧٢).
(١٩٣) البداية والنهاية (٧/ ٣١٩).
(١٩٤) حقوق النبي على أمته (١/ ١٧٤).
(١٩٥) حقوق النبي على أمته (١/ ٨٦).

فمن هذه الأحاديث قوله (ﷺ) : «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**» قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى**»[١٩٦]، وطاعة الرسول (ﷺ) هي الانقياد لسنته، مع رفض قول كل من قال شيئًا في دين الله (عز وجل) بخلاف سنته، دون الاحتيال في دفع السنن بالتأويلات المضمحلة والمخترعات الداحضة[١٩٧].

وقد كان أمير المؤمنين علي من أحرص الصحابة على طاعة رسول الله (ﷺ)، فقد قال رضي الله عنه: ما كنت لأدع سنة النبي (ﷺ) لقول أحد[١٩٨]، وقال أيضًا: ألا إني لست بنبي ولا يوحى إلي ولكني أعمل بكتاب الله وسنة محمد (ﷺ) ما استطعت. وهو نموذج فريد بالتمسك بالسنة والالتزام بها والدعوة لها[١٩٩]، ومن هذا المفهوم والتصور الواضح لأهمية طاعة الرسول (ﷺ) واتباع سنته انطلقت أفعال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وكان رضي الله عنه يعتني بالسنة ويتحرى ويتثبت في روايتها وفي أخذها رضي الله عنه، فقد قال رضي الله عنه: إذا حدثتكم عن رسول الله، فلأن أخر من السماء أحب إلي من أن أكذب عليه[٢٠٠]، وقال رضي الله عنه: كنت إذا سمعت من رسول الله (ﷺ) حديثًا نفعني الله بما شاء منه، وإذا حدثني عنه غيري استحلفته، فإذا حلف لي صدقته[٢٠١]،وكان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يحارب ما يناقض الاتباع، فقد قال رضي الله عنه: لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه.

**٢- حديث أمير المؤمنين علي رضي الله عنه عن دلائل نبوة الرسول (ﷺ):**

بين أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بعضًا من دلائل نبوة النبي (ﷺ)، منها ما يلي:

**(أ) بركة دعائه:**

مرض علي رضي الله عنه مرة فأتاه النبي (ﷺ) وهو يقول: اللهم إن كان أجلي قد حضر فأرحني، وإن كان متأخرًا فارفعني، وإن كان البلاء فصبرني. فقال له رسول الله (ﷺ): «**ما قلت؟**» فأعاد عليه، فقال رسول الله (ﷺ): «**اللهم اشفه، اللهم عافه**»، ثم قال: «**قم**» فقمت، فما عاد لي ذلك الوجع بعده[٢٠٢]،وسيأتي الحديث بإذن الله (تعالى) عن دعاء رسول الله له في خيبر.

**(ب) إخباره بما فتح الله على نبيه من أمور الغيب:**

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إذا حدثتكم عن رسول الله (ﷺ) فلأن أخر من

---

(١٩٦) البخاري رقم (٧٢٨٠).
(١٩٧) صحيح ابن حبان (١/ ١٥٣).
(١٩٨) فتح الباري (٣/ ٤٢١).
(١٩٩) الشفا للقاضي عياض (٢/ ٥٥٦).
(٢٠٠) فتح الباري (٦/ ١٥٨)
(٢٠١) سنن ابن ماجه رقم ١٣٩٥.
(٢٠٢) مسند أحمد (٢/ ١٥١)، تحقيق أحمد شاكر إسناده صحيح.

السماء أحب إلي من أن أكذب عليه، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فإن الحرب خدعة[٢٠٣]، سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: **«يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من قول خير البرية، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجرًا لمن قتلهم يوم القيامة»**[٢٠٤]، وسيأتي شرح هذا الحديث وغيره عند حديثنا عن الخوارج وموقف أمير المؤمنين علي منهم بإذن الله (تعالى).

**(ج) النصر بالرعب:**

ومن دلائل النبوة التي حدثنا بها علي رضي الله عنه ما رواه عن رسول الله (ﷺ)، حيث قال: **«أعطيت ما لم يعط أحد من الأنبياء»**، فقلنا: يا رسول الله، ما هو؟ قال: **«نصرت بالرعب، وأعطيت مفاتيح الأرض، وسميت أحمد، وجعل التراب لي طهورًا وجعلت أمتي خير الأمم»**[٢٠٥].

**(د) خاتم النبوة:**

وضح علي رضي الله عنه من جملة وصفه لرسول الله (ﷺ) وجود دلالة من أبرز الدلائل الحسية على نبوته (ﷺ) حيث يقول: بين كتفيه خاتم النبوة[٢٠٦]. وهذه العلامة كان أهل الكتاب يعرفونها له، وهي شيء بارز أحمر عند كتفه الأيسر، قدره إذا قلل قدر بيضة الحمامة، وإذا كبر جمع اليد[٢٠٧].

**(هـ) سلام الجبال على النبي (ﷺ):**

أخبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن هذه الدلالة حيث قال: كنت مع النبي (ﷺ) بمكة، فخرجنا في بعض نواحيها، فما استقبله جبل، ولا شجر إلا وهو يقول: السلام عليك يا رسول الله[٢٠٨].

**٣- الترغيب في لزوم هدي النبي (ﷺ):**

كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يرغب المسلمين في لزوم هدي النبي (ﷺ)، فقد قال في خطبة له في الربذة[٢٠٩]: الزموا دينكم واهتدوا بهدي نبيكم، واتبعوا سنته واعرضوا ما أشكل عليكم على القرآن، فما عرفه القرآن فالزموه، وما أنكره فردوه[٢١٠]، وبعد رجوع

---

(٢٠٣) منهج علي في الدعوة إلى الله ص(١١٧)، فتح الباري (٦/ ١٥٨).

(٢٠٤) البخاري، ك المناقب (٢/ ٢٨١) والقوم المذكورون هم الخوارج الذين قاتلهم علي بن أبي طالب في خلافته وسيأتي الحديث عنهم بالتفصيل بإذن الله.

(٢٠٥) البخاري رقم (٣٣٥).

(٢٠٦) مصنف ابن أبي شيبة (١١/ ٥١٣)، البخاري، ك المناقب. (٢٠٧) فتح الباري (٦/ ٥٦١-٥٦٣).

(٢٠٨) سنن الترمذي: ك «المناقب» (٥/ ٥٩٣)، المستدرك (٢/ ٦٢٠) صحيح الإسناد.

(٢٠٩) من قرى المدينة على ثلاثة أميال، معجم البلدان (٣/ ٢٤).

(٢١٠) البداية والنهاية (٧/ ٢٤٦)، تاريخ الطبري.

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه من قتال الخوارج خطب أصحابه خطبة بليغة نافعة جامعة للخير ناهية عن الشر، وقد ضمن هذه الخطبة الأمر بالتزام هدي النبي (ﷺ) والترغيب فيه، حيث يقول: واقتدوا بهدي نبيكم (ﷺ)، فإنه أفضل الهدي، واستنوا بسنته فإنها أفضل السنن(٢١١)، ولم تشغل الفتن الداخلية أمير المؤمنين علي رضي الله عنه التي حصلت في عهده عن دعوة أصحابه إلى كل خير، ونهيهم عن كل شر(٢١٢)، وتحذيرهم من البدع، ومن قوله في هذا الشأن: إن عوازم الأمور أفضلها، وإن محدثاتها شرارها، وكل محدثة بدعة، وكل محدث مبتدع، ومن ابتدع فقد ضيع، وما أحدث محدث بدعة إلا ترك بها سنة(٢١٣).

**٤- بيان فضله وبعض حقوقه على أمته (ﷺ):**

بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في معرض حديثه فضائل النبي (ﷺ)، ومما قاله في هذا المجال: فكان مما أكرم الله به (عز وجل) هذه الأمة، وخصهم به من الفضيلة أن بعث إليهم محمدًا (ﷺ)، فعلمهم الكتاب والحكمة والفرائض والسنة، لكيما يهتدوا، وجمعهم لكيما لا يتفرقوا، وزكاهم لكيما يتطهروا، ورفههم لكيما لا يجوروا، فلما قضى من ذلك ما عليه، قبضه الله (عز وجل)، صلوات الله عليه ورحمته وبركاته(٢١٤).

وإليك بعض حقوقه (ﷺ):

**(أ) وجوب الصدق عنه والتحذير من الكذب عليه:**

حذر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه من الكذب على رسول الله، فعن ربعي بن حراش، قال: سمعت علي بن أبي طالب يقول: قال النبي (ﷺ): «**لا تكذبوا علي فإنه من كذب علي فليلج النار**»، وحذر أمير المؤمنين علي رضي الله عنه من نقل الكذب -وهو يعلم أنه كذب- فيما يرويه عن النبي (ﷺ)، قال: «**من حدث عني حديثًا وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين**»(٢١٥).

**(ب) البعد عن أسباب تكذيبه:**

أرشد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه الناس إلى البعد عن الأمر الذي يكون سببًا في تكذيب رسول الله (ﷺ)، كتحديث الناس بما لا تدركه عقولهم، من أقوال رسول الله (ﷺ)، فقد قال: «**حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟**»(٢١٦)، ومعنى الحديث «**بما يعرفون**»: أي: يفهمون، وفيه دليل على أن المتشابه لا

(٢١١) البداية والنهاية (٧/ ٣١٩).
(٢١٢) البداية والنهاية (٧/ ٣١٩).
(٢١٣) البداية والنهاية (٧/ ٣١٩).
(٢١٤) البداية والنهاية (٧/ ٢٦٢).
(٢١٥) صحيح سنن ابن ماجه (١/ ١٣) قال الألباني: صحيح.
(٢١٦) البخاري، ك العلم (١/ ٤٦).

ينبغي أن يذكر عند العامة، وممن كره الحديث ببعض دون بعض: أحمد في الأحاديث التي ظاهرها الخروج على السلطان، ومالك في أحاديث الصفات، وأبو يوسف في الغرائب، ومن قبلهم أبو هريرة كما تقدم عنه في الجرابين وأن المراد ما يقع من الفتن ونحوه عن حذيفة، وضابط ذلك أن يكون ظاهر الحديث قوي البدعة وظاهره في الأصل غير مراد، فالإمساك عنه عند من يخشى عليه الأخذ بظاهره مطلوب[٢١٧].

**(ج) إحسان الظن بحديث رسول الله (ﷺ):**

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: إذا حدثتم عن رسول الله (ﷺ) حديثًا فظنوا به الذي هو أهناه وأهداه وأتقاه[٢١٨].

**(د) الصلاة عليه:**

قال (تعالى): ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ**[٢١٩] **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وهذا إخبار من الله (سبحانه وتعالى) بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى، بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر (تعالى) أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه، ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعًا[٢٢٠]، ويؤكد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه هذا الحق لرسول الله (ﷺ) بوصف من لم يصل على رسول الله عند سماع ذكره بالبخل فيما يرويه عن رسول الله (ﷺ)، حيث قال: «**البخيل الذي ذكرت عنده فلم يصل علي**»[٢٢١].

**(هـ) محبته لرسول الله (ﷺ):**

قال (تعالى): ﴿**قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾ [التوبة: ٢٤]. فالآية نصت على وجوب محبة الله ورسوله، وأن تلك المحبة يجب أن تكون مقدمة على كل محبوب، ولا خلاف في ذلك بين الأمة[٢٢٢]، وقال (تعالى): ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [آل عمران: ٣١]. ففي هذه الآية إشارة ضمنية إلى وجوب محبة النبي (ﷺ)، لأن الله (تبارك وتعالى) قد جعل برهان

---

(٢١٧) فتح الباري (١/ ٤٢٥) باب من خص بالعلم قوم دون قوم.
(٢١٨) مسند أحمد (٢/ ٢١١) أحمد شاكر، إسناده صحيح.
(٢١٩) صلاة الله (تعالى) ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء.
(٢٢٠) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٠٨)، منهج علي بن أبي طالب في الدعوة ص(١٢٩).
(٢٢١) صحيح سنن الترمذي (٣/ ١٧٧) صحيح.
(٢٢٢) تفسير القرطبي(٨/ ٩٥).

محبته (تعالى) ودليل صدقها هو اتباع النبي (ﷺ)، وهذا الاتباع لا يتحقق ولا يكون إلا بعد الإيمان بالنبي (ﷺ)، والإيمان به لا بد من تحقق شروطه التي منها محبة النبي (ﷺ)، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال: «**فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده**»[٢٢٣] ومما لا ريب فيه أن حظ الصحابة من حبه (ﷺ) كان أتم وأوفر، ذلك أن المحبة ثمرة المعرفة، وهم بقدره (ﷺ) ومنزلته أعلم وأعرف من غيرهم، فبالتالي كان حبهم له (ﷺ) أشد وأكبر[٢٢٤]، وقد سئل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه : كيف كان حبكم لرسول الله (ﷺ)؟ قال: كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ[٢٢٥]. وهذه الخصوصية المطلقة ليست لأحد غير رسول الله.

**٥- المعرفة الدقيقة الشاملة لملامح الشخصية النبوية:**

لقد ساعدت الصلة الأسرية ، والمعايشة الطويلة القريبة والتتبع الدقيق لما خص الله به نبيه من نفسية نبوية، ومكارم أخلاق وميول واتجاهات، أمير المؤمنين علي رضي الله عنه على معرفته الدقيقة الشاملة للشخصية النبوية وخصائصها والقدرة على وصفها، والتنويه بجوانب دقيقة في سيرته وخلقه، يلاحظ ذلك فيما روي عنه من وصف رسول الله (ﷺ) وحليته وخلقه وسلوكه[٢٢٦].

**(أ) بيان خلقه:**

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه : كان رسول الله (ﷺ) ليس بالطويل ولا بالقصير، شثن الكفين[٢٢٧] والقدمين، مشرب وجهه حمرة، طويل المسربة[٢٢٨]، ضخم الكراديس[٢٢٩]، إذا مشى تكفأ تكفيًا، كأنما ينحط من صبب[٢٣٠]، لم أر قبله ولا بعده مثله (ﷺ)[٢٣١]، وعن محمد بن علي عن أبيه قال: كان رسول الله (ﷺ) ضخم الرأس عظيم العينين، هدب الأشفار[٢٣٢] -قال حسن[٢٣٣] : الشفار- مشرب العينين بحمرة، كث

(٢٢٣) البخاري رقم (٤) فتح الباري (١/ ٥٨). (٢٢٤) حقوق النبي على أمته (١/ ٣١٤).
(٢٢٥) الشفا (٢/ ٥٦٨) للقاضي عياض.
(٢٢٦) المرتضى ص(٣٩) إلى (٤٣).
(٢٢٧) أي خشن الكفين غليظهما، الصحاح للجوهري (٥/ ٢١٤٢).
(٢٢٨) الشعر المستدق الذي يأخذ من الصدر إلى السرة.
(٢٢٩) الكردوس: كل عظم تام ضخم فهو كردوس، وكل عظمين التقيا في مفصل ، فهو كردوس، وأراد على أنه (ﷺ) ضخم الأعضاء.
(٢٣٠) الصبب هو الموضع المنحدر وهذه الصفة من المشي تعني أن النبي (ﷺ) كان قويًا، فإذا مشى فكأنما يمشي على صدور قدميه من القوة.
(٢٣١) مسند أحمد تحقيق أحمد شاكر (٢/ ١٠٧) إسناده صحيح، صححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.
(٢٣٢) هي حروف الأجفان وأصول منابت الشعر في الجفن التي تلتقي عند التغميض.
(٢٣٣) حسن بن موسى الراوي عن حماد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن محمد بن علي.

اللحيـة، أزهر اللون، شثن الكفين والقدمين، إذا مـشى كأنما يمشي في صعد - قـال حسن: تكفأ- وإذا التفت التفت جميعًا(٢٣٤)، وعند الترمذي عن محمد من ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه قـال: كان علي رضي الله عنه إذا وصف النبي (ﷺ) قـال: لم يكن بالطويل الممغط(٢٣٥)، ولا بالقصير المتردد(٢٣٦)، وكان ربعة من القوم، ولم يكن بالجعد القطط(٢٣٧)، ولا بالسبط، كان جـعدًا رجلاً، ولم يكن بالمطهم(٢٣٨) ولا المكلـثم(٢٣٩)، وكان في الـوجه تدوير، أبيض مشـرب، شثن الكفين والقدمين، إذا مشى تقلع، كـأنما يمشي في صبب، وإذا التفت التفت معًا(٢٤٠)،كما أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه بين صفة من صفات جسد النبي (ﷺ) بعد موته، أمرًا لم يعرفه غيره -وربما من كان يغسله معه(٢٤١) -من طهارة بدنه ونقائه بعد مـوته، حيث يقول: غسلت رسول الله (ﷺ)، فـجعلت أنظر ما يكون من الميت فلم أر شيئًا، وكان طيبًا حيًا وميتًا (ﷺ)(٢٤٢)، وكان علي رضي الله عنه يقول وهو يغسله: بأبي وأمي، ما أطيبك حيًا وميتًا(٢٤٣).

**(ب) بيان خلقه:**

تحدث أمـير المؤمـنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن أخـلاق رسول الله (ﷺ)، فـقـال: كـان أجـود الناس كـفًـا،وأشـرحـهم صـدرًا، وأصـدق الناس لهـجـة، وألينهم عريكة(٢٤٤)،وأكرمهم عشرة، من رآه بديهة هابه، ومن خالطه معرفة أحبه، يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله(٢٤٥)، وأخبرنا عن شجاعة الرسول (ﷺ)، وقوة بأسه، وأن عليًا ومن كان معـه -مع شجاعتـهم أيضًا وقوة بأسهم التي سطرتهـا أخبار المغازي- كـانوا إذا اشتدت الحرب يلوذون برسول الله (ﷺ)، فيقول علي رضي الله عنه: لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله (ﷺ)، وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأسًا(٢٤٦)، وفي رواية أخرى: كنا إذا احمر البأس، ولقي القومُ القـومَ اتقينا برسول الله (ﷺ)، فما يكون منا أحد

---

(٢٣٤) مسند أحمد تحقيق أحمد شاكر (٢/ ١٣٠) إسناده صحيح.

(٢٣٥) الممغط: الذاهب طولاً.

(٢٣٦) المتردد: الداخل بعضه في بعض قصراً.

(٢٣٧) القطط: الشديد الجعودة.

(٢٣٨) المطهم: البادن الكثير اللحم.

(٢٣٩) المكلثم: المدور الوجه.

(٢٤٠) سنن الترمذي، ك المناقب (٥/٥٩٩) حسن غريب إسناده غير متصل.

(٢٤١) كالعباس، والفضل وقثم بن عباس يقلبونه.

(٢٤٢) صحيح سنن ابن ماجه لـلألباني(١/٢٤٧) الحاكم في المستدرك (٣/ ٥٩) واللفظ له صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢٤٣) السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ٦٦٢).

(٢٤٤) العريكة: الطبيعة وفلان لين العريكة إذا كان سلسًا، انظر منهج علي بن أبي طالب ص(١١٠).

(٢٤٥) وهو تتمة للحديث السابق.

(٢٤٦) مسند أحمد (٢/ ٦٤) تحقيق أحمد شاكر، إسناده صحيح.

أدنى من القوم منه[٢٤٧].

وبين علي رضي الله عنه من أخلاق رسـول الله (ﷺ) من الرحمة والكرم والشـجاعة، والتواضع، ما ورد في وصفه لرسول الله (ﷺ) لليـهود الذين طلبوا منه ذلك، حيث يقول: كان أرحم الناس بالناس، لليتيم كـالأب الرحيم، وللأرملة كالكريم للكريم، أشجع الناس، وأبذلهم كفًا، وأصبـحهم وجهًا، لباسه العـباء وطعامه خبز الشعـير، وإدامه اللبن، ووساده الأدم محشو بليف النخل، سـريره أم غيلان مرمل بالشريف[٢٤٨]، كان له عمامـتان إحداهما تدعى السـحاب[٢٤٩]، والأخرى العقاب، وكان سـيفه ذا الفقار[٢٥٠]، ورايته الغـراء وناقته العضباء[٢٥١]، وبغلته دلدل[٢٥٢]، وحماره يعفور، وفرسه مرتجز[٢٥٣]، وشاته بركة وقضيبه الممـشـوق[٢٥٤]، ولواءه الحمد، وكان يعـقل البعير ويعلف الناضح[٢٥٥]، ويرقع الثـوب، ويخصف النعل[٢٥٦].

**٦- نماذج من اتباع أمير المؤمنين للسنة:**

كان أميـر المؤمنين علي شديد الحرص على الاقتـداء بالنبي (ﷺ)، وحياته العمليـة خير دليل على ذلك، وهذه بعض الأمثلة المتنوعة الـتي كان يتبع فيها النبي ولا يفـرق بين صغيرة ولا كبيرة.

**-دعاء الركوب على الدواب:**

عن عبد الرزاق: أخبرني من شهد عليًا حين ركب، فلما وضع رجله في الركاب، قال: بسم الله، فلما استـوى قـال: الحمد لله، ثم قـال: سبحـان الذي سخر لنـا هذا وما كنا له مقـرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبـون، ثم حمد ثلاثًا وكـبر ثلاثًا، ثم قـال: اللهم لا إله إلا أنت، ظلمت نفسي فاغـفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. ثم ضحك، فقـيل: ما يضحكك يا أميـر المؤمنين؟ قـال: رأيت النبي (ﷺ) فعل مـثل ما فـعلت، وقال مـثل ما قلت مـا، ثم ضحك، فقلنا: ما يضحكك يا نبي الله؟ قال: «**العبد -أو قال: عجبت للعبد- إذا قال: لا إله**

(٢٤٧) مسند أحمد(٢/ ٣٤٣) وقال المحقق: إسناده صحيح.

(٢٤٨) قال ابن القيم في زاد المعاد: كان رسول الله ينام على الفراش تارة، وعلى النطع تارة، وعلى الحصير تارة، وعلى الأرض تارة، وعلى السـرير تارة بـين رماله، وتارة عـلى كسـاء أسـود (١/ ١٥٥) زاد المعاد. السرير المرمل: أي المنسوج لسان العرب(١١/ ٢٩٥).

(٢٤٩) وهي العمامة التي كساها عليًا (زاد المعاد/ ١/ ١٣٥).

(٢٥٠) للرسول تسعة أسياف منها ذو الفقار تنفله يوم بدر (زاد المعاد١/ ١٣٠).

(٢٥١) وهي غير القصواء المشهورة والعضباء هي التي كانت لا تسبق.

(٢٥٢) بغلة شهباء أهداها له المقوقس وله غيرها (زاد المعاد ١/ ١٣٤).

(٢٥٣)زاد المعاد (١/ ١٣٣) ملك سبعة من الخيل متفق عليها.

(٢٥٤) أنه من الشوحط وهو الذي كان يتداوله الخلفاء.

(٢٥٥) الناضح: البعير الذي يستقي عليه الماء (لسان العرب ٢/ ٦١٩).

(٢٥٦) الرياض النضرة في مناقب العشرة (٢/ ١٦٣).

**إلا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، يعلم أنه لا يغفر الذنوب إلا هو»**[٢٥٧].

**الشرب قائمًا، وقاعدًا:**

عن عطاء بن السائب عن زاذان: أن علي بن أبي طالب شرب قائمًا، فنظر إليه الناس كأنهم أنكروه، فقال: ما تنظرون[٢٥٨]؟ إن أشرب قائمًا، فقد رأيت النبي (ﷺ) يشرب قائمًا، وإن أشرب قاعدًا، فقد رأيت النبي (ﷺ) يشرب قاعدًا[٢٥٩].

**- تعليم وضوء رسول الله (ﷺ):**

عن عبد خير: علمنا علي وضوء رسول الله (ﷺ)، فصب الغلام على يديه حتى أنقاهما، ثم أدخل يده في الركوة، فمضمض واستنشق، وغسل وجهه ثلاثًا ثلاثًا، وذراعيه إلى المرفقين ثلاثا ثلاثا، ثم أدخل يده في الركوة فغمز أسفلها بيده، ثم أخرجها فمسح بها الأخرى، ثم مسح بكفيه رأسه مرة ثم غسل رجليه إلى الكعبين ثلاثا ثلاثا، ثم اغترف هنية من ماء بكفه فشربه، ثم قال: هكذا كان رسول الله يتوضأ[٢٦٠].

**-نهي رسول الله (ﷺ) لعلي عن أشياء:**

عن عبد الله بن حنين عن أبيه، قال: سمعت علي بن أبي طالب يقول: نهاني رسول الله (ﷺ) عن تختم الذهب، وعن لبس القس والمعصفر، وقراءة القرآن وأنا راكع، وكساني حلة من سيراء فخرجت فيها، فقال: «**يا علي، إني لم أكسكها لتلبسها**» قال: فرجعت بها إلى فاطمة، فأعطيتها ناحيتها فأخذت بها لتطويها معي، فشققتها بثنتين قال: فقالت: تربت يداك يا ابن أبي طالب، ماذا صنعت؟ قال: فقلت لها: نهاني رسول الله (ﷺ) عن لبسها، فالبسي واكسي نساءك[٢٦١].

**- الذنوب والمغفرة:**

عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): «**من أذنب في الدنيا ذنبًا فعوقب به، فالله أعدل من أن يثني عقوبته على عبده، ومن أذنب ذنبًا في الدنيا فستر الله عليه، وعفا عنه، فالله أكرم من أن يعود في شيء قد عفا عنه**»[٢٦٢].

**-إنما الطاعة في المعروف:**

عن علي رضي الله عنه: أن رسول الله (ﷺ) بعث جيشًا، وأمر عليهم رجلاً، فأوقد نارًا، فقال: ادخلوها، فأراد ناس أن يدخلوها، وقال آخرون: إنما فررنا منها. فذكر ذلك

(٢٥٧) مسند أحمد الموسوعة الحديثية رقم (٩٣٠) حسن لغيره. (٢٥٨) في رواية: ما تنكرون.
(٢٥٩) مسند أحمد رقم (١١٢٨) إسناده حسن.
(٢٦٠) مسند أحمد الموسوعة الحديثية رقم (٨٧٦)، صحيح لغيره، إسناده حسن.
(٢٦١) مسند أحمد الموسوعة الحديثية رقم (٧١٠) إسناده حسن.
(٢٦٢) مسند أحمد الموسوعة الحديثية رقم (١٣٦٥) إسناده حسن.

لرسول الله (ﷺ)، فقال للذين أرادو أن يدخلوها: «لو دخلتموها لم تزالوا فيها إلى يوم القيامة». وقال للآخرين قولاً حسنًا، وقال: «لا طاعة في معصية الله، إنما الطاعة في المعروف»(٢٦٣)، والحديث يبين أن الطاعة للحكام مقيدة بطاعة الله ورسوله، والطاعة المطلقة ليست لأحد إلا لله ورسوله (ﷺ).

**- لا يأتي على الناس مائة سنة وعلى الأرض عين تطرف:**

دخل أبو مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري على علي بن أبي طالب، فقال له علي: أنت الذي تقول: لا يأتي على الناس مائة سنة وعلى الأرض عين تطرف؟ إنما قال رسول الله (ﷺ): «لا يأتي على الناس مائة سنة وعلى الأرض عين تطرف ممن هو حي اليوم»، والله إن رخاء هذه الأمة بعد مائة عام(٢٦٤).

**- دعاء الرسول (ﷺ) لأهل المدينة بالبركة:**

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أنه قال: خرجنا مع رسول الله (ﷺ)، حتى إذا كنا بالحرة بالسقيا التي كانت لسعد بن أبي وقاص، قال رسول الله (ﷺ): «ائتوني بوضوء» فلما توضأ قام فاستقبل القبلة، ثم كبر، ثم قال: «اللهم إن إبراهيم كان عبدك وخليلك دعا لأهل مكة بالبركة، وأنا محمد عبدك ورسولك أدعوك لأهل المدينة أن تبارك لهم في مدهم وصاعهم مثل ما باركت لأهل مكة، مع البركة بركتين»(٢٦٥).

**- دعاء الكرب:**

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: علمني رسول الله (ﷺ) إذا نزل بي كرب أن أقول: «لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله، وتبارك الله رب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين»(٢٦٦) والحديث يرشد إلى ضرورة التعلق بالله وحده والاعتماد عليه والالتجاء إليه، فلا يكشف الكرب إلا هو (سبحانه)، ولا يجيب المضطر إذا دعاه إلا الذي خلقه، فلا ملجأ من الله إلا إليه، ففيه إرشاد وتعليم إلى كل مسلم بأن يعتمد على الله في كل أحواله وشأنه.

**- ما أسر إلي شيئا كتمه الناس:**

عن أبي الطفيل، قال: قلنا لعلي: أخبرنا بشيء أسره إليك رسول الله (ﷺ). فقال: ما أسر إلي شيئًا كتمه الناس، ولكن سمعته يقول: «لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى محدثًا، ولعن الله من لعن والديه، ولعن الله من غير تخوم الأرض» يعني المنار(٢٦٧)، ففي قوله (ﷺ): «لعن الله»: اللعن من الله: الطرد والإبعاد عن رحمة الله. قوله: «من ذبح لغير الله» يشمل كل من سوى الله حتى لو ذبح لنبي أو ملك، أو جني أو غيرهم، فلو كانت

---

(٢٦٣) مسند أحمد الموسوعة الحديثية رقم (٧٢٤) إسناده صحيح.
(٢٦٤) مسند أحمد رقم (٧١٤) إسناده قوي. (٢٦٥) مسند أحمد رقم (٩٣٦) إسناده صحيح.
(٢٦٦) مسند أحمد رقم (٧٠١) حديث صحيح.
(٢٦٧) مسند أحمد رقم (٨٥٥) إسنادة قوي.

هذه الأمور هينة في دين الله لما وصلت إلى درجة يستحق فاعلها اللعن من رسول الله (ﷺ).

**-إن الله رفيق يحب الرفق:**

عن علي بن أبي طالب رضي عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): «**إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف**»[٢٦٨].

**-تعجيل الصدقة[٢٦٩] قبل أن تحل:**

عن علي: أن العباس بن عبد المطلب سأل النبي (ﷺ) في تعجيل صدقة قبل أن تحل فرخص له في ذلك[٢٧٠].

**العشر الأواخر من رمضان:**

عن علي رضي الله عنه، قال: كان رسول الله (ﷺ) يوقظ أهله في العشر الأواخر، ويرفع المئزر[٢٧١].

**ثانيًا: الرواة عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه:**

كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أعلم الصحابة بالسنة في عهده، إذ روي أنه ذكر علي عند عائشة، فقالت: أما إنه أعلم من بقي في السنة[٢٧٢]، ومع ذلك فقد روي أنه روى عن النبي (ﷺ) خمسمائة وستة وثمانين حديثًا[٢٧٣]، وهو أقل مما رواه بعض الصحابة عن النبي (ﷺ)؛ لأسباب منها:

١- انشغاله بالقضاء والإمارة والحروب التي جعلته لا يتفرغ للفتيا وعقد حلقات الدروس، التي كانت سببًا في انتشار علم بعض الصحابة، كعبد الله بن مسعود وعبد الله بن العباس.

٢- ظهور أهل الأهواء والبدع من الذين أفرطوا فيه والذين فرطوا به كان سببًا في كثرة الكذب عليه، لذلك بذل العلماء جهدهم في معرفة صحة الطرق الموصلة إليه.

٣- كثرة الفتن في زمانه وانشغال بعض الناس بها حال دون ثقته رضي الله عنه بمن يضع فيه علمه، إذ روي عنه أنه قال: إن ها هنا علمًا له حملة[٢٧٤].

وقد لاحظنا في منهج أمير المؤمنين في الرواية وقبول الحديث ما يأتي:

---

(٢٦٨) مسند أحمد رقم (٩٠٢) حديث حسن الشواهد.
(٢٦٩) تعجيل الصدقة: أي تعجيل الزكاة.
(٢٧٠) مسند أحمد رقم (٨٢٢) إسناده حسن.
(٢٧١) مسند أحمد رقم (١١١٥) إسناده حسن. (٣/ ١٩٥).
(٢٧٢) الطبقات (٢/ ٣٣٨).
(٢٧٣) تاريخ الخلفاء (١٧١).
(٢٧٤) فقه الإمام علي (١/ ٣) نقلاً عن إعلام الموقعين.

١- الحذر من الكذب على النبي (ﷺ)، إذ هو أحد الرواة لقوله(ﷺ): «من كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار»(٢٧٥).

٢- الاستيثاق من الرواية، فإنه كان يحلف الراوي عليها، فقد روي عنه أنه قال: كنت إذا سمعت من رسول الله (ﷺ) حديثًا نفعني الله بما شاء أن ينفعني منه، وكان إذا حدثني غيره استحلفته، فإذا حلف صدقته(٢٧٦).

٣- عدم رواية المنكر والشاذ من الحديث، إذ ورد عنه أنه قال: حدثوا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون أتريدون أن يكذب الله ورسوله(٢٧٧)، وقد روي عن علي رضي الله عنه عن أبي بكر وعمر والمقداد بن الأسود وزوجته فاطمة.

وروى عن علي خلق كثير من الصحابة والتابعين وأهل بيته، فمن أشهر من روى عنه من الصحابة هم:

١- أبو أمامة إياس بن ثعلبة الأنصاري من بني حارثة وهو ابن أخت أبي بردة، له عن النبي (ﷺ) ثلاثة أحاديث، وهو الذي أمره الرسول (ﷺ) أن يقيم على أمه يوم بدر(٢٧٨).

٢- أبو رافع القبطي مولى رسول الله (ﷺ)، يقال: اسمه إبراهيم وقيل: سنان وقيل: يسار، قال ابن عبد البر: أشهر ما قيل في اسمه: أسلم، مات في عهد علي بن أبي طالب سنة (٤٠هـ) (٢٧٩).

٣- أبو سعيد الخدري سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة الأنصاري، خرج مع رسول الله (ﷺ) وهو ابن خمس عشرة سنة توفي سنة (٧٤هـ)(٢٨٠).

٤- جابر بن عبد الله بن عمر بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب الأنصاري السلمي شهد صفين مع علي وتوفي (٧٨هـ)، وكان من الحفاظ للسنن.

٥-جابر بن سمرة بن جنادة بن جندب العامري السوائي حليف بني زهرة وأمه خالدة بنت أبي وقاص، أخت سعد بن أبي وقاص، يكنى أبا عبد الله، قال: صليت مع رسول الله (ﷺ) أكثر من ألفي مرة، ونزل الكوفة وتوفي بها سنة (٧٤هـ)(٢٨١).

٦- زيد بن أرقم بن زيد بن قيس بن النعمان، قيل: كنيته أبو عمر وقيل: أبو عامر، مات بالكوفة سنة (٦٦) وقيل: (٦٨هـ).

٧- عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ابن أخي علي، ولد بأرض الحبشة وهو أول مولود

(٢٧٥) صحيح سنن ابن ماجه (١/ ١٣) وقال الألباني: صحيح.
(٢٧٦) سنن ابن ماجه رقم (١٣٩٥)، إسناده صحيح.
(٢٧٧) البخاري، ك العلم (١/ ٤٦).
(٢٧٨) الاستيعاب (١/ ١٦٠١) أي يقيم على خدمة أمه.
(٢٧٩) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٦).
(٢٨٠) الاستيعاب (٤/ ١٦٧١).
(٢٨١) الاستيعاب (١/ ٢١٩).

في الإسلام توفي سنة (٨٠هـ)، وهو ابن تسعين سنة[٢٨٢].

٨- عبـد الله بن عمر بن الخطاب القـرشي العدوي، أسلم مع أبيـه قبل أن يبلغ الحلم، توفي في مكة سنة (٦٣هـ) وهو ابن أربع وثمانين[٢٨٣].

٩- عـبـد الله بن مـسـعـود بن غـافل بن وائل الهـذلي من أوائل المسلـمين توفي سنة (٣٢هـ)[٢٨٤].

١٠- عمرو بن حريث بن عثمـان القرشي المخزومي يكنى أبا سعيد ، رأى النبي (ﷺ) وسمع منه ومسح على رأسـه ودعا له بالبركة، نزل الكوفة وكان له قـدر وشرف، مات سنة (٨٥هـ)[٢٨٥].

**-من روى عنه من أهل بيته:**

روى عنه من أهل بيته كل من:

١- ولده الحسن بن علي سبط رسول الله (ﷺ).

٢- ولده الحسين بن علي سبط رسول الله (ﷺ) ، قتل يوم عاشوراء سنة (٦١هـ) وهو ابن (٥٦ سنة)[٢٨٦].

٣- ولده محمد بن علي بن أبي طالب أبو القاسم المدني المعروف بابن الحنفية، نسبة إلى أمه خولة بنت جـعفر بن قيس من بني حنيفـة، قال العجلي : تابعي ثقة كان رجـلاً صالحًا يكنى أبا القـاسم، ولد في ولايـة عمـر ومـات سنة (٧٣) وقـيل: (٨٠) وقـيل: (٨١هـ)، وقيل: (٨٢هـ) وقيل: (٩٣هـ)[٢٨٧].

٤- حفيده محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، ذكره ابن حبان في الثقات[٢٨٨].

٥- حفـيده عـلي بن الحسين بن علي بن أبي طالـب الملقب بزين العابدين من سـادات التابعين وأمه سلافة بنت يزدجرد آخر ملوك فارس، أرسل عن جده علي بن أبي طالب، قال العجلي: مدني تابعي ثقة، توفي سنة (٩٤ هـ)، وكان عمره ثمان وخمسين سنة[٢٨٩].

٦- ابن أخته جعـدة بن هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عـمران بن مخزوم، وأمه أم هانئ بنت أبي طالب، ولد على عهد النبي (ﷺ)، وله صـحبة ولي خراسان وسكن

(٢٨٢) الإصابة (٤/ ٢٧٦).
(٢٨٣) وفيات الأعيان (٢/ ٢٣٦).
(٢٨٤) الاستيعاب (٢/ ٩٨٨).
(٢٨٥) الاستيعاب (٣/ ١٦٧٢).
(٢٨٦) تهذيب التهذيب (٢/ ٣٥٧).
(٢٨٧) تهذيب التهذيب (٧/ ٣٠٦)
(٢٨٨) تهذيب التهذيب (٢/ ٨٢).
(٢٨٩) تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٨١) لسان الميزان (٧/ ٥٣٣).

الكوفة قال العجلي: مدني تابعي ثقة روى عن علي(٢٩٠).

٧- سريته أم موسى قيل: اسمها فاختة وقيل: حبيبة، قال الدارقطني: حديثها مستقيم، وقال العجلي: كوفية تابعية ثقة(٢٩١).

**- أشهر من روى عن علي من التابعين:**

١- أبو الأسود الدؤلي البصري القاضي، واسمه ظالم بن عمرو بن سفيان، ويقال: اسمه عمرو بن عثمان، ويقال: عثمان بن عمرو، أسلم على عهد النبي (ﷺ) وقاتل مع علي يوم الجمل، وثقه ابن معين والعجلي وغيرهما وتوفي في ولاية عبيد الله بن زياد سنة (٦٩هـ)(٢٩٢).

٢- أبو بردة بن أبي موسى الأشعري الفقيه، واسمه الحارث وقيل: عامر، وثقه ابن سعد والعجلي وابن حبان، وقال العجلي: كان على قضاء الكوفة بعد شريح، وروى عن أبيه وعلي وحذيفة وعبد الله بن سلام وعائشة وغيرهم، قيل: مات سنة (٨٣هـ) وقيل: (١٠٤هـ)، وقيل: (١٠٧هـ)(٢٩٣).

٣- أبو عبد الرحمن السلمي عبد الله بن حبيب بن ربيعة، أبو عبد الرحمن السلمي الكوفي القارئ، ولأبيه صحبة، وثقه العجلي والنسائي وأبو داود، روى عن عمر وعثمان وعلي وسعد، وخالد بن الوليد وابن مسعود وحذيفة وغيرهم، قيل: مات سنة(٧٢هـ)، وقيل: (٨٥هـ) وهو ابن خمس وثمانين سنة، شهد مع علي صفين(٢٩٤).

٤- زر بن حبيش بن حبانة بن أوس الأسدي أبو مريم ويقال: أبو مطرف الكوفي عن ابن معين أنه ثقة، مات سنة (٨١هـ)، وقيل: (٨٢هـ)، وقيل: (٨٣هـ) وهو ابن مائة وعشرين(٢٩٥).

٥- زيد بن وهب الجهني من قضاعة، يكنى أبا سليمان، من أجلّة التابعين وثقاتهم متفق على الاحتجاج به، وثقه ابن معين وغيره، مات قبل سنة تسعين أو بعدها من ولاية الحجاج(٢٩٦).

٦- سويد بن غفلة بن عوسجة بن عامر، يكنى أبا أمية، رحل إلى رسول الله (ﷺ)، وقد قبض فلم يره، صحب أبا بكر وعمر وعثمان وعليًا، مات سنة (٨١هـ) أو (٨٢هـ) وكان عمره (١٢٨)(٢٩٧).

(٢٩٠) تهذيب التهذيب (١٢/ ١٠، ١١).
(٢٩١) تهذيب التهذيب (١٢/ ١٩).
(٢٩٢) تهذيب التهذيب (٥/ ١٨٤).
(٢٩٣) طبقات ابن سعد (٦/ ١٠٤).
(٢٩٤) طبقات ابن سعد (٦/ ١٠٣).
(٢٩٥) طبقات ابن سعد (٦/ ٦٧).
(٢٩٦) طبقات ابن سعد (٦/ ١٢٧).
(٢٩٧) تهذيب التهذيب.

٧- شريح بن هانئ بن يزيد بـن نهيك الحارثي المذحـجي بن المقدام الكوفي، أدرك ولم ير، وهو من كبار أصحاب علي، قتل مع أبي بكر بسجستان سنة (٧٨هـ)[٢٩٨].

٨- عامر بن شرحبيل بـن عبد وقيل: عامر بن عبد الله بن شراحيـل الشعبي والحميري أبو عمـرو الكوفي من شعب همدان، روي عنه أنه قال: أدركت خـمسمائة من الصـحابة، وعن الحسن قـال: كان والله كثـير العلم عظيم الحلم قديم الـسلم من الإسلام بمكان، وعن مكحول قال: ما رأيت أفقه منه، قال ابن عيينة: كانت الناس تقول: بعد الصحابة ابن عباس في زمانه والشعبي في زمانه، والثوري في زمـانه ولد لست خلت من خلافة عمر ومات سنة (١٠٩هـ).

٩- عبـد خير بن يزيد ويقـال: ابن بجيد بن جـوى بن عبد عـمرو بن عبـد يعرب بن الصائد الهـمداني أبو عمـارة الكوفي، أدرك الجاهلية، قـال العجلي: كـوفي تابعي ثقة أهل بالكوفـة، وذكره ابن حبـان في ثقات الـتابعين، قيـل: عاش مائة وعـشرين سنة وقـتل في صفين[٢٩٩].

١٠- عبـد الرحمن بن أبي ليلى واسمـه يسار ويقـال: بلال، ويقال: داود بن بلال بن بليل بن أصبـحة بن الجلاح الحريش الأنصـاري الأوسي، ولد لست بقين من خلافة عـمر، روي عنه أنه قال: أدركت عشرين ومائة من الأنصار صحابة وثقه ابن معين والعجلي قيل: إنه أصيب سنة (٧١هـ) وقيل: (٨٢هـ) بالجماجم[٣٠٠].

١١- عبيدة السلماني وهو عبيدة بن عـمرو ويقال: ابن قيس بن عمرو السلماني المرادي أبو عمرو الكوفي، أسلم قـبل وفاة النبي (ﷺ) بسنتين ولم يلقه، قال الشعـبي: كان شريح أعلمهم بالقضاء وكان عبيدة يوازيه، وقال العجلي: كوفي تابعي ثقة[٣٠١].

١٢- عبد الله بن سلمة المرادي الكوفي، صاحب علي، كنيته أبو العالية، قال العجلي: كوفي تابعي ثقة، قال البخاري: لا يتابع في حـديثه، وعن عمرو بن مرة يعرف وينكر، كان قد كبر، وقال يعقوب بن شيبة: ثقة[٣٠٢].

١٣- عبد الله بن شقيق العـقيلي، وكنيته أبو عبد الرحمن ويقال: أبو مـحمد البصري، تابعي من أهل البصرة، ذكـره ابن سعد في الطبقة الأولى، وعن ابن معين أنه ثـقة من خيار المسلمين لا يطعن في حديثه، وروي أنه كـان مستجاب الدعوة، مـات بعد المائة وقيل: سنة (١٠٨هـ)[٣٠٣].

١٤- علقمـة بن قيس النخـعي وهو علقمـة بن قيس بن عبـد الله بن مالك بن علقـمة

(٢٩٨) تهذيب التهذيب (٦/ ١٢٤). (٢٩٩) تهذيب التهذيب (٦/ ١٢٤).
(٣٠٠) ميزان الاعتدال (٢٠/ ٥٨٤).
(٣٠١) طبقات ابن سعد (٦/ ٩٠) تهذيب التهذيب (٧/ ٨٥).
(٣٠٢) ميزان الاعتدال (٢/ ٤٠٩) تهذيب التهذيب (٥/ ٥٤٢).
(٣٠٣) تهذيب التهذيب (٥/ ٢٥٣).

النخعي الكوفي، ولد في حياة الرسول (ﷺ)، وعن أحمد: ثقة من أهل الخير، وعن ابن معين: ثقة،روي أنه قرأ القرآن في ليلة، مات سنة (٦٢هـ)، وقيل: (٦١هـ) قال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث.

١٥- عمير بن سعيد النخعي الصهباني، أبو يحيى الكوفي، عن ابن معين ثقة، ذكره ابن حبان في الثقات، له حديث عن علي في حد شارب الخمر، قال ابن سعد: مات سنة (١١٥هـ) وقيل: (١٠٧هـ)[٣٠٤].

١٦- هانئ بن هاني الهمداني الكوفي، قال النسائي : ليس به بأس، ذكره ابن حبان في الثقات وقيل: كان يتشيع، قال ابن المديني: مجهول، قال ابن سعد : كان منكر الحديث، وعن الشافعي: أهل الحديث لا ينسبون حديثه لجهالة حاله، ذكره ابن سعد في الطبقات الأولى في الكوفة، قال الذهبي: ليس به بأس[٣٠٥].

١٧- يزيد بن شريك بن طارق التيمي الكوفي، وعن يحيى بن معين: ثقة، ذكره ابن حبان في الثقات، قال ابن سعد: كان ثقة وكان عريف قومه، يقال: إنه أدرك الجاهلية، روى عن عمر وعلي وأبي ذر وابن مسعود وحذيفة[٣٠٦]، هذه إشارات عابرة عن الرواة عن علي رضي الله عنه، ومن أراد المزيد فليراجع رسالة الدكتور أحمد محمد طه فقه الإمام علي بن أبي طالب، المقدمة في جامعة بغداد ولم تنشر حتى الآن.

●●●

(٣٠٤) تهذيب التهذيب (٨/ ١٤٦). سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٤٣).
(٣٠٥) الكاشف للذهبي (٣/ ٢١٨).
(٣٠٦) المصدر نفسه (٣/ ٢٨٠).

## المبحث الخامس: أهم أعمال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ما بين الهجرة والأحزاب

شرع رسول الله (ﷺ) بعد استقراره بالمدينة في تثبيت دعائم الدولة الإسلامية، فآخى بين المهاجرين والأنصار، ثم أقام المسجد، وأبرم المعاهدة مع اليهود وبدأت حركة السرايا، واهتم بالبناء الاقتصادي والتعليمي والتربوي في المجتمع الجديد، وكان علي رضي الله عنه ملازمًا له في كل أحواله منفذًا لأوامره، متتلمذًا على هديه.

**أولاً: المؤاخاة في المدينة:**

آخى رسول الله (ﷺ) بين علي بن أبي طالب وسهل بن حنيف، وقد تحدث بعض العلماء عن وجود مؤاخاة كانت في مكة بين المهاجرين، فقد أشار البلاذري إلى أن النبي (ﷺ) آخى بين المسلمين في مكة قبل الهجرة على الحق والمواساة، فآخى بين حمزة وزيد بن حارثة، وبين أبي بكر وعمر، وبين عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف، وبين الزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود، وبين عبيدة بن الحارث وبلال الحبشي، وبين مصعب بن عمير وسعد بن أبي وقاص، وبين عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبي حذيفة، وبين سعيد بن زيد ابن عمرو بن نفيل، وطلحة بن عبيد الله، وبينه وبين علي بن أبي طالب(٣٠٧)، ويعتبر البلاذري (ت٢٧٦هـ) أقدم من أشار إلى المؤاخاة المكية، وقد تابعه في ذلك ابن عبد البر (ت٤٦٣هـ) دون أن يصرح بالنقل عنه، كما تابعهما ابن سيد الناس دون التصريح بالنقل عن أحدهما(٣٠٨).

وقد أنكر ابن تيمية المؤاخاة بين المهاجرين بعضهم مع بعض، وكذب الأحاديث التي وردت في ذلك، ومنها حديث المؤاخاة بين النبي (ﷺ) وعلي(٣٠٩).

وذهب ابن القيم إلى عدم وقوع المؤاخاة بمكة، فقال: إن النبي (ﷺ) آخى بين المهاجرين بعضهم مع بعض، مؤاخاة ثانية، واتخذ فيها عليًا أخًا لنفسه، والثبت الأول(٣١٠)، والمهاجرون كانوا مستغنين بأخوة الإسلام، وأخوة الدار وقرابة النسب عن عقد مؤاخاة، بخلاف المهاجرين مع الأنصار(٣١١)، ولم تشر كتب السيرة الأولى المختصة إلى وقوع المؤاخاة بمكة، والبلاذري ساق الخبر، بلفظ قالوا دون إسناد مما يضعف الرواية، كما أن البلاذري نفسه

---

(٣٠٧) أنساب الأشراف (١/ ٢٧٠).
(٣٠٨) السيرة النبوية الصحيحة (١/ ٢٤٠).
(٣٠٩) منهاج السنة (٥/ ٧١) (٧/ ٣٦١).
(٣١٠) يعني المؤاخاة في المدينة.
(٣١١) زاد المعاد (٢/ ٧٩).

ضعفه النقاد، وعلى فرض صحة هذه المؤاخاة بمكة فإنها تقتصر على المؤازرة والنصيحة بين المتآخين دون أن تترتب عليها حقوق التوارث[٣١٢]، الذي نسخ بقول الله (تعالى): ﴿وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٥]، فهذه الآية نسخت التوارث بموجب نظام المؤاخاة[٣١٣]، وبقيت النصرة والرفادة والنصيحة بين المتآخين[٣١٤].

وقد ذكر ابن كثير أن بعض العلماء ينكر مؤاخاة النبي (ﷺ) لعلي ويمنع صحته، وأن مستنده في ذلك أن هذه المؤاخاة إنما شرعت لأجل ارتفاق بعضهم من بعض وليتألف قلوب بعضهم على بعض، فلا معنى لمؤاخاة النبي (ﷺ) لأحد منهم، ولا مهاجري لمهاجري آخر، ولكنه أشار إلى أنه قد يكون النبي (ﷺ) أراد ألا يجعل مصلحة علي إلى غيره، وبخاصة أنه كان ينفق عليه من صغره في حياة أبيه[٣١٥]، ولكنه عاد في موضع آخر فأشار إلى أن معظم الأحاديث التي تحدثت عن مؤاخاة النبي (ﷺ) لعلي رضي الله عنه بأن أسانيدها كلها ضعيفة لا تقوم بها حجة[٣١٦]، وهناك مصادر ذكرت المؤاخاة بين النبي (ﷺ) وعلي بدون إسناد منها: محمد بن حبيب[٣١٧]، وابن الجوزي[٣١٨]، وابن الأثير[٣١٩].

إن التآخي الذي تم بين المهاجرين والأنصار في الفترة المدنية كان مسبوقًا بعقيدة تم اللقاء عليها، والإيمان بها، وكانت هي العمود الفقري للمؤاخاة التي حدثت، لأن تلك العقيدة تضع الناس كلهم في مصاف العبودية الخالصة لله، دون الاعتبار لأي فارق إلا فارق التقوى والعمل الصالح، إذ ليس من المتوقع أن يسود الإخاء والتعاون والإيثار بين أناس فرقتهم العقائد والأفكار المختلفة، فأصبح كل منهم ملكًا لأنانيته وأثرته وأهوائه[٣٢٠]. وتعتبر سياسة المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، نوع من السبق السياسي الذي اتبعه الرسول (ﷺ) في تأهيل المودة، وتمكينها في مشاعر المهاجرين والأنصار الذين سهروا جميعًا على رعاية هذه المودة وذلك الإخاء، بل كانوا يتسابقون في تنفيذ بنوده[٣٢١]، ولا سيما الأنصار الذين لا يجد الكتاب والباحثون مهما تساموا إلى ذروة البيان خيرًا من حديث الله عنهم[٣٢٢]، قال

(٣١٢) السيرة النبوية الصحيحة (١/ ٢٤١).
(٣١٣) المصدر نفسه (٢/ ٢٤٦).
(٣١٤) التاريخ الإسلامي للحميد (٤/ ٢٥).
(٣١٥) البداية والنهاية (٣/ ٢٢٦)، ومن أراد التوسع فلينظر «أثر التشيع على الروايات التاريخية في القرن الأول الهجري»، عبد العزيز نور ولي ص(٢٩٣) إلى (٢٩٨).
(٣١٦) البداية والنهاية (٧/ ٣٤٨).
(٣١٧) المحبر ص(٧٠).
(٣١٨) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (٣/ ٧٤).
(٣١٩) أسد الغابة في معرفة الصحابة (٣/ ٥٨٨، ٦٠١).
(٣٢٠) فقه السيرة للبوطي ص(١٤٨).
(٣٢١) فصول من السيرة النبوية د. عبد المنعم السيد ص (٢٠٠).
(٣٢٢) هجرة الرسول وصحابته في القرآن والسنة للجمل ص(٥٢٤).

(تعـالى): ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

**ثانيًا: حركة السرايا:**

بمجرد الاستقرار الذي حصل للمسلمين بقيادة الرسول (ﷺ) في المدينة بدأت حركة السرايا، التي استهدفت بسط هيبة الدولة في الداخل والخارج، وكسب بعض القبائل وتحجيم دور الأعراب، وتربية الصحابة على الإعداد القتالي للغزوات الكبرى، وحركة الفتوحات ميدان لصناعة القادة عمليًا، وقد شارك في هذه السرايا أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، في التي حدثت قبل بدر وما بعدها، وأما التي شارك فيها قبل غزوة بدر الكبرى فمنها:

**١- غزوة العشيرة(٣٢٣):**

وفيها غزا (ﷺ) قريشًا، واستعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد، وسميت هذه الغزوة بغزوة العشيرة، فأقام بها جماد الأولى وليالي من جماد الآخرة، وادع فيها بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة، ثم رجع إلى المدينة، ولم يلق كيدًا، وذلك أن العير التي خرج لها قد مضت قبل ذلك بأيام ذاهبة إلى الشام(٣٢٤)، فساحلت على البحر، وبلغ قريشًا خبرها فخرجوا يمنعونها، فلقوا رسول الله (ﷺ) ووقعت غزوة بدر الكبرى(٣٢٥).

وقد حدثنا عمار بن ياسر عن مشاركته وعلي رضي الله عنهما في تلك الغزوة، فعن عمار بن ياسر قال: كنت أنا وعلي رفيقين في غزوة ذي العشيرة، فلما نزلها رسول الله (ﷺ) وأقام بها رأينا ناسًا من بني مدلج يعملون في عين لهم في نخل، فقال لي علي: يا أبا اليقظان هل لك أن تأتي هؤلاء فتنظر كيف يعملون؟ فجئناهم، فنظرنا إلى عملهم ساعة، ثم غشينا النوم، فانطلقت أنا وعلي، فاضطجعنا في سور من النخل، في دقعاء(٣٢٦) من التراب فنمنا، فوالله ما أهبنا إلا رسول الله (ﷺ) يحركنا برجله، وقد تتربنا من تلك الدقعاء، فيومئذ قال رسول الله (ﷺ) لعلي: «**يا أبا تراب**» لما رأى عليه من التراب قال: «**ألا أحدثكما بأشقى الناس رجلين؟**» فقلنا: بلى يا رسول الله، قال: «**أحيمر ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضربك يا علي على هذه** -يعني قرنه- **حتى تبل منه هذه**» -يعني لحيته(٣٢٧)، وقد تركز نداء رسول الله لعلي بأبي تراب وسيأتي الحديث عنه.

(٣٢٣) ناحية من نواحي ينبع بين مكة والمدينة.
(٣٢٤) طبقات ابن سعد (٢/ ١٠).
(٣٢٥) المصدر نفسه (٢/ ١١).
(٣٢٦) الدقعاء: الأرض التي لا نبات فيها. القاموس (٣/ ٢٢).
(٣٢٧) فضائل الصحابة (٢/ ٨٥٥) رقم (١١٧٢) إسناده حسن.

**٢- غزوة بدر الأولى:**

سببها: أن كرز بن جابر الفهري، قد أغار على سرح[٣٢٨] المدينة ونهب بعض الإبل والمواشي، فخرج رسول الله (ﷺ) في طلبه، حتى بلغ واديًا يقال له: «سفوان» من ناحية بدر، وفاته كرز بن جابر فلم يدركه، فرجع رسول الله (ﷺ) إلى المدينة[٣٢٩]، وقد أعطى الحبيب المصطفى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لواءه الأبيض[٣٣٠].

وتعتبر حركة السرايا بداية الجهاد القتالي ضد أعداء الدعوة، ومع حركة السرايا والبعوث والغزوات التي خاضها رسول الله ضد المشركين ظهرت جليا سنة التدافع التي تعامل معها النبي (ﷺ) وأصحابه -ومن بينهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب- وهذه السنة متعلقة تعلقًا وطيدًا بالتمكين لهذا الدين، وقد أشار الله (تعالى) إليها في الكتاب العزيز وجاء التنصيص عليها في قوله (تعالى): ﴿**وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾ [البقرة: ٢٥١]، وفي قوله (تعالى): ﴿**الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾ [الحج: ٤٠].

**ثالثا: غزوة بدر:**

١- قال النووي (رحمه الله): وأجمع أهل التواريخ على شهوده بدرًا، وسائر المشاهد غير تبوك، قالوا: وأعطاه النبي (ﷺ) اللواء في مواطن كثيرة[٣٣١].

كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه أحد المجاهدين الذين شاركوا في غزوة بدر، ولنتركه يقص علينا خبر هذه الغزوة، فعن حارثة بن مضرب عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: وكان النبي (ﷺ) يتخبر عن بدر، فلما بلغنا أن المشركين قد أقبلوا، سار رسول الله (ﷺ) إلى بدر -وبدر بئر- فسبقنا المشركين إليها، فوجدنا فيها رجلين منهم، رجلاً من قريش ومولى لعقبة بن أبي معيط، فأما القرشي فانفلت، وأما مولى عقبة فأخذناه، فجعلنا نقول له: كم القوم، فيقول: هم والله كثير عددهم، شديد بأسهم، فجعل المسلمون إذا قال ذلك ضربوه حتى انتهوا به إلى النبي (ﷺ) فقال له: «**كم القوم**»، قال: هم والله كثير عددهم شديد بأسهم، فجهد النبي (ﷺ) أن يخبره كم هم، فأبى، ثم إن النبي (ﷺ) سأله: «**كم ينحرون من الجزر**» فقال: عشرًا كل يوم. فقال رسول الله (ﷺ): «**القوم ألف، كل جزور لمائة وتبعها**». ثم إنه أصابنا من الليل طش من مطر، فانطلقنا تحت الشجر والحجف نستظل تحتها من المطر، وبات رسول الله (ﷺ) يدعو ربه (عز وجل) ويقول: «**اللهم إنك إن**

(٣٢٨) السرح: الإبل والمواشي التي تسرح للرعي بالغداة.
(٣٢٩) سيرة ابن هشام (٢/ ٦٠١).
(٣٣٠) تاريخ الإسلام للذهبي (٢/ ٤٨)، علي بن أبي طالب للرفاعي ص(٨٩).
(٣٣١) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٢٤٥).

تهلك هذه الفئة لا تعبد» قال: فلما طلع الفجر نادى: «**الصلاة عباد الله**»، فجاء الناس من تحت الشجر والحجف، فصلى بنا رسول الله (ﷺ)، وحرض على القتال، ثم قال: «**إن جمع قريش تحت هذه الصلع الحمراء من الجبل**». فلما دنا القوم منا وصافقناهم، إذا رجل منهم على جمل له أحمر يسير في القوم، فقال رسول الله (ﷺ): «**يا علي، ناد حمزة**»، وكان أقربهم من المشركين: من صاحب الجمل الأحمر، وماذا يقول لهم، ثم قال رسول الله (ﷺ): «**إن يكن في القوم أحد يأمر بخير، فعسى أن يكون صاحب الجمل الأحمر**»، فجاء حمزة فقال: هو عتبة بن ربيعة، وهو ينهى عن القتال، ويقول لهم: يا قوم إني أرى قومًا مستميتين لا تصلون إليهم وفيكم خير، يا قوم اعصبوها اليوم برأسي، وقولوا: جبن عتبة بن ربيعة، وقد علمتم أني لست بأجبنكم. قال: فسمع ذلك أبو جهل، فقال: أنت تقول هذا؟ والله لو غيرك يقول هذا لأعضضته، قد ملأت رئتك جوفك رعبًا. قال عتبة: إياي تعير يا مصفر استه؟ ستعلم اليوم أينا الجبان. قال: فبرز عتبة وأخوه شيبة وابنه الوليد حمية، فقالوا: من يبارز؟ فخرج فتية من الأنصار ستة، فقال عتبة: لا نريد هؤلاء، ولكن يبارزنا من بني عمنا، من بني عبد المطلب. فقال رسول الله (ﷺ): «**قم يا علي، قم يا حمزة، وقم يا عبيدة ابن الحارث بن المطلب**». فقتل الله (تعالى) عتبة وشيبة ابني ربيعة، والوليد بن عتبة، وجرح عبيدة، فقتلنا منهم سبعين، وأسرنا سبعين، فجاء رجل من الأنصار قصير بالعباس بن عبد المطلب أسيرًا، فقال العباس: يا رسول الله، إن هذا والله ما أسرني، لقد أسرني رجل أجلح، من أحسن الناس وجهًا، على فرس أبلق، ما أراه في القوم، فقال الأنصاري: أنا أسرته يا رسول الله. فقال: «**اسكت فقد أيدك الله (تعالى) بملك كريم**». فقال علي: فأسرنا من بني عبد المطلب العباس وعقيلاً، ونوفل بن الحارث(٣٣٢)، ومن وصف علي رضي الله عنه لغزوة بدر نلاحظ دروسًا وعبرًا وفوائد كثيرة يمكن الرجوع إليها في كتابي «السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل وأحداث».

**٣- ما قيل من أشعار في بطولة علي ببدر:**

كان لواء المشركين يوم بدر مع طلحة بن أبي طلحة، فقتله علي رضي الله عنه، فقال الحجاج بن علاط السلمي في ذلك:

لله أي مـذنب عن حـربه ... أعني ابن فاطمة المعم المخولا
جادت يداك له بعاجل طعنة ... تركت طليحة للجبين مجندلا
وشددت شدة باسل فكشفتهم ... بالحق إذ يهوون أخول أخولا
وعللت سيفك بالدماء ولم تكن ... لترده حران حتى ينهلا(٣٣٣)

(٣٣٢) مسند أحمد، الموسوعة الحديثية رقم (٩٤٨) إسناده صحيح.
(٣٣٣) البداية والنهاية (٧/ ٣٧٩).

**رابعًا: زواج علي من فاطمة رضي الله عنهما:**

هي فاطمة بنت إمام المتقين سيد ولد آدم رسول الله (ﷺ)، وأمها خديجة بنت خويلد، كانت تكنى بأم أبيها[٣٣٤]، ولدت رضي الله عنها قبل البعثة سنة خمس وثلاثين من مولد النبي (ﷺ)[٣٣٥]، زوجها النبي (ﷺ) علي بن أبي طالب سنة اثنتين للهجرة بعد وقعة بدر وولدت له الحسن والحسين وأم كلثوم، وكانت وفاتها بعد وفاة النبي (ﷺ) بستة أشهر، فرضي الله عنها وأرضاها[٣٣٦].

**١- مهرها وجهازها:**

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: خُطبت فاطمة إلى رسول الله (ﷺ) فقالت مولاة لي: هل علمت أن فاطمة قد خطبت إلى رسول الله (ﷺ)؟ قلت: لا. قالت: فقد خطبت، فما يمنعك أن تأتي رسول الله (ﷺ) فيزوجك. فقلت: وعندي شيء أتزوج به؟! فقالت: إنك إن جئت رسول الله (ﷺ) زوجك. قال: فوالله ما زالت ترجيني حتى دخلت على رسول الله (ﷺ)، فلما أن قعدت بين يديه أفحمت، فوالله ما استطعت أن أتكلم جلالة وهيبة. فقال رسول الله (ﷺ): «**ما جاء بك؟ ألك حاجة؟**» فسكت فقال: «**لعلك جئت تخطب فاطمة؟**» فقلت: نعم، فقال: «**وهل عندك من شيء تستحلها؟**» فقلت: لا والله يا رسول الله. فقال: «**ما فعلت درع سلحتكها؟ فوالذي نفس محمد بيده إنها لحطيمة ما قيمتها أربعمائة درهم**» فقلت: عندي، فقال: «**قد زوجتكما، فابعث إليها بها فاستحلها بها**» فإنها كانت لصداق فاطمة بنت رسول الله (ﷺ)[٣٣٧]، وقد جهز رسول الله (ﷺ) فاطمة في خميل[٣٣٨]، وقربة ووسادة أدم[٣٣٩] حشوها إذخر[٣٤٠][٣٤١].

وقد جاء في روايات الشيعة: فأخذت درعي فانطلقت به إلى السوق فبعته بأربعمائة درهم من عثمان بن عفان، فلما قبضت الدراهم منه وقبض الدرع مني قال: يا أبا الحسن، ألست أولى بالدرع منك وأنت أولى بالدراهم مني؟ فقلت: نعم، قال: فإن هذا الدرع هدية مني إليك، فأخذت الدرع والدراهم وأقبلت إلى رسول الله (ﷺ) فطرحت الدرع والدراهم بين يديه، وأخبرته بما كان من أمر عثمان فدعا له النبي بخير[٣٤٢].

---

(٣٣٤) أسد الغابة (٥/ ٥٢٠)، الإصابة (٤/ ٣٦٥).
(٣٣٥) الطبقات لابن سعد (٨/ ٢٦).
(٣٣٦) حلية الأولياء (٢/ ٣٩، ٤٣) سير أعلام النبلاء(٢/ ١١٨، ١٣٤) العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط د. سليمان السحيمي(١٣٢).
(٣٣٧) دلائل النبوة للبيهقي(٣/ ١٦٠) إسناده حسن.
(٣٣٨) خميل: القطيفة.
(٣٣٩) الأدم: الجلد.
(٣٤٠) إذخر: نبات.
(٣٤١) صحيح السيرة النبوية ص(٦٦٧)، مسند فاطمة الزهراء وما ورد في فضلها للسيوطي تحقيق فؤاد أحمد زمرلي ص(١٨٩).
(٣٤٢) كشف الغمة للإربلي(١/ ٣٥٩) بحار الأنوار للمجلس ص٣٩ نقلاً عن الشيعة وأهل البيت ص (١٣٧، ١٣٨).

**٢- زفافها:**

قالت أسماء بنت عميس: كنت في زفاف فاطمة بنت رسول الله (ﷺ)، فلما أصبحنا جاء النبي (ﷺ) إلى الباب فقال: «**يا أم أيمن ادعي لي أخي**» فقالت: هو أخوك وتنكحه؟ قال: «**نعم يا أم أيمن**»، قالت: فجاء علي فنضح النبي (ﷺ) عليه من الماء ودعا له ثم قال: «**ادعون إلى فاطمة**» قالت: فجاءت تعثر من الحياء فقال لها رسول الله (ﷺ): «**اسكتي فقد أنكحتك أحب أهل بيتي إلي**»، قالت: ونضح النبي عليها من الماء ودعا لها، قالت: ثم رجع رسول الله (ﷺ) فرأى سوادًا بين يديه، فقال: «**من هذا؟**» فقلت: أنا، قال: «**أسماء؟**» قلت: نعم، قال: «**أسماء بنت عميس؟**» قلت: نعم، قال: «**جئت في زفاف بنت رسول الله تكرمة له؟**» قلت: نعم، قالت: فدعا لي[٣٤٣].

**٣- وليمة العرس:**

عن بريدة قال: لما خطب علي فاطمة، قال رسول الله (ﷺ): «**إنه لا بد للعرس[٣٤٤] من وليمة**»، قال: فقال سعد: علي كبش، وجمع له رهط من الأنصار آصعًا من ذرة، فلما كان ليلة البناء، قال: «**يا علي لا تحدث شيئًا حتى تلقاني**». فدعا النبي (ﷺ) بماء فتوضأ منه ثم أفرغه على علي، فقال: «**اللهم بارك فيهما وبارك عليهما، وبارك في شبلهما**»[٣٤٥].

**٤- معيشة علي وفاطمة رضي الله عنهما:**

كانت معيشة علي وفاطمة -وهما أحب الناس إلى رسول الله (ﷺ)- معيشة زهد وتقشف، وصبر وجهد، فقد أخرج هناد عن عطاء، قال: نبئت أن عليًا رضي الله عنه قال: مكثنا أيامًا ليس عندنا شيء، ولا عند النبي (ﷺ)، فخرجت فإذا أنا بدينار مطروح على الطريق، فمكثت هنيهة أؤامر نفسي في أخذه أو تركه، ثم أخذته لما بنا من الجهد، فأعطيت به الضفاطين[٣٤٦]، فاشتريت به دقيقًا، ثم أتيت به فاطمة فقلت: اعجني واخبزي، فجعلت تعجن وإن قصتها لتضرب حرف الجفنة من الجهد الذي بها، ثم خبزت، فأتيت النبي (ﷺ) فأخبرته، فقال: «**كلوه فإنه رزق رزقكموه الله (عز وجل)**»[٣٤٧]، وعن الشعبي قال: قال علي رضي الله عنه: تزوجت فاطمة بنت محمد رسول الله وما لي ولها فراش غير جلد كبش ننام عليه بالليل، ونعلف عليه ناضحنا بالنهار، وما لي خادم غيرها[٣٤٨].

وعن مجاهد: قال علي: جعت مرة بالمدينة جوعًا شديدًا، فخرجت أطلب العمل في عوالي المدينة، فإذا أنا بامرأة قد جمعت مدرًا، فظننتها تريد بله[٣٤٩]، فأتيتها فقاطعتها[٣٥٠]

---

(٣٤٣) فضائل الصحابة(٢/ ٩٥٥) رقم (٣٤٢) إسناده صحيح.
(٣٤٤) للعرس: أي للعروس.
(٣٤٥) المعجم الكبير للطبراني(١١٥٣)، فضائل الصحابة (٢/ ٨٥٨) إسناده صحيح.
(٣٤٦) الضفاطون: الحمالون والمكارون الذين يجلبون الدقيق من الخارج.
(٣٤٧) كنز العمال (٧/ ٣٢٨)، المرتضى للندوي(٤١).
(٣٤٨) كنز العمال (٧/ ١٣٣)، المرتضى للندوي(٤١).
(٣٤٩) المدر: يعني الطين اليابس، تريد بله: يعني بالماء. (٣٥٠) فقاطعتها: أي: اتفقت معها على أجرة.

كل ذنـوب[٣٥١] على تمرة، فمددت ستة عـشر ذنوبًا، حتى مجلت يداي[٣٥٢] ثم أتيـت الماء فأصبت منه، ثم أتيتها فقلت بكفي هكذا بين يديها[٣٥٣]، فعدت لي ست عشرة تمرة، فأتيت النبي (ﷺ)، فأخبرته، فأكل معي منها[٣٥٤]،وفي هذا الخبر بيان لشدة الحال التي مر بها أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في المدينة، ونأخـذ منه صورة من السلوك المشـروع في مواجـهة الشدائد، حيث خرج علي رضي الله عنه للعـمل بيديه للكسب المشروع، ولم يجلس منتظرًا ما تجود به أيدي المحـسنين، وصورة أخرى من قوة التـحمل، حيث قام بذلك الـعمل الشاق وهو يعاني من شدة الجوع مما يضعف قوته، وصورة أخرى من إيثار الأحبة والوفاء لهم، فهو على ما به من شدة الجـوع وبالرغم مما قام به من ذلك العمل الشاق، قد احـتفظ بأجرته من التمر حتى لقي النبي (ﷺ) فأكل معه[٣٥٥].

**٥- زهد السيدة فاطمة وصبرها:**

كانت حيـاتها في غاية البساطة بعيـدة عن التعقيد، وهي إلى شظف العـيش أقرب منها إلى رغـــده[٣٥٦]، وهذه القصة تصـور لنا حال السيدة فاطمة من التـعب وموقف رسول الله (ﷺ) منها، عندما طلبت منه أن يعطيها خادمًا من السبي، قال علي لفاطمة ذات يوم: والله لقـــد سـنوت[٣٥٧]،حـتى لقد اشـتكيت صدري، قـال : وجـاء الله أباك بسبي فـاذهبي فاستخدميه[٣٥٨]، فقالت: أنا والله قد طحنت حتى مجلت يداي، فأتيت النبي (ﷺ) فقال: «**مـا جاء بك أي بنيـة**». قالت: جئت لأسلم علـيك، واستحيت أن تسأله ورجـعت، فقال علي: ما فعلت؟ قالت: استحييت أن أسألـه، فأتينا جميعًا . فقال علي: يا رسول الله والله لقد سنوت حتى اشتكيت صدري، وقالت فاطمة: قد طحنت حتى مجلت يداي[٣٥٩]، وقد جاءك الله بسبي وسعة فأخدمنا، فقال رسول الله (ﷺ): «**والله لا أعطيكما وأدع أهل الصفة تطـوي[٣٦٠] بطونهم، لا أجد ما أنفق عليهم، ولكني أبيـعهم وأنفق عليهم أثمانهم**»، فرجـعا فأتاهما النبي (ﷺ) وقد دخلا في قطيفتهما، إذا غطت رؤوسهما تكشف أقدامهما وإذا غطيا أقدامهما تكشفت رؤوسـهما، فثارا، فقال: «**مكانكمـا**»، ثم قـال: «**ألا أخبركمـا بخير مما سألتماني؟**» قال: بلى. فقال: «**كلمات علمنيهن جبريل عليه السلام**»، فقال: «**تسبحان في**

---

(٣٥١) ذنوب: دلو.
(٣٥٢) مجلت: تورمت من العمل.
(٣٥٣) يعني بسطهما وضمهما.
(٣٥٤) صفة الصفوة (١/ ٣٢٠)، الموسوعة الحديثية مسند أحمد (١١٣٥) إسناد ضعيف لانقطاعه.
(٣٥٥) التاريخ الإسلامي للحميدي (١٩/ ٤٩، ٥٠).
(٣٥٦) انظر : معين السيرة ص(٢٥٥) للشامي.
(٣٥٧) سنوت: استقيت.
(٣٥٨) أي اسأليه خادمًا.
(٣٥٩) السيرة النبوية للصلابي (٢/ ٩٩)، مسلم رقم (٢٧٢٧) البخاري رقم (٣٧٠٥).
(٣٦٠) تطوي: طوئ من الجوع فهو طاو خالي البطن جائع لم يأكل.

دبر كل صلاة عشرًا، وتحمدان عشرًا، وتكبران عشرًا، وإذا أويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثًا وثلاثين واحمدا ثلاثًا وثلاثين وكبرا أربعًا وثلاثين» (٣٦١).

وفي هذه القصة السالفة بعض القيم المهمة منها:

إن هذه الحادثة تبين لنا كيف أدار النبي (ﷺ) الأزمة الاقتصادية التي مرت بدولة الرسول في المدينة، وذلك من خلال ترتيبه للأولويات، فسد جوع أهل الصفة ضرورة، وأما حاجة علي وفاطمة للخادم ليست بمرتبة احتياج أهل الصفة فقدم رسول الله أهل الصفة عليهم، وكانت وسائل رسول الله في حل الأزمة الاقتصادية كثيرة.

ولقد تأثر علي رضي الله عنه بهذه التربية النبوية، ويمر الزمن بالفتى علي فيصبح خليفة المسلمين، فإذا به من آثار هذه التربية يترفع عن الدنيا وزخارفها وبيده كنوز الأرض وخيراتها، لأن ذكر الله يملأ قلبه ويغمر وجوده، ولقد حافظ على وصية رسول الله له، فقد حدثنا عن ذلك فقال: فوالله ما تركتهن منذ علمنيهن، فسأله أحد أصحابه: ولا ليلة صفين فقال: ولا ليلة صفين(٣٦٢).

**٦- إنما أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا:**

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: دخل عليَّ رسول الله (ﷺ) وعلى فاطمة من الليل، فأيقظنا للصلاة، قال: ثم رجع إلى بيته فصلى هويا من الليل، قال: فلم يسمع لنا حسًا، قال: فرجع إلينا فأيقظنا فقال: «قوما فصليا»، قال: فجلست وأنا أعرك عيني وأقول: إنا والله ما نصلي إلا ما كتب الله لنا، إنما أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا، قال: فولى رسول الله (ﷺ) وهو يقول -ويضرب بيده على فخذه: «ما نصلي إلا ما كتب لنا، ما نصلي إلا ماكتب لنا ﴿وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾» [الكهف: ٥٤].

وهذا فيه تجرد علي رضي الله عنه للحق وحرصه على نشر العلم ولو كان الأمر متعلقًا به رضي الله عنه، وهذه قيمة كبرى يتعلمها المسلمون من أمير المؤمنين علي ولو أراد لكتم الحديث، علمًا بأن صلاة الليل لم تكن واجبة.

**٧- محبة رسول الله (ﷺ) للسيدة فاطمة وغيرته عليها:**

عن ثوبان رضي الله عنه قال: كان رسول الله (ﷺ) إذا سافر آخر عهده بالمدينة إتيان فاطمة، وأول من يدخل عليه إذا قدم من سفره فاطمة(٣٦٣)، وفي رواية عن أبي ثعلبة الخشني قال: كان رسول الله (ﷺ) إذا قدم من غزو أو سفر بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين، ثم يأتي فاطمة، ثم يأتي أزواجه(٣٦٤)، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما رأيت أحدًا أشبه سمتًا

---

(٣٦١) البخاري، رقم (٣٧٠٥)، ومسلم رقم (٢٧٢٧).

(٣٦٢) مسلم (٤/ ٢٠٩٢).

(٣٦٣) مسند أحمد (٥/ ٢٧٥)، الدوحة النبوية، فاروق حمادة ص(٥٦).

(٣٦٤) الاستيعاب (٤/ ٣٧٦) في سنده أبو فروة الرهاوي مضعف، الدوحة النبوية (٥٦).

ولا دلاً برسول الله (ﷺ) في قيامه وقعوده من فاطمة بنت رسول الله ، وكانت إذا دخلت عليه قام إليها فقبلها وأجلسها في مجلسه، وكان النبي (ﷺ) إذا دخل عليها قامت من مجلسها فقبلته وأجلسته في مجلسها[٣٦٥]، وفي رواية أنها كانت تقبل يده[٣٦٦].وفي رواية السيدة عائشة للحديث دليل على حقيقة المحبة بين السيدتين وليست كما يدعي المغرضون.

وعن أسامة بن زيد قال رسول الله (ﷺ): «**أحب أهل بيتي إليّ فاطمة**»[٣٦٧]،وقد أراد علي رضي الله عنه أن يتزوج بنت أبي جهل على فاطمة، فخطب رسول الله (ﷺ) الناس، فقال: «**فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني**»[٣٦٨]،وعن المسور بن مخرمة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله (ﷺ) على المنبر يقول: «**بني هاشم بن المغيرة استأذنوني أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب فلا آذن لهم ثم لا آذن لهم ، ثم لا آذن لهم، إلا أن يحب ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم فإنما ابنتي بضعة مني يريبني ما رابها**»[٣٦٩]، **ويؤذيني ما آذاها**»[٣٧٠]،وبلفظ آخر عند مسلم قال: «إن علي بن أبي طالب خطب بنت أبي جهل على فاطمة فسمعت رسول الله (ﷺ) وهو يخطب الناس في ذلك على منبره هذا وأنا يومئذ محتلم فقال: «**إن فاطمة مني وأنا أتخوف أن تفتن في دينها**» قال: ثم ذكر صهرًا له من بني عبد شمس[٣٧١]،فأثنى عليه في مصاهرته إياه فأحسن قال: «**حدثني فصدقني ووعدني فأوفى لي وإني لست أحرم حلالاً ولا أحل حرامًا، ولكن والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله في مكان واحد أبدًا**»[٣٧٢].

وروى الترمذي بسنده إلى عبد الله بن الزبير رضي الله عنه أن عليًا ذكر بنت أبي جهل فبلغ ذلك النبي (ﷺ) فقال: «**إنما فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها ويتعبني ما أتعبها**»[٣٧٣].

وفي إعلان رسول الله (ﷺ) محبتها ومكانتها على الملأ وأن إذايتها أذية له تعريف بحق حرمتها[٣٧٤]،كما دلت هذه الأحاديث على تحريم إيذاء النبي (ﷺ) بكل حال وعلى كل وجه وإن تولد ذلك الإيذاء مما كان أصله مباحًا وهو حي وهذا بخلاف غيره، وقالوا: وقد أعلم

---

(٣٦٥) مسلم رقم (٢٤٥٠)، صحيح سنن أبي داود رقم (٥٢١٧).

(٣٦٦) سنن أبي داود رقم (٥٢١٧)، الدوحة النبوية (٥٦).

(٣٦٧) مسند الطيالسي (٢/ ٢٥) حسن صحيح.

(٣٦٨) البخاري رقم (٤١٧٣).

(٣٦٩) أي يسوؤني ما يسوؤها ويزعجني ما يزعجها، ابن الأثير (٢/ ٢٨٧).

(٣٧٠) البخاري رقم (٥٢٣٠).

(٣٧١) هو : أبو العاص بن الربيع زوج زينب رضي الله عنهما وكان قد وقع أسيرًا في بدر، فأرسلت زينب قلادتها في فداء زوجها، فأطلق رسول الله أبا العاص بن الربيع ورد المسلمون على زينب قلادتها وأخذ النبي على أبي العاص أن يخلي سبيلها فوعده ذلك ففعل.

(٣٧٢) مسلم (٤/ ١٩٠٣).

(٣٧٣) فضائل الصحابة (٢/ ٧٥٦) رقم (١٣٢٧) إسناده صحيح.

(٣٧٤) الدوحة النبوية الشريفة ص(٥٧).

(ﷺ) بإباحة بنت أبي جهل لعلي بقوله (ﷺ) : «**لست أحرم حلالاً**» ولكن نهى عن الجمع بينهما لعلتين منصوصتين:

**أحداهما:** أن ذلك يؤدي إلى أذى فاطمة فيتأذى حينئذ النبي (ﷺ) فيهلك من آذاه، فنهى (ﷺ) عن ذلك لكمال شفقته على علي وعلى فاطمة.

**والثانية:** خوف الفتنة عليها بسبب الغيرة، وقيل : ليس المراد به النهي بل معناه أعلم من فضل الله أنهما لا تجتمعان، ويحتمل أن المراد تحريم جمعهما ويكون معنى: «**لا أحرم حلالاً**» أي: لا أقول شيئًا يخالف حكم الله، فإذا أحل الله شيئًا لم أحرمه وإذا حرم شيئًا لم أحلله ولم أسكت عن تحريمه لأن سكوتي تحليل له، ويكون من جملة محرمات النكاح: الجمع بين بنت نبي الله وبنت عدو الله[٣٧٥].

ومن مناقب السيدة فاطمة ما رواه الحاكم أيضًا بإسناده إلى بريدة رضي الله عنه قال: كان أحب النساء إلى رسول الله فاطمة ومن الرجال علي[٣٧٦]، ولا يفهم من هذا الحديث معارضته لما ثبت في الصحيح من حديث عمرو بن العاص أنه سأل النبي (ﷺ): أي الناس أحب إليك؟ قال: «**عائشة**» قال: من الرجال؟ قال : «**أبوها**»[٣٧٧].

فالمراد من هذا الحديث -والله أعلم- أن فاطمة أحب النساء إليه من أهله وعلي من رجالهم، وفي ذلك يقول ابن العربي عند هذا الحديث: كان أحب الناس إلى رسول الله (ﷺ) أبو بكر وأحب أزواجه إليه عائشة، وأحب أهله إليه فاطمة وعلي من رجالهم، وبهذا الترتيب تأتلف الأحاديث ويرتفع عنها التعارض[٣٧٨].

**٨- صدق لهجتها:**

روى الحاكم بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها أنها كانت إذا ذكرت فاطمة بنت النبي (ﷺ) قالت: ما رأيت أحدًا كان أصدق لهجة منها إلا أن يكون الذي ولدها[٣٧٩].

وفي ذلك منقبة ظاهرة لها رضي الله عنها، فقد وصفتها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بأنها كانت تشبه النبي (ﷺ) هيئة وطريقة وحسن حال كما كان التزامها للصدق أشبه له فرضي الله عنها وأرضاها[٣٨٠].

**٩- سيادتها في الدنيا والآخرة:**

جاءت الأحاديث الصحيحة عن الصادق المصدوق التي دلت على سيادتها في الدنيا

---

(٣٧٥) شرح صحيح مسلم (١٦/ ٢٣٦، ٢٣٧).
(٣٧٦) المستدرك، ك معرفة الصحابة (٣/ ١٥٥) صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.
(٣٧٧) البخاري رقم(٤٣٥٨).
(٣٧٨) عارضة الأحوذي (١٣/ ٢٤٧، ٢٤٨) العقيدة في أهل البيت ص(١٣٧).
(٣٧٩) المستدرك (٣/ ١٦٠، ١٦١)، صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.
(٣٨٠) العقيدة في أهل البيت ص(١٣٦).

والآخرة، روى الترمذي بإسناده إلى أنس بن مالك أن النبي (ﷺ) قال: «**حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون**»(٣٨١)، وروى الحاكم بإسناده إلى أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): «**فاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا ماكان من مريم بنت عمران**»(٣٨٢). وقال البخاري باب مناقب فاطمة رضي الله عنها، قال النبي (ﷺ): «**فاطمة سيدة نساء أهل الجنة**»(٣٨٣).

**خامسًا: أولادها: الحسن والحسين رضي الله عنهما:**

**١- الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي:** سبط رسول الله (ﷺ) وريحانته في الدنيا وأحد سيدي شباب أهل الجنة أمه فاطمة الزهراء، ولد للنصف من رمضان سنة ٣هـ وقيل: في شعبان وقيل: في سنة أربع أوخمس(٣٨٤). وقد توفي عام ٥٠هـ. وقد اخترت في كتابي«السيرة النبوية» بأنه ولد في العام الرابع للهجرة(٣٨٥).

هذا وقد سماه رسول الله (ﷺ) حسنًا، قال علي رضي الله عنه: لما ولد الحسن سميته حربًا، فجاء رسول الله (ﷺ) فقال: «**أروني ابني، ما سميتموه؟**» قلت: حربًا، قال (ﷺ): «**بل هو حسن**»(٣٨٦). وهكذا غير (ﷺ) ذلك الاسم الحاد باسم جميل يدخل السرور والبهجة على القلوب، فحمل المولود الجديد اسمه الجميل، وحمله (ﷺ) بين يديه وقبّله، وهذا أبو رافع يخبرنا ماذا فعل رسول الله (ﷺ)، يقول: رأيت النبي (ﷺ) أذن في أذني الحسن حين ولدته فاطمة بالصلاة(٣٨٧).

وحدثنا أبو رافع عن عقيقة الحسن فقال: لما ولدت فاطمة حسنًا قالت: ألا أعق عن ابني بكبشين قال (ﷺ): «**لا ولكن احلقي رأسه وتصدقي بوزن شعره من فضة على المساكين والأوفاض**»، وكان الأوفاض ناسًا من أصحاب رسول الله (ﷺ) محتاجين في المسجد أو الصفة، ففعلت ذلك(٣٨٨).

هذا وقد وردت أحاديث كثيرة في فضائل الحسن بن علي رضي الله عنهما منها:

(أ) عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: رأيت الحسن بن علي على عاتق النبي(ﷺ)

---

(٣٨١) فضائل الصحابة (٢/ ٧٥٥) رقم (١٣٢٥)، صححه الألباني، تخريج المشكاة (٣/ ٧٤٥).
(٣٨٢) فضائل الصحابة رقم (١٣٣٢) إسناده حسن لغيره.
(٣٨٣) البخاري، ك فضل الصحابة (٤/ ٢٥٢).
(٣٨٤) فضائل الصحابة (٢/ ٩٦٠)، حلية الأولياء(٢/ ٣٥).
(٣٨٥) السيرة النبوية للصلابي(٢/ ١٩٩) ، شذرات الذهب (١/ ١٠).
(٣٨٦) البخاري في الأدب(٢٨٦).
(٣٨٧) سنن أبي داود قم (٥١٠٥) إسناده ضعيف حكم عليه الشيخ عثمان الخميس عن رسالته للماجستير المتعلقة بالأحاديث الخاصة بالحسن والحسين ص(٨٠).
(٣٨٨) الطبقات (١/ ٢٣٣) إسناده ضعيف.

وهو يقول: «**اللهم إني أحبه فأحبه**»[٣٨٩].

(ب) وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) أنه قال للحسن: «**اللهم إني أحبه، فأحبه وأحبب من يحبه**»[٣٩٠].

(ج) وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما عن النبي (ﷺ) أنه كان يأخذه والحسن ويقول: «**اللهم إني أحبهما فأحبهما**»[٣٩١].

(د) عن أبي بكرة رضي الله عنهما قال: سمعت النبي (ﷺ) على المنبر والحسن إلى جنبه ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة ويقول: «**ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين**»[٣٩٢]. فإخبار النبي (ﷺ) بأن الحسن سيد مفخرة عظيمة وميزة شريفة له رضي الله عنه وأرضاه، وقد تحققت نبوءة جده (ﷺ) فأصلح على يديه بين المسلمين وحقن دماءهم، حيث نزل عن حقه في الخلافة لمعاوية رضي الله عنهم أجمعين وكان ذلك في سنة إحدى وأربعين، وكانت خلافته رضي الله عنه ستة أشهر وسمي هذا العام عام الجماعة وهذا ما أخبر به النبي (ﷺ) بقوله: «**لعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين**»[٣٩٣]، قال ابن حجر: فالحديث فيه علم من أعلام النبوة، ومنقبة للحسن بن علي، فإنه ترك الملك لا لقلة ولا لذلة ولا لعلة بل لرغبة فيما عند الله لما رآه من حقن دماء المسلمين، فراعى أمر الدين ومصلحة الأمة[٣٩٤]، وسيأتي الحديث بإذن الله (تعالى) عن تنازل الحسن بالخلافة لمعاوية عند حديثنا عن عهده في كتاب مستقل.

(هـ) وعن سعيد المقبري[٣٩٥]، قال: كنا مع أبي هريرة رضي الله عنه فجاء الحسن بن علي بن أبي طالب علينا فسلم فرددنا عليه السلام ولم يعلم به أبو هريرة فقلنا: يا أبا هريرة هذا الحسن بن علي قد سلم علينا، فلحقه وقال: عليك السلام يا سيدي ثم قال: إنه سيد[٣٩٦].

(و) ومنها مشابهته رضي الله عنه للنبي (ﷺ) في الخلق، فقد روى البخاري بإسناده إلى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لم يكن أحد أشبه بالنبي (ﷺ) من الحسن بن علي[٣٩٧].

(ز) وروي أيضًا بإسناده إلى عقبة بن الحارث قال. رأيت أبا بكر رضي الله عنه وحمل

---

(٣٨٩) البخاري رقم (٣٧٤٩).
(٣٩٠) مسلم (٢٤٢١).
(٣٩١) البخاري رقم (٣٧٤٧).
(٣٩٢) البخاري رقم (٣٧٤٦).
(٣٩٣) البداية والنهاية (٨/ ٢٠)، سير أعلام النبلاء (٣/ ١٤٤، ١٤٥).
(٣٩٤) فتح الباري (١٣/ ٦٦).
(٣٩٥) هو: كيسان المدني مولى أم شريك، ثقة ثبت مات سنة (١٠٠هـ) التقريب (٤٦٣).
(٣٩٦) المستدرك. ك معرفة الصحابة (٣/ ١٦٩) صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.
(٣٩٧) البخاري، ك الفضائل رقم (٣٧٥٢).

الحسن وهو يقول: بأبي شبيه بالنبي ليس شبيهًا بعلي، وعلي يضحك[٣٩٨]، فكونه رضي الله عنه شبه جده المصطفى (ﷺ) في الخلق منقبة عظيمة له وفضيلة ظاهرة[٣٩٩].

**٢- الحسين بن علي رضي الله عنه:** هو أبو عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب، سبط رسول الله (ﷺ)، وريحانته ومحبوبه، ابن بنت رسول الله فاطمة رضي الله عنها، كان مولده سنة ٤هـ، وقيل غير ذلك ومات رضي الله عنه قتيلاً شهيدًا في يوم عاشوراء من شهر المحرم سنة إحدى وستين هجرية بكربلاء من أرض العراق فرضي الله عنه وأرضاه[٤٠٠]، وقد وردت في مناقبه وفضائله أحاديث كثيرة منها:

(أ) ما رواه أحمد بإسناده إلى يعلى العامري رضي الله عنه أنه خرج مع رسول الله (ﷺ) -يعني إلى طعام- دعوا له قال: فاستمثل رسول الله (ﷺ) زمام القوم، وحسين مع غلمان يلعب، فأراد رسول الله (ﷺ) أن يأخذه فطفق الصبي يفر هنا مرة وها هنا مرة، فجعل النبي يضاحكه حتى أخذه قال: فوضع إحدى يديه تحت قفاه والأخرى تحت ذقنه ووضع فاه وقبله وقال: «حسين مني وأنا من حسين، اللهم أحب من أحب حسينًا، حسين سبط من الأسباط»[٤٠١]، وفي ذلك منقبة ظاهرة للحسين رضي الله عنه، إذ حث على محبته وكأنه (ﷺ) علم بنور الوحي ما سيحدث بينه وبين القوم فخصه بالذكر وأكد على وجوب المحبة وحرمة التعرض والمحاربة، وأكد ذلك بقوله: «أحب الله من أحب حسينًا»، فإن محبته تؤدي لمحبة رسول الله (ﷺ) ومحبة الرسول محبة لله[٤٠٢].

(ب) ومنها ما رواه البخاري بإسناده إلى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أتى عبيد الله ابن زياد[٤٠٣] برأس الحسين عليه السلام فجعل في طست فجعل ينكث وقال في حسنه شيئًا فقال أنس: كان أشبههم برسول الله (ﷺ) وكان مخضوبًا بالوسمة[٤٠٤][٤٠٥].

(ج) وفي رواية أخرى عن أنس أيضًا قال: لما أتى عبيد الله بن زياد برأس الحسين جعل ينكث بالقضيب ثناياه ويقول: لقد كان -أحسبه قال- جميلاً فقلت: والله لأسوأنك إني رأيت رسول الله (ﷺ) يلثم حيث يقع قضيبك، قال: فانقبض[٤٠٦].

فالحديثان يدلان على فضل الحسين رضي الله عنه وأنه كان أشبه أهل البيت به، ولكن قد يرد إشكال ولا سيما أنه قد تقدم في فضائل الحسن، أنه لم يكن أحد أشبه برسول الله

(٣٩٨) البخاري رقم (٣٧٥٠).
(٣٩٩) العقيدة في أهل البيت ص (١٤٧).
(٤٠٠) البداية والنهاية (٨/ ١٥٢)، الإصابة (١/ ٣٣١، ٣٣٤).
(٤٠١) فضائل الصحابة رقم (١٣٦١) إسناده حسن.
(٤٠٢) تحفة الأحوذي (١٠/ ٢٧٩).
(٤٠٣) قتل عبيد الله عام (٦٧هـ)، الإعلام(٤/ ١٩٣).
(٤٠٤) الوسمة بكسر السين وقد تسكن نبت وقيل: شجر باليمن يخضب بورقه الشعر.
(٤٠٥) البخاري رقم (٣٧٤٨).
(٤٠٦) فضائل الصحابة (٢/ ٩٨٥) رقم (١٣٩٧) إسناده حسن، مجمع الزوائد (٩/ ١٩٥).

(ﷺ) من الحسن بن علي، فيحدث التعارض، وقد أزال الإشكال والتعارض ابن حجر (رحمه الله) حيث جمع بينهما فقال: ويمكن الجمع بأن يكون أنس قال ما وقع في رواية الزهري في حياة الحسن لأنه يومئذ كان أشد شبهًا بالنبي (ﷺ) من أخيه الحسين وأما ما وقع في رواية ابن سيرين فكان بعد ذلك كما هو ظاهر من سياقه أو المراد بمن فضل الحسين عليه في الشبه ما عدا الحسن، ويحتمل أن يكون كل منهما أشد شبهًا في بعض أعضائه، فقد روى الترمذي وابن حبان من طريق هاني بن هاني عن علي قال: الحسن أشبه النبي (ﷺ) ما بين الرأس إلى الصدر والحسين أشبه النبي ما كان أسفل من ذلك(٤٠٧)، فهذه بعض الأحاديث الواردة في الحسين رضي الله عنه وأرضاه.

٣- ما ورد من أحاديث في مناقب مشتركة بين الحسن والحسين رضي الله عنهما:

(أ) ما رواه البخاري بإسناده إلى ابن عمر قد سأله رجل من العراق عن المحرم يقتل الذباب، فقال رضي الله عنه: أهل العراق يسألون عن الذباب وقد قتلوا ابن ابنة رسول الله (ﷺ) وقال النبي (ﷺ): «**هما ريحانتاي من الدنيا**»(٤٠٨).

قال ابن حجر: والمعنى، أنهما مما أكرمني الله وحباني به، لأن الأولاد يشمون ويقبلون فكأنهم من جملة الرياحين(٤٠٩).

(ب) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): «**من أحبهما فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني**» يعني الحسن والحسين(٤١٠).

(ج) وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما أن رسول الله (ﷺ) أبصر حسنًا وحسينًا فقال: «**اللهم إني أحبهما فأحبهما**»(٤١١).

(د) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله (ﷺ): «**الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة**»(٤١٢).

(هـ) عن عبد الله بن بريدة قال: سمعت أبي -بريدة- يقول: كان رسول الله (ﷺ) يخطبنا فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله (ﷺ) من المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه، ثم قال: «**صدق الله ورسوله: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥]، نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما**»(٤١٣).

---

(٤٠٧) فضائل الصحابة رقم (١٣٦٦) إسناده صحيح.
(٤٠٨) البخاري رقم (٣٧٥٣).
(٤٠٩) فتح الباري (١٠/٤٢٧).
(٤١٠) صحيح سنن أبي داود (٢/٢٩)، فضائل الصحابة رقم (١٣٥٩).
(٤١١) صحيح سنن الترمذي (٣/٢٢٦)، سنن الترمذي رقم (٣٧٨٢).
(٤١٢) مجمع الزوائد (٩/١٨٤)، وصححه الألباني في الأحاديث الصحيحة (٢/٤٤٨).
(٤١٣) فضائل الصحابة رقم (١٣٥٨) إسناده صحيح.

(و) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله (ﷺ) كان يعوذ الحسن والحسين: «**أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة، هكذا كان إبراهيم يعوذ ابنيه إسماعيل وإسحاق**»(٤١٤). وهذا الحديث لا يتعارض مع ما رواه سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: سمعت النبي (ﷺ) يقول: «**لا هامة**»(٤١٥) وما رواه أبو هريرة عن رسول الله في قوله: «**لا هام لا هام**»(٤١٦)، وقوله (ﷺ): «**لا عدوى ولا صفر ولا هامة**»(٤١٧)، فقد أجاب أبو جعفر الطحاوي بقوله: ففي هذه الأحاديث نفيه الهامة ونفي وجودها، فكيف يجوز أن يعوذهما من معدوم؟ فكان جوابنا له بتوفيق الله (عز وجل) وعونه: أن الهامة التي عوذهما (ﷺ) منها هي هوام الأرض التي يخاف غوائلها، والهامة التي نفاها هي خلافهما، وهي ما كانت العرب تقوله في موتها، إنها كانت تقول: فمن ذلك ما رثى به لبيد أخاه أربد(٤١٨) بقوله:

**فليس الناس بعدك من نقير ... ولا هم غير أصداء وهام**

ومن ذلك قول شعر أبي داود الإيادي:

**سلط الموت والمنون عليهم ... فلهم في صدى المقابر هام**

فنفى رسول الله (ﷺ) ذلك في حديث أبي هريرة الذي رويناه، وأما الهامة التي عوذ منها حسنًا وحسينًا، فهي موجودة، وهي هوام الأرض المخوفة وهي مشددة الميم، والهامة التي نفاها مخففة الميم، فليست منها في شيء(٤١٩).

**سادسًا: حديث الكساء ومفهوم أهل البيت:**

حديث الكساء روته عائشة رضي الله عنها(٤٢٠)، قالت: خرج النبي (ﷺ) غداة وعليه مرط مرحل «وهو الكساء» فأدخل عليًا وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم، ثم قال: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾(٤٢١) [الأحزاب: ٣٣].

وهذا يبين لنا من كذب أن الصحابة يكتمون فضائل علي، فهذه عائشة التي يدعون أنها تبغض عليًا هي التي تروي هذا الفضل لعلي وفاطمة(٤٢٢).

إن الخطاب في الآيات الكريمة كله لأزواج النبي (ﷺ) حيث بدأ بهن وختم بهن قال

---

(٤١٤) البخاري رقم (٣٣٧١).
(٤١٥) صحيح ابن حبان رقم (٦١٢٧) إسناده قوي، الطبراني (١١٧٦٤).
(٤١٦) شرح مشكل الآثار (٧/ ٣٢٨) إسناده صحيح.
(٤١٧) مسلم رقم (٢٢٢٠).
(٤١٨) شرح مشكل الآثار (٧/ ٣٢٩).
(٤١٩) المصدر نفسه (٧/ ٣٣٠).
(٤٢٠) مسلم رقم (٢٤٠٨) ك فضائل الصحابة.
(٤٢١) مسلم رقم (٢١٦٧) ك الزكاة.
(٤٢٢) حقبة من التاريخ ص (١٨٧).

(تعالى): ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً * وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا * يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا * وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا * يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا * وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا * وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٨- ٣٤]. فالخطاب كله لأزواج النبي (ﷺ) ومعهن الأمر والنهي والوعد والوعيد، لكن لما تبين في هذا من المنفعة التي تعمهن وتعم غيرهن من أهل البيت جاء التطهير بضمير المذكر لأنه إذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر، حيث تناول أهل البيت كلهم، وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم أخص من غيرهم بذلك؛ لذلك خصهم النبي (ﷺ) بالدعاء لهم، كما أن أهل بيت النبي (ﷺ) يتعدى عليًا والحسن والحسين وفاطمة إلى غيرهم، كما في حديث زيد بن أرقم وأنه لما قيل له: نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته الذين حرموا الصدقة وهم آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس[٤٢٣]، إذا اتسع مفهوم أهل بيت النبي (ﷺ) إلى أكثر من ذلك فهم نساؤه بدليل الآية، ويشمل أيضًا عليًا وفاطمة والحسن والحسين كحديث الكساء وبحديث زيد بن أرقم، وآل عباس بن عبد المطلب، وآل عقيل بن أبي طالب وآل جعفر بن أبي طالب بدليل حديث زيد بن أرقم وآل الحارث بن عبد المطلب[٤٢٤]، وسيأتي الحديث عن الآية الكريمة مفصلاً عند مناقشتنا للشيعة بإذن الله (تعالى).

**سابعًا: ما يخص آل رسول الله من الأحكام:**

**١- تحرم عليهم الزكاة:**

لحديث عبد المطلب بن ربيعة أن النبي (ﷺ) قال: «**إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد إنما هي أوساخ الناس**»[٤٢٥].

**٢- لا يرثون رسول الله (ﷺ):**

لحديث أبي بكر قال: قال رسول الله (ﷺ): «**لا نورث ما تركنا صدقة**»[٤٢٦]. وقد روى هذا الحديث أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف والعباس بن عبد المطلب وأزواج النبي (ﷺ) وأبو هريرة ، كما نص على ذلك ابن تيمية،

(٤٢٣) مسلم رقم (١٠٧).
(٤٢٤) مسلم ك الزكاة رقم (١٦٧).
(٤٢٥) (مسلم رقم (١٠٧٢).
(٤٢٦) البخاري رقم (٣٠٩٣)، مسلم (٢٧٥٧).

وهي ثابتة عنهم في الصحاح والمسانيد(٤٢٧).

**٣- لهم خمس الخمس في الغنيمة(٤٢٨) والفيء(٤٢٩):**

قال (تعالى): ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنفال: ٤١].

وقال (تعالى): ﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ﴾ [الحشر: ٧].

**٤- الصلاة عليهم مع النبي (ﷺ):**

عن كعب بن عجرة قال: سألنا رسول الله (ﷺ) فقلنا: يا رسول الله، كيف الصلاة عليكم أهل البيت؟ فإن الله قد علمنا كيف نسلم، قال: : «قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد. اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد»(٤٣٠).

**٥- لهم مودة خاصة:**

ويتمثل هذا فيما رواه زيد بن أرقم عن النبي (ﷺ): «أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»(٤٣١).

قال القرطبي: وهذه الوصية، وهذا التأكيد العظيم يقتضي وجوب احترام أهله وإبرارهم وتوقيرهم ومحبتهم، وجوب الفروض المؤكدة التي لا عذر لأحد في التخلف عنها(٤٣٢)، وقد فهم وصية النبي (ﷺ) بأهل بيته حق الفهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فأحبهم وأكرمهم ودعا الناس إلى إكرامهم ومحبتهم، فقد روى البخاري بإسناده إلى أبي بكر رضي الله عنه ، أنه قال: ارقبوا محمدًا (ﷺ) في أهل بيته(٤٣٣).

فهذا خطاب من الصديق رضي الله عنه ووصيه منه للناس في حفظ حقوق آل بيت النبي (ﷺ)، فالمراقبة للشيء المحافظة عليه، ومعنى قول الصديق: احفظوه فيهم فلا تؤذوهم ولا تسيئوا إليهم(٤٣٤)، وقال النووي: ومعنى «ارقبوا» راعوه واحترموه وأكرموه(٤٣٥)،وقد أكد

---

(٤٢٧) منهاج السنة (٤/ ١٩٥)، البداية والنهاية (٥/ ٢٥٢).
(٤٢٨) ما أصيب أموال أهل الحرب وأوجف عليه المسلمون بالخيل والركاب، النهاية (٣/ ٣٨٩).
(٤٢٩) ما حصل للمسلمين من أموال الكفار من غير حرب ولا جهاد، النهاية (٣/ ٤٨٢).
(٤٣٠) البخاري رقم (٣٣٧٠)، مسلم رقم (٤٠٦). (٤٣١) مسلم رقم (٢٤٠٨).
(٤٣٢) فيض القدير للمناوي (٣/ ١٤). (٤٣٣) البخاري رقم (٧١٣).
(٤٣٤) فتح الباري (٧/ ٩٧).
(٤٣٥) العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط ص(١٧٥).

رضي الله عنه تلك الحقوق بما قاله لعلي رضي الله عنه: والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله (ﷺ) أحب إلي أن أصل من قرابتي[٤٣٦]، و محبة أهل البيت من أصول السنة والجماعة، يقول ابن تيمية: وإن من أصول أهل السنة والجماعة أنهم يحبون أهل بيت النبي (ﷺ) ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله (ﷺ)[٤٣٧]، وقال القاضي عياض: إن من علامات محبته (ﷺ) محبته لمن أحب النبي (ﷺ)، ومن هو بسببه من آل بيته وصحابته من المهاجرين والأنصار رضوان الله عليهم أجمعين فمن أحب شيئًا أحب من يحبه[٤٣٨]، وقال ابن كثير: ولا ننكر الوصاية بأهل البيت والأمر بالإحسان إليهم واحترامهم وإكرامهم، فإنهم من ذرية طاهرة من أشرف بيت وجد على وجه الأرض فخرًا وحسبًا ونسبًا، ولا سيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجلية، فكانوا من أهل الحق كما كان عليه سلفهم كالعباس وبنيه، وعلي وأهل بيته وذريته رضي الله عنهم أجمعين[٤٣٩].

**ثامنًا: علي رضي الله عنه في غزوة أحد:**

في غزوة أحد بدأ القتال بمبارزة بين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وطلحة بن عثمان، وكان بيده لواء المشركين، وطلب المبارزة مرارًا، فخرج إليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال له علي: والذي نفسي بيده لا أفارقك حتى يعجلك الله بسيفي إلى النار أو يعجلني بسيفك إلى الجنة، فضربه علي، فقطع رجله فوقع على الأرض فانكشفت عورته فقال: يا ابن عمي أنشدك الله والرحم فرجع عنه ولم يجهز عليه، فكبر رسول الله وقال لعلي بعض أصحابه: أفلا أجهزت عليه؟ قال: إن ابن عمي ناشدني الرحم حين انكشفت عورته فاستحييت منه[٤٤٠].

وكان رضي الله عنه بعد الالتحام في ميمنة الجيش أخذ الراية بعد مقتل مصعب بن عمير رضي الله عنه، وفي هذه المعركة قتل من المشركين خلقًا كثيرًا، رغم ما أصاب المسلمين من الشدة في هذه الغزوة، إضافة إلى بلائه في الدفاع عن رسول الله (ﷺ)[٤٤١]، وكان علي رضي الله عنه هو الذي أخذ بيد رسول الله (ﷺ) حينما وقع في الحفرة يوم أحد[٤٤٢]، لقد استشهد في تلك الغزوة عدد كبير من خيرة المهاجرين والأنصار، وتركت حزنًا عميقًا في نفس الرسول (ﷺ)، كما أصاب العدو من الرسول الكريم، فأدموا وجهه الشريف، فقامت ابنته فاطمة وزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنهما بمداواة جراحه، وإيقاف الدم الذي كان ينزف على وجهه ولحيته عليه الصلاة والسلام[٤٤٣].

---

(٤٣٦) البخاري رقم (٣٧١٢).
(٤٣٧) مجموع الفتاوي(٣/ ٤٠٧).
(٤٣٨) الشفاء (٢/ ٥٧٣).
(٤٣٩) تفسير القرآن العظيم(٤/ ١١٣).
(٤٤٠) السيرة الحلبية (٢/ ٤٩٧، ٤٩٨).
(٤٤١) البداية والنهاية (٧/ ٢٢٤).
(٤٤٢) السيرة النبوية لابن هشام(٣/ ٨٩).
(٤٤٣) البخاري رقم (٤٠٧٥).

وظهرت شجـاعة علي رضي الله عنه في تلك المعركة، فعندمـا أشيع أن الرسول (ﷺ) قتل، وافتقده علي، رأى أن الحياة لا خير فيـها بعده، فكسر جفن سيفه، وحمل على القوم حتى أفـرجوا له، فـإذا برسول الله (ﷺ) [٤٤٤]، فثـبت معه ودافع عنه دفـاع الأبطال، وقد أصابته ست عشرة ضربة في ذلك اليوم[٤٤٥].

وبعد انسـحاب جيش المشـركين من أرض المعركـة أرسل رسول الله (ﷺ) علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد الغزوة مباشرة، وذلك لمعرفة اتجاه العدو، فقال له: «**اخرج في آثار القوم وانظر ماذا يصنعون وما يريدون، فإن كـانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة،وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فهم يريدون المدينة، والذي نفسي بيده إن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ثم لأناجزنهم**»، قال علي: فخرجت في أثرهم ماذا يصنعون فجنبوا الخيل وامتطوا الإبل ووجهوا إلى مكة، فخرج علي رضي الله عنه،وأخبر رسول الله بخبر القوم[٤٤٦]، وفي هذا الخبر عدة دروس وعبر منها:

- شجاعة النبي (ﷺ)، حيث كان داخل صفوف المشركين ولم يصل إليه سيدنا علي إلا بعد جهد جهيد، فوجد رسول الله (ﷺ) في قلب العدو يقاتلهم حتى أصيب بعدة جروح.

-يقظة الرسول (ﷺ)، ومـراقبته الدقـيقة لتـحركات العدو، وقـدرته (ﷺ) على تقدير الأمور، وتحليل تصرفات الخصم ومنها ما يترتب عليها من قرارات.

- ظهور قوته المعنوية العالية ويظهر ذلك في استعداده لمقاتلة المشركين لو أرادوا المدينة.

- وفيه ثقة النبي (ﷺ) بعلي رضي الله عنه ومعرفته بمعادن الرجال.

- المروءة ومكارم الأخلاق عند علي عـندما رجع عن خصمـه بعدما انكشـفت عورته، وإقرار رسول الله له، وهذا العمل يعلمنا قيمة التعامل الأخلاقي كيف تكون حتى مع الخصم وحتى في ساحة المعركة.

-وجوب التضحية في سبيل الله، وأنه بهذه الروح ينتصر الإسلام في الحياة وينال الشهيد الجنة، وهذا ما أثبته لنا بعض المهاجرين والأنصار في هذه المعركة وغيرها.

- وجـوب الأخذ بسنة الأسـبـاب ، وظهر هذا عنـدما وضع رسـول الله (ﷺ) بعض الصحابة على جبل أحد ، فعصوه ونزلوا وكان هذا من أسباب الهزيمة.

- وفيـه شجاعـة علي رضي الله عنه، لأن هذا الجيش لو أبصـره ما تورع في مـحاولة قتله[٤٤٧].

---

(٤٤٤) مسلم شرح النووي (١٢/١٤٨).

(٤٤٥) مسند أبي يعلى (١/ ٤١٥، ٤١٦) إسناده حسن، خلافة علي بن أبي طالب، عبـد الحميد فـقيهي ص(٣٩).

(٤٤٦) البداية والنهاية (٤/ ٤١).

(٤٤٧) المصدر نفسه، السيرة النبوية للصلابي(٢/ ١٤٥) غزوة أحد لأبي فارس ص(٩٥، ٩٦).

**تاسعًا: علي رضي الله عنه في غزوة بني النضير:**

يرى المحققون من المؤرخين أن غزوة بني النضير كانت بعد أحد في ربيع الأول من السنة الرابعة من الهجرة، وقد رد ابن القيم على من زعم أن غزوة بني النضير بعد بدر بستة أشهر بقوله: وزعم محمد بن شهاب الزهري: أن غزوة بني النضير كانت بعد بدر بستة أشهر، وهذا وهم منه أو غلط عليه، بل الذي لا شك فيه أنها بعد أحد والذي كانت بعد بدر بستة أشهر هي غزوة بني قينقاع، وقريظة بعد الخندق، وخيبر بعد الحديبية[٤٤٨]، وقال ابن العربي: والصحيح أنها بعد أحد[٤٤٩]، وإلى هذا الرأي ذهب كثير[٤٥٠]، ففي هذه الغزوة فقد الصحابة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ذات ليلة فقال النبي (ﷺ): «**إنه في بعض شأنكم**»، فعن قليل جاء برأس عزوك، وقد كمن له حتى خرج في نفر من اليهود يطلب غرة من المسلمين، وكان شجاعًا راميًا، فشد عليه علي رضي الله عنه فقتله، وفر اليهود[٤٥١].

**عاشرًا: علي رضي الله عنه في غزوة حمراء الأسد:**

تعتبر هذه الغزوة مكملة لغزوة أحد، فقد عاد المسلمون من أحد مساء السبت الخامس عشر من شوال من السنة الثالثة للهجرة، وما أن أصبح الصباح وخرج الناس من صلاة الفجر إلا وأذن مؤذن رسول الله بالتهيؤ على جناح السرعة لمطاردة العدو، وألا يخرج مع الناس إلا من شهد أحدًا، فاستجاب الناس لنداء رسول الله (ﷺ) مع ما بهم من جراحات وتعب، وكان في مقدمتهم رسول الله (ﷺ)، ولم يسمح لعبد الله بن أبي بالخروج معه، ولا لأحد لم يشهد أحدا إلا جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الذي استشهد أبوه في أحد، وكان قد منعه من الاشتراك في بدر وأحد ليبقى عند أخواته البنات.

وخرج الجيش وفي مقدمتهم رسول الله، ويحمل اللواء -لواء أحد نفسه- علي بن أبي طالب[٤٥٢]، ووصل المسلمون بقيادة رسولهم الكريم (ﷺ) إلى حمراء الأسد التي تبعد عن المدينة ثلاثة عشر ميلاً، حيث حطوا الرجال فيها، وقد أدهشت هذه الحركة اليهود والمنافقين لما فيها من جرأة وشجاعة، وأيقنوا أن الروح المعنوية عالية، وأنهم لو هزموا لما عملوا على مطاردة قريش[٤٥٣]، كما أن في خروج النبي (ﷺ) إلى حمراء الأسد إشارة نبوية إلى أهمية

---

(٤٤٨) زاد المعاد (٣/ ٢٤٩).

(٤٤٩) أحكام القرآن لابن العربي(٤/ ١٧٦٥).

(٤٥٠) حديث القرآن عن الغزوات (١/ ٢٥٤).

(٤٥١) إمتاع الأسماع للمقريزي (١/ ١٨٠).

(٤٥٢) وقد حمل علي بن أبي طالب لواء رسول الله في غزوة الكدر لبني سليم بعد عودته إلى المدينة بسبع ليال من غزوة بدر.

(٤٥٣) علي بن أبي طالب، أحمد السيد الرفاعي ص(١ -١٠)، تاريخ الإسلام للذهبي، المغازي ص(٢٢٦).

استعمال الحرب النفسية للتأثير على معنويات الخصوم، خرج (ﷺ) بجنوده إلى حمراء الأسد ومكث فيها ثلاثة أيام، وأمر بإيقاد النيران ، فكانت تشاهد من مكان بعيد وملأت الأرجاء بأنوارها حتى خيل لقريش أن جيش المسلمين ذو عدد كبير لا طاقة لهم به، فانصرفوا وقد ملأ الرعب أفئدتهم(٤٥٤).

قال ابن سعد: ومضى رسول الله (ﷺ) بأصحابه حتى عسكروا بحمراء الأسد ، وكان المسلمون يوقدون تلك الليالي خمسمائة نار حتى ترى من المكان البعيد ، وذهب صوت معسكرهم ونيرانهم في كل وجه فكبت الله (تعالى) بذلك عدوهم(٤٥٥)، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحرب الباردة وسجلها المولى (عز وجل) في كتابه في معرض الثناء على الصحابة: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِلّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَاتَّقَواْ أَجْرٌ عَظِيمٌ * الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللّهِ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ * إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٢- ١٧٥].

**الحادي عشر: علي رضي الله عنه وموقفه من حادثة الإفك:**

ورد في حديث الإفك الذي اتهم فيه المنافقون عائشة رضي الله عنها به، أن رسول الله (ﷺ) استدعى عليًا وأسامة واستشارهما في فراق أهله، لما كثر القول وأقلق النبي (ﷺ) ، واستلبث الوحي، فأما أسامة، فأشار عليه بالذي يعلم من براءتها، فقال: يا رسول الله أهلك، ولا نعلم إلا خيرًا، وأما علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك(٤٥٦)، قالت: فدعا رسول الله (ﷺ) بريرة فقال: «**أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك؟**» قالت بريرة: لا والذي بعثك بالحق إن رأيت عليها أمرًا أغمصه(٤٥٧) عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها، فتأتي الداجن(٤٥٨)، فتأكله، فقام رسول الله ، فاستعذر(٤٥٩) يومئذ من عبد الله بن أبي ابن سلول قالت: فقال رسول الله (ﷺ) وهو على المنبر: «**يا معشر المسلمين ، من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرًا، ولقد ذكروا رجلاً(٤٦٠)، ما علمت عليه إلا خيرًا وما كان يدخل على أهلي إلا معي**»(٤٦١).

---

(٤٥٤) غزوة أحد لأبي فارس ص(٥١).
(٤٥٥) الطبقات لابن سعد (٢/ ٤٩).
(٤٥٦) البخاري رقم (٤٧٥٠).
(٤٥٧) أغمصه: أي أعيبها به وأطعن بها عليه.
(٤٥٨) الداجن هي الشاة التي يعلفها الناس في منازلهم.
(٤٥٩) فاستعذر : أي قام من يقوم بعذري إن كافأته على سوء صنيعه.
(٤٦٠) هو صفوان بن معطل السلمي.
(٤٦١) البخاري رقم (٤٧٥٠).

إن الكلام الذي قاله علي إنما حمله عليه ترجيح جانب النبي، لما رأى عنده من القلق والغم بسبب القول الذي قيل، وكان شديد الغيرة، فرأى علي رضي الله عنه في بادئ الأمر أنه إذا فارقها سكن ما عنده من القلق بسببها إلى أن يتحقق براءتها، فيمكن رجعتها، ويستفاد منه ارتكاب أخف الضررين لذهاب أشدهما(٤٦٢).

قال النووي : رأى علي أن ذلك هو المصلحة في حق النبي (ﷺ) ، واعتقد ذلك لما رأى من انزعاجه، فبذل جهده في النصيحة ، لإرادة راحة خاطره (ﷺ) (٤٦٣)، كما أن عليًا رضي الله عنه لم ينل عائشة رضي الله عنها بأدنى كلمة يفهم منها أنه عرض بأخلاقها، أو تناولها بسوء(٤٦٤)، بل كان رأيه خيرًا لها، فهو يقول: إن أردت أن ترتاح من المشكلة فإن غيرها كثير، وإن أردت الوصول للحقيقة فاسأل الجارية توصلك إليها عن براءة عائشة، ثم بعد ذلك خطب رسول الله الناس وبين براءة عائشة، وخطورة من يخوض في عرضه ظلمًا وزورًا وقد بدت نصيحة علي وأسامة بن زيد معًا إيجابيتان ، وفي صالح عائشة رضي الله عنها، فقد ازداد النبي (ﷺ) قناعة بما علم من خير في أهله(٤٦٥).

وعلى القارئ الكريم أن يحذر من الروايات الباطلة ساقطة الاعتبار التي تزعم بإساءة علي إلى عائشة في أمر الإفك والتي بني عليها بعض الباحثين بأن ذلك جعل عائشة تغضب من علي رضي الله عنه وتحقد عليه وتتهمه زورًا بقتل عثمان، وتخرج عليه مؤلبة عليه الأعداد الهائلة من المسلمين(٤٦٦)، ومن أمثال هؤلاء الباحثين، علي إبراهيم حسن في «التاريخ الإسلامي العام»، وطه حسين في كتابه: «علي وبنوه»(٤٦٧) وغيرهم وسوف نتحدث عن العلاقة المتينة بين أم المؤمنين عائشة وعلي بإذن الله عند حديثنا عن موقعة الجمل، لقد كانت قصة الإفك حلقة من سلسلة فنون الإيذاء والمحن التي لقيها رسول الله (ﷺ) من أعداء الدين، وكان من لطف الله (تعالى) بنبيه وبالمؤمنين أن كشف الله زيفها وبطلانها، وسجل التاريخ بروايات صحيحة مواقف المؤمنين من هذه الفرية، وهي مواقف يتأسى بها المؤمنون عندما تعرض لهم في حياتهم مثل هذه الفرية، فقد انقطع الوحي، وبقيت الدروس لتكون عبرة وعظة للأجيال إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها(٤٦٨)،وقد تحدثت في كتابي «السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث» عن الدروس والعبر والآداب والأحكام التي تؤخذ من حادثة الإفك(٤٦٩).

---

(٤٦٢) دور المرأة السياسي ، ص(٤٦٢).
(٤٦٣) صحيح مسلم بشرح النووي (٥/ ٦٣٤).
(٤٦٤) دور المرأة السياسي ، أسماء محمد زيادة ص(٤٦٢).
(٤٦٥) المصدر نفسه ص(٤٦٣).
(٤٦٦) من أراد التوسع في حادثة الإفك فليراجع السيرة النبوية للصلابي (٢/ ٩٢٦).
(٤٦٧) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد ص(٥٤).
(٤٦٨) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ص(٤٤٠).
(٤٦٩) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث (٣/ ٢٤٢ - ٢٥٥).

## المبحث السادس: أهم أعمال علي رضي الله عنه ما بين الأحزاب إلى وفاة النبي (ﷺ)

**أولا: علي رضي الله عنه في غزوة الأحزاب:**

كان موقف أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في الأحزاب بطوليًا رائعًا ينم عن مدى رسوخ العقيدة في قلوب أصحاب النبي (ﷺ)، والدعوة إليها، والموت في سبيلها، والبراءة ممن خالفها، قال ابن إسحاق: وخرج علي بن أبي طالب في نفر من المسلمين بعد أن اقتحمت خيل المشركين ثغرة في الخندق، حتى أخذوا عليهم الثغرة التي اقتحموا منها خيلهم، وأقبلت الفرسان تعدو نحوهم، وكان عمرو بن عبد ود قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراح، فلم يشهد يوم أحد، فلما كان يوم الخندق خرج معلمًا ليرى مكانه فلما وقف هو وخيله قال: من يبارز؟ فبرز له علي بن أبي طالب فقال له: يا عمرو إنك قد كنت عاهدت الله ألا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها منه، قال له: أجل، قال له علي: فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام، قال: لا حاجة لي بذلك، قال: فإني أدعوك إلى النزال، فقال له: لم يا ابن أخي؟ فوالله ما أحب أن أقتلك، قال له علي: لكن والله أحب أن أقتلك، فحمي عمرو عند ذلك، فاقتحم عن فرسه، فعقرها، وضرب وجهه، ثم أقبل على علي، فتنازلا وتجاولا فقتله علي رضي الله عنه، وخرجت خيلهم منهزمة، حتى اقتحمت من الخندق هاربة[٤٧٠].

وقد ذكر ابن كثير ما رواه البيهقي في «دلائل النبوة» من أشعار قالها عمرو بن عبد ود وعلي رضي الله عنه، فقد قال عمرو لما خرج للمبارزة:

ولقد بححت من النداء ... لجمعهم هل من مبارز
ووقفت إذ جبن المشجع ... موقف القرن المناجز
ولذاك إني لم أكن ... متسرعًا قبل الهزاهز
إن الشجاعة في الفتى ... والجود من خير الغرائز

فعندما خرج له علي رضي الله عنه قال:

لا تعجلن فقد أتاك ... مجيب صوتك غير عاجز
في نية وبصيرة ... والصدق منجي كل فائز
إني لأرجو أن أقيم ... عليك نائحة الجنائز
من ضربة نجلاء يبقى ... ذكرها عند الهزاهز[٤٧١]

(٤٧٠) السيرة النبوية لابن هشام (٣/٢٤٨).
(٤٧١) نجلاء: واسعة -الهزاهز: الحروب والشدائد.

ولما قتل علي رضي الله عنه عمرو بن ود ذكروا أنه قال من الشعر:

أعلي تقتحم الفوارس هكذا ... عني وعنهم أخروا أصحابي

اليوم يمنعني الفرار حفيظتي ... ومصمم في الرأس ليس بنابي[٤٧٢]

وألقى عكرمة رمحه يومئذ وهو منهزم عن عمرو، فقال حسان بن ثابت:

فر وألقى لنا رمحه ... لعلك عكرم لم تفعل

ووليت تعدو كعدو الظليم ... ما أن يحور عن المعدل

ولم تلو ظهرك مستأنسًا ... كأن قفاك قفا فرعل[٤٧٣]

وبعد مقتل عمرو بن ود بعث المشركون إلى رسول الله (ﷺ) يشترون جيفته بعشرة آلاف، فقال: ادفعوا إليهم جيفته، فإنه خبيث الجيفة، خبيث الدية، فلم يقبل منهم شيئًا. وقد حدث هذا والمسلمون في ضنك من العيش ومع ذلك فالحلال حلال والحرام حرام، إنها مقاييس الإسلام في الحلال والحرام، فأنى هذا من بعض المسلمين الذين يحاولون إيجاد المبررات لأكل الربا وما يشابهه؟[٤٧٤].

**ثانيًا: علي رضي الله عنه في غزوة بني قريظة:**

وكان فيها رضي الله عنه حامل راية رسول الله (ﷺ) في المقدمة[٤٧٥] إلى أن حكم فيهم سعد بن معاذ، وكانوا في بادئ الأمر لم ينزلوا على حكمه، قال ابن هشام: إن علي بن أبي طالب صاح وهم محاصرو بني قريظة: يا كتيبة الإيمان، وتقدم هو والزبير بن العوام، وقال: والله لأذوقن ما ذاق حمزة، أو لأقتحمن حصونهم، فقالوا: يا محمد ننزل على حكم سعد بن معاذ[٤٧٦]، وهكذا أنزل الله (تعالى) الرعب والخوف في قلوب أعداء العقيدة والدين، على لسان ذلك التقي النقي لما آتاه الله من حب الاستبسال والموت في سبيل عزة دين الله (تعالى)وقد نادى كتيبته بأحب الأسماء التي ينادي بها الله (تعالى) عباده، ألا وهي نداء الإيمان الذي يتجلى فيه صدق الاعتقاد، وصلاح العمل، وحب الجهاد في سبيله (تعالى)[٤٧٧].

ولما حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه أن تقتل مقاتلتهم، وأن تسبى النساء والذرية، وأن تقسم الأموال[٤٧٨]، فكان من الذين يباشرون القتل علي بن أبي طالب والزبير رضي الله

(٤٧٢) البداية والنهاية (٤/١٠٦).
(٤٧٣) الفرعل: صغار الضباع.
(٤٧٤) معين السيرة للشامي ص(٩٤).
(٤٧٥) السيرة النبوية لابن هشام (٣/٢٥٨).
(٤٧٦) البخاري رقم (١٤٢١). السيرة النبوية لابن هشام (٣/٢٦٣).
(٤٧٧) الخليفتان عثمان وعلي بين السنة والشيعة، أنور عيسى ص(٧٨).
(٤٧٨) السيرة النبوية لابن هشام (٣/٢٥٨)، البخاري رقم (١٤٢١).

عنهما[٤٧٩].

**ثالثاً: علي رضي الله عنه في صلح الحديبية وبيعة الرضوان:**

في غزوة الحديبية وقبل الصلح، خرج بعض العبيد (الأرقاء) من مكة إلى رسول الله (ﷺ)، فكتب إليه مواليهم بإرجاعهم، فرفض رسول الله (ﷺ) أن يرجعهم وقال: «**يا معشر قريش لتنتهن أو ليبعثن الله عليكم من يضرب رقابكم بالسيف على الدين، قد امتحن الله قلبه على الإيمان**» ،فسأله الصحابة بتلهف: من هو يا رسول الله؟ وكلهم يرجو أن يفوز هو بهذه الشهادة العظيمة من رسول الله (ﷺ)، فقال عليه الصلاة والسلام: «**هو خاصف النعل**» ،وكان قد أعطى عليا يخصفها[٤٨٠]،ولما تم الصلح بين المسلمين ومشركي قريش، كتب علي كتابًا بينهم قال: فكتب: محمد رسول الله، فقال المشركون: لا تكتب محمد رسول الله، لو كنت رسول الله لم نقاتلك. فقال لعلي: «**امحه**» قال: ما أنا بالذي أمحه. فمحاه رسول الله (ﷺ) بيده، فصالحهم على أن يدخل هو وأصحابه ثلاثة أيام، ولا يدخلها إلا بجلبان[٤٨١] السلاح[٤٨٢]،وقد امتنع علي رضي الله عنه من محو كلمة (رسول الله) بدافع محبته لرسول الله (ﷺ) وتعظيمه[٤٨٣]،وقد طعن الروافض الغلاة في موقف الصحابة وعمر بن الخطاب رضي الله عنهم في الحديبية، وذكروا من مراجعة عمر للنبي (ﷺ) في أمر الصلح، وكذلك تأخر الصحابة في بداية الأمر عن النحر والحلق حتى نحر رسول الله (ﷺ) وحلق.

ولا مطعن في شيء من هذا في أصحاب رسول الله (ﷺ) لا عمر ولا غيره من الصحابة الذين شهدوا الحديبية، وبيان ذلك، أن الرسول قد رأى في المنام أنه دخل مكة وطاف بالبيت، فأخبر أصحابه بذلك وهو في المدينة، فلما ساروا معه عام الحديبية لم يشك جماعة منهم أن هذه الرؤيا تتفسر هذا العام، فلما وقع أمر الصلح وفيه أن يرجعوا عامهم هذا، ثم يعودوا العام القادم شق ذلك على أصحاب رسول الله[٤٨٤]، فجعل عمر رضي الله عنه على ما عرف به من القوة في الحق والشدة فيه يسأل رسول الله (ﷺ) ويراجعه في الأمر، ولم تكن أسئلته التي سألها رسول الله لشك في صدق الرسول (ﷺ) ، أو اعتراض عليه، ولكن كان مستفصلا عما كان متقرراً لديه، من أنهم سيدخلون مكة ويطوفون بالبيت، وأراد بذلك أن يحفز رسول الله (ﷺ) على دخول مكة، وعدم الرجوع إلى المدينة، لما يرى في ذلك من عز لدين الله وإرغام للمشركين[٤٨٥].

---

(٤٧٩) إمتاع الأسماع للمقريزي (١/ ٢٤٧).

(٤٨٠) مرويات غزوة الحديبية، حافظ الحكمي ص(١٨٣) والحديث صحيح بمجموع طرقه، خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد علي ناصر ص(٣٠).

(٤٨١) الجلبان: شبه جراب من الأدم يوضع فيه السيف المغمود.

(٤٨٢) مسلم (٣/ ١٤٠٩)، خصائص علي للنسائي، تحقيق أحمد البلوشي ص(٢٠٣).

(٤٨٣) الانتصار للصحب والآل، للزحيلي ص(٢٦٢ إلى ٢٧٤).

(٤٨٤) البداية والنهاية(٤/ ١٧٠)، تاريخ الطبري (٢/ ٦٣٥). (٤٨٥) الانتصار للصحب والآل ص (٢٦٤).

قــال النووي: قال العلماء: لم يكن سؤال عمـر رضي الله عنه وكلامه المذكور شكًا بل طلبًا لكشف ما خفي عـليه، وحثًا على إذلال الكفار وظهور الإسلام، كـما عرف من خلقه رضي الله عنه وقوته في نصـر الدين وإذلال المبطلين(٤٨٦)، فعمر رضي الله عنه كان في هذا مجتهدًا حمله على هذا شدته في الحق، وقوته في نصرة الدين، والغيرة عليه، مع ما كان قد عودهم عليه رسول الله (ﷺ) من المشورة وإبداء الرأي، امتثالاً لأمر الله (تعالى): ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقد كان كثيرًا ما يستشيرهم ويأخذ برأيهم، كمـا استشارهم يوم بدر في الذهاب إلى العير، وأخـذ بمشورتهم، وشاورهم يوم أحد في أن يقـعد في المدينة أو يخـرج للعدو، فأشـار جمهـورهم بالخروج إليه فـخرج إليهـم، وشاورهم يوم الخندق في مـصالحة الأحـزاب بثلث ثمـار المدينة عامـئذ فأبى عـليه السعدان (سعد بن مـعاذ، وسعد بن عبادة) فترك ذلك، وشـاورهم يوم الحديبية أن يميل على ذراري المشـركين فقـال أبو بكر: إنا لم نجئ لقتـال، وإنما جئنا مـعتـمرين، فـأجابه إلـى ما قال(٤٨٧). في حوادث كثيرة يطول ذكرها ، فقد كان عمر رضي الله عنه يطمع أن يأخذ رسول الله (ﷺ) برأيه في مناجزة قريش وقتالهم ولهذا راجعه في ذلك، وراجع أبا بكر، فلما رأى اتفـاقهـما أمـسك عن ذلك وترك رأيه، فـعذره رسـول الله (ﷺ) لما يعلم من حـسن نيتـه وصدقه(٤٨٨).

أما توقف الصحابة عن النحر والحلق حتى نحـر رسول الله (ﷺ) وحلق، فليس معصية لأمر رســول الله (ﷺ)، وقد ذكر العلماء له عـدة توجيهـات: قال ابن حجر: قـيل: كأنهم توقفوا لاحتمـال أن يكون الأمر بذلك للندب، أو لرجاء نزول وحي بإبطال الصلح المذكور، أو تخصيصه بالإذن بدخولهـم مكة ذلك العام لإتمام نسكهم، وسوغ لهم ذلك لأنه كان زمان وقوع النسخ، ويحتمل أنهم ألهتهم صورة الحال فـاستغرقوا في الفكر لما لحقهم من الذل عند أنفسهم، مع ظهور قوتهم واقتدارهم في اعتقادهم على بلوغ غرضهم، وقضاء نسكهم بالقهر والغلبة، أو أخروا الامتثال لاعتقادهم أن الأمر المطلق لا يقتضي الفور، ويحتمل مجموع هذه الأمور لمجموعهم(٤٨٩).

وجاء في بعض الروايـات أن الرسول (ﷺ) لما رأى عدم امـتثالهم دخل عـلى أم سلمة فذكـر لها ذلك فـقالت: يا رسول الله لا تكلمـهم فإنهم دخلهم أمـر عظيم مما أدخلت على نفسك من المشقة في أمر الصلح ورجوعهم بغير فتح(٤٩٠)،فأشارت عليه كـما جاء في رواية البخاري: أن اخرج ثم لا تكلم أحدًا منهم كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحدًا منهم حتى فعل ذلك، نحـر بدنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك

(٤٨٦) شرح صحيح مسلم (١٢/ ١٤١).
(٤٨٧) تفسير ابن كثير(١/ ٤٢٠) عند تفسير قوله: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾.
(٤٨٨) الانتصار للصحب والآل (٢٦٦).
(٤٨٩) فتح الباري (٥/ ٣٤٧). (٤٩٠) فتح الباري (٥/ ٣٤٧).

قاموا فنحروا(٤٩١). **قال ابن حجر**: ويحتمل أنها فهمت عن الصحابة أنه احتمل عندهم أن يكون النبي (ﷺ) أمرهم بالتحلل أخذًا بالرخصة في حقهم، وأنه يستمر على الإحرام أخذًا بالعزيمة في حق نفسه، فأشارت عليه أن يتحلل لينتفي عنهم هذا الاحتمال، وعرف النبي (ﷺ) صواب ما أشارت به ففعله.. ونظير هذا ما وقع لهم في غزوة الفتح من أمره لهم بالفطر في رمضان، فلما استمروا على الامتناع، تناول القدح فشرب، فلما رأوه شرب فشربوا(٤٩٢). وهذا الوجه حسن، وهو اللائق بمقام أصحاب النبي (ﷺ) فإنهم كانوا على قدر كبير من تعظيم الإحرام والحرص على إكمال النسك، فلما أمرهم النبي (ﷺ) بالتحلل ولم يفعل، ظنوا أن الذي حمله على هذا هو الشفقة عليهم، كما كانت سيرته معهم، فكأنهم رضي الله عنهم آثروا التأسي به على ما رخص لهم فيه من التحلل، ثم لما رأوه قد تحلل أيقنوا أن هذا هو الأفضل في حقهم، فبادروا إليه، وهذا مثل ما حصل منهم في الحج مع النبي (ﷺ) لما بلغوا مكة وطافوا وسعوا أمرهم أن يحلوا، وأن يصيبوا النساء ويجعلوها عمرة، فكبر ذلك عليهم لتعظيمهم لنسكهم، وقالوا: نذهب إلى عرفة ومذاكيرنا تقطر من المني، فلما علم بذلك الرسول (ﷺ) وكان لم يتحلل، قال لهم: «**أيها الناس أحلوا فلولا الهدي معي فعلت كما فعلتم**» قال جابر رضي الله عنه راوي الحديث: فحللنا وسمعنا وأطعنا(٤٩٣)، وهذا كله من حرص أصحاب رسول الله (ﷺ) على الخير والرغبة في التأسي برسول الله (ﷺ) التأسي الكامل(٤٩٤).

إن موقف النبي (ﷺ) في سكوته على عمر رضي الله عنه عندما عارضه على الصلح يعطي قيمة كبرى بأنه على القيادات الإسلامية من حكام وعلماء ودعاة أن يتحلوا بسعة الصدر وحسن الاستماع للرأي الآخر وإعطاء المجال لكل ذي رأي أن يعبر عن رأيه بما يخدم المصلحة العامة لا أن يفتح السجون ويكمم الأفواه، إن النبي (ﷺ) في صلح الحديبية بين أن حرية إبداء الرأي مكفولة في المجتمع الإسلامي، وأن للفرد في المجتمع المسلم الحرية في التعبير عن رأيه، ولو كان هذا الرأي نقدًا لموقف حاكم من الحكام أو خليفة من الخلفاء، فمن حق الفرد المسلم أن يبين وجهة نظره في جو من الأمن والأمان دون إرهاب أو تسلط يخنق حرية الكلمة والفكر، وإذا كان هذا موقف رسول الله مع عمر فمن باب أولى معارضة رئيس الدولة في رأي من الآراء، وموقف من المواقف، ليست بحد ذاتها جريمة تستوجب العقاب، ويغيب صاحبها في غياهب السجون(٤٩٥)، كما أن الهدي النبوي الكريم يعلمنا كيف يربي أصحابه من خلال الأحداث. ولقد نال علي رضي الله عنه في الحديبية مع من حضر من

---

(٤٩١) المصدر نفسه (٥/٣٤٧).
(٤٩٢) البخاري، ك الشروط (٢٧٣٢).
(٤٩٣) البخاري، ك الاعتصام (٧٣٦٧).
(٤٩٤) الانتصار للصحب والآل ص(٢٦٨) وهذا من أفضل الكتب في الرد على بعض شبهات الروافض.
(٤٩٥) غزوة الحديبية لأبي فارس ص(١٣٤، ١٣٥).

أصحاب رسول الله، رضي الله (عز وجل) ونزل فيهم قوله (تعالى): ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، وقال رسول الله (ﷺ): «لن يدخل أحد النار بايع تحت الشجرة» (٤٩٦)، وقد نال علي رضي الله عنه وإخوانه مثل أبي بكر وعمر وغيرهم من قبل في بدر وسامًا عظيمًا وشرفًا عاليًا، فقد قال رسول الله (ﷺ) في أهل بدر: «وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» (٤٩٧).

**رابعًا: عمرة القضاء ٧هـ وعلي رضي الله عنه وحضانة ابنة حمزة رضي الله عنهما:**

لقد تغيرت النفوس والعقول بتأثير الإسلام تغيرًا عظيمًا، فعادت البنت -التي كان يتعير بها أشراف العرب، وجرت عادة وأدها في بعض القبائل فرارًا من العار، وزهدًا في البنات- حبيبة يتنافس في تربيتها المسلمون، وكانوا سواسية، لا يرجع بعضهم على بعض إلا بفضل أو حق(٤٩٨)، فلما أراد النبي (ﷺ) الخروج من مكة، تبعته ابنة حمزة تنادي: يا عم، فتناولها علي، فأخذ بيدها وقال لفاطمة رضي الله عنها: دونك ابنة عمك، فاختصم فيها علي وزيد وجعفر قال علي: أنا أخذتها وهي بنت عمي، وقال جعفر: هي ابنة عمي وخالتها تحتي، وقال زيد: ابنة أخي، فقضى بها النبي لخالتها وقال: الخالة بمنزلة الأم، وقال لعلي: أنت مني وأنا منك، وقال لجعفر: «أشبهت خلقي وخلقي»، وقال لزيد: «أنت أخونا ومولانا». وقال علي لرسول الله (ﷺ): «ألا تتزوج بنت حمزة». قال: «إنها ابنة أخي من الرضاعة» (٤٩٩).

**وفي هذه القصة دروس وعبر وأحكام وفوائد منها:**

(١) الخالة بمنزلة الأم.

(٢) الخالة تقدم على غيرها في الحضانة إذا لم يوجد الأبوان.

(٣) تزكية رسول الله (ﷺ) لجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ووصفه له بقوله: «أشبهت خلقي وخُلُقي».

(٤) منقبة زيد بن حارثة: يقول له الرسول: «أنت أخونا ومولانا»، لأنه كان أخًا لحمزة ابن عبد المطلب، فقد آخى الرسول (ﷺ) بينهما، وهو باجتهاده يريد أن يكون عليه ما على الأخ الشقيق من واجبات، والواجب أن يكون وليًا على بنت حمزة رضي الله عنها.

(٥) زواج المرأة لا يسقط حقها في الحضانة، فقد حكم الرسول (ﷺ) بالحضانة لخالة بنت حمزة وهي متزوجة من جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٦) لا بد من موافقة الزوج على حضانة زوجته لابنة أختها، لأن الزوجة محتسبة

---

(٤٩٦) البخاري رقم (٤٨٤٠)، مسلم (١٨٥٦)،
(٤٩٧) البخاري رقم (٣٩٨٣)، مسلم (٢٤٩٤).
(٤٩٨) السيرة النبوية للندوي ص(٣٢١).
(٤٩٩) البخاري رقم (٤٢٥١).

لمصلحته ومنفعته، والحضانة قد تفوت هذه المصلحة جزئيًا، فلا بد من استئذانه، ونلاحظ هنا أن جعفر بن أبي طالب بحضانة بنت عمه حمزة لخالتها وهي زوجة له، فدل على رضاه بذلك.

(٧) إن الطفل إذا رضع مع عمه يصبح أخًا له في الرضاعة، وتصبح بناته كلهن بنات أخيه من الرضاعة، فيحرم عليه نكاحهن[٥٠٠].

**خامسًا: علي رضي الله عنه في غزوة خيبر ٧هـ:**

ذكر ابن إسحاق[٥٠١]، أنها كانت في المحرم من السنة السابعة للهجرة، وذكر الواقدي[٥٠٢]، أنها كانت في صفر أو ربيع الأول من السنة السابعة للهجرة، بعد العودة من غزوة الحديبية، وذهب ابن سعد[٥٠٣]، إلى أنها في جمادى الأولى سنة سبع، وقال الإمامان الزهري ومالك: إنها في محرم من السنة السادسة[٥٠٤]،وقد رجح ابن حجر[٥٠٥]، قول ابن إسحاق على قول الواقدي[٥٠٦]، وفي هذه الغزوة تجلت بطولة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، ومكانته عند الله وعند رسوله، وما قدر الله من فتح هذه المستعمرة اليهودية، ذات الأهمية العسكرية الاستراتيجية على يده في مظهر جلي رائع[٥٠٧]، فقد كانت خيبر مستعمرة يهودية تتضمن قلاعًا حصينة، وقاعدة حربية لليهود، وآخر معقل من معاقلهم في جزيرة العرب، وكانوا يتربصون بالمسلمين الدوائر، ويتآمرون مع يهود المدينة وخارجها لغزو المدينة، فأراد رسول الله (ﷺ) أن يستريح منهم، ويأمن من جهتهم، وكانت في الشمال الشرقي للمدينة على بعد سبعين ميلاً منها[٥٠٨]، توجه رسول الله (ﷺ) بجيشه إلى خيبر، وكانوا ألفًا وأربعمائة، ونازل حصون خيبر، وبدأ يفتحها حصنًا حصنًا، واستعصى حصن الغموص على المسلمين، وكان علي بن أبي طالب رمدًا[٥٠٩]، فقال رسول الله (ﷺ) : «**لأعطين هذه الراية غدًا رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله**» ، فبات الناس يدوكون [٥١٠] ليلتهم أيهم يعطاها؟ فلما أصبح الناس، غدوا على رسول الله (ﷺ) كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: «**أين علي بن أبي طالب؟**» فقيل : هو يا رسول الله يشتكي عينيه.

(٥٠٠) زاد المعاد (٢/ ٣٧٤، ٣٧٥)، صلح الحديبية لأبي فارس ص(٢٨٦، ٢٨٧).
(٥٠١) السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٤٥٥).
(٥٠٢) المغازي (٢/ ٦٣٤).
(٥٠٣) الطبقات (٢/ ١٠٦).
(٥٠٤) تاريخ دمشق (١/ ٣٣).
(٥٠٥) الفتح (١٦/ ٤١) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ص(٥٠٠).
(٥٠٦) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ص(٥٠٠).
(٥٠٧) المرتضى للندوي ص(٥٢).
(٥٠٨) المرتضى للندوي ص(٥٢).
(٥٠٩) المصدر نفسه ص(٥٣).
(٥١٠) أي: بات الناس في اختلاط واختلاف.

قال: «**فأرسلوا إليه**»، فأتي به، فبصق رسول الله في عينيه، ودعا له فبرأ حتى كأنه لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال علي: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا. فقال: «**انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم**»(٥١١).

فانطلق حتى فتح الله عليه خيبر، وكان من صور بطولته فيها أن خرج له مرحب ملكهم وهو يقول:

**قد علمت خيبر أني مرحب ... شاكي السلاح بطل مجرب**

**إذا الحروب أقبلت تلهب**

فقال علي:

**أنا الذي سمتني أمي حيدرة ... كليث غابات كريه المنظرة**

**أوفيهم بالصاع كيل السندرة**

فضرب رأس مرحب، فقتله، ثم كان الفتح على يديه(٥١٢)، وفي موقف علي في غزوة خيبر دروس وعبر وفوائد منها:

**١- فضيلة عظيمة ومنقبة ظاهرة لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه:**

حيث شهد له النبي (ﷺ) بالمحبة في قوله: «**يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله**» وقال ابن حجر في معنى أن عليا يحب الله ورسوله: أراد بذلك، وجود المحبة وإلا فكل مسلم يشترك مع علي في مطلق هذه الصفة وفي هذا الحديث تلميح بقوله (تعالى): ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [آل عمران: ٣١]. فكأنه أشار إلى أن علياً تام الاتباع لرسول الله (ﷺ) حتى اتصف بصفة محبة الله له(٥١٣).

**٢- بركة دعائه (ﷺ):**

حيث استجاب الله لدعاء رسوله (ﷺ)، وقد قال علي رضي الله عنه: ما رمدت منذ تفل النبي (ﷺ) في عيني(٥١٤)، كما أن عليا رضي الله عنه مرض مرة، فأتاه النبي (ﷺ) وهو يقول: «اللهم إن كان أجلي قد حضر فأرحني، وإن كان متأخراً فارفعني، وإن كان البلاء فصبرني»، فقال له رسول الله (ﷺ): «ما قلت؟» فأعاد عليه، فقال رسول الله (ﷺ): «**اللهم اشفه، اللهم عافه**»، ثم قال: «قم». فقمت فما عاد لي ذلك الوجع بعده(٥١٥).

---

(٥١١) مسلم رقم (٣٤٠٦).
(٥١٢) مسلم (٣/١٤٤١) رقم (١٨٠٧).
(٥١٣) فتح الباري (٧/٧٢).
(٥١٤) مسند أحمد الموسوعة الحديثية رقم (٥٧٩) إسناده حسن.
(٥١٥) مسند أحمد (٢/١٥١) صححه أحمد شاكر.

**٣- لا علاقة بين هذا الحديث وإمامة علي رضي الله عنه:**

ذهب الروافض إلى أن عليا رضي الله عنه هو الخليفة بعد النبي (ﷺ) واستدلوا بمجموعة من الأحاديث تدل على فضله ولا تدل على إمامته منها هذا الحديث وزادوا فيه زيادات باطلة لا تصح عند علماء الحديث، كما أنه لا ملازمة بين كونه محبًا لله ورسوله ومحبوبًا لهما وبين كونه إمامًا بلا فصل أصلاً على أنه لا يلزم من إثباتهما له نفيهما عن غيره، كيف قد قال الله (تعالى) في حق أبي بكر ورفقائه: ﴿**يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**﴾ [المائدة: ٥٤]، وقال في حق أهل بدر: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ**﴾ [الصف: ٤]، ولا شك أن من يحبه الله ورسوله ومن يحب الله من المؤمنين يحب رسوله، وقال في شأن أهل مسجد قباء: ﴿**فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ**﴾ [التوبة: ١٠٨]. ولما سئل من أحب الناس إليك؟ قال: «**عائشة**» قيل: ومن الرجال؟ قال: «**أبوها**» (٥١٦). وإنما نص على المحبة والمحبوبية في حق علي مع وجودهما في غيره لنكتة دقيقة تحصل من ضمن قوله: «**يفتح الله على يديه**» (٥١٧). وهي أنه لو ذكر مجرد الفتح لربما توهم أن ذلك غير موجب لفضيلته لما ورد في قوله (ﷺ): «**إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر**».

فأزال ذلك التوهم إثبات هاتين الصفتين له، فصار المقصود منه تخصيص مضمون «**يفتح الله على يديه**» وما ذكره من الصفات لإزالة ذلك التوهم (٥١٨).

**٤- وهناك مجموعة من الفوائد من حديث فضل علي في فتح خيبر منها:**

فضل الصحابة في انشغالهم تلك الليلة وشغلهم عن بشارة الفتح، لأنهم انشغلوا عن بشارة الفتح بالتماسهم معرفة من يحب الله ورسوله، و يحبه الله ورسوله، الإيمان بالقدر لحصولها لمن لم يسع لها ومنعها عمن سعى؛ لأن الصحابة غدوا على رسول الله مبكرين كلهم يرجو أن يعطاها ولم يعطوها، وعلي بن أبي طالب مريض ولم يسع لها ومع ذلك أعطي الراية، الأدب في قوله: «**على رسلك**». ووجهه أنه أمره بالتمهل وعدم التسرع، الدعوة إلى الإسلام قبل القتال، الدعوة بالحكمة، تؤخذ من قوله: «**أخبرهم بما يجب عليهم من حق الله (تعالى) فيه**»، لأن من الحكمة أن تتم الدعوة، وذلك بأن تأمره بالإسلام أولاً، ثم تخبره بما يجب عليه من حق الله، ولا يكفي أن تأمره بالإسلام، لأنه قد يطبق هذا الإسلام الذي أمرته به، وقد لا يطبقه، بل لا بد من تعاهده حتى لا يرجع إلى الكفر، المعرفة بحق الله في الإسلام تؤخذ من قوله (ﷺ): «**وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله (تعالى) فيهم**» ثواب من اهتدى على يديه رجل واحد، لقوله (ﷺ): «**لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خيرًا لك من حمر النعم**» أي خير لك من كل ما يستحسن في الدنيا، وليس المعنى كما قال بعضهم: خير لك من أن تتصدق بنعم حمر، الحلف على الفتيا لقوله (ﷺ): «**فوالله لأن يهدي الله ...**» إلخ، فأقسم النبي (ﷺ)، وهو لم يستقسم، والفائدة: هي حثه

(٥١٦) البخاري: فتح الباري (٧/ ٢٢). (٥١٧) مسلم رقم (٣٤٠٦).
(٥١٨) مختصر التحفة الاثنى عشرية ص(٧٠).

على أن يهدي الله به والتوكيد عليه. وقد أمر الله رسوله بالحلف في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم، في قوله (تعالى): ﴿وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾[يونس: ٥٣]. وفي قوله: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ [التغابن: ٧]. وفي قوله (تعالى): ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ [سبأ: ٣]. فإذا كان هناك القسم مصلحة ابتداء، أو جوابًا لسؤال جاز وربما يكون مطلوبًا(٥١٩).

**سادسًا: علي رضي الله عنه في فتح مكة وغزوة حنين ٨هـ:**

نقضت قريش صلحها مع رسول الله بمساندتها بني بكر على خزاعة حليفة المسلمين، ودعمتهم بالخيل والسلاح والرجال. فقال رسول الله: «**نصرت يا عمرو بن سالم، لا نصرني الله إن لم أنصر بني كعب**» ولما عرض السحاب من السماء قال: «**إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب**»(٥٢٠). وقد جاء عمرو بن سالم إلى المدينة وأنشد قصيدة بين يدى رسول الله (ﷺ) جاء فيها:

ولقد بححت من النداء ... لجمعهم هل من مبارز
ووقفت إذ جبن المشجع ... موقف القرن المناجز
ولذاك أني لم أكن ... متسرعًا قبل الهزاهز
إن الشجاعة في الفتى ... والجود من خير الغرائز

إلى أن قال:

وزعموا أن لست أدعو أحدًا ... وهم أذل وأقل عددا
هم بيتونا بالوتير هجدا ... وقتلونا ركعًا وسجدًا

وبعثت قريش أبا سفيان إلى المدينة لتمكين الصلح وإطالة المدة، وعندما وصل إلى المدينة ودخل على رسول الله يعرض حاجته، أعرض عنه النبي (ﷺ) ولم يجبه، فاستعان بكبار الصحابة أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وعلي حتى يتوسطوا بينه وبين رسول الله، فأبوا جميعًا، فعاد أبو سفيان إلى مكة من غير أن يحظى بأي اتفاق أو عهد(٥٢١)، وكانت لعلي رضي الله عنه في فتح مكة مواقف متعددة منها:

**١- إحباط محاولة تجسس لصالح قريش:**

عن حسن بن محمد بن علي عن عبيد الله بن أبي رافع أنه سمع عليا يقول: بعثني رسول الله (ﷺ) يقول: أنا والزبير والمقداد، فقال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها». فانطلقنا تعادي بنا خيلنا حتى أتينا الروضة، فإذا نحن

(٥١٩) القول المفيد على كتاب التوحيد، لمحمد صالح(١/ ١٤١، ١٤٢).
(٥٢٠) البداية والنهاية (٤/ ٢٧٨).
(٥٢١) التاريخ السياسي والعسكري د. علي معطي ص(٣٦٥).

بالظعينة، قلنا: أخرجي الكتاب، قالت: ما معي من كتاب. قلنا: لتخرجن الكتاب أو لنلقين[٥٢٢] الثياب، قال: فأخرجت الكتاب من عقاصها، فأخذنا الكتاب، فأتينا به رسول الله (ﷺ)، فإذا فيه: من حاطب بن بلتعة إلى ناس من المشركين بمكة، يخبرهم ببعض أمر رسول الله (ﷺ)، فقال رسول الله: «**يا حاطب ما هذا؟**» قال: لا تعجل علي، إني كنت امرءا ملصقًا في قريش، ولم أكن من أنفسها، وكان من كان معك من المهاجرين لهم قربات يحمون أهليهم بمكة، فأحببت إذا فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ فيهم يدًا يحمون بها قرابتي، وما فعلت ذلك كفرًا، ولا ارتدادًا عن ديني ولا رضًا بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله: «**إنه قد صدقكم**». فقال عمر: دعني أضرب عنق هذا المنافق. فقال: «**إنه قد شهد بدرًا، وما يدريك لعل الله قد اطلع إلى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم**»[٥٢٣].

**٣- أجرنا من أجرت يا أم هانئ:**

قالت أم هانئ بنت أبي طالب -أخت علي رضي الله عنهما-: لما نزل رسول الله (ﷺ) بأعلى مكة فر إليَّ رجلان من أحمائي، من بني مخزوم، وكانت عند هبيرة بن أبي وهب المخزومي، قالت: فدخل عليَّ علي بن أبي طالب أخي، فقال: والله لأقتلنهما، فأغلقت عليهما باب بيتي، ثم جئت رسول الله (ﷺ) وهو بأعلى مكة، فوجدته يغتسل من جنفة إن فيها لأثر العجين، وفاطمة ابنته تستره بثوبه، فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشح به، ثم صلى ثمان ركعات من الضحى، ثم انصرف إلي فقال: «**مرحبًا وأهلاً يا أم هانئ ما جاء بك؟**» فأخبرته خبر الرجلين وخبر علي، فقال: «**قد أجرنا من أجرت وأمَّنا من أمَّنت، فلا يقتلهما**»[٥٢٤]، وبناء على ما تقدم، فإن تأمين المسلم للكافر من أهل الحرب يجعله في أمان، ومن ثم فلا يجوز للمسلمين أن يتعرضوا له بشيء.. وحتى يصان حق التأمين هذا من أي ضرر يمكن أن يلحق بالمسلمين من جرائه، فقد شرط الفقهاء لصحته أن يتجرد معطي الأمان من التهمة، ويخلو ذلك الأمان الممنوح من أية مفسدة[٥٢٥]، أو يرفع الأمر إلى ولي الأمر ليرى رأيه فيه.

**٣- مقتل الحويرث بن نقيذ بن وهب:**

في هذا الفتح العظيم، كان النبي (ﷺ) قد عهد إلى أمرائه ألا يقاتلوا إلا من قاتلهم، غير أنه أهدر دم نفر سماهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة، منهم الحويرث بن نقيذ بن وهب، كان ممن يؤذي النبي (ﷺ) بمكة، ولما تحمل العباس بفاطمة وأم كلثوم، نخس[٥٢٦]

---

(٥٢٢) في رواية: أو لنقلبن.

(٥٢٣) إسناده صحيح، والموسوعة الحديثية مسند أحمد رقم (٦٠٠).

(٥٢٤) صحيح السيرة ص(٥٢٧).

(٥٢٥) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية (١٠٥١/٣).

(٥٢٦) نخس الدابة: هيجها.

بهما الحويرث الجمل الذي هما عليه فسقطتا على الأرض ، فلما أهدر دمه وظفر به علي قتله[٥٢٧].

**٤- علي رضي الله عنه في مهمة إصلاحية:**

أرسله الرسول (ﷺ) إلى بني جذيمة، ليتلافى خطأ خالد بن الوليد في قتل بعضهم، وذلك أن الرسول (ﷺ) بعث خالد في السنة الثامنة للهجرة عقب فتح مكة، إلى بني جذيمة يدعوهم إلى الإسلام فلم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا، وقالوا: صبأنا، فأخذ خالد يقتل منهم ويأسر . . . . فلما بلغ رسول الله (ﷺ) ما صنع خالد ، رفع يديه فقال: «**اللهم إني أبرأ إليك مما صنع**» ، مرتين[٥٢٨]، فبعث الرسول (ﷺ) عليا إليهم، لينظر في أمرهم وبعث معه بمال، فقام علي بمهمته خير قيام، فودى إليهم، وعوضهم عما أصيب في الدماء والأموال حتى أنه ليدي ميلغة[٥٢٩] الكلب، ولما انتهى من ذلك كله، سألهم هل بقي لهم بقية من دم أو مال لم يود إليهم؟ قالوا: لا، قال: فإني أعطيكم هذه البقية من هذا المال، احتياطيًا لرسول الله (ﷺ) مما لا يعلم ولا تعلمون ، ففعل ولما رجع إلى رسول الله (ﷺ) وأخبره بالخبر قال: «**أصبت وأحسنت**» [٥٣٠] وبهذه المهمة الجليلة الموفقة ، أزال علي رضي الله عنه همًا وحملاً أثقل الرسول (ﷺ)[٥٣١]، وبهذا الهدي النبوي الحكيم واسى النبي (ﷺ) بني جذيمة، وأزال ما في نفوسهم من أسى وحزن[٥٣٢]، وكان قتل خالد لبني جذيمة تأولاً منه واجتهادًا خاطئًا ، وذلك بدليل أن الرسول (ﷺ) لم يعاقبه على فعله[٥٣٣] ولم يعزله.

**٥- علي رضي الله عنه في غزوة حنين:**

من أعماله الجهادية التي تتسم بالشجاعة وتدل على الخبرة في القتال ما كان في غزوة حنين في العام الثامن من الهجرة، فقد ثبت مع الرسول (ﷺ)، ومع من ثبت معه من المهاجرين والأنصار، وكان في جيش هوازن رجل على جمل أحمر بيده راية سوداء، إذا أدرك طعن برمحه، وإذا فاته الناس رفع رمحه لمن وراءه فاتبعوه، فأدرك علي بعبقريته الحربية، وتجربته الطويلة، أن لهذا الرجل عاملاً مؤثرًا في حماس هوازن وشدتها، فاتجه علي ابن أبي طالب رضي الله عنه ورجل من الأنصار نحوه واستطاعا إسقاطه من على جمله وقتله، فما كانت إلا ساعة حتى انهزموا وولوا الأدبار وانتصر المسلمون[٥٣٤].

---

(٥٢٧) فتح الباري (٨/ ١١) ، السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ٥٨، ٥٩).

(٥٢٨) البخاري رقم (٤٣٣٩).

(٥٢٩) ميلغة: اسم آلة، والفعل (يلغ) بمعنى يشرب، ويطلق على الكلمة.

(٥٣٠) السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ٧٢- ٧٣) إسناده ضعيف وله شواهد.

(٥٣١) خلافة علي بن أبي طالب ص(٤٦).

(٥٣٢) السيرة النبوية لأبي شهبة(٢/ ٤٦٥).

(٥٣٣) السيرة النبوية في ضوء المصادر ص(٥٧٩).

(٥٣٤) مسند أبي يعلى (٣/ ٣٨٨) حسن الإسناد، الصحيح المسند ص(١٤١) للعدوي.

٦- سرية علي رضي الله عنه لهدم صنم الفلس في بلاد طيء:

بعد أن طهر النبي (ﷺ) البيت الحرام من الأوثان التي كانت فيه، كان لا بد من هدم البيوت التي كانت معالم للجاهلية ردحًا طويلاً من الزمن[٥٣٥] فكانت سرايا رسول الله (ﷺ) تترى لتطهير الجزيرة منها، فكانت من نصيب علي رضي الله عنه صنم الفلس في بلاد طيء، ففي ربيع الآخر خرجت سرية علي بن أبي طالب إلى الفلس -صنم لطيء- ليهدمه، وكان تعدادها خمسين ومائة رجل من الأنصار، على مائة بعير وخمسين فرسًا، ومعه راية سوداء ولواء أبيض، فشنوا الغارة على محلة آل حاتم- حاتم الطائي الذي ضرب المثل بجوده- مع الفجر فهدموا الفلس وخربوه، وملأوا أيديهم من السبي والنعم والشاء، وفي السبي أخت عدي بن حاتم، وهرب عدي إلى الشام[٥٣٦].

سابعًا: استخلاف النبي (ﷺ) لعلي على المدينة في غزوة تبوك ٩هـ:

كان في رجب سنة تسع من الهجرة غزوة تبوك، وكانت لها أهمية كبيرة في السيرة النبوية، وتحققت منها غايات كانت بعيدة الأثر في نفوس المسلمين والعرب، ومجرى الحوادث في تاريخ الإسلام[٥٣٧]،واستعمل رسول الله (ﷺ) على المدينة عليا، فوجد المنافقون فرصة للتنفيس عما بداخلهم من حقد ونفاق، فأخذوا يتكلمون في علي رضي الله عنه بما يسيء إليه ، فمن ذلك قولهم: ما تركه إلا لثقله عليه. وهذا العمل والقول السيئ منهم في حقه علامة بارزة واضحة على نفاقهم، ففي الحديث الصحيح أن عليا رضي الله عنه قال: «والذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة، إنه لعهد النبي الأمي (ﷺ) ألا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق»[٥٣٨]عند ذلك أدرك علي الجيش، وأراد الغزو معهم قائلاً: يا رسول الله أتخلفني في الصبيان والنساء، فقال رسول الله (ﷺ) : «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لا نبي بعدي» [٥٣٩].

ثامنًا: علي رضي الله عنه ودوره الإعلامي في حجة أبي بكر بالناس ٩هـ:

كانت تربية المجتمع وبناء الدولة في عهد النبي (ﷺ) مستمرة على كل الأصعدة والمجالات العقائدية والاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية والعسكرية والتعبدية، وكانت فريضة الحج لم تمارس في السنوات الماضية، فحجة عام ٨هـ بعد الفتح كلف بها عتاب بن أسيد، ولم تكن قد تميزت حجة المسلمين عن حجة المشركين[٥٤٠]، فلما حل موسم الحج أراد (ﷺ) الحج ولكنه قال: «إنه يحضر البيت عراة مشركون يطوفون بالبيت، فلا أحب أن أحج»

---

(٥٣٥) معين السيرة ص(٢٩٤).
(٥٣٦) تاريخ الإسلام للذهبي ص(٦٢٤).
(٥٣٧) المرتضى للندوي ص(٥٥).
(٥٣٨) مسلم رقم(٧٨).
(٥٣٩) البخاري رقم(٢٤٠٤).
(٥٤٠) السيرة النبوية لأبي شهبة (٢/٥٣٦)، دراسات في عهد النبوة ص(٢٢).

وكان ذلك سنة ٩هـ، فخرج أبو بكر ومعه عدد كبير من الصحابة[٥٤١]، وساقوا معهم الهدي[٥٤٢]، فلما خرج الصديق بركب الحجيج نزلت سورة براءة، فدعا النبي (ﷺ) عليا رضي الله عنه وأمره أن يلحق بأبي بكر الصديق، فخرج على ناقة رسول الله (ﷺ) العضباء حتى أدرك الصديق أبا بكر بذي الحليفة، فلما رآه الصديق قال له: أمير أم مأمور؟ فقال: بل مأمور، ثم ساروا ، فأقام أبو بكر للناس الحج على منازلهم التي كانوا عليها في الجاهلية، وكان الحج في هذا العام في ذي الحجة كما دلت على ذلك الروايات الصحيحة لا في شهر ذي القعدة كما قيل، وقد خطب الصديق قبل التروية، ويوم عرفة، ويوم النحر، ويوم النفر الأول، فكان يعرف الناس مناسكهم: في وقوفهم وإفاضتهم، ونحرهم، ونفرهم ، ورميهم الجمرات.. إلخ وعلي يخلفه في كل موقف من هذه المواقف، فيقرأ على الناس صدر سورة براءة ثم ينادي في الناس بهذه الأمور الأربعة: لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين النبي (ﷺ) عهد فعهده إلى مدته، ولا يحج المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا[٥٤٣]، وقد أمر الصديق رهطًا آخر من الصحابة لمساعدة علي بن أبي طالب في إنجاز مهمته[٥٤٤].

إن نزول صدر سورة براءة يمثل مفاصلة نهائية مع الوثنية، وأتباعها، حيث منعت حجهم وأعلنت الحرب عليهم[٥٤٥].

قال (تعالى): ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ * فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ * وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ﴾ [التوبة: ١-٣] وقد أمهل المعاهدون لأجل معلوم منهم إلى انتهاء مدتهم، قال (تعالى): ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤].

كما أمهل من لا عهد له من المشركين إلى انسلاخ الأشهر الحرم، حيث يصبحون بعدها في حالة حرب مع المسلمين قال (تعالى): ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٥].

---

(٥٤١) نظرة النعيم (١/ ٩٨) ، الطبقات الكبرى (٢/ ١٦٨).
(٥٤٢) فتح الباري (٨/ ٨٢).
(٥٤٣) مسند الإمام أحمد الموسوعة الحديثية رقم (٥٩٤) حديث صحيح.
(٥٤٤) السيرة النبوية لأبي شهبة (٢/ ٥٣٧).
(٥٤٥) نظرة النعيم (١/ ٣٩٩).

وقد كلف النبي عليا بإعلان نقض العهود على مسامع المشركين في موسم الحج، مراعاة لما تعارف عليه العرب فيما بينهم في عقد العـهود ونقضها، ألا يتولى ذلك إلا سيد القبيلة أو رجل من رهطه، وهذا العـرف ليس فيـه منافـاة للإسلام، فلذلك تدارك النبي (ﷺ) الأمـر وأرسل عليا بذلك، فهذا هو السبب في تكليف علي بتـبليغ صدر سورة براءة، لا ما زعمته الرافـضة من أن ذلك للإشـارة إلى أن عليا أحق بالخـلافة من أبي بكر، وقـد علق الدكـتور محمد أبو شهبة فقال: ولا أدري كيف غفلوا عن قول الصديق: أمير أم مأمور(٥٤٦)؟ وكيف يكون المأمور أحق بـالخلافة من الأمـير(٥٤٧)، وقد كانت هذه الحـجة بمثابة التوطئـة للحجة الكبرى وهي حـجة الوداع، لقد أعلن في حـجة أبي بكر أن عهد الأصنام قـد انقضى، وأن مرحلة جـديدة قد بدأت، وما علـى الناس إلا أن يستجـيبوا لشـرع الله (تعالى)، فبـعد هذا الإعلان الذي انـتشر بين قبائل العـرب في الجزيرة ، أيقنت تلك القبائـل أن الأمر جد، وأن عـهد الوثنيـة قد انـقضى فـعلاً، فـأخذت تـرسل وفودها مـعلنة إسـلامهـا ودخولهـا في التوحيد(٥٤٨).

**تاسعًا: علي رضي الله عنه ووفد نصارى نجران، وآية المباهلة ٩هـ:**

كتب رسول الله (ﷺ) إلى نجران(٥٤٩)،كتابًا قال فيه: «**أما بعد؛ فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عـبادة العبـاد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العبـاد، فـإن أبيتم فـالجزية. فـإن أبيتم آذنتكم بحرب. والسلام**» (٥٥٠) فلما أتى الأسقف الكتاب، جمع الناس وقرأه عليهم، وسألهم عن الرأي فيه؟ فقرروا أن يرسلوا إليه وفدًا يتكون من أربعـة عشر من أشرافهم، وقيل: ستين راكبًا، منهم ثلاثة نفـر يؤول إليهم أمرهم: العاقب وهو أميرهم وصـاحب مشورتهم والذين يصدرون عن رأيه، والسيد وهو صاحب رحلتهم، وأبو الحارث أسقفهم، وحبرهم وصاحب مـدارسـهم(٥٥١)، ولما جاء وفد نصـارى نجران إلى رسول الله (ﷺ) بالمدينة، وضـعوا ثياب السفر عنهم، ولبسوا حللاً لهم يجرونهـا من الحبرة، وخواتيم الذهب، ثم انطلقوا حتى أتوا رسول الله (ﷺ)، فـسلموا عليـه، فلم يرد عليهم السـلام، وتصدروا لكلامـه طويلاً، فلم يكلمهم، وعليـهم تلك الحلل والخواتيم الذهب، فـانطلقوا يتبـعون عثمـان بن عفان وعـبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهـما وكانا معرفـة لهم، كانا يخرجان العيـر في الجاهلية إلى نجران، فيشتري لهما من برها وثمرها وذرتها، فوجدوهما في ناس من الأنصار في مجلس، فقالوا: يا عثـمان، ويا عبد الرحمن إن نبيـكم كتب إلينا بكتاب، فأقبلنا مجـيبين له، فأتيناه

(٥٤٦) السيرة النبوية لأبي شهبة (٢/ ٥٤٠)، صحيح السيرة ص(٦٢٤).
(٥٤٧) المصدر نفسه(٢/ ٥٤٠).
(٥٤٨) قراءة سياسة السيرة النبوية ص(٢٨٣).
(٥٤٩) نجران بلد كبير على سبع مراحل من مكة إلى جهة اليمن.
(٥٥٠) البداية والنهاية (٥/ ٤٨).
(٥٥١) المصدر نفسه (٥/ ٤٨) السيرة النبوية لأبي شهبة (٢/ ٥٤٧).

فسلمنا عليه، فلم يرد علينا سلامنا، وتصدينا لكلامه نهارًا طويلاً، فأعيانا أن يكلمنا، فما الرأي منكما، أنعود؟

فقالا لعلي بن أبي طالب وهو في القوم: ما ترى يا أبا الحسن في هؤلاء القوم؟ قال: أرى أن يضعوا حللهم هذه وخواتيمهم، ويلبسوا ثياب سفرهم ثم يأتوا إليه، ففعل الوفد ذلك، فوضعوا حللهم وخواتيمهم، ثم عادوا إلى رسول الله (ﷺ) فسلموا عليه، فرد سلامهم، ثم سألوه وسألهم فلم تزل بهم وبه المسألة(٥٥٢)، وقالوا لرسول الله (ﷺ): كنا مسلمين قبلكم فقال النبي (ﷺ): «**يمنعكم من الإسلام ثلاث: عبادتكم الصليب، وأكلكم الخنزير، وزعمكم أن لله ولدًا**»(٥٥٣)، وكثر الجدال والحجاج بينه وبينهم، والنبي يتلو عليهم القرآن ويقرع باطلهم بالحجة، وكان ما قالوه لرسول الله (ﷺ): ما لك تشتم صاحبنا وتقول: إنه عبد الله، فقال: «**أجل إنه عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول**»، فغضبوا وقالوا: هل رأيت إنسانًا قط من غير أب، فإن كنت صادقًا فأرنا مثله؟فأنزل الله (سبحانه) في الرد عليهم قوله (سبحانه): ﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ * الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ**﴾ [آل عمران ٥٩-٦٠]. فكانت حجة دامغة شبه فيها الغريب بما هو أغرب منه(٥٥٤)، فلما لم تجد معهم المجادلة بالحكمة والموعظة الحسنة دعاهم إلى المباهلة(٥٥٥)، امتثالاً لقوله (تعالى): ﴿**فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**﴾ [آل عمران: ٦١]. وخرج النبي (ﷺ) ومعه علي والحسن والحسين وفاطمة وقال: «**وإذا أنا دعوت فأمنوا**»(٥٥٦). فائتمروا فيما بينهم، فخافوا الهلاك لعلمهم أنه نبي حقا، وأنه ما باهل قوم نبيًا إلا هلكوا، فأبوا أن يلاعنوه وقالوا: احكم علينا بما أحببت، فصالحهم على ألفي حلة، ألف في رجب، وألف في صفر(٥٥٧).

### عاشرًا: علي رضي الله عنه داعيًا وقاضيًا في اليمن ١٠هـ:

بعد فتح مكة استجابت القبائل العربية بالجزيرة إلى الإسلام، وكان رسول الله (ﷺ) يرسل الدعاة إلى القبائل التي لم تستجب بعد، فأرسل عليا رضي الله عنه إلى همدان باليمن وهذا البراء بن عازب رضي الله عنه يحدثنا عما حدث في ذهابه مع علي رضي الله عنه لليمن فيقول: .. فلما انتهينا إلى أوائل اليمن بلغ القوم الخبر، فجمعوا له: فصلى علي بنا الفجر، فلما فرغ، صفنا صفًا واحدًا ثم تقدم بين أيدينا، فحمد الله وأثنى عليه ثم قرأ عليهم

(٥٥٢) زاد المعاد (٣/ ٦٢٩- ٦٣٨).
(٥٥٣) المصدر نفسه (٣/ ٦٣٣).
(٥٥٤) المصدر نفسه (٣/ ٦٣٣).
(٥٥٥) السيرة النبوية لأبي شهبة (٢/ ٥٤٧).
(٥٥٦) المصدر نفسه (٢/ ٥٤٧).
(٥٥٧) المصدر نفسه (٢/ ٥٤٧).

كتاب رسـول الله (ﷺ) ، فأسلمت همدان كلها في يوم واحـد وكتب بذلك إلى رسول الله (ﷺ) ، فلما قرأ كتابه خر ساجدًا، وقال: «السلام على همدان، السلام على همدان» [٥٥٨].

لقد كان رسول الله (ﷺ) حريصًا على الجبـهة الحربية للدولة وأن تدخل قبائل اليمن في الإسلام، وظهر هذا الاهتمام في النتائج الباهرة التي حققتها الدعوة في كثرة عدد الوفود التي كانت تنساب من كل أطراف اليـمن متجهة إلى المدينة، مما يدل على أن نشـاط المبعوثين إلى اليمن كان مـتصلاً وبعيـد المدى، وكانت سرايا رسول الله (ﷺ) تساند هـذا النشاط الدعوي السلمي، حـيث بعث خالد بن الولـيد ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنـهمـا، فقـد كان (ﷺ) يركز على مفاصل القوى، ومراكز التأثير في المجتمعات وبناء الدول ومارس هذا الفقه العظيم في حياته[٥٥٩].

هذا وقد أمـر رسول الله (ﷺ) عليا بأن يقضي بين الـناس في اليمن، وهذا علي رضي الله عنه يحدثنا بنفسه حيث قال: بعثني رسول الله (ﷺ) إلى اليمن: فقلت له: يا رسول الله تبعثني إلى قوم أسن مني وأنا حدث لا أبصر القـضاء، قال: فوضع يده على صدري وقال: «اللهم ثبت لسـانه واهد قلبـه، يا علي إذا جلس إليك [٥٦٠] الخصمان فلا تقـضي بينهما حتى تسمع من الآخر، مـا سمعت من الأول، فإنك إذا فعلـت ذلك تبين لك القضاء» ، قال: فـما اختلف علي قضاء بعد أو ما أشكل علي قضاء بعد[٥٦١].

لقـد احتاج الـيمنيـون بعد انتـشار الإسـلام في بلادهم من يفقـههم في أمـور دينهم، ويعلمهم ويقضي بيـنهم بحكم الله (عز وجل)، فبعث رسول الله (ﷺ) عـددًا من الصحابة إلى أرجاء اليـمن منهم معاذ وأبو مـوسى الأشعري، وكان من أفـضلهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد حفظت لنا كتب التاريخ والحديث والفقه مجموعة من القضايا التي حكم فيها علي رضي الله عنه وهو باليمن، منها:

**١- قضاؤه في الأربعة الذين تدافعوا عند زبية[٥٦٢] للأسد:**

عن حنش عن علي رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله (ﷺ) إلى اليـمن فانتهينا إلى قوم قد بنوا زبية للأسد، فبينما هم كانوا يتدافعون إذ سقط رجل فتعلق بآخر، ثم تعلق رجل بآخر، حتى[٥٦٣] صاروا فيه أربعة فجرحهم الأسد، فانتدب له رجل بحربة فقتله، وماتوا من جراحتهم كلهم فـقام أولياء الأول إلى أولياء الآخر، فأخرجوا السلاح لـيقتتلوا، فأتاهم علي

---

(٥٥٨) زاد المعاد (٣/ ٦٢٢) إسناده صحيح.
(٥٥٩) السيرة النبوية للصلابي (٢/ ٥٩٦)، الفقه السياسي للوثائق ص(٢٣١).
(٥٦٠) جلس الخصمان.
(٥٦١) فضائل الصحابة (٢/ ٨٧١) إسناده حسن رقم (١٩٩٠).
(٥٦٢) الزبية: حفرة تحفر للأسد، ولا تحفر إلا في مكان عال من الأرض
(٥٦٣) فضائل الصحابة (٢/ ٩٠٠) رقم (١٢٣٩) إسناده حسن.

على تفيئة ذلك(٥٦٤)، فقال: تريدون أن تتقاتلوا ورسول الله (ﷺ) حي إني أقضي بينكم قضاء إن رضيتم فهو القضاء، وإلا حجز بعضكم عن بعض حتى تأتوا النبي (ﷺ) فيكون هو الذي يقضي بينكم، فمن عدا بعد ذلك فلا حق له، اجمعوا من قبائل الذين حفروا البئر ربع الدية وثلث الدية ونصف الدية والدية كاملة، فللأول الربع لأنه هلك من قومه، وللثاني ثلث الدية، وللثالث نصف الدية، وللرابع الدية كاملة، فأبوا أن يرضوا، فأتوا النبي (ﷺ) وهو عند مقام إبراهيم فقصوا عليه القصة، فقال: «أنا أقضي بينكم» واحتبى فقال رجل من القوم: إن عليا قضى فينا فقصوا عليه فأجازه رسول الله (ﷺ)(٥٦٥)،

**٢- ثلاثة وقعوا على امرأة في طهر:**

عن زيد بن أرقم أنه قال: أتي علي بثلاثة وهو باليمن وقعوا على امرأة في طهر واحد، فسأل اثنين: أتقران لهذا بالولد؟ قالا: لا حتى سألهم جميعًا، فجعل كلما سأل اثنين، قالا: لا، فأقرع بينهم، فألحق الولد بالذي صارت عليه القرعة، وجعل عليه ثلثي الدية(٥٦٦)، قال: فذكر ذلك لنبي الله (ﷺ) فضحك حتى بدت نواجذه(٥٦٧). وكان ضحك رسول الله (ﷺ) فرحًا وسرورًا بتوفيق الله (تعالى) عليا للصواب.

ولذلك أقره على ذلك(٥٦٨) ويحتمل أن ما حصل من أولئك النفر قبل إسلامهم؛ لأن فعلهم محرم في دين الله (تعالى)(٥٦٩).

**الحادي عشر: علي رضي الله عنه في حجة الوداع:**

أدرك علي رضي الله عنه رسول الله في حجة الوداع، ونحر رسول الله ثلاثا وستين بدنة بيده، وكان عدد هذا الذي نحره عدد سني عمره، ثم أمسك، وأمر عليا أن ينحر ما بقي من المائة، ففعل وأكمل العدد، وقد وصف لنا علي رضي الله عنه بعض المناسك في حجته مع رسول الله (ﷺ)، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أن النبي (ﷺ) وقف بعرفة وهو مردف أسامة بن زيد، فقال: «هذا الموقف وكل عرفة موقف»، ثم دفع يسير العنق، وجعل الناس يضربون يمينًا وشمالاً، وهو يلتفت ويقول: «السكينة أيها الناس، السكينة أيها الناس» حتى جاء المزدلفة، وجمع بين الصلاتين، ثم وقف بالمزدلفة، فوقف على قزح، وأردف الفضل بن عباس، وقال: «هذا الموقف، وكل المزدلفة موقف» ثم دفع وجعل يسير

---

(٥٦٤) تفيئة ذلك: أي أثره، النهاية (٣/ ٤٨٣).
(٥٦٥) فضائل الصحابة رقم (١٢٣٩) إسناده صحيح.
(٥٦٦) منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله ص(٨٧).
(٥٦٧) نواجذه: جمع ناجذ: آخر الأضراس، وللأسنان أربعة نواجذ وهناك رواية أخرى في فضائل الصحابة رقم (١٠٩٥) إسناده حسن لغيره.
(٥٦٨) سنن النسائي (٦/ ١٨٢) حاشية السندي.
(٥٦٩) منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله ص(٨٨).

العنق، والناس يضربون يمينًا وشمالاً، وهو يلتفت ويقول: «**السكينة السكينة أيها الناس**» حتي جاء محسرًا فقرع راحلته فخبت، حتى خرج، ثم عاد لسيره الأول، حتى رمى الجمرة، ثم جاء المنحر فقال: «**هذا المنحر، وكل منى منحر**». ثم جاءت امرأة شابة من خثعم، فقالت: إن أبي شيخ كبير، وقد أفند، وأدركته فريضة الحج، ولا يستطيع أداءها، فيجزي عنه أن أؤديها عنه؟ قال رسول الله: «**نعم**»، وجعل يصرف وجه الفضل بن العباس عنها. ثم أتاه رجل فقال: إني رميت الجمرة، وأفضت ولبست ولم أحلق. قال: «**فلا حرج ،فاحلق**». ثم أتاه رجل آخر، فقال: إني رميت وحلقت ولبست ولم أنحر. فقال: «**لا حرج فانحر**». ثم أفاض رسول الله (ﷺ)، فدعا بسجل[٥٧٠] من ماء زمزم، فشرب منه وتوضأ، ثم قال: «**انزعوا**[٥٧١] **يا بني عبد المطلب، فلولا أن تغلبوا عليها لنزعت**». قال العباس: يا رسول الله، إني رأيتك تصرف وجه ابن أخيك؟ قال: «**إني رأيت غلامًا شابًا، وجارية شابة، فخشيت عليهما الشيطان**»[٥٧٢]، وقد كان علي رضي الله عنه يعلن على الناس ما أمره به النبي (ﷺ)، فعن عمرو بن سليم عن أمه قالت: بينما نحن بمنى إذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: إن رسول الله (ﷺ) قال: «**إن هذه أيام أكل وشرب، فلا يصومها أحد**» واتبع الناس على جمله يصرخ بذلك[٥٧٣].

**الثاني عشر: تشرفه بغسل النبي (ﷺ) ودفنه:**

لما توفي النبي (ﷺ) كان عليا ممن باشر غسله مع الفضل بن العباس وأسامة بن زيد[٥٧٤]، وقال علي رضي الله عنه: غسلت رسول الله (ﷺ)، فذهبت أنظر ما يكون من الميت فلم أر شيئًا وكان طيبًا حيًا وميتًا[٥٧٥]، وقال: بأبي الطيب، طبت حيًا وطبت ميتًا[٥٧٦]، وكان علي رضي الله عنه من ضمن من نزل في قبر رسول الله (ﷺ) وباشروا دفنه هو والفضل بن عباس، وقثم بن عباس، وشقران مولى رسول الله (ﷺ)[٥٧٧]، لقد كان نبأ وفاة رسول الله (ﷺ) على الصحابة الكرام كالصاعقة لشدة حبهم له وما تعودوه من العيش في كنفه، عيش الأبناء في حجر الآباء، بل أكثر من ذلك، وكان حظ أهل البيت والأسرة

---

(٥٧٠) السجل: الدلو العظيمة.

(٥٧١) المرتضى للندوي ص(٥٧) وقد جاء في رواية البخاري أن النبي ﷺ نحر سبع بدن بيده قيامًا رقم (١٧١٢) وكلف علي بالإشراف على قسمتها وهي مائة رقم (١٧١٨) النزع: استخراج الماء من زمزم لسقي الحجيج.

(٥٧٢) مسند أحمد(٢/ ٩) الموسوعة الحديثية رقم (٥٦٤) إسناده حسن.

(٥٧٣) المصدر نفسه رقم (٥٦٧) صحيح.

(٥٧٤) أبو داود (٣/ ٢١٣) عن الشعبي مرسلاً رقم (٣٢٠٩) صححه الألباني في أحكام الجنائز ص(٥١).

(٥٧٥) سنن ابن ماجه (١/ ٣٦٢) رقم (١٤٦٧) صححه الألباني في أحكام الجنائز ص(٥٠).

(٥٧٦) السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ٣٢١).

(٥٧٧) المصدر نفسه (٤/ ٣٢١).

الهاشمية -وعلى رأسها فاطمة بنت رسول الله (ﷺ) وعلي بن أبي طالب- أوفر وأكثر بطبيعة الحال، وبحكم الفطرة السليمة والقرابة القريبة، وما يمتازون به من رقة الشعور، وقوة العاطفة، وشدة الحب ولكن احتملوه بقوة إيمانهم والرضا بقضاء الله والاستسلام لأمره(٥٧٨).

**الثالث عشر: قصة الكتاب الذي هم النبي (ﷺ) بكتابته في مرض موته:**

ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث ابن عباس- رضي الله عنهما- أنه قال: لما حُضر رسول الله (ﷺ) وفي البيت رجال فقال النبي (ﷺ): «**هلموا أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده**» ، فقال بعضهم: إن رسول الله (ﷺ) قد غلبه الوجع، وعندكم القرآن ، حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت واختصموا ، فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم كتابًا لا تضلوا بعده، ومنهم من يقول غير ذلك، فلما أكثروا اللغو والاختلاف قال رسول الله (ﷺ) : «**قوموا**» . قال عبد الله: فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله (ﷺ) وبين أن يكتب الكتاب لاختلافهم ولغطهم(٥٧٩). وفي رواية أخرى عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: يوم الخميس وما يوم الخميس، اشتد برسول الله (ﷺ) وجعه فقال: «**ائتوني أكتب لكم كتابًا لن تضلوا بعده أبدًا**» فتنازعوا، ولا ينبغي عند نبي نزاع، فقالوا: ما شأنه؟ أهجر، استفهموه، فذهبوا يردون عليه فقال: «**دعوني، فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه**» ، وأوصاهم بثلاث، قال: «**أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفود بنحو ما كنت أجيزهم**» ، وسكت عن الثالثة، أو قال: فنسيها(٥٨٠). وليس فيما ثبت في هذا الحديث ورواياته الصحيحة أي مطعن على أصحاب رسول الله (ﷺ) ، وأما ما ذكره الروافض من مطاعن فباطلة معلومة الفساد، وقد أجاب العلماء قديمًا عن بعضها ومن هذه الردود:

١- إن اختلاف الصحابة ثابت، وكان سببه اختلافهم في فهم قول الرسول (ﷺ) ومراده لا عصيانه، قال القرطبي صاحب (المفهم): وسبب ذلك أن ذلك كله إنما حمل عليه الاجتهاد المسوغ، والقصد الصالح، وكل مجتهد مصيب، أو أحدهما مصيب، والآخر غير مأثوم بل مأجور كما قررناه في الأصول(٥٨١) ثم ذكر أن النبي (ﷺ) لم يعنفهم ولا ذمهم بل قال: للجميع: «**دعوني فالذي أنا فيه خير**»(٥٨٢). وهذا نحو ما جرى لهم يوم الأحزاب حيث قال لهم الرسول (ﷺ): «**لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة**»(٥٨٣) ، فتخوف ناس فوات الوقت، فصلوا دون بني قريظة وقال آخرون: لا نصلي إلا حيث أمرنا رسول الله

---

(٥٧٨) المرتضى للندوي ص(٥٩).
(٥٧٩) البخاري رقم (٤٤٣٢).
(٥٨٠) البخاري رقم (٤٤٣١).
(٥٨١) المفهم لما أشكل ما تلخيص كتاب مسلم (٤/٥٥٩).
(٥٨٢) البخاري رقم (٤٤٣١).
(٥٨٣) البخاري رقم (٤١١٩).

(ﷺ). فما عنف أحد الفريقين[٥٨٤].

٢- وأما ما ادعاه الروافض من أن اختلاف الصحابة وما ترتب عليه من عدم كتابة النبي (ﷺ) لهم ذلك الكتاب الذي هو حرم الأمة من العصمة، فهذا باطل؛ لأنه يعني أن الرسول (ﷺ) قد ترك تبليغ أمته ما فيه عصمتها من الضلال، ولم يبلغ شرع ربه لمجرد اختلاف أصحابه عنده حتى مات على ذلك، وأنه بهذا مخالف أمر ربه في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧] وإذا كان الرسول (ﷺ) مبرأ من ذلك ومنزهًا بتزكية ربه له في قوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، فوصفه بالحرص على أمته، أي على هدايتهم، ووصول النفع الدنيوي والأخروي لهم، ذكره ابن كثير في تفسيره[٥٨٥].

وإذا كان هذا الأمر معلومًا بالاضطرار من دين الإسلام عند الخاص والعام، لا يشك فيه من في قلبه أدنى مثقال ذرة من إيمان، وأن هذا الرسول الكريم قد بلغ كل ما أمر به، وكان أحرص ما يكون على أمته، بما هو متواتر من جهاده وتضحيته، وأخباره الدالة على ذلك، علمنا علمًا يقينيًا لا يشوبه أدنى شك، أنه لو كان الأمر كما يذكر الروافض من الوصف لهذا الكتاب من أن به عصمة الأمة من الضلال في دينها، ورفع الفرقة، والاختلاف فيما بينها، إلى أن تقوم الساعة، لما ساغ في دين ولا عقل أن يؤخر رسول الله كتابه إلى ذلك الوقت الضيق، ولو أخره ما كان ليتركه لمجرد اختلاف أصحابه عنده[٥٨٦]، ولا يتصور أن النبي (ﷺ) يترك أمر ربه، ولو قدر أنه تركه في ذلك الوقت لتنازعهم عنده لمصلحة رآها فما الذي يمنعه من أن يكتبه بعد ذلك، وقد ثبت أنه عاش بعد ذلك عدة أيام، فقد كانت وفاته -عليه الصلاة والسلام- يوم الإثنين على ما جاء مصرحًا به في رواية أنس في الصحيحين[٥٨٧]، وحادثة الكتاب يوم الخميس بالاتفاق[٥٨٨]، وقد ثبت باتفاق السنة والرافضة، أن رسول الله (ﷺ) لم يكتب ذلك الكتاب حتى مات، علمنا أنه ليس من الدين الذي أمر بتبليغه لما دل عليه القرآن من أن الله قد أكمل له ولأمته الدين، فأنزل عليه قبل ذلك في حجة الوداع: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

قال ابن تيمية: ولم تكن كتابة الكتاب مما أوجبه الله عليه أن يكتبه أو يبلغه في ذلك الوقت، إذ لو كان كذلك لما ترك (ﷺ) ما أمره الله به، لكن ذلك مما رآه مصلحة لدفع النزاع

(٥٨٤) المفهم (٤/٥٥٩).
(٥٨٥) تفسير ابن كثير (٢/٤٠٤).
(٥٨٦) مختصر التحفة الاثنى عشرية ص(٢٥١)، الانتصار للصحب والآل ص(٢٢٨، ٢٢٩).
(٥٨٧) البخاري رقم (٤٤٤٨)، مسلم رقم (٤١٩).
(٥٨٨) الانتصار للصحب والآل ص(٢٢٩).

في خلافة أبي بكر، ورأى أن الخلاف لا بد أن يقع[٥٨٩]. وقال في موضوع آخر: وأما قصة الكتاب الذي كان رسول الله (ﷺ) يريد أن يكتبه، فقد جاء مبينًا كما في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله (ﷺ) في مرضه: «**ادعي لي أباك و أخاك حتى أكتب كتابًا، فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر**»[٥٩٠]. إلى أن قال بعد ذكر في روايات الحديث: والنبي (ﷺ) قد عزم على أن يكتب الكتاب الذي ذكره لعائشة، فلما رأى أن الشك قد وقع، علم أن الكتاب لا يرفع الشك، فلم يبق فيه فائدة، وعلم أن الله يجمعهم على ما عزم عليه كما قال: «**ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر**»[٥٩١]. وأما قوله في الحديث: «**لن تضلوا بعدي**» فيقول الدهلوي في توجيهه: فإن قيل: لو لم يكن ما يكتب أمرًا دينيًا فلم قال: «**لن تضلوا بعدي؟**» قلنا: للضلال معان، والمراد به هنا عدم الخطأ في تدبير الملك، وهو إخراج المشركين من جزيرة العرب، وإجازة الوفد بنحو ما كان يجيزه، وتجهيز جيش أسامة منه، لا الضلالة والغواية عن الدين وهو ما فعله أبو بكر والصحابة من بعده[٥٩٢].

٣- وأما معنى قول ابن عباس: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله (ﷺ) وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب[٥٩٣]، فكما قال ابن تيمية في معناه: يقتضي أن الحائل كان رزية، وهو رزية في حق من شك في خلافة الصديق، واشتبه عليه الأمر، فإنه لو كان هناك كتاب لزال الشك، فأما من علم أن خلافته حق فلا رزية في حقه ولله الحمد[٥٩٤]، ويوضح ذلك أن ابن عباس رضي الله عنهما- ما قال ذلك إلا بعد ظهور أهل الأهواء والبدع، من الخوارج والروافض، نص على هذا ابن تيمية[٥٩٥]، وابن حجر[٥٩٦].

٤- وأما ادعاؤهم أن النبي (ﷺ) أراد بذلك الكتاب أن ينص على خلافة علي رضي الله عنه وزعم بعض الروافض أنه ليس هناك تفسير معقول غيره، هذا الادعاء باطل قال ابن تيمية: ومن توهم أن هذا الكتاب كان بخلافة علي فهو ضال باتفاق عامة الناس، من علماء السنة والشيعة، أما أهل السنة فمتفقون على تفضيل أبي بكر وتقديمه، وأما الشيعة القائلون بأن عليا كان مستحقًا للإمامة فيقولون: إنه قد نص على إمامته قبل ذلك نصًا جليًا ظاهرًا معروفًا، وحينئذ فلم يكن يحتاج إلى الكتاب[٥٩٧].

---

(٥٨٩) منهاج السنة (٦/ ٣١٦).
(٥٩٠) مسلم رقم (٢٣٨٧).
(٥٩١) منهاج السنة (٦/ ٢٣، ٢٥).
(٥٩٢) مختصر التحفة الاثنى عشرية ص(٢٥١).
(٥٩٣) البخاري رقم (٤٤٣٢).
(٥٩٤) منهاج السنة (٦/ ٢٥).
(٥٩٥) منهاج السنة (٦/ ٣١٦).
(٥٩٦) فتح الباري (١/ ٢٠٩).
(٥٩٧) منهاج السنة (٦/ ٢٥) الانتصار للصحب والآل ص(٢٨١-٢٨٣).

٥- وأما طعن الروافض على عمر رضي الله عنه وزعمهم بأنه قد اتهم رسول الله (ﷺ) بأنه لا يعي ما يقول: ، وقال: «إنه يهجر» ولم يمتثل قوله، وقال: «عندكم كتاب الله»، «حسبنا كتاب الله»، فجوابه: أن ما ادعاه أولا بأن عمر اتهم رسول الله بالهجر وأنه لا يعي ما يقول فهذا باطل، وذلك أن هذه اللفظة (أهجر) لا تثبت عن عمر رضي الله عنه أصلا، وإنما قالها بعض من حضر الحادثة من غير أن تعين الروايات الواردة في الصحيحين قائلها ، وإنما الثابت فيها «فقالوا: ما شأنه أهجر»[٥٩٨]، هكذا بصيغة الجمع دون الإفراد، ولهذا أنكر بعض العلماء أن تكون هذه اللفظة من كلام عمر، قال ابن حجر: ويظهر لي ترجيح ثالث الاحتمالات، التي ذكرها القرطبي، ويكون قائل ذلك بعض من قرب دخوله في الإسلام، وكان يعهد أن من اشتد عليه الوجع، قد ينشغل به عن تحرير ما يريد[٥٩٩]، وقال الدهلوي: من أين يثبت أن قائل هذا القول هو عمر مع أنه وقع في أكثر الروايات (قالوا) بصيغة الجمع[٦٠٠].

إن الثابت الصحيح من هذه اللفظة أنها وردت بصيغة الاستفهام هكذا (أهجر؟) وهذا بخلاف ما جاء في بعض الروايات بلفظ (هجر، ويهجر) فإنه مرجوح على ما حقق ذلك المحدثون وشراح الحديث، منهم القاضي عياض[٦٠١]، والقرطبي[٦٠٢]، والنووي[٦٠٣]،وابن حجر[٦٠٤]، فقد نصوا أن الاستفهام جاء في سبيل الإنكار على من قال: لا تكتبوا[٦٠٥]، قال القرطبي بعد أن ذكر الأدلة على عصمة النبي (ﷺ) من الخطأ في التبليغ في كل أحواله وتقرر ذلك عند الصحابة: وعلى هذا يستحيل أن يكون قولهم: (أهجر) ، لشك عرض لهم في صحة قوله، زمن مرضه، وإنما كان ذلك من بعضهم على وجه الإنكار على من توقف في إحضار الكتف والدواة، وتلكأ عنه، فكأنه يقول لمن توقف: كيف تتوقف أتظن أنه قال هذيانًا، فدع التوقف وقرب الكتف، فإنه يقول الحق لا الهجر، وهذا أحسن ما يحمل عليه[٦٠٦]، وهذا يدل على اتفاق الصحابة على استحالة الهجر على رسول الله (ﷺ) ، حيث إن قائليها أوردوها على سبيل الإنكار الملزم، الذي لا يشك فيه المخالف،وبه تبطل دعوى الروافض من أصلها [٦٠٧].

---

(٥٩٨) البخاري رقم (٤٤٣١).
(٥٩٩) فتح الباري (٨/١٣٣).
(٦٠٠) مختصر التحفة الاثنى عشرية (ص٢٥٠).
(٦٠١) الشفا(٢/٨٨٦).
(٦٠٢) المفهم (٤/٥٥٩) .
(٦٠٣) شرح صحيح مسلم (١١/٩٣).
(٦٠٤) فتح الباري (٨/١٣٣).
(٦٠٥) الانتصار للصحب والآل ص(٢٢٨)
(٦٠٦) المفهم (٤/٥٥٩).
(٦٠٧) الانتصار للصحب والآل ص(٢٨٩)، وهذا المرجع من أحسن ما اطلعت عليه في الرد على هذه الشبهة.

٦- أما ادعاؤهم من معارضة عمر لرسول الله (ﷺ) بقوله: عندكم كتاب الله، حسبنا كتاب الله، وأنه لم يمتثل أمر رسول الله (ﷺ) فيما أراد من كتابة الكتاب، فالرد على هذه الشبهة الواهية: أن عمر رضي الله عنه ومن كان على رأيه من الصحابة، ظهر لهم، أن أمر الرسول بكتابة الكتاب ليس على الوجوب، وأنه من باب الإرشاد إلى الأصلح، وقد نبه على هذا القاضي عياض[٦٠٨]، والقرطبي[٦٠٩]، والنووي[٦١٠]، وابن حجر[٦١١]، ثم إنه قد ثبت بعد هذا صحة اجتهاد عمر رضي الله عنه وذلك بترك الرسول (ﷺ) كتابة الكتاب، ولو كان واجبًا لم يتركه لاختلافهم، لأنه لم يترك التبليغ لمخالفة من خالف، ولهذا عد هذا من موافقات عمر[٦١٢]، كما أن قول عمر رضي الله عنه: حسبنا كتاب الله، رد على من نازعه لا على أمر النبي (ﷺ)، وهذا ظاهر من قوله: عندكم كتاب الله، فإن المخاطب جمع وهم المخالفون لعمر رضي الله عنه في رأيه، كما أن عمر رضي الله عنه كان بعيد النظر، ثاقب البصيرة، سديد الرأي، وقد رأى أن الأولى ترك كتابة الكتاب -بعد أن تقرر عنده أن الأمر به ليس على الوجوب- وذلك لمصلحة شرعية راجحة للعلماء في توجيهها أقوال، منها: شفقته على رسول الله (ﷺ) مما يلحقه من كتابة الكتاب مع شدة المرض، ويشهد لهذا قوله: إن رسول الله قد غلبه الوجع، فكره أن يتكلف رسول الله ما يشق ويثقل عليه[٦١٣]، مع استحضار قوله (تعالى): ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] وقوله (تعالى): ﴿تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]، قال النووي: وأما كلام عمر رضي الله عنه فقد اتفق العلماء المتكلمون في شرح الحديث، على أنه من دلائل فقه عمر، وفضائله ودقيق نظره[٦١٤].

كما أن عمر رضي الله عنه كان مجتهدًا في موقفه من كتابة الكتاب، والمجتهد في الدين معذور على كل حال، بل مأجور لقول النبي (ﷺ): «**إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر**»[٦١٥]، فكيف وقد كان اجتهاد عمر بحضور النبي (ﷺ) فلم يؤثمه ولم يذمه به، بل وافقه على ما أراد من ترك الكتاب، وبهذا يظهر بطلان طعن الروافض على الصحابة في هذه الحادثة، وينكشف زيف ما قالوه في حقهم[٦١٦].

---

(٦٠٨) الشفا (٢/ ٨٨٧)
(٦٠٩) المفهم (٢/ ٥٥٩).
(٦١٠) شرح النووي (١١/ ٩١).
(٦١١) فتح الباري (١/ ٢٠٩).
(٦١٢) فتح الباري (١/ ٢٠٩).
(٦١٣) الشفا(٢/ ٨٨٨).
(٦١٤) شرح النووي على صحيح مسلم (١١/ ٩٠)، الانتصار للصحب والآل ص(٢٨٩-٢٩٢).
(٦١٥) البخاري رقم (٧٣٥٢).
(٦١٦) الانتصار للصحب والآل ص(٢٩٤، ٢٩٥).

## الفصل الثاني
## علي بن أبي طالب رضي الله عنه في عهد الخلفاء الراشدين

### المبحث الأول: علي بن أبي طالب رضي الله عنه في عهد الصديق

#### أولاً: مبايعة علي لأبي بكر رضي الله عنهما بالخلافة:

وردت أخبار كثيرة في شأن تأخر علي عن مبايعة الصديق وكذا تأخر الزبير بن العوام، وجل هذه الأخبار ليست بصحيحة، وقد جاءت روايات صحيحة السند تفيد بأن عليا والزبير رضي الله عنهما بايعا الصديق في أول الأمر، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: لما توفي رسول الله (ﷺ) قام خطباء الأنصار. فذكر بيعة السقيفة[1]، ثم قال: ثم انطلقوا فلما قعد أبو بكر على المنبر نظر في وجوه القوم فلم ير عليا، فسأل عنه، فقام أناس من الأنصار، فأتوا به، فقال أبو بكر: ابن عم رسول الله (ﷺ) وختنه أردت أن تشق عصا المسلمين، فقال: لا تثريب يا خليفة رسول الله (ﷺ) فبايعه ثم لم ير الزبير بن العوام، فسأل عنه حتى جاؤوا به فقال: ابن عمة رسول الله (ﷺ) وحواريه، أردت أن تشق عصا المسلمين، فقال مثل قوله: لا تثريب يا خليفة رسول الله فبايعاه[2].

ومما يدل على أن أهمية حديث أبي سعيد الخدري الصحيح أن الإمام مسلم بن الحجاج صاحب «الجامع الصحيح» الذي هو أصح الكتب الحديثية بعد «صحيح البخاري» ذهب إلى شيخه الحافظ محمد بن إسحاق بن خزيمة- صاحب صحيح ابن خزيمة- فسأله عن هذا الحديث، فكتب له ابن خزيمة الحديث، وقرأه عليه، فقال مسلم لشيخه ابن خزيمة: هذا الحديث يساوي بدنة، فقال ابن خزيمة: هذا الحديث لا يساوي بدنة[3] فقط، إنه يساوي بدرة مال[4]، وعلق على هذا الحديث ابن كثير -رحمه الله- فقال: هذا إسناد صحيح محفوظ، وفيه فائدة جليلة، وهي مبايعة علي بن أبي طالب إما في أول يوم أو في اليوم الثاني من الوفاة، وهذا حق، فإن علي بن أبي طالب لم يفارق الصديق في وقت من الأوقات، ولم ينقطع في صلاة من الصلوات خلفه[5]، وفي رواية حبيب بن أبي ثابت، حيث قال: كان

(١) مجمع الزوائد (٥/ ١٨٣) رجاله رجال الصحيح (البداية والنهاية) (٥/ ٢٨١)، قال ابن كثير: هذا إسناد صحيح محفوظ.
(٢) المستدرك (٣/ ٧٦) السنن الكبرى (٨/ ١٤٣) بإسنادين صحيحين.
(٣) البدنة: ناقة أو بقرة تنحر بمكة ولعظمها وضخامتها سميت بدنة.
(٤) البدرة كيس فيه ألف أو عشرة آلاف دينار: والمعنى: أنه كنز ثمين.
(٥) البداية والنهاية (٥/ ٢٣٩).

علي بن أبي طالب في بيته، فأتاه رجل، فقال له: قد جلس أبو بكر للبيعة، فخرج علي إلى المسجد في قميص له، ما عليه إزار ولا رداء، وهو متعجل، كراهة أن يبطئ عن البيعة، فبايع أبا بكر، ثم جلس، وبعث إلى ردائه فجاؤوه به، فلبسه فوق قميصه[٦].

وقد سأل عمرو بن حريث سعيد بن زيد رضي الله عنه، فقال له: أشهدت وفاة رسول الله (ﷺ)؟ قال: نعم، قال له: متى بويع أبو بكر؟ قال سعيد: يوم مات رسول الله (ﷺ)، كره المسلمون أن يبقوا بعض يوم، وليسوا في جماعة.

قال: هل خالف أحد أبا بكر؟

قال سعيد: لا. لم يخالف إلا مرتد، أو كاد أن يرتد، وقد أنقذ الله الأنصار، فجمعهم عليه وبايعوه، قال: هل قعد أحد من المهاجرين عن بيعته؟ قال سعيد: لا لقد تتابع المهاجرون على بيعته[٧]، وكان مما قال علي رضي الله عنه لابن الكواء وقيس بن عباد حينما قدم البصرة وسألاه عن مسيره قال: «لو كان عندي من النبي (ﷺ) عهد في ذلك ما تركت أخا بني تيم بن مرة وعمر بن الخطاب يقومان على منبره ولقاتلتهما ولو لم أجد إلا بردي هذا، ولكن رسول الله (ﷺ) لم يقتل قتلاً ولم يمت فجأة، مكث في مرضه أيامًا وليالي يأتيه المؤذن فيؤذنه بالصلاة فيأمر أبا بكر فيصلي بالناس، وهو يرى مكاني، ولقد أرادت امرأة من نسائه أن تصرفه عن أبي بكر فأبى وغضب وقال: «أنتن صواحب يو سف مروا أبا بكر يصلي بالناس»فلما قبض الله نبيه ونظرنا في أمورنا، فاخترنا لدنيانا من رضيه نبي الله لديننا، وكانت الصلاة أصل الإسلام وهي أعظم الأمور وقوام الدين، فبايعنا أبا بكر، وكان لذلك أهلاً، ولم يختلف عليه منا اثنان، ولم يشهد بعضنا على بعض، ولم نقطع منه البراءة، فأديت إلى أبي بكر حقه وعرفت له طاعته وغزوت معه في جنوده، وكنت آخذ إذا أعطاني وأغزوا إذا أغزاني وأضرب بين يديه الحدود بسوطي»[٨].

وكان مما قال في خطبته على منبر الكوفة في ثنائه على أبي بكر وعمر: فأعطى المسلمون البيعة طائعين، فكان أول من سبق في ذلك من ولد عبد المطلب أنا[٩]، وجاءت روايات أشارت إلى مبايعة علي لأبي بكر رضي الله عنهما في أول الأمر وإن لم تصرح بذلك، فعن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف أنه قال: إن عبد الرحمن بن عوف كان مع عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.. ثم قام أبو بكر فخطب الناس، واعتذر إليهم وقال: والله ما

---

(٦) الطبري (٣/٢٠٧) والأثر مرسل وفي الإسناد سيف بن عمر متروك، وعبد العزيز بن سياه صدوق يتشيع تقريب (٣٥٧).

(٧) تاريخ الطبري (٣/٢٠٧) إسناد الخبر ضعيف انظر خلافة أبي بكر الصديق، عبد العزيز سليمان ص(٦٦).

(٨) تاريخ الإسلام، عهد الخلافة الراشدة ص(٣٨٩) إسناده ضعيف خلافة أبي بكر الصديق عبد العزيز سليمان ص (٦٥).

(٩) أسد الغابة (٤/١٦٦، ١٦٧) خلافة أبي بكر ص(٦٦).

كنت حريصًا على الإمارة يومًا وليلة قط ولا كنت فيها راغبًا ولا سألتها الله (عز وجل) في سر ولا علانية ولكني أشفقت من الفتنة ومالي في الإمارة من راحة، ولكن قلدت أمرًا عظيمًا ما لي به من طاقة ولا بد إلا بتقوية الله (عز وجل) ، ولوددت أني أقوى الناس عليها اليوم، فقبل المهاجرون منه ما قال وما اعتذر به، قال علي رضي الله عنه والزبير: ما غضبنا إلا لأنا قد أخرنا عن المشاورة، وإنا نرى أبا بكر أحق الناس بها بعد رسول الله (ﷺ) إنه لصاحب الغار، وثاني اثنين، وإنا لنعلم بشرفه، وكبره، ولقد أمره رسول الله (ﷺ) بالصلاة بالناس وهو حي[١٠].

وعن قيس العبدي قال: شهدت خطبة علي يوم البصرة قال: فحمد الله وأثنى عليه وذكر النبي (ﷺ) وما عالج من الناس، ثم قبضه الله (عز وجل) إليه ، ثم رأى المسلمون أن يستخلفوا أبا بكر رضي الله عنه فبايعوه وعاهدوه وسلموا، وبايعت وعاهدت وسلمت، ورضوا ورضيت، وفعل من الخير وجاهد حتى قبضه الله (عز وجل) رحمة الله عليه[١١].

إن عليا رضي الله عنه لم يفارق الصديق في وقت من الأوقات ولم ينقطع عنه في جماعة من الجماعات وكان يشاركه في المشورة، وفي تدبير أمور المسلمين، ويرى ابن كثير ومجموعة من أهل العلم أن عليا جدد بيعته بعد ستة أشهر من البيعة الأولى -أي بعد وفاة فاطمة رضي الله عنها- وجاءت في هذه البيعة روايات صحيحة[١٢]. ولكن لما وقعت البيعة الثانية اعتقد بعض الرواة أن عليا لم يبايع قبلها، فنفى ذلك والمثبت مقدم على النافي[١٣]. وهناك كتاب اسمه «الإمام علي جدل الحقيقة والمسلمين والوصية والشورى» لمحمود محمد العلي، زعم صاحبه بأنه يبحث ويناشد الحقيقة، ولكن صاحبه لم يتخلص من المنهج الشيعي الرافضي في الطرح ووضع السم في العسل، ولذلك وجب التنبيه، وقد تعرض لبيعة علي رضي الله عنه، وزعم بأن أحقية علي رضي الله عنه بالخلافة على الوصية.

**ثانيًا: علي رضي الله عنه ومساندته لأبي بكر في حروب الردة:**

كان علي رضي الله عنه لأبي بكر رضي الله عنه عيبة[١٤] نصح له، مرجحًا لما فيه مصلحة للإسلام والمسلمين على أي شيء آخر، ومن الدلائل الساطعة على إخلاصه لأبي بكر ونصحه للإسلام والمسلمين وحرصه على الاحتفاظ ببقاء الخلافة واجتماع شمل المسلمين ما جاء من موقفه من توجه أبي بكر رضي الله عنه بنفسه إلى ذي القصة، وعزمه على محاربة المرتدين، وقيادته للتحركات العسكرية ضدهم بنفسه، وما كان في ذلك من مخاطرة وخطر على الوجود الإسلامي[١٥]، فعن ابن عمر رضي الله عنه قال: لما برز أبي بكر إلى

---

(١٠) البداية والنهاية (٦/ ٣٤١) إسناده جيد خلافة أبي بكر ص(٦٧).
(١١) السنة، عبد الله بن أحمد (٢/ ٥٦٣) رجال الإسناد ثقات.
(١٢) البداية والنهاية (٥/ ٤٩). (١٣) البداية والنهاية (٥/ ٤٩).
(١٤) العيبة: وعاء من خوص ونحوه ينقل فيه الزرع المحصود، ووعاء من أدم ونحوه يكون فيه المتاع.
(١٥) المرتضى للندوي ص(٩٧).

ذي القصة، واستوى على راحلته أخذ علي بن أبي طالب رضي الله عنه؟؟ أقول لك ما قال رسول الله (ﷺ) يوم أحد: لم سيفك ولا تفجعنا بنفسك، وارجع إلى المدينة، فوالله لئن فجعنا بك لا يكون للإسلام نظام أبدًا، فرجع[١٦]. فلو كان علي رضي الله عنه -أعاذه الله من ذلك- لم ينشرح صدره لأبي بكر وقد بايعه على رغم من نفسه، فقد كانت هذه فرصة ذهبية ينتهزها علي، فيترك أبا بكر وشأنه، لعله يحدث به حدث فيستريح منه ويصفو الجو له، وإذا كان فوق ذلك -حاشاه الله- من كراهته له، وحرصه على التخلص منه، أغرى به أحدًا يغتاله، كما يفعل الرجال السياسيون بمنافسيهم وأعدائهم[١٧]، وقد كان رأى علي رضي الله عنه مقاتلة المرتدين وقال لأبي بكر لما قال لعلي: ما تقول يا أبا الحسن؟ قال: إنك إن تركت شيئًا مما كان أخذه منهم رسول الله فأنت على خلاف سنة الرسول، فقال: أما لئن قلت ذاك لأقاتلنهم وإن منعوني عقالاً[١٨].

**ثالثًا: تقديم علي رضي الله عنه لأبي بكر:**

تواترت الأخبار عن علي رضي الله عنه في تفضيله وتقديمه لأبي بكر رضي الله عنه، فمن ذلك:

١- عن محمد ابن الحنفية قال: قلت لأبي: أي خير الناس بعد رسول الله (ﷺ)؟ قال: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قال: عمر. وخشيت أن يقول عثمان قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين[١٩].

٢- عن علي رضي الله عنه قال: ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر. ثم قال: ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد أبي بكر عمر[٢٠].

٣- عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال: قيل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: ألا تستخلف علينا؟ قال: ما استخلف رسول الله (ﷺ) فأستخلف؟! ولكن إن يرد الله بالناس خيرًا فسيجمعهم بعدي على خيرهم كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم[٢١].

٤- وقال علي رضي الله عنه: لا يفضلني أحد على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري[٢٢].

٥- قول علي لأبي سفيان رضي الله عنهما: إنا وجدنا أبا بكر لها أهلاً. وهناك آثار

---

(١٦) البداية والنهاية (٦/ ٣١٤-٣١٥).
(١٧) المرتضى للندوي ص(٩٧).
(١٨) المختصر من كتاب الموافقة بين أهل البيت والصحابة للزمخشري ص(٤٨)، الرياض النضرة ص(٦٧٠).
(١٩) البخاري.
(٢٠) مسند أحمد (١/ ١٠٦، ١١٠، ١٢٧) صحح أحمد شاكر معظم طرق هذه الأحاديث.
(٢١) المستدرك (٣/ ٧٩) صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
(٢٢) فضائل الصحابة (١/ ٨٣) في سنده ضعف.

يستأنس بها في إيضاح العلاقة الطيبة بين علي وأبي بكر، منها:

(أ) عن عقبة بن الحارث قال: خرجت مع أبي بكر الصديق من صلاة العصر بعد وفاة النبي (ﷺ) بليال وعلي يمشي إلى جنبه، فمر بحسن بن علي يلعب مع غلمان، فاحتمله على رقبته وهو يقول:

**بأبي يشبه النبي ليس شبيهًا بعلي**

قال: وعلي يضحك(٢٣).

(ب) وعن علي رضي الله عنه قال: من فارق الجماعة شبرًا، فقد نزع ربقة الإسلام من عنقه(٢٤)، فهل كان علي يفعل ذلك؟ كان علي رضي الله عنه يكره الاختلاف ويحرص على الجماعة. قال القرطبي: من تأمل ما دار بين أبي بكر وعلي من المعاتبة ومن الاعتذار، وما تضمن ذلك من الاتفاق عرف أن بعضهم كان يعترف بفضل الآخر، وأن قلوبهم كانت متفقة على الاحترام والمحبة، وإن كان الطبع البشري قد يغلب أحيانًا، لكن الديانة ترد ذلك - والله الموفق(٢٥)- وأما ما قيل من تخلف الزبير بن العوام عن البيعة لأبي بكر، فإنه لم يرد من طريق صحيح ، بل ورد ما ينفي هذا القول، ويثبت مبايعته في أول الأمر، وذلك في أثر أبي سعيد السابق الصحيح وغيره من الآثار(٢٦).

(ج) قال ابن تيمية: وقد تواتر عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: خير الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر، وقد روى هذا عنه من طرق كثيرة قيل: إنها تبلغ ثمانين طريقًا. وعنه أنه كان يقول: لا أوتي بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري(٢٧). وقال أيضًا: ولم يقل أحد قط إني أحق بهذا -أي الخلافة- من أبي بكر ولا قاله أحد في أحد بعينه إن فلانا أحق بهذا الأمر من أبي بكر. وإنما قال من فيه أثر الجاهلية عربية أو فارسية أن بيت رسول الله أحق بالولاية؛ لأن العرب في جاهليتها كانت تقدم الرؤساء وكذلك الفرس يقدمون أهل بيت الملك، فنقل عمن نقل عنه كلام يشير به إلى هذا(٢٨).

**(د) تسمية أبي بكر الصديق وشهادة علي له بالسباق والشجاعة:**

عن يحيى حكيم بن سعد قال: سمعت عليا رضي الله عنه يحلف: لله أنزل اسم أبي بكر من السماء الصديق(٢٩)، وعن صلة بن ظفر العبسي قال: كان أبو بكر إذا ذكر عند علي

---

(٢٣) مسند أحمد (١/ ١٧٠) إسناده صحيح تحقيق أحمد شاكر.
(٢٤) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٢٤) من مرسل أبي طارق الأزدي وهو صدوق ورجال الإسناد ثقات، خلافة أبي بكر الصديق ص(٨٠).
(٢٥) فتح الباري (٧/ ٤٩٥).
(٢٦) خلافة أبي بكر الصديق عبد العزيز سليمان ص(٨١).
(٢٧) منهاج السنة (٣/ ١٦٢).
(٢٨) منهاج السنة (٣/ ٢٦٩)، مرويات أبي مخنف ص(٣٠٩).
(٢٩) المعجم الكبير للطبراني (١/ ٥٥) رجاله ثقات قاله الحافظ في الفتح.

قال: السباق تذكرون، والذي نفسي بيده ما استبقنا إلى خير قط إلا سبقنا إليه أبو بكر[٣٠]، وعن محمد بن عقيل بن أبي طالب قال: خطبنا علي فقال: أيها الناس من أشجع الناس؟ قلنا: أنت يا أمير المؤمنين. قال: ذاك أبو بكر الصديق إنه لما كان في يوم بدر وضعنا لرسول الله العريش[٣١] فقلنا: من يقيم عنده لا يدنو إليه أحد من المشركين؟ فما قام عليه إلا أبو بكر وأنه كان شاهرًا السيف على رأسه كلما دنا إليه أحد هوى إليه أبو بكر بالسيف. ولقد رأيت رسول الله وأخذته قريش عند الكعبة فجعلوا يتعتعونه ويترترونه[٣٢]، ويقولون: أنت الذي جعلت الآلهة إلهًا واحدًا، فوالله ما دنا إليه إلا أبو بكر ولأبي بكر يومئذ ضفرتان[٣٣]، فأقبل يجأ[٣٤] هذا ويدفع هذا ويقول: ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم. . وقطعت إحدى ضفرتي أبي بكر، فقال علي لأصحابه: ناشدتكم الله أي الرجلين خير، مؤمن آل فرعون أو أبو بكر، فأمسك القوم، فقال علي: والله ليوم من أبي بكر خير من مؤمن آل فرعون، ذلك رجل كتم إيمانه فأثنى الله عليه، وهذا أبو بكر بذل نفسه ودمه لله[٣٥].

### رابعًا: اقتداء علي بالصديق في الصلوات وقبول الهدايا منه:

إن عليا رضي الله عنه كان راضيًا بخلافة الصديق ومشاركًا له في معاملاته وقضاياه، قابلا منه الهدايا رافعًا إليه الشكاوي، مصليا خلفه، محبًا له، مبغضًا من بغضه[٣٦]، وشهد بذلك أكبر خصوم الخلفاء الراشدين وأصحاب النبي (ﷺ) ومن تبعهم بهديهم، و سلك بمسلكهم، ونهج لمنهجهم[٣٧]، فهذا اليعقوبي الشيعي الغالي في تاريخه يذكر أيام خلافة الصديق فيقول: وأراد أبو بكر أن يغزو الروم فشاور جماعة من أصحاب رسول الله ، فقدموا وأخروا فاستشار علي بن أبي طالب فأشار أن يفعل، فقال: إن فعلت ظفرت؟ فقال: بشرت بخير، فقام أبو بكر في الناس خطيبًا، وأمرهم أن يتجهزوا إلى الروم. وفي رواية: سأل الصديق عليا كيف ومن أين تبشر؟ قال: من النبي (ﷺ) حيث سمعته يبشر بتلك البشارة، فقال أبو بكر : سررتني بما أسمعتني من رسول الله يا أبا الحسن سرك الله[٣٨]، ويقول اليعقوبي أيضًا: وكان مما يؤخذ عنه الفقه في أيام أبي بكر علي بن أبي طالب، وعمر بن الخطاب، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن مسعود[٣٩]، فقدم

(٣٠) الطبراني في الأوسط (٧/٢٠٧، ٢٠٨) إسناده ضعيف.
(٣١) العريش: ما يستظل به وجمعه عروش وعرش.
(٣٢) يترترونه: الترترة: تحريك الشيء.
(٣٣) ضفرتان: أي عظيمتان.
(٣٤) يجأ: الوجأ: اللكز.
(٣٥) المستدرك(٣/ ٦٧) صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
(٣٦) الشيعة وأهل البيت، إحسان إلهي ظهير ص(٦٩).
(٣٧) الشيعة وأهل البيت ص(٦٩).
(٣٨) تاريخ اليعقوبي (٢/١٣٢-١٣٣) نقلاً عن الشيعة وأهل البيت ص(٧٠).
(٣٩) تاريخ اليعقوبي (٢/١٣٨) نقلاً عن الشيعة وأهل البيت ص(٧٠).

عليا على جميع أصحابه، وهذا دليل واضح على تعاملهم مع بعضهم وتقديمهم عليا في المشورة(٤٠) والقضاء، فعندما كتب خالد بن الوليد إلى أبي بكر بقوله له: إنه وجد رجلاً في بعض نواحي العرب ينكح كما تنكح المرأة، فجمع أبو بكر لذلك أصحاب رسول الله (ﷺ) منهم علي، فقال علي: إن هذا ذنب لم يعمل به إلا أمة واحدة(٤١)، ففعل الله بهم ما قد علمتم، أرى أن تحرقه بالنار، فاجتمع رأي أصحاب رسول الله (ﷺ) أن يحرق بالنار، فأمر أبو بكر أن يحرق بالنار(٤٢).

وكان علي رضي الله عنه يمتثل أوامر الصديق فعندما جاء وفد من الكفار إلى المدينة، ورأوا بالمسلمين ضعفًا وقلة لذهابهم إلى الجهات المختلفة للجهاد واستئصال شأفة المرتدين والبغاة الطغاة وأحس منهم الصديق خطرًا على عاصمة الإسلام والمسلمين، أمر الصديق بحراسة المدينة وجعل الحرس على أنقابها يبيتون بالجيوش، وأمر عليا والزبير وطلحة وعبد الله بن مسعود أن يرأسوا هؤلاء الحراس، وبقوا كذلك حتى أمنوا منهم(٤٣). وللتعامل الموجود بينهم والتعاطف والتوادد والوئام الكامل كان علي هو سيد أهل البيت ووالد سبطي الرسول صلوات الله وسلامه عليه يتقبل الهدايا والتحف، دأب الإخوة المتشاورين فيما بينهم والمتحابين، كما قبل الصهباء الجارية التي سبيت في معركة عين التمر، وولدت له عمر ورقية(٤٤) وأيضًا منحه الصديق خولة بنت جعفر بن قيس التي أسرت مع من أسر في حرب اليمامة وولدت له أفضل أولاده بعد الحسن و الحسين وهو محمد ابن الحنفية، وكانت خولة من سبي أهل الردة وبها يعرف ابنها ونسب إليها محمد ابن الحنفية(٤٥) يقول الإمام الجويني عن بيعة الصحابة لأبي بكر: وقد اندرجوا تحت الطاعة عن بكرة أبيهم لأبي بكر رضي الله عنه وكان علي رضي الله عنه سامعًا لأمره، وبايع أبا بكر على ملأ من الأشهاد، ونهض إلى غزو بني حنيفة(٤٦).

ووردت روايات عديدة في قبوله هو وأولاده الهدايا المالية الخمس وأموال الفيء من الصديق رضي الله عنهم أجمعين، وكان علي هو القاسم المتولي في عهد الخمس والفيء وكانت هذه الأموال بيد علي، ثم كانت بيد الحسن، ثم بيد الحسين، ثم الحسن بن الحسن ثم زيد بن الحسن(٤٧)،وكان علي رضي الله عنه يؤدي الصلوات الخمس في المسجد خلف

---

(٤٠) الشيعة وأهل البيت ص(٧٠).
(٤١) ألا وهي أمة لوط عليه السلام.
(٤٢) المغني والشرح الكبير (١٢/ ٢٢٠) المختصر من كتاب الموافقة ص(٥١).
(٤٣) تاريخ الطبري (٤/ ٦٤)،الشيعة وأهل البيت ص(٧١).
(٤٤) الطبقات (٣/ ٢٠) ، البداية والنهاية (٧/ ٣٣١-٣٣٣).
(٤٥) الطبقات (٣/ ٢٠) المصدر نفسه.
(٤٦) الإرشاد للجويني ص(٤٢٨) نقلاً عن أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية للقفاري (١/ ٨٥).
(٤٧) الشيعة وأهل البيت ص(٧٢).

الصديق، راضيًا بإمامته، ومظهـرًا للناس اتفاقه ووئامه معه[٤٨]، وكـان علي رضي الله عنه يروي عن أبي بكر بعض أحاديث رسـول الله (ﷺ) ، فعن أسماء بن الحكم الـفزاري قال: سمعت عليـا رضي الله عنه يقول: كنت إذا سمعت من رسول الله علمًـا نفعني الله به وكان إذا حدثني عنه غيري استحلفته فـإذا حلف صدقته وحدثني أبو بكر -وصدق أبو بكر- قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «**ما من عبـد مسلم يذنب ذنبًا ثم يتوضأ فيـحسن الوضوء ثم يصلي ركعتين ثم يستغفر الله إلا غفر الله له**»[٤٩] ولما قبض رسول الله (ﷺ) اختلف أصحابه فقالوا: ادفنوه فـي البقيع[٥٠] وقال آخرون: ادفنوه في موضع الجنائز، وقال آخرون : ادفنوه في مقابل أصحابه، فقال أبو بكر: أخروا فإنه لا ينبغي رفع الصوت عند النبي حيا ولا ميتًا، فقال علي رضي الله عنه: أبو بـكر مؤتمن على ما جاء به قال أبو بكر: عـهد إلي رسول الله أنه ليس من نبي يموت إلا دفن حـيث يقبض[٥١]، وشهـد علي رضي الله عنه للصديق عن عظيم أجره في المصـاحف، فعن عبد خيـر قال: سمعت عليا يقـول: أعظم الناس أجرا في المصاحف: أبو بكر الصديق، هو أول من جمع بين اللوحين[٥٢].

**خامسًا: الصديق والسيدة فاطمة وميراث النبي (ﷺ)؟:**

قالت عائشة رضي الله عنها: إن فاطمـة والعباس رضي الله عنهما أتيا أبا بكر رضي الله عنه يلتمسـان ميراثهما من رسول الله (ﷺ) وهمـا حينئذ يطلبان أرضه من فدك وسـهمه من خيبر، فقال لهما أبو بكر: إني سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «**لا نورث ما تركنا صدقة، إنما يأكل آل محمد ﷺ من هذا المال**»[٥٣] وفي رواية: قال أبو بكر رضي الله عنه: ...لست تاركًا شيئًا كان رسول الله (ﷺ) يعمل به إلا عملت به، فإني أخشى إن تركت شيئًا من أمره أن أزيـغ[٥٤]. وعن عائشة رضي الله عنهـا قالت: إن أزواج النبي (ﷺ)، حين توفي رسول الله، أردن أن يبعثن عثمان بن عفـان رضي الله عنه إلى أبي بكر، ليسألنه ميراثهن من النبي، فقالت عـائشة رضي الله عنها لهن: أليس قـد قال رسول الله (ﷺ): «**لا نورث ما تركنا صدقة**»[٥٥]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): «**لا يقتسم ورثتي دينارًا، مـا تركت بعد نفـقة نسـائي ومؤنة عـاملي فـهو صـدقة**»[٥٦]. وهذا مـا فـعله أبو بكر

(٤٨) الشيعة وأهل البيت ص(٧٢).
(٤٩) مسند أحمد رقم (٤٧) .
(٥٠) البقيع : مقبرة أهل المدينة وهي داخل المدينة.
(٥١) مسند أحمـد (١/٨) إسناده ضعيف قـاله أحمد شـاكر وقال ابن حجـر في الفتح(١/ ٦٣١): إسناده صحيح لكنه موقوف.
(٥٢) المختصر من كتاب الموافقة ص(٤٤).
(٥٣) البخاري رقم (٦٧٢٦).
(٥٤) مسلم رقم (١٧٥٩).
(٥٥) البخاري رقم (٦٧٣٠)، مسلم (١٧٥٨).
(٥٦) البخاري رقم (٦٧٢٩).

الصديق رضي الله عنه مع فاطمة رضي الله عنها امتثالاً لقوله (ﷺ)، لذلك قال الصديق: لست تاركا شيئًا كان رسول الله يعمل به إلا عملت به[٥٧] وقال: والله لا أدعه أمرًا رأيت رسول الله (ﷺ) يصنعه فيه إلا صنعته[٥٨].

وقد تركت فاطمة رضي الله عنها منازعته بعد احتجاجه بالحديث وبيانه لها، وفيه دليل على قبولها الحق وإذعانها لقوله (ﷺ)، قال ابن قتيبة[٥٩]: وأما منازعة فاطمة أبا بكر رضي الله عنها في ميراث النبي (ﷺ) فليس بمنكر، لأنها لم تعلم ما قاله رسول الله (ﷺ) وظنت أنها ترثه كما يرث الأولاد آباءهم، فلما أخبرها بقوله كفت[٦٠] وقد غلا الرافضة في قصة ميراث النبي (ﷺ) غلوًا مفرطًا مجانبين الحق والصواب، معرضين متجاهلين ما ورد من نصوص صحيحة في أنه (ﷺ) لا يورث، وجعلوا ذلك من أصول الخلاف بين الصحابة وآل البيت رضي الله عنهم أجمعين وامتدادًا لأمر الخلافة، فاتهموا الصحابة رضوان الله عليهم بإيقاع الظلم والجور على آل البيت ولا سيما أبو بكر الصديق وعمر الفاروق رضي الله عنهما اللذين غصبا الخلافة من آل البيت كما في زعمهم، وأضافوا إلى ذلك غصب أموال آل البيت، وغصب ما فرض الله لهم، من حقوق مالية، ويعتبر الرافضة قضية فدك، ومنع فاطمة من إرثها من أهم القضايا، التي تواطأ عليها الصحابة بعد غصب الصديق رضي الله عنه للخلافة منهم على حد تعبيرهم وذلك حتى لا يميل الناس إلى آل البيت بسبب هذا المال فيجتمعوا عليه ويخلعوه من الخلافة[٦١]. والمستتبع لكتب الرافضة في هذه المسألة يجد أنها تنصب على إنكار حديث رسول الله (ﷺ): «نحن معاشر الأنبياء، لا نورث ما تركناه صدقة»[٦٢] واستقطاب الأدلة لمحاولة إبطاله، فمن ذلك:

١- زعمهم أن هذا الحديث وضعه أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) وفي ذلك يقول الحلي: إن فاطمة لم تقبل بحديث اخترعه أبو بكر من قوله: ما تركناه صدقة وقال أيضًا: والتجأ في ذلك إلى رواية انفرد بها[٦٣] وقال المجلسي بعد أن نص على أن أبا بكر وعمر أخذا فدكًا: ولأجل ذلك وضعوا تلك الرواية الخبيثة المفتراة: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة»[٦٤] ويقول الخميني في ذلك: يقول بأن الحديث المنسوب إلى النبي لا صحة له، وأنه قيل من أجل استئصال ذرية النبي[٦٥].

ويجاب على ذلك: بأن هذا القول كذب محض وافتراء واضح؛ إذ أن هذه الرواية لم

---

(٥٧) مسلم (١٧٥٨).          (٥٨) البخاري رقم (٦٧٢٦).
(٥٩) شذرات الذهب (٢/ ١٦٩).          (٦٠) تأويل مختلف الحديث ص(١٩/ ١).
(٦١) العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط ص(٤٣٥).
(٦٢) مسلم (١٧٥٨).
(٦٣) منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة (٤/ ١٩٣) نقلاً عن العقيدة في أهل البيت.
(٦٤) حق اليقين ص (١٩١) نقلاً عن العقيدة في أهل البيت ص(٤٤٣).
(٦٥) كشف الأسرار للخميني ص(١٣-١٣٣) نقلاً عن العقيدة في أهل البيت.

ينفرد بها أبو بكر رضي الله عنه بل إن قوله (ﷺ): «لانورث ما تركناه صدقة». رواه عنه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة، والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف والعباس بن عبد المطلب وأزواج النبي (ﷺ) وأبو هريرة وحذيفة بن اليمان رضي الله عنهم أجمعين[٦٦] وفي ذلك يقول ابن تيمية: والرواية عن هؤلاء ثابته في الصحاح والمسانيد مشهورة يعلمها أهل العلم بالحديث، فقول القائل: إن أبا بكر انفرد بالرواية يدل على فرط جهله أو تعمده الكذب[٦٧] وقال ابن كثير -بعد ذكره لمن روى الحديث وأن هذا الزعم من الرافضة باطل: ولو تفرد بروايته الصديق رضي الله عنه لوجب على جميع أهل الأرض قبول روايته والانقياد له في ذلك[٦٨]، وقد قال الدكتور سليمان بن رجاء السحيمي صاحب كتاب القيم «العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط»: ويؤيد هذا ما جاء من كتب الرافضة عن الإمام جعفر الصادق الإمام الخامس المعصوم عندهم فيما رواه الكيليني والصفار والمفيد أنه قال: قال رسول الله (ﷺ): «من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سلك الله به طريقًا إلى الجنة، والعلماء أمناء، والأتقياء حصون والأوصياء سادة، وفضل العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر، وأن العلماء ورثة الأنبياء، والأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهما، ولكن ورثوا العلم فمن أخذ منه أخذ بحظ وافر»[٦٩] وفي رواية: «إن العلماء ورثة الأنبياء، وذلك أن الأنبياء لم يورثوا درهما ولا دينارًا، وإنما ورثوا أحاديث من أحاديثهم»[٧٠]. وما أرث منك يا رسول الله؟ قال: «ما أورث النبيون».

٢- زعمهم أن الحديث مخالف لقوله (تعالى): ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١] وقالوا: ولم يجعل الله ذلك خاصًا بالأمة دونه (ﷺ)[٧١].

والحقيقة أن الخطاب شامل المقصودين بالخطاب وليس فيه ما يوجب كون النبي (ﷺ) من المخاطبين به[٧٢]. فهو (ﷺ) لا يقاس بأحد من البشر فهو أولى المؤمنين من أنفسهم ولأن الله حرم عليه صدقة الفرض والتطوع، وخص بأشياء لم يخص بها أحد غيره (ﷺ)، ومما خصه الله به هو وإخوانه من الأنبياء عليهم السلام كونهم لا يورثون، وذلك صيانة من الله لهم لئلا يكون ذلك شبهة لمن يقدح في نبوتهم بأنهم طلبوا الدنيا وخلفوها لورثتهم، أما بقية البشر فلا نبوة لهم يقدح فيها بمثل ذلك، كما صان الله (تعالى) نبينا عن الخط والشعر

---

(٦٦) العقيدة في أهل البيت ص(٤٤٤).
(٦٧) منهاج السنة (٤/ ١٩٩).
(٦٨) البداية والنهاية (٥/ ٢٥٠).
(٦٩) الكافي للكليني(١/ ٣٢- ٣٤).
(٧٠) الكافي للكليني(١/ ٣٢- ٣٤)، وبصائر الدرجات للصفار (١٠-١١) والاختصاص للمفيد ص(٤) وانظر: علم اليقين للكاشاني (٢/ ٧٤٧-٧٤٨) نقلاً عن العقيدة في أهل البيت ص(٤٤٤).
(٧١) منهاج الكرامة المطبوع مع منهاج السنة (٤/ ١٩٤).
(٧٢) منهاج السنة (٤/ ١٩٤-١٩٥) العقيدة في أهل البيت ص(٤٤٥).

صيانة لنبوته عن الشبهة وإن كان غيره لم يحتج إلى هذه الصيانة(٧٣).

وقال ابن كثير في رده على استدلال الرافضة بالآية: إن رسول الله (ﷺ) قد خص من بين الأنبياء بأحكام لا يشاركونه فيها.. فلو قدر أن غيره من الأنبياء يورثون -وليس الأمر كذلك- لكان ما رواه الصحابة وعلى رأسهم نبينا مبينًا لتخصيصه بهذا الحكم دون من سواه(٧٤) وبهذا يتبين بطلان استدلالهم بمخالفة الحديث.

٣- زعمهم أن منع الإرث والاستدلال بهذا الحديث مخالف لقوله (تعالى): ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾ [النمل: ١٦]. ومخالف لما حكاه الله عن نبيه زكريا عليه السلام ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم: ٥، ٦].

حيث قالوا: إن الميراث يقتضي الأموال وما في معناه، وليس لأحد أن يقول: إن المراد بالآية العلم دون المال(٧٥).

ويجاب على ذلك بما يلي: أن الإرث اسم جنس يدخل تحته أنواع، فيستعمل في إرث العلم والنبوة، والملك، وغير ذلك من أنواع الانتقال، قال (تعالى): ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣٢]. وقال (تعالى): ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠، ١١] وغير ذلك من الآيات الواردة في هذا الشأن، وإذا كان كذلك فقوله (تعالى): ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾ وقوله: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ إنما يدل على جنس الإرث، ولا يدل على إرث المال وذلك أن داود عليه السلام كان له أولاد كثيرون غير سليمان فلا يختص سليمان بماله، فدل على أن المراد بهذا الإرث إرث العلم والنبوة ونحو ذلك لا إرث المال، والآية سيقت في بيان مدح سليمان وما خصه الله به من النعمة، وحصر الإرث في المال لا مدح فيه، إذ أن إرث المال من الأمور العادية المشتركة بين الناس، وكذلك كقوله (تعالى): ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ ليس المراد به إرث المال لأنه لا يرث آل يعقوب شيئًا من أموالهم، وإنما يرث ذلك منهم أولادهم وسائر ورثتهم لو ورثوا(٧٦).

كما أن قوله: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي﴾ لا يدل على أن الإرث إرث مال، لأن زكريا لم يخف أن يأخذوا ماله من بعده إذا مات، فإن هذا ليس بمخوف، وزكريا عليه السلام لم يعرف له مال، بل كان نجارًا يأكل من كسب يده كما في «صحيح مسلم»(٧٧)، ولم يكن

---

(٧٣) منهاج السنة (٤/ ١٩٤-١٩٥) العقيدة في أهل البيت ص(٤٤٥).
(٧٤) البداية والنهاية (٥/ ٢٥٤)، العقيدة في أهل البيت ص(٤٤٦).
(٧٥) منهاج الكرامة ص(١٠٩) نقلاً عن العقيدة في أهل البيت وغيرها من الكتب كالطرائف لابن الرءوس ص(٣٤٧).
(٧٦) منهاج السنة (٤/ ٢٢٢- ٢٢٤).
(٧٧) مسلم رقم (٢٣٧٩).

ليدخر منها فوق قوته حتى يسأل الله ولدًا يرث عنه ماله، فدل على أن المراد بالوراثة في هاتين الآيتين وراثة النبوة، والقيام مقامه[٧٨].

يقول القرطبي في تفسيره للآية: وعليه فلم يسل من يرث ماله، لأن الأنبياء لا تورث، وهذا هو الصحيح من القولين في تأويل الآية، وإنه عليه الصلاة والسلام أراد وراثة العلم والنبوة لا وراثة المال لما ثبت عن النبي (ﷺ) أنه قال: «**إنا معشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة**»[٧٩]، وهذا الحديث يدخل في التفسير المسند لقوله (تعالى): **﴿وورث سليمان داوود﴾** وعبارة عن قول زكريا **﴿فهب لي من لدنك وليا * يرثني ويرث من آل يعقوب﴾** وتخصيص للعموم في ذلك وأن سليمان لم يرث من داود مالاً خلفه داود بعده، وإنما ورث منه الحكمة والعلم، وكذلك ورث يحيى من آل يعقوب، وهكذا قال أهل العلم بتأويل القرآن ما عدا الروافض[٨٠].

ومما تجدر الإشارة إليه أن الرافضة خالفوا ما استدلوا به على وجوب الميراث، وذلك أنهم حصروا ميراثه (ﷺ) في فاطمة رضي الله عنها، فزعموا أنه لم يرث النبي (ﷺ)، إلا هي، فأخرجوا أزواجه وعصبته مخالفون عموم الآيات التي استدلوا بها، فقد روى الصدوق بسنده عن أبي جعفر الباقر قوله: لا والله ما ورث رسول الله (ﷺ) العباس ولا علي، ولا ورثته إلا فاطمة عليها السلام، وما كان آخذ علي عليه السلام السلاح وغيره إلا أنه قضى عن دينه[٨١] وروى الكليني والصدوق والطوسي بأسانيدهم إلى الباقر أيضًا قوله: وورث علي عليه السلام من رسول الله (ﷺ) علمه، وورثت فاطمة عليها السلام تركته[٨٢]، بل وأخرجوا حتى فاطمة من ذلك، حيث زعموا إن النساء لا يرثن العقار، فقد بوب الكليني في كتابه «الكافي» بابًا بعنوان: أن النساء لا يرثن من العقار شيئًا وساق تحته روايات منها: عن أبي جعفر الصادق أنه قال: النساء لا يرثن من الأرض ولا من العقار شيئًا[٨٣].

روى الصدوق بسنده إلى ميسر قال: سألته -يقصد الصادق- عن النساء ما لهن في الميراث، فقال: أما الأرض والعقارات فلا ميراث لهن فيه[٨٤]، وبهذا تبين عدم استحقاق فاطمة رضي الله عنها شيئًا من الميراث، بدون الاستدلال بحديث: «**نحن معاشر الأنبياء لا نورث**»[٨٥]. فما دامت المرأة لا ترث العقار والأرض، فكيف كان لفاطمة أن تسأل فدك -على حسب قولهم- وهي عقار لا ريب فيه[٨٦]، وهذا دليل كذبهم وتناقضهم فضلاً عن

(٧٨) منهاج السنة (٤/ ٢٢٥)، البداية والنهاية (٥/ ٢٥٣) العقيدة في أهل البيت ص(٤٤٨).
(٧٩) مسلم رقم (١٧٥٨).
(٨٠) تفسير القرطبي (١١/ ٣٥- ٤٥).
(٨١) من لا يحضره الفقيه (٤/ ١٩٩٠- ١٩٩١) العقيدة في أهل البيت (٤٥١).
(٨٢) الكافي للكليني (٢/ ٢٥٩)، العقيدة في أهل البيت ص(٤٥١).
(٨٣) الكافي للكليني (٧/ ١٣٧)، العقيدة في أهل البيت ص(٤٥١).
(٨٤) الشيعة وأهل البيت ص(٨٩).
(٨٥) مسلم (١٧٦٨).
(٨٦) الشيعة وأهل البيت ص(٩٨).

جهلهم [٨٧].

وأما ما زعموه من كون الصديق رضي الله عنه سأل فاطمة أن تحضر شهودًا، فأحضرت عليا وأم أيمن فلم يقبل شهادتهما فهو من الكذب البين الواضح، قال حماد بن إسحاق: فأما ما يحكيه قوم أن فاطمة عليها السلام طلبت فدك، وذكرت أن رسول الله (ﷺ) أقطعها إياها، وشهد لها علي عليه السلام فلم يقبل أبو بكر شهادته لأنه زوجها، فهذا أمر لا أصل له ولا تثبت به رواية أنها ادعت ذلك، وإنما هو أمر مفتعل لا ثبت فيه [٨٨].

**٤- أن السنة والإجماع قد دلا على أن النبي (ﷺ) لا يورث:**

قال ابن تيمية: كون النبي (ﷺ) لا يورث ثبت بالسنة المقطوع بها، وبإجماع الصحابة، وكل منهما دليل قطعي، فلا يعارض ذلك بما يظن أنه عموم، وإن كان عمومًا فهو مخصوص، لأن ذلك لو كان دليلاً لما كان إلا ظنيًا فلا يعارض القطعي، إذ الظني لا يعارض القطعي، وذلك أن هذا الخبر رواه غير واحد من الصحابة في أوقات ومجالس، وليس فيهم من ينكره بل كلهم تلقاه بالقبول والتصديق، ولهذا لم يصر أحد من أزواجه على طلب الميراث ولا أصر العم على طلب الميراث، بل من طلب ذلك شيئًا فأخبر بقول النبي (ﷺ) رجع عن طلبه، واستمر الأمر على ذلك على عهد الخلفاء الراشدين إلى علي، فلم يغير من ذلك شيئًا ولا قسم له تركة [٨٩].

قال ابن تيمية: قد تولى الخلافة (علي) بعد ذي النورين عثمان، وصار فدك وغيرها تحت حكمه، ولم يعط منها شيئًا لأولاد فاطمة ولا من زوجات النبي (ﷺ) ولا ولد العباس، فلو كان ظلمًا وقدر على إزالته لكان هذا أهون عليه من قتال معاوية وجيوشه، أفتراه يقاتل معاوية مع ما جرى في ذلك من الشر العظيم ولا يعطي هؤلاء قليلاً من المال، وأمره أهون بكثير [٩٠]، وبإجماع الخلفاء الراشدين على ذلك احتج الخليفة العباسي أبو العباس السفاح على بعض مناظريه في هذه المسألة على ما نقل ابن الجوزي في «تلبيس إبليس» قال: وقد روينا عن السفاح أنه خطب يومًا فقام رجل من آل علي رضي الله عنه قال: أنا من أولاد علي رضي الله عنه، فقال: يا أمير المؤمنين أعني على من ظلمني قال: ومن ظلمك؟ قال: أنا من أولاد علي رضي الله عنه والذي ظلمني أبو بكر رضي الله عنه حين أخذ فدك من فاطمة، وقال: ودام على ظلمكم؟ قال: نعم، قال: ومن قام بعده؟ قال: عمر رضي الله عنه قال: ودام على ظلمكم ؟ قال: نعم، قال: ومن قام بعده؟ قال: عثمان رضي الله عنه قال: ودام على ظلمكم؟، قال: نعم، قال: ومن قام بعده؟ فجعل يلتفت كذا وكذا

(٨٧) العقيدة في أهل البيت ص(٤٥٢).
(٨٨) منهاج السنة (٤/ ٢٣٦- ٢٣٨).
(٨٩) منهاج السنة (٤/ ٢٢٠).
(٩٠) منهاج السنة (٦/ ٣٤٧).

ينظر مكانًا يهرب منه[٩١].

وبتصويب أبي بكر رضي الله عنه في اجتـهاده صرح بعض أولاد علي من فاطمة رضي الله عنهمـا على ما روى البـيهـقي بسنده عن فضـيل بن مرزوق قال: قـال زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب: أما لو كنت مكان أبي بكر، لحكمت بما حكم به أبو بكر في فـدك[٩٢]، كما نقل أبو العباس القـرطبي اتفاق أهل البيت بدأ بعلي رضي الله عنه ومن جاء بعده من أولاده، ثم أولاد العـباس الذين كانـت بأيديهم صدقة رسـول الله (ﷺ)، أنهم ما كانوا يرون تملكها، وإنما كانوا ينفقونها في سبيل الله، قال رحمه الله: إن عليا لما ولي الخلافة ولم يغيرها عما عـمل فيها في عهد أبي بكر، وعمر، وعثمـان، ولم يتعرض لتملكها، ولا لقسمة شيء منها، بل كان يصرفها في الوجوه التي كان من قبله يصرفها فيها، ثم كانت بيد حسن بن علـي، ثم بيد الحسين بن علي، ثم بـيد زيد بن حسين بن علي، ثم بـيد علي بن الحسين، ثم بيد الحسين بن الحسن، ثم بيد زيـد بن الحسين ، ثم بيد عبد الله بن الحسين، ثم تولاها بنو العبـاس على ما ذكره أبو بكر البـرقاني في صحـيحه، وهؤلاء كبـراء أهل البيت رضي الله عنهم وهم معتـمدون عند الشيعة وأئمتـهم، لم يرو عن واحد منهم أنه تملكها ولا ورثها ولا ورثت عنه، فلو كـان ما يقوله الشيعـة حقا لأخذها علي أو أحـد من أهل بيته لما ظفروا بها ولم لا[٩٣].

قال ابن تيمية: قد تولى علي الخلافة بعـد ذي النورين عثمان، وصار فدك وغيرها تحت حكمه، ولم يعط منها شيئًا لأولاد فاطمة ولا من زوجات النبي (ﷺ) ولا ولد العباس، فلو كان ظلمًـا وقدر على إزالته لكان هذا أهون عـليه من قتال مـعاوية وجيـوشه، أفتـراه يقاتل معاوية مع مـا جرى في ذلك من الشر العظيم ولا يعطي هؤلاء قليـلاً من المال، وأمره أهون بكثير[٩٤]؟.

وقال ابن كثير: وقد تكلمت الرافـضة في هذا المقام بجهل، وتكلفوا ما لا علم لهم به، وكذبوا بما لم يحيطوا بعلمه، ولما يأتهم تأويله، وأدخلوا أنفـسهم فيما لا يعنيهم[٩٥]، فلـو تفهموا الأمور على ما هي عليه لعـرفوا للصديق فضله وقبلوا منه عذره الذي يجب على كل أحد قبـوله، ولكنهم طائفة مخـذولة، وفرقة مرذولة، يتمـسكون بالمتشابه، ويتـركون الأمور المقررة عند أئمة الإسـلام من الصحابة والتابعين فـمن بعدهم من العلماء المعتـبرين في سائر الأعصار والأمصار ، رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين[٩٦].

---

(٩١) تلبيس إبليس ص(١٣٥).
(٩٢) تاريخ المدينة لابن شبة (١/ ٢٠٠) البداية والنهاية (٥/ ٢٥٣).
(٩٣) المفهم للقرطبي (٣/ ٥٦٤).
(٩٤) منهاج السنة (٦/ ٣٤٧).
(٩٥) البداية والنهاية (٥/ ٢٥٣).
(٩٦) المصدر نفسه (٥/ ٢٥١).

**٥- تسامح السيدة فاطمة مع أبي بكر:**

وقد ثبت عن فاطمة رضي الله عنها أنها رضيت عن أبي بكر بعد ذلك، وماتت وهي راضية عنه، على ما روى البيهقي بسنده عن الشعبي أنه قال: لما مرضت فاطمة أتاها أبو بكر الصديق فاستأذن عليها، فقال علي: يا فاطمة هذا أبو بكر يستأذن عليك؟ فقالت: أتحب أن آذن له؟ قال: نعم، فأذنت له فدخل عليها يترضاها، فقال: والله ما تركت الدار والمال، والأهل والعشيرة، إلا ابتغاء مرضاة الله، ومرضاة رسوله، ومرضاتكم أهل البيت، ثم ترضاها حتى رضيت[٩٧]. قال ابن كثير: وهذا إسناد جيد قوي والظاهر أن عامر الشعبي سمعه من علي أو ممن سمعه من علي[٩٨].

وبهذا تندحض مطاعن الرافضة على أبي بكر التي يعلقونها على غضب فاطمة عليه، فلئن كانت غضبت على أبي بكر في بداية الأمر فقد رضيت عنه بعد ذلك وماتت وهي راضية عنه، ولا يسع أحد صادق في محبته لها، إلا أن يرضى عمن رضيت عنه[٩٩]، ولا يعارض هذا ما ثبت في حديث عائشة: إنما يأكل آل محمد (ﷺ) من هذا المال، وإني والله لا أغير شيئًا من صدقة رسول الله (ﷺ) عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول الله (ﷺ)، ولأعملن فيها بما عمل به رسول الله (ﷺ)، فأبى أبو بكر أن يدفع لفاطمة منها شيئًا، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت[١٠٠]، فإن هذا بحسب علم عائشة رضي الله عنها راوية الحديث، وفي حديث الشعبي زيادة علم، وثبوت زيارة أبي بكر لها وكلامها له ورضاها عنه، فعائشة رضي الله عنها نفت والشعبي أثبت، ومعلوم لدى العلماء أن قول المثبت مقدم على قول النافي، لأن احتمال الثبوت حصل بغير علم النافي، خصوصًا في مثل هذه المسألة، فإن عيادة أبي بكر لفاطمة رضي الله عنها ليست من الأحداث الكبيرة التي تشيع في الناس، ويطلع عليها الجميع، وإنما هي من الأمور العادية التي تخفى على من لم يشهدها، والتي لا يعبأ بنقلها لعدم الحاجة لذكرها، على أن الذي ذكره العلماء أن فاطمة رضي الله عنها لم تتعمد هجر أبي بكر رضي الله عنه أصلاً، ومثلها ينزه عن ذلك لنهي النبي (ﷺ) عن الهجر فوق ثلاث، وإنما لم تكلمه لعدم الحاجة لذلك[١٠١]، قال القرطبي صاحب «المفهم» في سياق شرحه لحديث عائشة المتقدم: ثم إنها (أي فاطمة) لم تلتق بأبي بكر لشغلها بمصيبتها برسول الله (ﷺ) ولملازمتها بيتها، فعبر الراوي عن ذلك بالهجران، وإلا فقد قال رسول الله (ﷺ): «**لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث**»[١٠٢] وهي أعلم الناس بما يحل من ذلك ويحرم، وأبعد الناس عن مخالفة

---

(٩٧) السنن الكبرى للبيهقي (٦/ ٣٠١).
(٩٨) البداية والنهاية (٥/ ٢٥٣).
(٩٩) الانتصار للصحب والآل ص(٤٣٤).
(١٠٠) البخاري رقم (٤٢٤٠) رقم (١٧٥).
(١٠١) الانتصار للصحب والآل ص(٤٣٤).
(١٠٢) البخاري رقم (٦٠٧٧).

رسول الله (ﷺ) كيف لا يكون كذلك وهي بضعة من رسول الله (ﷺ) وسيدة نساء أهل الجنة[١٠٣].

**وقال النووي:** وأما ما ذكر من هجران فاطمة أبا بكر رضي الله عنه فمعناه انقباضها عن لقائه، وليس هذا من الهجران المحرم، الذي هو ترك السلام والإعراض عند اللقاء، وقوله في هذا الحديث: (فلم تكلمه) يعني في هذا الأمر، أو لانقباضها لم تطلب منه حاجة ولا اضطرت إلى لقائه فتكلمه، ولم ينقل قط أنهما التقيا فلم تسلم عليه ولا كلمته[١٠٤] لقد انشغلت فاطمة رضي الله عنها عن كل شيء بحزنها لفقدها أكرم الخلق، وهي مصيبة تزري بكل المصائب، كما أنها انشغلت بمرضها الذي ألزمها الفراش عن أية مشاركة في أي شأن من الشؤون فضلاً عن لقاء خليفة المسلمين المشغول -لكل لحظة من لحظاته- بشؤون الأمة، وحروب الردة وغيرها، كما أنها كانت تعلم بقرب لحوقها بأبيها، فقد أخبرها رسو ل الله (ﷺ) بأنها أول من يلحق به من أهله[١٠٥] ومن كان في مثل علمها لا يخطر بباله أمور الدنيا، وما أحسن قول المهلب الذي نقله العيني: ولم يرو أحد أنهما التقيا وامتنعا عن التسليم، وإنما لازمت بيتها، فعبر الراوي عن ذلك بالهجران[١٠٦].

ومما يدل على أن العلاقة وطيدة بين الصديق والسيدة فاطمة إلى حد أن زوجة أبي بكر أسماء بنت عميس هي التي كانت تمرض فاطمة بنت النبي (ﷺ) رضي الله عنها في مرض موتها، وكانت معها حتى الأنفاس الأخيرة وشاركت في غسلها وترحيلها إلى مثواها، وكان علي رضي الله عنه يمرضها بنفسه وتعينه على ذلك أسماء بنت عميس رضي الله عنها، وقد وصتها بوصايا في كفنها ودفنها وتشييع جنازتها.

فعملت أسماء بها[١٠٧]، فقد قالت السيدة فاطمة لأسماء: إني قد استقبحت ما يصنع بالنساء أنه يطرح على المرأة الثوب فيصفها، فقالت أسماء: يا بنت رسول الله (ﷺ) ألا أريك شيئًا رأيته بأرض الحبشة، فدعت بجراد رطبة فحنتها ثم طرحت عليها ثوبا، فقالت فاطمة: ما أحسن هذا وأجمله، به تعرف المرأة من الرجال[١٠٨]. وعن ابن عبد البر: فاطمة رضي الله عنها أول من غطي نعشها في الإسلام، ثم زينب بنت جحش، وكان الصديق دائم الاتصال بعلي من ناحية ليسأله عن أحوال بنت النبي (ﷺ) خلاف ما يزعمه القوم، فمرضت (أي فاطمة رضي الله عنها) وكان علي يصلي في المسجد الصلوات الخمس، فلما صلى قال له أبو بكر وعمر: كيف بنت رسول الله؟ ومن ناحية أخرى: من زوجه أسماء، حيث كانت

---

(١٠٣) المفهم (١٢/ ٧٣).
(١٠٤) شرح صحيح مسلم (١٢/ ٧٣).
(١٠٥) مسلم رقم (٢٤٥٠).
(١٠٦) أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ ص (١٠٨).
(١٠٧) الشيعة وأهل البيت ص(٧٧).
(١٠٨) الاستيعاب (٤/ ٣٧٨)

هي المشرفة والممرضة الحقيقية لها، ولما قبضت فاطمة من يومها فارتجت المدينة بالبكاء من الرجال والنساء، ودهش الناس كيوم قبض فيه رسول الله، فأقبل أبو بكر وعمر يعزيان عليا ويقولان: يا أبا الحسن، لا تسبقنا بالصلاة على ابنة رسول الله[١٠٩]، وقد توفيت ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من رمضان سنة إحدى عشرة، عن مالك عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده علي بن الحسين، قال: ماتت فاطمة بين المغرب والعشاء، فحضرها أبو بكر وعمر وعثمان والزبير وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم، فلما وضعت ليصلى عليها، قال علي: تقدم يا أبا بكر، قال أبو بكر رضي الله عنه: وأنت يا أبا الحسن؟ قال: نعم، فوالله لا يصلي عليها غيرك، فصلى عليها أبو بكر رضي الله عنه ودفنت ليلاً وجاء في رواية: صلى أبو بكر الصديق رضي الله عنه على فاطمة بنت رسول الله (ﷺ) فكبر عليها أربعًا[١١٠]، وفي رواية مسلم صلى عليها علي بن أبي طالب وهي الرواية الراجحة[١١١].

ولقد أجاد وأفاد محمد إقبال في قصيدته العصماء (فاطمة الزهراء) فقال:

نسب المسيح بنى لمريم سيرة ... بقيت على طول المدى ذكراها
والمجد يشرف من ثلاث مطالع ... في مهد فاطمة فما أعلاها
هي بنت من هي زوج من هي أم من ... من ذا يداني في الفخار أباها
هي ومضة من نور عين المصطفى ... هادي الشعوب إذا تروم هداها
من أيقظ الفطر النيام بروحه ... وكأنه بعد البلى أحياها
وأعاد تاريخ الحياة جديدة ... مثل العرائس في جديد حلاها
هي أسوة للأمهات وقدوة ... يترسم القمر المنير خطاها
جعلت من الصبر الجميل غذاءها ... ورأت رضى الزوج الكريم رضاها

إلى أن قال:

لولا وقوفي عند شرع المصطفى ... وحدود شرعته ونحن فداها
لمضيت للتطواف حول ضريحها ... وغمرت بالقبلات طيب ثراها[١١٢]

**سادسًا: مصاهرات بين الصديق وأهل البيت وتسمية أهل البيت بعض أبنائهم باسم أبي بكر:**

كانت صلة سيدنا أبي بكر الصديق خليفة رسول الله (ﷺ) بأعضاء أهل البيت صلة

(١٠٩) الشيعة وأهل البيت ص(٧٧)، كتاب سليم بن قيس ص(٢٥٥).
(١١٠) المختصر من كتاب الموافقة ص(٦٨) في سنده ضعف.
(١١١) مسلم رقم (١٧٥٩).
(١١٢) الدوحة النبوية الشريفة ص(٦٢، ٦٣).

ودية تقديرية تليق به وبهم، كانت هذه المودة والثقة متبادلة وكانت من المتانة بحيث لا يتصور معها التباعد والاختلاف مهما نسج المسامرون الأساطير والأباطيل، فالصديقة عائشة بنت الصديق أبي بكر كانت زوجة النبي (ﷺ)، ومن أحب الناس إليه مهما احترق الحساد ونقم المخالفون، فإنها حقيقة ثابتة، وهي طاهرة مطهرة بشهادة القرآن مهما جحدها المبطلون وأنكرها المنكرون، ثم أسماء بنت عميس التي كانت زوجة لجعفر بن أبي طالب شقيق علي، فمات عنها وتزوجها الصديق وولدت له ولدًا سماه محمدًا الذي ولاه على مصر، ولما مات أبو بكر تزوجها علي بن أبي طالب فولدت له ولدًا سماه يحيى[١١٣]. وحفيدة الصديق كانت متزوجة من محمد الباقر -الإمام الخامس عند الروافض وحفيد علي رضي الله عنه.

وقد نقل الأستاذ إحسان إلهي ظهير من كتب الروافض ما يثبت التلاحم والمصاهرة بين بيت النبوة وبيت الصديق، فقد أثبت بأن قاسم بن محمد وعلي بن الحسين بن علي بن أبي طالب حفيد علي كانا ابني خالة، فأم قاسم بن محمد وعلي بن الحسين هما بنتي يزدجرد بن شهريار بن كسرى اللتين كانتا من سبايا الفرس في عهد عمر رضي الله عنه، وتوسع إحسان إلهي ظهير في إثبات المصاهرات وعلاقات المودة والتراحم والاحترام المتبادل بين أهل البيت وبيت الصديق[١١٤]، وكان من حب أهل البيت للصديق والتودد ما بينهم أنهم سموا أبناءهم بأسماء أبي بكر رضي الله عنه، فأولهم علي بن أبي طالب حيث سمى أحد أبنائه بأبي بكر، وهذا دليل على حب ومؤاخاة وإعظام وتقدير علي للصديق رضي الله عنهما، والجدير بالذكر أنه ولد له هذا الولد بعد تولية الصديق الخلافة والإمامة، بل وبعد وفاته كما هو معروف بداهة، وهل يوجد في الشيعة اليوم المتزعمين حب علي وأولاده رجل يسمى بهذا الاسم، وهل هم موالون له أم مخالفون؟ وعلي رضي الله عنه لم يسم بهذا الاسم ابنه إلا متيمنًا بالصديق وإظهارًا للمحبة والوفاء وحتى بعد وفاته، وإلا فلا يوجد في بني هاشم رجل قبل علي سمى ابنه بهذا الاسم.

ثم لم يقتصر علي بهذا التيمن والتبرك وإظهار المحبة والصداقة للصديق بل بعده بنوه أيضًا مشوا مشيه ونهجوا منهجه، فالحسن والحسين، سميا كل واحد منهما أحد أولاده بأبي بكر، فقد ذكر ذلك اليعقوبي والمسعودي وهما من مؤرخي الروافض[١١٥]،واستمر أهل البيت يسمون من أسماء أولادهم بأبي بكر، فقد سمى ابن أخ علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو عبد الله بن جعفر الطيار ابن أبي طالب فإنه سمى أحد أبنائه باسم أبي بكر، وهذا من إحدى علائم الحب والود بين القوم خلاف ما يزعمه الروافض اليوم من العداوة والبغضاء والقتال الشديد والجدال الدائم بينهم[١١٦]. وقد كان جعفر بن محمد بن علي بن الحسين

(١١٣) خلافة علي بن أبي طالب، وترتيب وتهذيب كتاب البداية والنهاية للسلمي ص(٢٢).،

(١١٤) الشيعة وأهل البيت ص(٧٨ إلى ٨٣).

(١١٥) تاريخ اليعقوبي (٢/٢٢٨)، التنبيه والإشراف ص(٨٢).

(١١٦) الشيعة وأهل البيت ص(٨٣)، الدر المنثور من تراث أهل البيت والصحابة، السيد علاء الدين المدرس ص(٣٨) إلى (٤٤)، رحماء بينهم، صالح بن عبد الله الدرويش.

-الذي لقب بالصادق عند الشيعة والروافض- يقول : ولدني أبو بكر مرتين(١١٧)، فأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، كان أحد فقهاء المدينة السبعة تربى في حجر أم المؤمنين عائشة ، وأما أمه فهي أسماء بنت عبد الرحمن ابن أبي بكر الصديق وكان جعفر يغضب من الرافضة ويمقتهم إذا علم أنهم يتعرضون لجده أبي بكر، فكيف يرضى من يدعي محبة جعفر وآل البيت أن يلعن جد جعفر؟

وعن عروة بن عبد الله قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي عن حلية السيوف؟ فقال: لا بأس به، قد حلى أبو بكر الصديق سيفه قال: قلت: وتقول الصديق؟ قال: فوثب وثبة واستقبل القبلة، ثم قال: نعم الصديق، نعم الصديق، نعم الصديق، من لم يقل له الصديق فلا صدق الله له قولاً في الدنيا والآخرة(١١٨).

**سابعًا: علي رضي الله عنه في وفاة الصديق:**

كان علي رضي الله عنه من ضمن من استشارهم الصديق فيمن يتولى الخلافة بعده، وكان رأي علي أن يتولى بعد الصديق الفاروق(١١٩)، ولما حان الرحيل ونزل الموت بأبي بكر، كان آخر ما تكلم به الصديق في هذه الدنيا قول الله (تعالى): ﴿**تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ**﴾ [يوسف: ١٠١]. وارتجت المدينة لوفاة الصديق ولم تر المدينة منذ وفاة الرسول (ﷺ) يومًا، أكثر باكيًا وباكية من ذلك المساء الحزين، وأقبل علي بن أبي طالب مسرعًا باكيًا مسترجعًا، ووقف على البيت الذي فيه أبو بكر فقال: رحمك الله يا أبا بكر كنت إلف رسول الله (ﷺ) وأنيسه ومستراحه وثقته وموضع سره ومشاورته، وكنت أول القوم إسلامًا، وأخلصهم يقينًا، وأشدهم لله يقينًا، وأخوفهم لله، وأعظمهم غناء في دين الله (عز وجل)، وأحوطهم على رسول الله (ﷺ)، وأحدبهم على الإسلام، وأحسنهم صحبة، وأكثرهم مناقب، وأفضلهم سوابق، وأرفعهم درجة وأقربهم وسيلة، وأشبههم برسول الله هديًا وسمتًا، وأشرفهم منزلة، وأرفعهم عنده، وأكرمهم عليه، فجزاك الله عن رسول الله وعن الإسلام أفضل الجزاء. صدقت رسول الله حين كذبه الناس، وكنت عنده بمنزلة السمع والبصر، سماك الله في تنزيله صديقًا، فقال: ﴿**وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**﴾ [الزمر: ٣٣] واسيته حين بخلوا، وقمت معه على المكاره حين قعدوا، وصحبته في الشدة أكرم الصحبة، ثاني اثنين صاحبه في الغار، والمنزل عليه السكينة، ورفيقه في الهجرة، وخليفته في دين الله وأمته، أحسن الخلافة حين ارتدوا، فقمت بالأمر ما لم يقم به خليفة نبي، ونهضت حين وهن أصحابه وبرزت حين استكانوا، وقويت حين ضعفوا، ولزمت منهاج رسول الله (ﷺ) إذ وهنوا، وكنت كما قال رسول الله (ﷺ) ضعيفًا في بدنك

---

(١١٧) سير أعلام النبلاء(٦/ ٢٥٤).

(١١٨) صفة الصفوة (٢/ ١٠٩-١١٠) مختصر الاثنى عشرية ص(٣٤).

(١١٩) الكامل لابن الأثير(٢/ ٧٩)، المختصر من كتاب الموافقة للزمخشري ص(٧٠-١٠٠).

قويًا في أمر الله متواضعًا في نفسك عظيمًا عند الله (تعالى)، جليلاً في أعين الناس كبيرًا في أنفسهم، لم يكن لأحدهم فيك مغمز، ولا لقائل فيك مهمز، ولا لمخلوق عندك هوادة، الضعيف عندك قوي عزيز حتى تأخذ بحقه، القريب والبعيد عندك سواء، وأقرب الناس عندك أطوعهم لله (عز وجل) وأتقاهم، شأنك الحق والصدق والرفق، قولك حكم وحتم، وأمورك حلم وحزم، ورأيك علم وعزم، اعتدل بك الدين، وقوي بك الإيمان، وظهر أمر الله ، فسبقت -والله- سبقًا بعيدًا، وأتعبت من بعدك إتعابًا شديدًا، وفزت بالخير فوزًا مبينًا، فإنا لله وإنا إليه راجعون رضينا عن الله (عز وجل) قضاءه وسلمنا له أمره، والله لن يصاب المسلمون بعد رسول الله بمثلك أبدًا، كنت للدين عزًا، وحرزًا وكهفًا، فألحقك الله (عز وجل) بنبيك محمد (ﷺ)، ولا حرمنا أجرك، ولا أضلنا بعدك ، فسكت الناس حتى قضى كلامه، ثم بكوا حتى علت أصواتهم وقالوا: صدقت[120]، وجاء في رواية أن عليا قال عندما دخل على أبي بكر بعدما سُجِّي: ما أحد - والله - بصحيفته أحب إلي من هذا المسجى[121].

---

(١٢٠) التبصرة لابن الجوزي (١/ ٤٧٧- ٤٧٩) نقلاً عن أصحاب الرسول(١/ ١٠٨).
(١٢١) تاريخ الذهبي ، عهد الخلفاء الراشدين ص(١٢٠).

## المبحث الثاني: علي رضي الله عنه في عهد الفاروق

كان علي رضي الله عنه عضوا بارزًا في مجلس شورى الدولة العمرية، بل كان هو المستشار الأول، فقد كان عمر رضي الله عنه يعرف لعلي فضله، وفقهه، وحكمته، وكان رأيه فيه حسنًا، فقد ثبت قوله فيه: أقضانا علي(١٢٢)،وقال ابن الجوزي: كان أبو بكر وعمر يشاورونه، وكان عمر يقول: أعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن(١٢٣)، وقال مسروق: كان الناس يأخذون عن ستة: عمر وعلي وعبد الله وأبي موسى وزيد بن ثابت، وأبي بن كعب وقال: شاممت أصحاب محمد (ﷺ) فوجدت علمهم انتهى إلى ستة نفر: عمر وعلي وعبد الله وأبي الدرداء وأبي بن كعب وزيد بن ثابت، ثم شاممت هؤلاء الستة فوجدت علمهم انتهى إلى رجلين منهم، إلى علي، وعبد الله(١٢٤)، وقال أيضًا: انتهى العلم إلى ثلاثة، عالم بالمدينة، وعالم بالشام، وعالم بالعراق، فعالم المدينة علي بن أبي طالب، وعالم الكوفة عبد الله بن مسعود، وعالم الشام، أبو الدرداء، فإذا التقوا سأل عالم الشام وعالم العراق، عالم المدينة ولم يسألهم(١٢٥)، فكان علي من هؤلاء المقربين، يشد من أزر أخيه، ولا يبخل عليه برأيه، ويجتهد معه في إيجاد حلول للقضايا، التي لم يرد فيها نص، وفي تنظيم أمور الدولة الفتية، والشواهد على ذلك كثيرة، نذكر منها:

### أولا: ففي الأمور القضائية:

#### ١- امرأة تعتريها نوبات الجنون:

عن أبي ظبيان الجنبي: أن عمر بن الخطاب أُتي بامرأة قد زنت، فأمر برجمها، فذهبوا بها ليرجموها، فلقيهم علي رضي الله عنه، فقال: ما هذه؟ قالوا: زنت فأمر عمر برجمها، فانتزعها علي من أيديهم وردهم، فرجعوا إلى عمر، فقال: ما ردكم؟ قالوا: ردنا علي. قال: ما فعل هذا علي إلا لشيء قد علمه، فأرسل إلى علي، فجاء وهو شبه المغضب، فقال: مالك رددت هؤلاء؟ قال: أما سمعت النبي (ﷺ) يقول: **«رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصغير حتى يكبر، وعن المبتلى حتى يعقل؟»** قال: بلى. قال علي: فإن هذه مبتلاة بني فلان، فلعله أتاها وهو بها، فقال عمر: لا أدري، قال: وأنا لا أدري، فلم يرجمها(١٢٦)،فقد كان عمر لا يعلم بأنها مجنونة.

---

(١٢٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ص(١١٠٢) ، المعرفة والتاريخ(١/ ٤٨١).
(١٢٣) فضائل الصحابة رقم (١١٠٠) إسناده ضعيف.
(١٢٤) علل الحديث ومعرفة الرجال، علي بن المديني ص(٤٢، ٤٣) نقلاً عن خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد علي ص(٧٠) البخاري رقم (٤٤٨١).
(١٢٥) المعرفة والتاريخ للفسوي (١/ ٤٤٤).
(١٢٦) مسند أحمد الموسوعة الحديثية رقم(١٣٢٨) صحيح لغيره.

**٢- مضاعفة الحد لمن شرب الخمر:**

أخذ عمر برأي علي رضي الله عنهما في مضاعفة الحد لمن شرب الخمر، وذلك لانتشار شرب الخمر وخاصة في البلاد المفتوحة، وهي حديثة العهد بالإسلام، فأشار علي على عمر رضي الله عنهما بأن يجلد فيها ثمانين، كأخف الحدود، وعلل ذلك بقوله: نراه إذا سكر هذي وإذا هذي افترى، وعلى المفتري ثمانون[١٢٧]، وقد ثبت عن علي رضي الله عنه أنه قال: ما كنت أقيم حدًا على أحد، فيموت، وأجد في نفسي، إلا صاحب الخمر، فإنه لو مات وديته، وذلك لأن رسول الله (ﷺ) لم يسنه[١٢٨] وأول البيهقي قوله: (لم يسنه) زيادة على الأربعين، أو لم يسنه بالسياط وقد سنه بالنعال وأطراف الثياب مقدار أربعين والله أعلم[١٢٩]، وقد استنبط الفقهاء من أفعال الخلفاء الراشدين مقدار الحد في الخمر، على قول مالك والثوري وأبي حنيفة ومن تبعهم ثمانون، لإجماع الصحابة، ومن قال إن الحد أربعون: أبو بكر، والشافعي، وقول لأحمد، وتحمل الزيادة على ذلك من عمر رضي الله عنه، على أنها تعزير يجوز فعلها إذا رآه الإمام، وهذا هو القول الصحيح للشافعي[١٣٠]، وهذا الرأي مال إليه ابن تيمية أيضًا وقال: .. فأما مع قلة الشاربين وقرب أمر الشارب فتكفي الأربعون[١٣١].

**٣- لا سلطان لك على ما في بطنها:**

أتي عمر رضي الله عنه بامرأة حامل فسألها عمر فاعترفت بالفجور فأمر بها عمر أن ترجم، فلقيها علي فقال: ما بال هذه؟ فقالوا: أمر بها أمير المؤمنين أن ترجم، فردها علي فقال: أأمرت بها أن ترجم؟ قال: نعم اعترفت عندي بالفجور. قال: هذا سلطانك عليها فما سلطانك على ما في بطنها؟ قال علي: فلعلك انتهرتها[١٣٢]، أو أخفتها؟ قال: قد كان ذاك، قال: أو سمعته (ﷺ) يقول: «**لا حد على معترف بعد بلاء**» إن من قيدت أو حبست أو تهددت فلا إقرار له، فخلى عمر سبيلها، ثم قال: عجزت النساء أن تلد مثل علي بن أبي طالب، لولا علي لهلك عمر[١٣٣]، وقد علق ابن تيمية على هذه القصة فقال: إن هذه القصة إن كانت صحيحة، فلا تخلو من أن يكون عمر لا يعلم أنها حامل، فأخبره علي بحملها، ولا ريب أن الأصل عدم العلم، والإمام إذا لم يعلم أن المستحقة للقتل أو الرجم

---

(١٢٧) إرواء الغليل للألباني (٨/٤٦- ٤٧) الألباني وقال: إسناده ضعيف، وحقق هذا الأثر عبد الحميد علي في رسالته (خلافة علي بن أبي طالب) ملحق (٣٠).

(١٢٨) فتح الباري (١٢/٦٦).

(١٢٩) السنن الكبرى (٨/ ٣٢٢).

(١٣٠) المغني (٨/٣٠٧).

(١٣١) الفتاوى (٢٨/ ٣٣٦، ٣٣٧) منهاج السنة (٦/٨٣) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد ص(٧٣).

(١٣٢) انتهرتها: زجرتها.

(١٣٣) سنن سعيد بن منصور (٢/٦٩) رقم (٢٠٨٣) المختصر من كتاب الموافقة ص(١٣١).

حامل، فعرفه بعض الناس بحالها، كان هذا من جملة إخباره بأحوال الناس . . . إلى أن قال عن عمر: يعطي الحقوق ويقيم الحدود ويحكم بين الناس كلهم، وفي زمنه انتشر الإسلام وظهر ظهورًا لم يكن قبله مثله، وهو دائمًا يقضي ويفتي، ولولا كثرة علمه لم يطق ذلك، فإذا خفيت عليه قضية من مائة ألف قضية ثم عرفها أو كان نسيها فذكرها فأي عيب في ذلك(١٣٤). وكان رده هذا في سياق رده على الروافض.

**٤- ردوا الجهالات إلى السنة:**

أتي عمر بامرأة أنكحت في عدتها ففرق بينهما وجعل صداقها في بيت المال وقال: لا أجيز مهرًا أرد نكاحه، وقال: لا تجتمعان أبدًا، فبلغ ذلك عليا فقال: وإن كانوا جهلوا السنة لها المهر بما استحل من فرجها ويفرق بينهما، فإذا انقضت عدتها فهو خاطب من الخطاب، فخطب عمر الناس فقال: ردوا الجهالات إلى السنة ورجع عمر إلى قول علي(١٣٥).

**٥-هذا الرجل غلبني على نفسي وفضحني في أهلي:**

قال جعفر بن محمد: أتي عمر بن الخطاب بامرأة قد تعلقت بشاب من الأنصار وكانت تهواه، فلما لم يساعدها احتالت عليه، فأخذت بيضة، فألقت صفارها، وصبت البياض على ثوبها وبين فخذيها ثم جاءت إلى عمر صارخة، فقالت: هذا الرجل غلبني على نفسي وفضحني في أهلي، وهذا أثر فعاله، فسأل عمر النساء فقلن له: إن ببدنها وثوبها أثر المني، فهم بعقوبة الشاب، فجعل يستغيث ويقول: يا أمير المؤمنين تثبت في أمري، فوالله ما أتيت فاحشة وما هممت بها، فقد راودتني عن نفسي فاعتصمت، فقال عمر: يا أبا الحسن ما ترى في أمرهما، فنظر علي إلى ما على الثوب، ثم دعا بماء حار شديد الغليان، فصب على الثوب فجمد ذلك البياض ثم أخذه واشتمه، وذاقه، فعرف طعم البيض، وزجر المرأة فاعترفت(١٣٦). ونستخلص من هذه الواقعة بعض الدروس.

(أ) أن وسائل الإثبات كانت مرة في القضاء الإسلامي تشمل الإقرار والشهادة واليمين والنكول. . وتتسع لتشمل الأمارات والفراسة.

(ب) اهتمام عمر بمشاورة كبار الصحابة في النوازل وعلى الخصوص علي رضي الله عنهما الذي كانت منزلته عنده متميزة(١٣٧).

---

(١٣٤) منهاج السنة (٦/ ٤٢).
(١٣٥) المغني والشرح الكبير (١١/ ٦٦- ٦٧).
(١٣٦) الطرق الحكمية لابن القيم ص(٤٨).
(١٣٧) الاجتهاد في الفقه الإسلامي، عبد السلام السليماني ص(١٤٥).

**ثانيًا: علي رضي الله عنه والتنظيمات المالية والإدارية العمرية:**

**١- في الأمور المالية:**

**(أ) نفقات الخليفة:**

لما ولي عمــر بن الخطاب أمر المسلمين بعد أبي بكر مكــث زمانًا، لا يأكل من بيت المال شيئًا حتى دخلت عليه في ذلك خصاصة، ولم يــعد يكفيه ما يربحه من تجارته، لأنه اشتغل عنها بأمور الرعية، فأرسل إلى أصحاب رســو ل الله (ﷺ)، فاستشارهم في ذلك فقال: قد شغلت نفسي في هذا الأمــر فما يصلح لي فيه؟ فــقال عثمان بن عــفان: كل وأطعم، وقال ذلك سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وقــال عمر لعلي: ما تقول أنت في ذلك؟ قال: غداء وعشاء، فــأخذ عمر بذلك، وقــد بين عمر حظه من بيت المال فقــال: إني أنزلت نفسي من مال الله بمنزلة فيم اليتيم، إن استغنيت عنه تركت، وإن افتقرت إليه أكلت بالمعروف[١٣٨].

**(ب) رأي علي في أرض السواد بالعراق:**

لما فتحت أرض الســواد بالعراق عنوة، أشار عدد من الصحــابة رضوان الله عليهم على عمر بتقسيمها بين الفاتحين، ولكن لسعة الأرض وجودتها، ونظرة عمر البعيدة لمن سيأتي بعد ذلك، لم يطمئن عمر لتقسيمها، فاســتشار عليا في ذلك فكان رأيه موافقًا لرأي الخليفة عمر ألا تقسم فأخذ برأيه فقال: لولا آخر المسلمين ما فتحت قرية إلا قسمتها بين أهلها، كما قسم النبي (ﷺ) خيبر[١٣٩].

**(ج) لا جرم لتقسمنه:**

أتي عمر بمال فقسمه بين المسلمين، وفضلت منه فضلة، فاســتشار فيها الصحابة، فقالوا له: لو تركتــه لنائبة إن كانت، وفي القــوم علي ساكت، فأراد عمــر أن يسمع رأي علي في ذلك، فذكره علي بحديث مال البحرين حين جاء إلى النبي (ﷺ)، وأنه قسمه كله فقال عمر لعلي: لا جرم لتقسمنه، فقسمه علي[١٤٠] ويبدو أن هذا كان قبل تقسيم الدواوين[١٤١].

**٢- علي رضي الله عنه والأمور الإدارية:**

عندمــا احتــاج عمــر رضي الله عنه أن يضع تاريخًــا رسمــيًا ثابــتًا لتنظيم أمــور الدولة وضبطها، جــمع الناس وسألهم: من أي يوم نكتب التاريخ؟ فــقال علي رضي الله عنه: من يوم هاجر رسول الله (ﷺ) وترك أرض الشرك، ففعله عمر[١٤٢]، وقد كان عــمر رضي الله عنه يراه من أفضل من يقود الناس، فقد ورد عنه أنه كان يناجي رجلاً من الأنصار فقال: من

(١٣٨) الخلافة الراشدة، سنده صحيح د. يحيى ص(٢٧٠).
(١٣٩) الأموال، القاسم بن سلام ص(٥٧)، خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد علي ص(٧٥).
(١٤٠) مسند أحمد (١/ ٩٤) إسناده ضعيف لانقطاعه.
(١٤١) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد علي ص(٧٥).
(١٤٢) التاريخ الكبير للبخاري(١/ ٩).

تحدثون أنه يستخلف من بعدي؟ فعد الأنصاري المهاجرين ولم يذكر عليا، فقال عمر: فأين أنتم من علي؟ فوالله لو استخلفتموه، لأقامكم على الحق وإن كرهتموه[١٤٣] وقال لابنه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما بعد أن طعن: إن ولوها الأجلح سلك بهم الطريق[١٤٤].

**٣- استخلف عمر عليا على المدينة مرارا:**

(أ) استخلافه حين خرج عمر إلى ماء صراء فعسكر فيه، وكان الروم قد حشدوا للمسلمين، فجمع عمر الناس فاستشارهم فكلهم أشار عليه بالمسير[١٤٥].

(ب) استخلافه عند نزول عمر بالجابية:

وذلك حين نزل عمرو بن العاص بأجنادين، فكتب إليه أرطبون الروم: والله لا تفتح من فلسطين شيئًا بعد أجنادين، فارجع لا تُغر، وإنما صاحب الفتح رجل اسمه على ثلاثة أحرف، فعلم عمرو أنه عمر، فكتب يعلمه أن الفتح مدخر له، فنادى له الناس، واستخلف علي بن أبي طالب[١٤٦].

(ج) استخلاف علي حين حج عمر بأزواج النبي (ﷺ):

وهي آخر حجة حجها بالناس كانت سنة ثلاث وعشرين من الهجرة، وكان مع أمهات المؤمنين أولياؤهن ممن لا يحتجبن منه وخلف على المدينة علي بن أبي طالب [١٤٧].

**ثالثا: استشارة عمر لعلي رضي الله عنهما في أمور الجهاد وشؤون الدولة:**

كان علي رضي الله عنه المستشار الأول لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وكان يستشيره في الأمور الكبيرة منها والصغيرة، وقد استشاره حين فتح المسلمون بيت المقدس، وحين فتحت المدائن، وعندما أراد عمر التوجه إلى نهاوند وقتال الفرس، وحين أراد أن يخرج لقتال الروم، وفي موضع التقويم الهجري وغير ذلك من الأمور[١٤٨]، وكان علي رضي الله عنه طيلة حياة عمر مستشاراً ناصحًا لعمر محبًا له خائفًا عليه، وكان عمر يحب عليا وكانت بينهم مودة ومحبة وثقة متبادلة، ومع ذلك يأبى أعداء الإسلام إلا أن يزوروا التاريخ، ويقصوا بعض الروايات التي تتناسب مع أمزجتهم ومشاربهم ليصوروا لنا فترة الخلفاء الراشدين عبارة عن: أن كل واحد منهم كان يتربص بالآخر الدوائر لينقض عليه، وكل أمورهم كانت تجري من وراء الكواليس[١٤٩].

---

(١٤٣) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد علي ص(٧٦) قيل: إن الرواية مرسلة.
(١٤٤) بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث تحقيق حسن أحمد (٣/ ٧٤١) صحيح الإسناد، خلافة علي بن أبي طالب ص(٧٦).
(١٤٥) المنتظم (٤/ ١٩٢).
(١٤٦) المنتظم (٤/ ١٩٢).
(١٤٧) المنتظم (٤/ ٣٢٧) الفتح (٤/ ٨٧).
(١٤٨) علي بن أبي طالب مستشار أمين للخلفاء الراشدين ص(٩٩).
(١٤٩) المصدر نفسه ص(١٣٨).

إن أبرز ما يلاحظه المتأمل في خلافة عمر تلك الخصوصية في العلاقة وذلك التعاون المتميز الصافي بين عمر وعلي رضي الله عنهما، فقد كان علي هو المستشار الأول لعمر في سائر القضايا والمشكلات، وما اقترح علي على عمر رأيًا إلا واتجه عمر إلى تنفيذه عن قناعة، وكان علي رضي الله عنه يمحضه النصح في كل شؤونه وأحواله(١٥٠) فمثلاً عندما تجمع الفرس بنهاوند في جمع عظيم لحرب المسلمين جمع عمر رضي الله عنه الناس واستشارهم في المسير إليهم بنفسه، فأشار عليه عامة الناس بذلك، فقام إليه علي رضي الله عنه فقال: أما بعد، يا أمير المؤمنين، فإنك إن أشخصت أهل الشام من شامهم سارت الروم إلى ذراريهم، وإنك إن أشخصت أهل اليمن من يمنهم سارت الحبشة إلى ذراريهم، وإنك إن أشخصت من هذه الأرض انقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها حتى يكون ما تدع وراءك أهم إليك مما بين يديك من العورات والعيالات، أقرر هؤلاء في أمصارهم، واكتب إلى أهل البصرة، فليتفرقوا ثلاث فرق، فرقة في حرمهم وذراريهم، وفرقة في أهل عهدهم حتى لا ينتقضوا، ولتسر فرقة إلى إخوانهم بالكوفة مددًا لهم. إن الأعاجم إن ينظروا إليك غدًا قالوا: هذا أمير العرب وأصلها، فكان ذلك أشد لكلبهم عليك، وأما ما ذكرت من مسير القوم فإن الله هو أكره لمسيرهم منك، وهو أقدر على تغيير ما يكره، وأما عددهم فإنا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة ولكن بالنصر. فقال عمر : هذا هو الرأي كنت أحب أن أتابع عليه(١٥١). كانت نصيحة علي نصيحة المحب لعمر الغيور عليه والضنين ألا يذهب، وأن يدير رحى الحرب بمن دونه من العرب وهو في مكانه، وحذره من أنه إذا ذهب، فلسوف ينشأ وراءه من الثغرات ما هو أخطر من العدو الذي سيواجه، أرأيت لو أن رسول الله (ﷺ) أعلن أن الخلافة من بعده لعلي، أفكان لعلي أن يرغب عن أمر رسول الله (ﷺ) هذا، وأن يؤيد المستلبين لحقه بل لواجبه في الخلافة بمثل هذا التعاون المخلص البناء؟! بل أفكان للصحابة رضوان الله عليهم كلهم أن يضيعوا أمر رسول الله (ﷺ)؟ بل أفكان من المتصور أن يجمعوا -وفي مقدمتهم علي رضوان الله عليه- على ذلك؟ بوسعنا أن نعلم إذن بكل بداهة، أن المسلمين إلى هذا العهد -نهاية عهد عمر- بل إلى نهاية عهد علي كانوا جماعة واحدة، ولم يكن في ذهن أي من المسلمين أي إشكال بشأن الخلافة أو شأن من هو أحق بها(١٥٢).

إن كثرة مشاورة عمر لعلي رضي الله عنهما، وغيره من الصحابة، لا يعني هذا أنه دونهم في الفقه والعلم، فقد بينت الأحاديث الصحيحة التي تدل على علمه واكتمال دينه ولكنه إيمانه وحبه للشورى وتعويده للحكام فيما بعد على المشاورة، وعدم الاستبداد بالأمر والرأي، وإلا فإن عليا رضي الله عنه كان كثيرًا ما يرجع عن رأيه إلى رأي عمر(١٥٣)، فقد

---

(١٥٠) فقه السيرة النبوية للبوطي ص(٥٢٩).
(١٥١) تاريخ الطبري (٣/ ٤٨٠) تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ٩٤).
(١٥٢) فقه السيرة النبوية للبوطي ص(٢٩٥).
(١٥٣) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد علي ص(٧٧).

جاء عن عائشة رضي الله عنها في معرض حديثها عن عمر قولها: وقد كان علي رضي الله عنه يتابع عمر بن الخطاب فيما يذهب إليه ويراه مع كثرة استشارته عليا حتى قال رضي الله عنه: يشاورني عمر في كذا، فرأيت كذا، ورأى هو كذا، فلم أر إلا متابعة عمر(١٥٤).

**رابعاً: علي رضي الله عنه وأولاده وعلاقتهم بعمر رضي الله عنهم:**

كان عمر رضي الله عنه شديد الإكرام لآل رسول الله (ﷺ) وإيثارهم على أبنائه وأسرته، نذكر من ذلك بعض المواقف:

**١- أنت أحق بالإذن من عبد الله بن عمر:**

جاء فيما رواه الحسين بن علي رضي الله عنهما: أن عمر قال لي ذات يوم: أي بني لو جعلت تأتينا وتغشنا؟ فجئت يومًا وهو خال بمعاوية، وابن عمر بالباب لم يؤذن له، فرجعت فلقيني بعد، فقال: يا بني لم أرك أتيتنا؟ قلت: جئت وأنت خال بمعاوية فرأيت ابن عمر رجع فرجعت، فقال: أنت أحق بالإذن من عبد الله بن عمر، إنما أنبت في رؤسنا ما ترى: الله، ثم أنتم، ووضع يده على رأسه(١٥٥).

**٢- والله ما هنأ لي ما كسوتكم:**

روى ابن سعد عن جعفر بن محمد الباقر عن أبيه علي بن الحسين، قال: قدم على عمر حلل من اليمن، فكسا الناس فراحوا في الحلل، وهو بين القبر والمنبر جالس، والناس يأتونه ويسلمون عليه ويدعون له، فخرج الحسن والحسين من بيت أمهما فاطمة رضي الله عنها يتخطيان الناس، ليس عليهما من تلك الحلل شيء، وعمر قاطب صارا بين عينيه، ثم قال: والله ما هنأ لي ما كسوتكم، قالوا: يا أمير المؤمنين، كسوت رعيتك فأحسنت، قال: من أجل الغلامين يتخطيان الناس وليس عليهما من شيء كبرت عنهما وصغرا عنها، ثم كتب إلى عامله على اليمن أن: ابعث حلتين لحسن وحسين، وعجل، فبعث إليه بحلتين فكساهما(١٥٦).

**٣- تقديم بني هاشم في العطاء:**

عن أبي جعفر أنه لما أراد أن يفرض للناس بعد ما فتح الله عليه، وجمع ناسًا من أصحاب النبي (ﷺ)، فقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: ابدأ بنفسك، فقال: لا والله بالأقرب من رسول الله (ﷺ)، ومن بني هاشم رهط رسول الله (ﷺ)، وفرض للعباس، ثم لعلي، حتى والى بين خمس قبائل، حتى انتهى إلى بني عدي بن كعب، فكتب: من شهد بدرًا من بني هاشم، ثم شهد بدرًا من بني أمية بن عبد شمس، ثم الأقرب فالأقرب، ففرض الأعطيات لهم وفرض للحسن والحسين لمكانهما من رسول الله (ﷺ)(١٥٧).

(١٥٤) الإمامة والرد على الرافضة للأصبهاني ص(٢٩٥).
(١٥٥) المرتضى ص(١١٨)، كنز العمال (٧/ ١٠٥) الإصابة (١/ ١٣٣).
(١٥٦) المرتضى ص (١١٨)، الإصابة (١/ ١٠٦).
(١٥٧) الخراج لأبي يوسف ص(٢٤، ٢٥)، المرتضى ص(١١٨).

**٤- كساني هذا الثوب أخي وخليلي:**

خرج علي وعليه برد عدني فقال: كساني هذا الثوب أخي وخليلي وصفيي وصديقي أمير المؤمنين عمر[١٥٨]، وفي رواية عن أبي السفر قال: رؤي على علي بن أبي طالب رضي الله عنه برد كان يكثر لبسه قال: فقيل: يا أمير المؤمنين إنك لتكثر لبس هذا البرد؟ فقال: إن هذا كسانيه خليلي وصفيي عمر بن الخطاب رضي الله عنه ناصح الله فنصحه، ثم بكى[١٥٩].

**٥-أقطاع ينبع:**

أقطع عمر بن الخطاب عليا ينبع، ثم اشترى علي إلى قطيعة عمر أشياء فحفر فيها عينًا، فبينما هم يعملون فيها إذ تفجر عليهم مثل عنق الجزور من الماء، فأتي علي وبشر فتصدق بها على الفقراء والمساكين وفي سبيل الله ليوم تبيض وجوه وتسود وجوه ليصرف الله (تعالى) بها وجهه عن النار ويصرف النار عن وجهه، وكتب في صدقته: هذا ما أمر به علي بن أبي طالب وقضى في ماله: إني تصدقت بينبع ووادي القرى والأذنية وراعة في سبيل الله ووجهه، أبتغي مرضاة الله، ينفق منها في كل منفعة في سبيل الله ووجهه، وفي الحرب والسلم والجنود وذوي الرحم والقريب والبعيد، لا يباع ولا يوهب ولا يورث حيا أنا أو ميتًا، أبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة، ولا أبتغي إلا الله (عز وجل)، فإنه يقبلها وهو يرثها وهو خير الوارثين، فذلك الذي قضيت فيها بيني وبين الله (عز وجل)[١٦٠].

**٦- لتقولن يا أبا الحسن:**

اجتمع عند عمر جماعة من قريش فيهم علي فتذاكروا الشرف، وعلي ساكت فقال عمر: مالك يا أبا الحسن ساكتًا؟ فكأن عليا كره الكلام، ، فقال عمر: لتقولن يا أبا الحسن، فقال علي:

في كل معترك تزيل سيوفنا ... فيها الجماجم عن فراخ الهام[١٦١]
الله أكرمنا بنصر نبيه ... وبنا أعز شرائع الإسلام
ويزورنا جبريل في أبياتنا ... بفرائض الإسلام والأحكام[١٦٢]

**٧- حوار بين أمير المؤمنين عمر وبين علي حول الرؤيا:**

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: أعجب من رؤيا الرجل إنه يبيت فيرى الشيء لم يخطر له على بال، فتكون رؤيا كأخذ اليد، ويرى الرجل

---

(١٥٨) المختصر من كتاب الموافقة ص(١٤٠).
(١٥٩) المصنف لابن أبي شيبة (١٢/ ٢٩) رقم (١٢٠٤٧) نقلاً عن الشريعة للآجري (٥/ ٢٣٢٧) إسناده حسن.
(١٦٠) المحلى (٦/ ١٨٠)، مصنف عبد الرزاق(١٠/ ٣٧٥) فقه علي، قلعجي ص(٦٢٦).
(١٦١) فراخ الهام: فراخ الرأس على التشبيه.
(١٦٢) المختصر من كتاب الموافقة ص(١٣٨).

الشيء، فلا تكون رؤياه شيئًا، فقال علي بن أبي طالب: أفلا أخبرك بذلك يا أمير المؤمنين؟ إن الله يقول[١٦٣]: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢].

**خامسًا: زواج عمر من أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب:**

زوج علي بن أبي طالب رضي الله عنه ابنته من فاطمة بنت النبي (ﷺ) من الفاروق حينما سأله زواجها منه رضي الله عنه بما يطلب، وثقة فيه وإقرارًا لفضله ومناقبه، واعترافًا بمحاسنه وجمال سيرته، وإظهارًا بأن بينهم من العلاقات الوطيدة الطيبة والصلات المحكمة المباركة ما يحرق قلوب الحساد من أعداء الأمة المجيدة، ويرغم أنوفهم[١٦٤]، فقد كان عمر يكن لأهل البيت محبة خاصة لا يكنها لغيرهم لقرابتهم من رسول الله (ﷺ)، ولما أوصى به رسول الله من إكرام أهل البيت ورعاية حقوقهم، فمن هذا الباعث خطب عمر أم كلثوم ابنة علي وفاطمة رضوان الله عليهم وتودد إليه في ذلك قائلاً: فوالله ما على الأرض رجل يرصد من حسن صحبتها ما أرصد، فقال علي: قد فعلت، فاقبل عمر إلى المهاجرين، وهو مسرور قائلاً: رفئوني... ثم ذكر أن سبب زواجه منها ما سمعه من النبي (ﷺ): «**كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا ما كان من سببي ونسبي**»، فأحببت أن يكون بيني وبين رسول الله (ﷺ) سبب[١٦٥]، ولقد أقر بهذا الزواج كافة أهل التاريخ والأنساب وجميع محدثي الشيعة وفقهائهم ومكابريهم ومجادليهم وأئمتهم المعصومين -حسب زعمهم- ولقد أورد الشيخ إحسان إلهي ظهير روايات بخصوص ذلك في كتابه «الشيعة والسنة»[١٦٦].

ولقد ذكر هذا الزواج علماء أهل السنة في التاريخ وأجمعت مصادرهم عليه ومن العلماء الذين ذكروا هذا الزواج، الطبري[١٦٧]، وابن كثير[١٦٨]، والذهبي[١٦٩]، وابن الجوزي[١٧٠]، والديار بكري[١٧١]، وقد ذكر هذا[١٧٢] الزواج كتاب التراجم، كابن حجر[١٧٣]، وابن سعد[١٧٤]، وصاحب «أسد الغابة»، وقد قام الأستاذ أبو معاذ الإسماعيلي

---

(١٦٣) الفتاوى (٥/ ٢٧٠، ٢٧١).
(١٦٤) الشيعة وأهل البيت ص(١٠٥).
(١٦٥) إسناده حسن، أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ١٤٢) صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبي متعقبا: منقطع وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ١٧٣) وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط باختصار، ورجالهما رجال الصحيح غير الحسن بن سهل وهو ثقة، وهناك من ضعفه.
(١٦٦) الشيعة وأهل البيت(١٠٥).
(١٦٧) تاريخ الطبري (٥/ ٢٨).
(١٦٨) البداية والنهاية (٥/ ٢٢٠).
(١٦٩) تاريخ الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين ص(١٦٦).
(١٧٠) المنتظم (٤/ ١٣١).
(١٧١) تاريخ الخميس نقلاً عن زواج عمر من أم كلثوم لأبي معاذ ص(١٩)،
(١٧٢) الإصابة لابن حجر ص(٢٧٦) كتاب الكنى وكتاب النساء.
(١٧٣) المصدر نفسه. (١٧٤) أسد الغابة (٧/ ٤٢٥).

في كتابه «زواج عمر بن الخطاب من أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنهما حقيقة وليس افتراء» بتتبع مراجع ومصادر الشيعة وأهل السنة فيما يتعلق بهذا الزواج، ورد على الشبهات التي ألصقت بهذا الزواج الميمون، وقد ذكرت شيئًا من سيرتها ومواقفها في حياتها في عهد الفاروق في كتابي «فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، شخصيته وعصره».

وهذا وقد ولدت أم كلثوم بنت علي من عمر رضي الله عنه ابنة سميت (رقية) وولدًا سمي زيدًا، وقد روى أصحاب السير أن زيد بن عمر حضر مشاجرة في قوم من بني عدي ابن كعب ليلاً فخرج إليهم زيد بن عمر ليصلحهم فأصابته ضربة شجت رأسه ومات من فوره، وحزنت أمه لقتله ووقعت مغشيًا عليها، من الحزن فماتت من ساعتها، ودفنت أم كلثوم مع ابنها زيد بن عمر في وقت واحد، وصلى عليهم عبد الله بن عمر بن الخطاب، قدمه الحسن بن علي بن أبي طالب وصلى خلفه[١٧٥].

**سادسًا: يا بنت رسول الله ما أحد من الخلق أحب إلينا من أبيك، وما أحد من الخلق بعد أبيك أحب إلينا منك:**

عن أسلم العدوي قال: لما بويع لأبي بكر بعد النبي (ﷺ) كان علي والزبير بن العوام يدخلان على فاطمة فيشاورانها، فبلغ عمر، فدخل على فاطمة فقال: يا بنت رسول الله ما أحد من الخلق أحب إلينا من أبيك وما أحد من الخلق بعد أبيك أحب إلينا منك، وكلمها، فدخل علي والزبير على فاطمة فقالت: انصرفا راشدين، فما رجعا حتى بايعا[١٧٦]، وهذا هو الثابت الصحيح الذي مع صحة سنده ينسجم مع روح ذلك الجيل وتزكية الله له، وقد زاد الروافض في هذه الرواية واختلقوا إفكًا وبهتانًا وزورًا وقالوا بأن عمر قال: إذا اجتمع عندك هؤلاء النفر أحرق عليهم هذا البيت، لأنهم أرادوا شق عصا المسلمين بتأخيرهم عن البيعة، ثم خرج عنها، فلم يلبث أن عادوا إليها، فقالت لهم: تعلمون أن عمر جاءني وحلف بالله لئن أنتم عدتم إلى هذا البيت ليحرقنه عليكم، وايم الله إنه ليصدقن فيما حلف عليه، فانصرفوا عني فلا ترجعوا إلي، ففعلوا ذلك، ولم يرجعوا إليها إلا بعدما بايعوا[١٧٧]، وهذه القصة لم تثبت عن عمر رضي الله عنه، ودعوى أن عمر رضي الله عنه هم بإحراق بيت فاطمة، من أكاذيب الرافضة، أعداء صحابة رسول الله، وقد أوردها مع أكاذيب أخرى الطبري الطبرسي في كتابه «دلائل الإمامة»[١٧٨]، عن جابر الجعفي، وهو رافضي كذاب باتفاق أئمة الحديث كما في «الميزان»[١٧٩] للذهبي و«تهذيب التهذيب»[١٨٠]، وزعم بعض

---

(١٧٥) المصدر نفسه (٧/ ٤٢٥)، ونساء أهل البيت منصور عبد الحكيم ص(١٨٥، ١٨٦).
(١٧٦) أخرجه ابن أبي شيبة: المصنف( ١٤/ ٥٦٧) إسناده صحيح.
(١٧٧) عقائد الثلاثة والسبعين فرقة لأبي محمد اليمني (١/ ١٤٠).
(١٧٨) دلائل الإمامة ص(٢٦) نقلاً عن عقائد الثلاثة والسبعين (١/ ١٤٠).
(١٧٩) الميزان للذهبي (١/ ٢٧٩).
(١٨٠) تهذيب التهذيب (٢/ ٤٧).

الروافض أن عمر ضرب فاطمة حتى أسقط ولدها محسنًا وهو في بطنها، وهذه من الأكاذيب الرافضية التي لا أساس لها من الصحة وما علموا أنهم يطعنون في علي رضي الله عنه وذلك باتهامه بالجبن والسكوت عن عمر وهو من أشجع أصحاب النبي (ﷺ)(١٨١)، بل إن بعض كتب الروافض أنكرت صحة هذا الهذيان والزور(١٨٢). علمًا بأن محسنًا ولد في حياة النبي كما ثبت ذلك بالرواية الصحيحة.

**سابعًا: الخلاف بين العباس وعلي وحكم عمر رضي الله عنهم بينهم:**

قال مالك بن أوس: بينما أنا جالس في أهلي حين متع النهار(١٨٣)، إذ رسول عمر بن الخطاب يأتيني، فقال: أجب أمير المؤمنين، فانطلقت معه حتى دخلت على عمر، فإذا هو جالس على رمال(١٨٤) سرير ليس بينه وبينه فراش، متكئ على وسادة من أدم، فسلمت عليه ثم جلست، فقال: يا مالك إنه قدم علينا من قومك أهل أبيات، وقد أمرت فيهم برضخ، فاقبضه فاقسمه بينهم، فقلت: يا أمير المؤمنين لو أمرت غيري، قال: اقبضه أيها المرء، فبينما أنا جالس عنده أتاه حاجبه يرفأ، فقال: هل لك في عثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد بن أبي وقاص، يستأذنونه؟ قال: نعم فأذن لهم فدخلوا فسلموا وجلسوا ثم جلس يرفأ يسيرًا، ثم قال: لك في علي، وعباس؟ قال نعم: فأذن لهما، فدخلا فسلما فجلسا، فقال عباس: يا أمير المؤمنين اقض بيني وبين هذا. وهما يختصمان فيما أفاء الله على رسوله (ﷺ) من مال بني النضير، فقال الرهط -عثمان وأصحابه: يا أمير المؤمنين اقض بينهما وأرح أحدهما من الآخر. قال عمر: تيدكم(١٨٥)، أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض هل تعلمون أن رسول الله، قال: «**لا نورث ما تركنا صدقة**»، يريد رسول الله (ﷺ) نفسه؟ قال الرهط: قد قال ذلك، فأقبل عمر على علي، وعباس فقال: أنشدكما بالله أتعلمان أن رسول الله (ﷺ) قد قال ذلك؟ قالا: قد قال ذلك، قال عمر: فإني أحدثكم عن هذا الأمر، إن الله قد خص رسوله (ﷺ) في هذا الفيء بشيء لم يعطه أحدًا غيره، ثم قرأ: ﴿**وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [الحشر: ٦]. فكانت هذه خالصة لرسول الله (ﷺ) ووالله ما احتازها دونكم، ولا استأثر بها عليكم، قد أعطاكموها، وبثها فيكم، حتى بقي منها هذا المال، فكان رسول الله (ﷺ) ينفق على أهله نفقة سنتهم من هذا المال، ثم يأخذ ما بقي فيجعله مال الله، فعمل رسول الله (ﷺ) بذلك حياته، أنشدكم بالله، هل تعلمان ذلك؟ قال عمر: ثم توفى الله نبيه (ﷺ) فقال أبو بكر: أنا ولي رسول الله (ﷺ)

(١٨١) حقبة من التاريخ ص(٢٢٤).
(١٨٢) مختصر التحفة الاثنى عشرية ص(٢٥٢).
(١٨٣) متع النهار: ارتفع قبل الزوال.
(١٨٤) المراد أنه كان السرير قد نسج وجهه بالسعف.
(١٨٥) التيد: الرفق، يقال: تيدك هذا، أي اتئد.

والله يعلم أنه فيها لصادق بار راشد تابع للحق، ثم توفى الله أبا بكر، فكنت أنا ولي أبي بكر فقبضتها سنتين من إمارتي، أعمل فيها بما عمل رسول الله (ﷺ) وما عمل فيها أبو بكر، والله يعلم أني فيها لصادق بار راشد تابع للحق، ثم جئتماني تكلماني وكلمتكما واحدة وأمركم واحد، جئتني يا عباس، تسألني نصيبك من ابن أخيك، وجاءني هذا «يريد عليا» يريد نصيب امرأته من أبيها، فقلت لكما: إن رسول الله قال: «**لا نورث ما تركناه صدقة**»، فلما بدا لي أن أدفعه إليكما. قلت: إن شئتما دفعتها إليكما، على أن عليكما عهد الله وميثاقه لتعملان فيها بما عمل فيها رسول الله (ﷺ) وما عمل أبو بكر، وبما عملت فيها منذ وليتها، فقلتما: ادفعها إلينا: فبذلك دفعتها إليكما، فأنشدكم بالله هل دفعتها إليكما بذلك؟ قالا: نعم، قال: فتلتمسان مني قضاء غير ذلك، فوالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض، لا أقضي فيها قضاء غير ذلك فإن عجزتما عنها فادفعاها إلي، فإني أكفيكماها[١٨٦].

**ثامنًا: ترشيح عمر عليا للخلافة مع أهل الشورى وما قاله علي في عمر بعد استشهاده:**

**١- ترشيح علي مع أهل الشورى:**

لما طعن عمر رضي الله عنه وظن أنه سيفارق الحياة، وأخذ المسلمون يدخلون عليه، ويقولون له: أوص يا أمير المؤمنين، استخلف، فقال: ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر -أو الرهط- الذين توفي رسول الله (ﷺ) وهو عنهم راض، فسمى عليا، وعثمان، والزبير، وطلحة، وسعدًا، وعبد الرحمن[١٨٧]، ثم دعا خاصتهم وهم عبد الرحمن، وعثمان وعلي فوعظهم[١٨٨]، إن عمر رضي الله عنه إمام وعليه أن يستخلف الأصلح للمسلمين، فاجتهد في ذلك ورأى أن الستة الذين توفي رسول الله (ﷺ) وهو راض عنهم أحق من غيرهم، وهو كما رأى، فإنه لم يقل أحد غيرهم أحق منهم، وجعل التعيين إليهم خوفًا أن يعين واحدًا منهم، ويكون غيره أصلح لهم، فإنه ظهر له رجحان الستة دون رجحان التعيين، وقال: الأمر في التعيين إلى الستة يعينون واحدا منهم، وهذا اجتهاد إمام عادل ناصح لا هوى له رضي الله عنه وهو نموذج واقعي لتطبيق قول الله (تعالى): ﴿**وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ**﴾ [الشورى: ٣٨] وقال: ﴿**وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ**﴾ [آل عمران: ١٥٩]، فكان ما فعله من الشورى مصلحة[١٨٩].

إن الفاروق رضي الله عنه رأى الأمر في الستة متقاربًا فإنهم وإن كان لبعضهم من الفضيلة ما ليس لبعض، فلذلك المفضول مزية أخرى ليست للآخر، ورأى أنه إذا عين واحدًا فقد يحصل بولايته نوع من الخلل فيكون منسوبًا إليه، فترك التعيين خوفًا من الله (تعالى)،

---

(١٨٦) البخاري رقم (٣٠٩٤) مسلم (١٧٥٧) واللفظ للبخاري.
(١٨٧) البداية والنهاية (٧/ ١٤٢).
(١٨٨) البخاري رقم (٣٧٠٠).
(١٨٩) منهاج السنة (٣/ ١٦٢-١٦٤)، المنتقى ص(٣٦٢- ٣٦٤).

وعلم أنه ليس واحدًا أحق بهذا الأمر منهم، فجمع بين المصلحتين: بين تعيينهم إذ لا أحق منهم وترك تعيين واحد منهم لما تخوفه من التقصير، والله (تعالى) قد أوجب على العبد أن يفعل المصلحة بحسب الإمكان، فكان ما فعله غاية ما يمكن من المصلحة(١٩٠)،ولا يقال: إنه بجعله الأمر شورى بين الستة قد خالف به من تقدمه -كما هو زعم شيعة الرافضة- لأن الخلاف نوعان: خلاف تضاد وخلاف تنوع وما فعله عمر رضي الله عنه من النوع التالي(١٩١)، وقد أقره على اجتهاده كل الصحابة ولم نسمع أحدًا عارضه، وقد بسطت ما ابتكره عمر من طريقة جديدة في اختيار الخليفة من بعده في كتابي «فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب شخصيته وعصره» فمن أراد التوسع فليرجع إليه مشكورًا.

**٢- ما قاله علي في عمر بعد استشهاده:**

قال ابن عباس كما في صحيح البخاري: وضع عمر على سريره فتكنفه الناس يدعون ويصلون، قبل أن يرفع، وأنا فيهم، فلم يرعني إلا رجل آخذ منكبي، إذا علي بن أبي طالب، فترحم على عمر وقال: ما خلفت أحدًا أحب إلي أن ألقى الله بمثل عمله منك، وايم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك وحسبت أني كنت كثيرًا ما أسمع النبي (ﷺ) يقول: «**ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر**»(١٩٢).

**٣- قول علي في عمر:**

إن عمر كان رشيد الأمر، وحرصه على عدم مخالفته بعد وفاته: عن عبد خير قال: كنت قريبًا من علي حيث جاء أهل نجران قال: قلت: فإن كان رادًا على عمر شيئًا فاليوم، قال: فسلموا واصطفوا بين يديه، قال: ثم أدخل بعضهم يده في كمه فأخرج كتابًا فوضعه في يد علي، قالوا: يا أمير المؤمنين، خطك بيمينك أملاه رسول الله (ﷺ) عليك، قال: فرأيت عليا وقد جرت الدموع على خده قال: ثم رفع رأسه إليهم فقال: يا أهل نجران، إن هذا لآخر كتاب كتبته بين يدي رسول الله (ﷺ)، قالوا: فأعطنا ما فيه، قال: سأخبركم عن ذاك: إن الذي أخذه عمر لم يأخذه لنفسه، إنما أخذه بجماعة من المسلمين، وكان الذي أخذه منكم خيرا مما أعطاكم والله لا أرد شيئًا مما صنعه عمر، إن عمر كان رشيد الأمر(١٩٣)، وهذه الحادثة أصل الفقهاء عليها قولهم: لا يرد القاضي اجتهاد قضاء من قبله عن علي(١٩٤)، وروي عنه أنه قال: اقضوا كما كنتم تقضون حتى تكونوا جماعة، فإني أخشى

---

(١٩٠) منهاج السنة (٣/ ١٦٢-١٦٤)، المنتقى ص(٣٦٢- ٣٦٤).
(١٩١) عقيدة أهل السنة (٣/ ١٠٤٢).
(١٩٢) البخاري رقم (٣٦٨٥).
(١٩٣) معجم البلدان (٥/ ٢٦٩)، المختصر من كتاب الموافقة ص(١٣٩) فقه الإمام علي (٢/ ٨١٣) نقلاً عن السنن للبيهقي، إسناده مرسل الآجري (٤/ ١٧٧٧) إسناده مرسل.
(١٩٤) فقه الإمام علي (٢/ ٨١٣).

الاختلاف[١٩٥]، وهو قول جمهور الفقهاء[١٩٦]، وقد قال علي: ماكنت لأحل عقدة شدها عمر[١٩٧].

**٤- إن عمر بن الخطاب كان يكره نزوله، فأنا أكرهه لذلك:**

لما فرغ علي من وقعة الجمل، ودخل البصرة، وشيع أم المؤمنين عائشة لما أرادت الرجوع إلى مكة، سار من البصرة إلى الكوفة، فدخلها يوم الإثنين، لثنتي عشرة ليلة خلت من رجب سنة ست وثلاثين، فقيل له: انزل بالقصر الأبيض، فقال: لا، إن عمر بن الخطاب كان يكره نزوله فأنا أكرهه لذلك، فنزل في الرحبة وصلى في الجامع الأعظم ركعتين[١٩٨].

**٥- حب أهل البيت لعمر رضي الله عنه:**

إن من دلالة محبة أهل البيت للفاروق رضي الله عنه تسمية أبنائهم باسمه، حبًا وإعجابًا بشخصيته، وتقديرًا لما أتى به من الأفعال الطيبة والمكارم العظيمة، ولما قدم إلى الإسلام من الخدمات الجليلة، وإقرارًا بالصلات الودية الوطيدة والتي تربطه بأهل بيت النبوة والرحم، والصهر القائم بينه وبينهم، فأول من سمى ابنه باسمه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، سمى ابنه من أم حبيب بنت ربيعة البكرية عمر[١٩٩]، وقد جاء في كتاب «صاحب الفصول»، تحت ذكر أولاد علي بن أبي طالب: وعمر من التغلبية، وهي الصهباء بنت ربيعة من السبي الذين أغار عليهم خالد بن الوليد بعين التمر، وعمر عمر هذا حتى بلغ خمسًا وثمانين سنة فحاز نصف ميراث علي رضي الله عنه، وذلك أن جميع إخوته وأشقائه وهم عبد الله وجعفر وعثمان قتلوا جميعهم قبله مع الحسين رضي الله عنه يعني أنه لم يقتل معهم- بالطف فورثهم[٢٠٠]، هذا وتبعه حسن في ذلك الحب لعمر بن الخطاب رضي الله عنهم فسمى أحد أبنائه عمر أيضًا[٢٠١]، وكذلك الحسين بن علي سمّى عمر، ومن بعده الحسين ابنه الملقب بزين العابدين سمّى أحد أبنائه باسم عمر[٢٠٢]، وكذلك موسى بن جعفر الملقب بالكاظم سمى أحد أبنائه باسم عمر[٢٠٣]، فهؤلاء الأئمة من أهل البيت الذين ساروا على هدي النبي (ﷺ) ومعالم منهج أهل السنة والجماعة بسيرتهم العطرة يظهرون لعمر الفاروق ما يكنونه في صدورهم من حبهم وولائهم له بعد وفاته بمدة، وقد جرى هذا الاسم

---

(١٩٥) مصنف عبد الرزاق (١٠/ ٣٢٩) نقلاً عن فقه الإمام علي (٢/ ٨١٣).
(١٩٦) فقه الإمام علي (٢/ ٨١٣).
(١٩٧) المختصر من كتاب الموافقة بين أهل البيت والصحابة ص(١٤٠) إسناده منقطع، ابن أبي شيبة في المصنف (١٢/ ٣٣) رقم (١٢٠٥٤).
(١٩٨) تاريخ الخلافة الراشدة، محمد كنعان ص(٣٨٣).
(١٩٩) تاريخ اليعقوبي (٢/ ٢١٣)، الشيعة وأهل البيت ص(١٣٣).
(٢٠٠) الفصول المهمة ص(١٤٣)، الشيعة وأهل البيت (١٣٣).
(٢٠١) الشيعة وأهل البيت ص(١٣٣).
(٢٠٢) المصدر نفسه ص(١٣٤).
(٢٠٣) المصدر نفسه ص(١٣٥).

وكذلك أبو بكر وعثمان في ذرية أهل البيت ممن ساروا على مذهب الحق وهو منهج أهل السنة والجماعة إلى يومنا هذا ونجد أسماء الصحابة وأمهات المؤمنين في البيوت الهاشمية التي التزمت بالكتاب والسنة، فقد سموا طلحة، وعبد الرحمن وعائشة، وأم سلمة، ونحن ندعو الشيعة اليوم للاقتداء بعلي والحسن والحسين وسائر الأئمة من آل البيت، فيسمون بعض أبنائهم وبناتهم بأسماء الخلفاء الراشدين، وأمهات المؤمنين[٢٠٤]؟ نرجو ذلك.

**٦- عمر بن الخطاب جعله الله سببا في ذرية الحسين بن علي بن أبي طالب:**

أعطى عمر بن الخطاب رضي الله عنه للحسين بن علي رضي الله عنهم من غنائم الفرس ابنة يزدجرد ملك الفرس، فولدت له زين العابدين علي بن الحسين الذي لم يبق من أبناء الحسين غيره، وكل ذرية الحسين تناسلوا منه وينسبون إليه[٢٠٥]، فيحذر الذين يسبون عمر بن الخطاب ممن ينتسبون إلى الحسين، فلولاه -بعد الله- لما كان لهم وجود[٢٠٦]، كما أن عمر رضي الله عنه أعطى أختها لمحمد بن أبي بكر فكان عديلاً للحسين، وأنجبت له القاسم بن محمد بن أبي بكر، فكان القاسم بن محمد بن أبي بكر، وعلي بن الحسين زين العابدين ابني خالة[٢٠٧].

**٧- قول عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب في عمر[٢٠٨]:**

عن حفص بن قيس، قال: سألت عبد الله بن الحسن عن المسح على الخفين فقال: امسح، فقد مسح عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: فقلت: إنما أسألك أنت تمسح؟ قال: ذاك أعجز لك، أخبرك عن عمر وتسألني عن رأيي، فعمر كان خيرًا مني ومن ملء الأرض. فقلت: يا أبا محمد، فإن ناسًا يزعمون أن هذا منكم تقية، قال: فقال لي -ونحن بين القبر والمنبر: اللهم إن هذا قولي في السر والعلانية، فلا تسمعن عليّ قول أحد بعدي. ثم قال: من هذا الذي يزعم أن عليا رضي الله عنه كان مقهورًا، وأن رسول الله (ﷺ) أمره بأمر ولم ينفذه؟ وكفى بإزراء على علي ومنقصة أن يزعم أن رسول الله (ﷺ) أمره بأمر ولم ينفذه[٢٠٩].

---

(٢٠٤) اذهبوا فأنتم الرافضة، عبد العزيز الزبيري ص(٢٣٠).
(٢٠٥) عمدة الطالب في أنساب أبي طالب الفصل الثاني عنوان (عقب الحسين) نقلاً عن اذهبوا فأنتم الرافضة ص(٢٣٢).
(٢٠٦) اذهبوا فأنتم الرافضة ص(٢٣٢).
(٢٠٧) سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٥٤).
(٢٠٨) هو عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، أبو محمد الهاشمي كان ذا هبة ولسان وشرف وكانت له منزلة عند عمر بن عبد العزيز توفي سنة (١٤٥) الأعلام للزركلي (٤/ ٢٠٧) تاريخ بغداد (٩/ ٤٣١).
(٢٠٩) النهي عن سب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب لمحمد عبد الواحد المقدسي ص(٥٧).

## المبحث الثالث
## علي رضي الله عنه في عهد عثمان بن عفان:

### أولا: بيعة علي لعثمان رضي الله عنه:

لم يكد يفرغ الناس من دفن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى أسرع رهط الشورى وأعضاء مجلس الدولة الأعلى إلى الاجتماع في بيت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، وقيل: إنهم اجتمعوا في بيت فاطمة بنت قيس الفهرية أخت الضحاك بن قيس، ليقضوا في أعظم قضية عرضت في حياة المسلمين- بعد وفاة عمر- وقد تكلم القوم وبسطوا آراءهم واهتدوا بتوفيق الله إلى كلمة سواء رضيها الخاصة والكافة من المسلمين[٢١٠]، وقد أشرف على تنفيذ عملية الشورى واختيار الخليفة: عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، وحقق رضي الله عنه أول مظهر من مظاهر الشورى المنظمة في اختيار من يتحمل أعباء الخلافة ويسوس أمور المسلمين، فهو قد اصطنع من الأناة والصبر والحزم وحسن التدبير ما كفل له النجاح في أداء مهمته العظمى[٢١١]، وقاد ركب الشورى بمهارة وتجرد، مما يستحق أعظم التقدير[٢١٢]، قال الذهبي: ومن أفضل أعمال عبد الرحمن عزل نفسه من الأمر وقت الشورى، واختياره للأمة من أشار به أهل الحل والعقد، فنهض في ذلك أتم النهوض على جمع الأمة على عثمان، ولو كان محابيًا فيها لأخذها لنفسه، أو لولاها ابن عمه وأقرب الجماعة إليه سعد بن أبي وقاص[٢١٣].

وقد تم الاتفاق على بيعة عثمان بعد صلاة صبح يوم البيعة اليوم الأخير من شهر ذي الحجة (١٣هـ/ ٦نوفمبر ٦٤٤م)، وكان صهيب الرومي الإمام إذ أقبل عبد الرحمن بن عوف، وقد اعتم بالعمامة التي عممه بها رسول الله (ﷺ)، وكان قد اجتمع رجال الشورى عند المنبر، فأرسل إلى من كان حاضرًا من المهاجرين والأنصار وأمراء الأجناد، منهم: معاوية أمير الشام، وعمير بن سعد أمير حمص، وعمرو بن العاص أمير مصر، وكانوا وافوا تلك الحجة مع عمر وصاحبوه إلى المدينة[٢١٤]، وجاء في رواية البخاري: فلما صلى الناس الصبح، واجتمع أولئك الرهط عند المنبر، فأرسل إلى من كان حاضرًا من المهاجرين والأنصار، وأرسل أمراء الأجناد وكانوا وفوا تلك الحجة مع عمر، فلما اجتمعوا تشهد عبد الرحمن ثم

---

(٢١٠) عثمان بن عفان، لصادق عرجون، ص(٦٢، ٦٣).
(٢١١) المصدر نفسه ص(٧٠، ٧١).
(٢١٢) مجلة البحوث الإسلامية العدد (١٠) ص(٢٥٥).
(٢١٣) سير أعلام النبلاء(١/ ٨٦).
(٢١٤) شهيد الدار ص(٣٧).

قال: أما بعد يا علي إني قد نظرت في أمر الناس، فلم أرهم يعدلون بعثمان، فلا تجعل على نفسك سبيلاً، فقال(٢١٥): أبايعك على سنة الله ورسوله والخليفتين من بعده، فبايعه الناس المهاجرون والأنصار وأمراء الأجناد والمسلمون(٢١٦)، وجاء في رواية صاحب «التمهيد والبيان» أن علي بن أبي طالب أول من بايع عبد الرحمن بن عوف(٢٢٧).

**ثانيًا: أباطيل رافضية دست في قضية الشورى:**

هناك أباطيل رافضية دست في التاريخ الإسلامي منها في قصة الشورى وتولية عثمان الخلافة، وقد تلقفها المستشرقون وقاموا بتوسيع نشرها، وتأثر بها الكثير من المؤرخين والمفكرين المحدثين، ولم يمحصوا الروايات و يحققوا في سندها ومتنها، فانتشرت بين المسلمين، لقد اهتم مؤرخو الشيعة الرافضة بقصة الشورى وتولية عثمان بن عفان الخلافة ودسوا فيها الأباطيل والأكاذيب، وألف جماعة منهم كتبًا خاصة، فقد ألف أبو مخنف كتاب الشورى، وكذلك ابن عقدة، وابن بابويه(٢١٨)، ونقل ابن سعد تسع روايات من طريق الواقدي في خبر الشورى وبيعة عثمان وتاريخ توليه الخلافة(٢١٩)، ورواية من طريق عبيد الله ابن موسى تضمنت مقتل عمر وحصره للشورى في الستة ووصيته لكل من علي وعثمان إذا تولى أحدهما أمر الخلافة، ووصيته لصهيب في هذا الأمر(٢٢٠)، وقد نقل البلاذري خبر الشورى وبيعة عثمان عن أبي مخنف(٢٢١)، وعن هشام الكلبي منها ما نقله عن أبي مخنف ومنها ما تفرد به(٢٢٢)، وعن الواقدي(٢٢٣)، وعن عبيد الله بن موسى(٢٢٤)،واعتمد الطبري في هذه القصة على عدة روايات منها رواية أبي مخنف(٢٢٥)، ونقل ابن أبي الحديد بعض أحداث قصة الشورى من طريق أحمد بن عبد العزيز الجوهري(٢٢٦)، ، وأشار إلى نقله عن كتاب «الشورى» للواقدي(٢٢٧)، وقد تضمنت الروايات الشيعية الرافضية عدة أمور مدسوسة ليس لها دليل من الصحة ، وهي:

(٢١٥) قوله: فقال: أي عبد الرحمن مخاطبًا عثمان.
(٢١٦) البخاري، ك الأحكام، رقم (٧٢٠٧).
(٢١٧) التمهيد والبيان ص(٢٦).
(٢١٨) الذريعة إلى تصانيف الشيعة (١٤/ ٢٤٦).
(٢١٩) الطبقات الكبرى (٣/ ٦٣- ٦٧).
(٢٢٠) المصدر السابق.
(٢٢١) أنساب الأشراف (٥/ ١٨، ١٩).
(٢٢٢) المصدر السابق (٥/ ١٨، ١٩).
(٢٢٣) المصدر نفسه (٥/ ١٨، ١٩).
(٢٢٤) المصدر نفسه (٥/ ٦).
(٢٢٥) أثر التشيع على الروايات التاريخية ص(٣٢١).
(٢٢٦) شرح نهج البلاغة (٩/ ٤٩، ٥٠، ٥٨).
(٢٢٧) شرح نهج البلاغة (٩/ ١٥).

**١- اتهام الصحابة بالمحاباة في أمر المسلمين:**

اتهمت الروايات الشيعية الرافضية الصحابة بالمحاباة في أمر المسلمين، وعدم رضا علي بأن يقوم عبد الرحمن في اختيار الخليفة، فقد ورد عن أبي مخنف وهشام الكلبي عن أبيه وأحمد الجوهري أن عمر جعل ترجيح الكفتين إذا تساوتا بعبد الرحمن بن عوف، وأن عليا أحس بأن الخلافة قد ذهبت منه، لأن عبد الرحمن سيقدم عثمان للمصاهرة التي بينهما(٢٢٨)، وقد نفى ابن تيمية أي ارتباط في النسب القريب بين عثمان وعبد الرحمن فقال: فإن عبد الرحمن ليس أخًا لعثمان ولا ابن عمه ولا من قبيلته أصلاً، بل هذا من بني زهرة وهذا من بني أمية، وبنو زهرة إلى بني هاشم أكثر ميلاً منهم إلى بني أمية، فإن بني زهرة أخوال النبي (ﷺ)، ومنهم عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص الذي قال له النبي (ﷺ): «**هذا خالي، فليرني امرؤ خاله**»(٢٢٩). فإن النبي (ﷺ) لم يؤاخ بين مهاجري ومهاجري ولا بين أنصاري وأنصاري، وإنما آخى بين المهاجرين والأنصار فآخى بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع الأنصاري(٢٣٠)، وحديثه مشهور ثابت في الصحاح وغيرها، يعرفه أهل العلم بذلك(٢٣١)، وقد بينت الرواية الشيعية الرافضة محاباة عبد الرحمن لعثمان للمصاهرة التي كانت بينهما، متناسية أن قوة النسب أقوى من المصاهرة من جهة، ومن جهة أخرى تناسوا طبيعة العلاقة بين المؤمنين في الجيل الأول وأنها لا تقوم على نسب ولا مصاهرة وأما كيفية المصاهرة التي كانت بين عبد الرحمن وعثمان فهي أن عبد الرحمن تزوج أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط أخت الوليد(٢٣٢).

**٢- حزب أموي وحزب هاشمي:**

أشارت رواية أبي مخنف إلى وقوع مشادة بين بني هاشم وبني أمية أثناء المبايعة وهذا غير صحيح، ولم يرد ذلك برواية صحيحة ولا ضعيفة(٢٣٣)، وقد انساق بعض المؤرخين خلف الروايات الشيعية الرافضية لحاجة في نفوسهم، مع بطلانها سندًا ومتنًا من جهة وثبوت روايات صحيحة تناقض ما ذهبوا إليه من جهة أخرى، وبنوا تحليلاتهم الخاطئة على تلك الروايات فصوروا تشاور أصحاب الرسول (ﷺ) في تحديد الخليفة الجديد بصورة الخلاف العشائري وأن الناس قد انقسموا إلى حزبين حزب أموى وحزب هاشمي، وهو تصور موهوم واستنتاج مردود لا دليل عليه، إذ ليس نابعًا من ذلك الجو الذي كان يعيشه أصحاب رسول الله حينما كان يقف المهاجري مع الأنصاري ضد أبيه وأخيه وابن عمه وبني عشيرته، وليس

---

(٢٢٨) أثر التشيع على الروايات التاريخية ص(٣٢٢).
(٢٢٩) صحيح سنن الترمذي (٣/ ٢٢٠) رقم (٤١٠٨).
(٢٣٠) البخاري، ك مناقب الأنصار رقم (٣٧٨٠).
(٢٣١) منهاج السنة النبوية (٦/ ٢٧١- ٢٧٢).
(٢٣٢) الطبقات الكبرى (٣/ ١٢٧).
(٢٣٣) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ص(١٧٧، ١٧٨).

نابعًا من تصور هؤلاء الصحب وهم يضحـون بكل شيء من حطام الدنيا في سبيل أن يسلم لهم دينهم، ولا من المعرفة الصحـيحة لهؤلاء النخبة من المبشرين بالجنـة، فالأحداث الكثيرة التي رويت عن هؤلاء تثبت أن هؤلاء كانوا أكبر بكثير من أن ينطلقوا من هذه الزاوية الضيقة في معالجـة أمورهم فليست القضيـة تمثيل عائلي أو عشائري، فـهم أهل شورى لمكانتهم في الإسلام(٢٣٤).

**٣- أكاذيب نسبت زوراً وبهتاناً لعلي رضي الله عنه:**

قال ابن كثير: ومـا يذكره كثير من المؤرخين كابن جرير وغـيره عن رجال لا يعرفون أن عليا قال لعبد الرحمن: خدعتني، وإنك إنما وليته لأنه صهرك وليشاورك كل يوم في شأنه، وأنه تلكأ حتى قال عبد الرحمن: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠]. إلى غـير ذلك من الأخبـار المخالفة لما ثبت في الصحاح فـهي مردودة على قائليها وناقليها والله أعلم، والمظنون من الصحابة خلاف مـا يتوهم كثير من الرافضة وأغبياء القصاص الذين لا تمييز عندهم بين صحيح الأخبار وضعيفها ومستقيمها وسقيمها(٢٣٥).

**ثالثا: المفاضلة بين عثمان وعلي رضي الله عنهما:**

الذي عليه أهل السنة أن من قدم عليا على أبي بكر وعمـر فإنه ضال مبتدع ومن قدم عليا على عثـمان فإنه مخطئ ولا يضللونه ولا يبـدعونه(٢٣٦) وإن كان بعض أهل العلم قد تكلم بشدة على من قدم عليا على عثمان بأنه قال: من قدم عليا على عثمان فقد زعم أن أصحاب رسول الله (ﷺ) خانوا الأمـانة حيث اختاروا عثـمان على علي رضي الله عنه(٢٣٧) وقد قال ابن تيمية: اسـتقر أمر أهل السنة على تقديم عـثمان، وإن كانت هذه المسألة -مسـألة عثمان وعلي- ليست من الأصول التي يضلل المخالف فيها عند جمهور أهل السنة لكن المسألة التي يضلل المخالف فيها هي مسألة الخلافة، وذلك أنهم يؤمنون بأن الخليفة بعد رسول الله (ﷺ) أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، ومـن طعن في خلافة هؤلاء الأئمة فهو أضل من حمار أهله(٢٣٨)، وذكر أقوال أهل العلم في مـسألة تفضيل علي على عـثمان: فقال: فـيها روايات: إحداها: لا يسوغ ذلك، فـمن فضل عليا على عثمان خـرج من السنة إلى البدعة، لمخالفتـه لإجماع الصحابـة، ولهذا قيل: من قدم عليا على عـثمان، فقـد أزرى بالمهاجرين والأنصار، يروى ذلك عن غيـر واحد، منهم أيوب السختيـاني وأحمد بن حنبل والدارقطني

(٢٣٤) الخلفاء الراشدون، أمين القضاة ص(٧٨، ٧٩).
(٢٣٥) البداية والنهاية (٧/ ١٥٢).
(٢٣٦) مجموع الفتاوى (٣/ ١٠١، ١٠٢).
(٢٣٧) حقبة من التاريخ لعثمان الخميس.
(٢٣٨) مجموع الفتاوى (٣/ ١٠١، ١٠٢).

والثانية: لا يبدع من قدم عليا، لتقارب حال عثمان وعلي[(٢٣٩)].

**رابعًا: علي رضي الله عنه يقيم الحدود ويستشار في شؤون دولة عثمان رضي الله عنه:**

**١- إقامة علي الحدود في عهد عثمان رضي الله عنهما:**

عن حصين بن المنذر، قال: شهدت عثمان بن عفان، وأتي بالوليد فشهد عليه رجلان أحدهما، حمران أنه شرب الخمر، وشهد الآخر أنه لم يتقيأ، فقال عثمان: إنه لم يتقيأ حتى شربها، فقال يا علي: قم فاجلده، فقال علي: قم يا حسن فاجلده، فقال: الحسن ولِّ حارها من تولي قارها[(٢٤٠)]، فكأنه وجد عليه، فقال: يا عبد الله بن جعفر قم فاجلده، فجلده وعلي يعد، حتى بلغ أربعين فقال: أمسك، ثم قال: جلد النبي (ﷺ) أربعين، وأبو بكر أربعين، وعمر ثمانين، وكل سنة، وهذا أحب إلي[(٢٤١)]، ويؤخذ من هذا الحديث أن عليا رضي الله عنه كان قريبا من عثمان معينًا له على طاعة الله، وكان علي رضي الله عنه يقول في معرض دفاعه عن عثمان ردًا على من يعيب على عثمان بفعله المنسوب للوليد: إنكم ما تعيرون به عثمان كالطاعن نفسه ليقتل ردءه[(٢٤٢)]، ما ذنب عثمان في رجل قد ضربه بفعله وعزله عن عمله، وما ذنب عثمان فيما صنع عن أمرنا[(٢٤٣)].

**٢- استشارة عثمان لعلي وكبار الصحابة في فتح إفريقية:**

جاء في رياض النفوس أن أمير المؤمنين عثمان بن عفان جاءه من واليه على مصر «عبد الله بن سعد» أن المسلمين يغيرون على أطراف إفريقية فيصيبون من عدوهم، وأنهم قريبون من حوزة المسلمين، فأعرب عثمان بن عفان رضي الله عنه -على إثر ذلك- للمسور بن مخرمة عن رغبته في بعث الجيوش لغزو إفريقية. جاء في هذا الصدد ما نصه: فما رأيك يا ابن مخرمة؟ قلت: اغزهم. قال: أجمع اليوم الأكابر من أصحاب رسول الله، وأستشيرهم، فما أجمعوا عليه فعلته، أو ما أجمع عليه أكثرهم فعلته.. ايت عليا، وطلحة والزبير والعباس، وذكر رجالاً، فخلا بكل واحد منهم في المسجد، ثم دعا أبا الاعور «سعيد بن زيد» فقال له عثمان: لم كرهت -يا أبا الأعور- من بعثة الجيوش إلى إفريقية؟ فقال: له: سمعت «عمر» يقول: لا أغزيها أحدًا من المسلمين ما حملت عينتاي الماء. فلا أرى لك خلاف عمر، فقال له عثمان: والله ما نخافهم وإنهم لرضوان أن يقروا في مواضعهم، فلا يغزون، فلم يختلف عليه أحد ممن شاوره غيره، ثم خطب الناس، وندبهم إلى الغزو إلى إفريقية، فخرج

(٢٣٩) مجموعة الفتاوي (٤/ ٢٦٧).
(٢٤٠) أي: ولّ بشدتها وأوساخها من تولي هنيئها ولذاتها.
(٢٤١) شرح النووي على صحيح مسلم، ك الحدود (١١/ ٢١٦).
(٢٤٢) الردء: هو العون تاريخ الطبري (٥/ ٢٧٨).
(٢٤٣) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (١/ ٤٢١).

بعض الصحابة منهم عبد الله بن الزبير، وأبو ذر الغفاري[٢٤٤].

**٣- رأي علي في جمع عثمان الناس على قراءة واحدة:**

جمع عثمان رضي الله عنه المهاجرين والأنصار وشاورهم في الأمر وفيهم أعيان الصحابة وفي طليعتهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وعرض عثمان رضي الله عنه هذه المعضلة على صفوة الأمة وقادتها الهادين المهديين، ودارسهم أمرها ودارسوه، وناقشهم فيها وناقشوه، حتى عرف رأيهم وعرفوا رأيه، وظهر للناس في أرجاء الأرض ما انعقد عليه إجماعهم، فلم يعرف قط يومئذ لهم مخالف، ولا عرف عند أحد نكير، وليس شأن القرآن الذي يخفى على آحاد الأمة فضلاً عن علمائها وأئمتها البارزين[٢٤٥] أن عثمان رضي الله عنه لم يبتدع في جمعه المصحف، بل سبقه إلى ذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه كما أنه لم يضع ذلك من قبل نفسه إنما فعله عن مشورة للصحابة رضي الله عنهم، وأعجبهم هذا الفعل وقالوا: نعم ما رأيت، وقالوا: أيضًا: قد أحسن -أي في فعله في المصاحف[٢٤٦]، وقد أدرك مصعب بن سعد صحابة النبي (ﷺ) حين مشق[٢٤٧] عثمان المصاحف فرآهم قد أعجبوا بهذا الفعل منه[٢٤٨]، وكان علي رضي الله عنه ينهى من يعيب على عثمان رضي الله عنه بذلك ويقول: يا أيها الناس لا تغلوا في عثمان، ولا تقولوا له إلا خيرًا -أو قولوا خيرًا- فوالله ما فعل الذي فعل -أي في المصاحف إلا عن ملأ منا جميعًا - أي الصحابة - والله لو وليت لفعلت مثل الذي فعل[٢٤٩]، وجاء في رواية أخرى عن علي قوله: لما اختلف الناس في القرآن وبلغ ذلك عثمان جمعنا أصحاب رسول الله واستشارنا في جمع الناس على قراءة، فأجمع رأينا مع رأيه على ذلك وقال بعد ذلك: لو وليت الذي ولي، لصنعت مثل الذي صنع[٢٥٠].

**خامسًا: موقف علي رضي الله عنه في فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه:**

كانت هناك أسباب متنوعة ومتداخلة ساهمت في فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه، كالرخاء وأثره في المجتمع، وطبيعة التحول الاجتماعي، ومجيء عثمان بعد عمر رضي الله عنهما، وخروج كبار الصحابة من المدينة، والعصبية الجاهلية، وتآمر الحاقدين، والتدبير المحكم لإثارة المآخذ ضد عثمان ، واستخدام الوسائل والأساليب المهيجة للناس، وأثر السبئية

---

(٢٤٤) رياض النفوس (١/٨-٩)، الجهاد والقتال هيكل (١/٥٥٦).
(٢٤٥) عثمان بن عفان ، صادق عرجون ص(١٧٥).
(٢٤٦) فتنة مقتل عثمان (١/٧٨).
(٢٤٧) مشق: الحرق (لسان العرب (١٠/ ٣٤٤).
(٢٤٨) التاريخ الصغير للبخاري (١/ ٩٤) إسناده حسن لغيره.
(٢٤٩) فتح الباري (٩/ ١٨) إسناده صحيح.
(٢٥٠) سنن أبي داود، ك المصاحف ص(٢٩-٣٠) إسناده صحيح، خلافة علي بن أبي طالب، علي عبد الحميد ص (٨٠).

في أحداث الفتنة، وقد فصلت وشرحت تلك الأسباب في كتابي «تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان شخصيته وعصره».

لقد استخدم أعداء الإسلام في فتنة مقتل عثمان الأساليب والوسائل المهيجة للناس، من إشاعة الأراجيف حيث ترددت كلمة الإشاعة والإذاعة كثيرًا، والتحريض، والمناظرة والمجادلة للخليفة أمام الناس، والطعن على الولاة، واستخدام تزوير الكتب واختلاقها على لسان الصحابة رضي الله عنهم، عائشة وعلي وطلحة والزبير، والإشاعة بأن علي بن أبي طالب رضي الله عنه الأحق بالخلافة وأنه الوصي بعد رسول الله (ﷺ)، وتنظيم فرق في كل من البصرة والكوفة ومصر أربع فرق من كل مصر مما يدل على التدبير المسبق، وأوهموا أهل المدينة أنهم ما جاؤوا إلا بدعوة الصحابة، وصعدوا الأحداث حتى وصل إلى القتل[٢٥١]، وإلى جوار هذه الوسائل، استخدموا مجموعة من الشعارات منها، التكبير، ومنها أن جهادهم هذا ضد المظالم ومنها أنهم لا يقومون إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنها المطالبة باستبدال الولاة وعزلهم، ثم تطورت المطالبة إلى خلع عثمان، إلى أن تمادوا في جرأتهم وطالبوا بل سارعوا إلى قتل الخليفة وخاصة حينما وصلهم الخبر بأن أهل الأمصار قادمون لنصرة الخليفة، فزادهم حماسهم المحموم لتضييق الخناق على الخليفة، والتشوق إلى قتله بأي وسيلة[٢٥٢].

كان التنظيم السبئي بقيادة عبد الله بن سبأ اليهودي خلف تلك الأحداث والتي بعدها وسيأتي الحديث عنه بإذن الله، وعن عثمان الذي هز مقتله العالم الإسلامي وأثر في كثير من الأحداث إلى يومنا هذا.

### ١- موقف علي رضي الله عنه في بداية الفتنة:

استمر علي رضي الله عنه في طريقته المعهودة مع الخلفاء، وهي السمع والطاعة والإدلاء بالمشورة والنصح، وقد عبر بنفسه عن مدى طاعته للخليفة عثمان والتزام أمره ولو كان شاقًا بقوله: لو سيرني عثمان إلى صرار لسمعت وأطعت[٢٥٣]، وعندما نزل المتمردون في ذي المروة قبل مقتل عثمان بما يقارب شهرًا ونصفًا، أرسل إليهم عثمان عليا ورجلاً آخر لم تسمه الروايات والتقى بهم علي رضي الله عنه فقال لهم: تعطون كتاب الله، وتعتبون من كل ما سخطتم، فوافقوا على ذلك[٢٥٤]، وفي رواية أنهم شادوه وشادهم مرتين أو ثلاثًا، ثم قالوا: ابن عم رسول الله (ﷺ)، ورسول أمير المؤمنين يعرض عليكم كتاب الله، فقبلوا[٢٥٥]،

---

(٢٥١) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة ص(٤٠١).
(٢٥٢) المصدر نفسه ص(٤٠٢).
(٢٥٣) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٢٢٥) سنده صحيح.
(٢٥٤) تاريخ دمشق ترجمة عثمان ص(٣٢٨)، تاريخ خليفة ص(١٦٩).
(٢٥٥) فتنة مقتل عثمان (١/ ١٢٩).

فاصطلحوا على خمس: على أن المنفي يـقلب. والمحروم يعطى، ويوفر الفيء، ويعدل في القسم، ويستعمل ذو الأمانة والقوة، وكتبوا ذلك في كتاب، أن يرد ابن عامر على البصرة، وأن يبقى أبو موسى على الكوفة[٢٥٦]، وهكذا اصطلح عثمان رضي الله عنه مع كل وفد على حدة ثم انصرفت الوفود إلى ديارها[٢٥٧].

وبعد هذا الصلح وعودة أهل الأمصار جميعًا راضين تبين لمشعلي الفتنة أن خطتهم قد فشلت، وأن أهدافهم الدنيئة لم تتحقق، ولذا خططوا تخطيطًا آخر يذكي الفتنة ويحييها يقتضي تدمير ما جرى من صلح بين أهل الأمصار، وعثمان رضي الله عنه وبرز ذلك فيما يأتي: في أثناء طريق عودة أهل مصر، رأوا راكبًا على جمل يتعرض لهم، ويفارقهم، فكأنه يقول: خذوني فقبضوا عليه، وقالوا له: ما لك؟ قال: أنا رسول أمير المؤمنين إلى عامله ففتحوا الكتاب الذي يحمله فإذا فيه أمر بصلبهم أو قتلهم أو تقطيع أيديهم وأرجلهم، فرجعوا إلى المدينة حتى وصلوها[٢٥٨]، ونفى عثمان رضي الله عنه أن يكون كتب هذا الكتاب، وقال لهم: إنهما اثنتان: أن تقيموا رجلين من المسلمين أو يمين بالله الذي لا إله إلا هو ما كتبت ولا أمليت، ولا علمت، وقد يكتب الكتاب على لسان الرجل وينقش الخاتم، فلم يصدقوه[٢٥٩] -وهو الصادق البار- لغاية في نفوسهم، وهذا الكتاب الذي زعم هؤلاء المتمردون البغاة المنحرفون أنه من عثمان وعليه خاتمه يحمله غلامه على واحد من إبل الصدقة إلى عامله بمصر ابن أبي سرح، يأمر فيه بقتل هؤلاء الخارجين هو كتاب مزور مكذوب على لسان عثمان وذلك لعدة أمور، منها[٢٦٠]: كيف علم العراقيون بالأمر وقد اتجهوا إلى بلادهم، وفصلتهم عن المصريين -الذين أمسكوا بالكتاب المزعوم- مسافة شاسعة، فالعراقيون في الشرق والمصريون في الغرب، ومع ذلك عادوا جميعًا في آن واحد، كأنما كانوا على ميعاد؟ لا يعقل هذا إلا إذا كان الذين زوروا الكتاب واستأجروا راكبًا ليحمله ويمثل الدور في البويب أمام المصريين، قد استأجروا راكبًا آخر انطلق إلى العراقيين ليخبرهم بأن المصريين قد اكتشفوا كتابًا بعث فيه عثمان لقتل المنحرفين المصريين، وهذا ما احتج به علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقد قال: كيف علمتم يا أهل الكوفة ويا أهل البصرة بما لقي أهل مصر، وقد سرتم مراحل ثم طويتم نحونا[٢٦١]، بل إن عليا يجزم: هذا والله أمره أبرم بالمدينة[٢٦٢].

إن هذا الكتاب المشؤوم ليس أول كتاب يزوره هؤلاء المجرمون، بل زوروا كتبًا على

---

(٢٥٦) المصدر نفسه (١/ ١٢٩).
(٢٥٧) المصدر نفسه (١/ ٣٢٩).
(٢٥٨) تاريخ الطبري (٥/ ٣٧٩).
(٢٥٩) فتنة مقتل عثمان (٥/ ١٣٢)، البداية والنهاية (٧/ ١٩١).
(٢٦٠) تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان للصلابي ص(٤١٠).
(٢٦١) تاريخ الطبري (٥/ ٣٥٩).
(٢٦٢) تاريخ الطبري (٥/ ٣٥٩).

لسان أمهات المؤمنين، وكذلك على لسان علي وطلحة والزبير، فهذه عائشة رضي الله عنها تتهم بأنها كتبت إلى الناس تأمرهم بالخروج على عثمان فتنفي وتقول: لا والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ما كتبت لهم سوداء في بيضاء حتى جلست مجلسي هذا[٢٦٣]، ويعقب الأعمش فيقول: فكانوا يرون أنه كتب على لسانهم[٢٦٤] ويتهم الوافدون عليا بأنه كتب إليهم أن يقدموا عليه بالمدينة، فينكر ذلك عليهم ويقسم: والله ما كتبت إليكم كتابًا[٢٦٥]، كما ينسب إلى الصحابة بكتابة الكتب إلى أهل الأمصار يأمرونهم بالقدوم إليهم فدين محمد قد فسد وترك، والجهاد في المدينة خير من الرباط في الثغور البعيدة[٢٦٦]، ويعلق ابن كثير على هذا الخبر قائلاً: وهذا كذب على الصحابة، وإنما كتبت كتب مزورة عليهم، فقد كتب من جهة علي وطلحة والزبير إلى الخوارج قتلة عثمان كتب مزورة عليهم أنكروها، وكذلك زور هذا الكتاب على عثمان أيضًا، فإنه لم يأمر به، و لم يعلم به[٢٦٧]، ويؤكد كلام ابن كثير ما رواه الطبري وخليفة من استنكار كبار الصحابة -علي وعائشة والزبير- أنفسهم لهذه الكتب في أصح الروايات[٢٦٨]، إن الأيدي المجرمة التي زورت الرسائل الكاذبة على لسان أولئك الصحابة هي نفسها التي أوقدت نار الفتن من أولها إلى آخرها، ورتبت ذلك الفساد العريض، وهي التي زورت وروجت على عثمان تلك الأباطيل، وأنه فعل وفعل، ولقنتها للناس، حتى قبلها الرعاع، ثم زورت على لسان عثمان ذلك الكتاب، ليذهب عثمان ضحية إلى ربه شهيدًا سعيدا، ولم يكن عثمان الشهيد هو المجني عليه وحده في هذه المؤامرة السبئية اليهودية، بل الإسلام نفسه كان مجنيًا عليه قبل ذلك، ثم التاريخ المشوه المحرف، والأجيال الإسلامية التي تلقت تاريخها مشوهًا هي كذلك ممن جنى عليهم الخبيث اليهودي، وأعوانه من أصحاب المطامع والشهوات والحقد الدفين، أما آن للأجيال الإسلامية أن تعرف تاريخها الحق، وسير رجالاتها العظام؟ بل ألم يأن لمن يكتب في هذا العصر من المسلمين أن يخاف الله ولا يتجرأ على تجريح الأبرياء قبل أن يحقق ويدقق حتى لا يسقط كما سقط غيره[٢٦٩].

**٢- موقف علي رضي الله عنه أثناء الحصار:**

اشتد الحصار على عثمان رضي الله عنه، حتى مُنع من أن يحضر للصلاة في المسجد، وكان صابرًا على هذه البلوى التي أصابته كما أمره رسول الله (ﷺ) بذلك، وكان مع إيمانه القوي بالقضاء والقدر، يحاول أن يجد حلاً لهذه المصيبة، فنراه تارة يخطب الناس عن حرمة

(٢٦٣) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣٣٤).
(٢٦٤) تاريخ خليفة بن خياط ص(١٦٩).
(٢٦٥) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣٣٥)، البداية والنهاية (٧/ ١٩١).
(٢٦٦) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣٣٥)، البداية والنهاية (٧/ ١٧٥).
(٢٦٧) البداية والنهاية (٧/ ١٧٥).
(٢٦٨) تحقيق مواقف الصحابة (١/ ٣٣٥).
(٢٦٩) عثمان بن عفان الخليفة الشاكر الصابر ص(٢٢٨، ٢٢٩).

دم المسلم، وأنه لا يحل سفكه إلا بحقه وتارة يتحدث في الناس ويظهر فضائله وخدماته الجليلة في الإسلام ويستشهد على ذلك ببقية العشرة رضوان الله عليهم (٢٧٠) كأنه يقول: من هذا عمله وفضله هل من الممكن أن يطمع بالدنيا ويقدمها على الآخرة وهل يعقل يخون الأمانة ويعبث بأموال الأمة ودمائها وهو يعرف عاقبة ذلك عند الله، وهو الذي تربى على عين النبي والذي شهد له وزكاه وكذلك أفاضل الصحابة، أهكذا تكون معاملته؟ واشتدت سيطرة الثوار على المدينة حتى إنهم ليصلون بالناس في أغلب الأوقات(٢٧١)، وحينها أدرك الصحابة أن الأمر ليس كما حسبوا وخشوا من حدوث ما لا يحمد عقباه، وقد بلغهم أن القوم يريدون قتله، فعرضوا عليه أن يدافعوا عنه، ويخرجوا الغوغاء عن المدينة، إلا أنه رفض أن يراق دم بسببه(٢٧٢)، وأرسل كبار الصحابة أبناءهم دون استشارة عثمان رضي الله عنه، ومن هؤلاء الحسن بن علي رضي الله عنهما، وعبد الله بن الزبير، حيث تذكر بعض الروايات أن الحسن حمل جريحًا من الدار يوم الدار(٢٧٣)، كما جرح غير الحسن، عبد الله ابن الزبير، ومحمد بن حاطب ومروان بن الحكم، كما كان معهم الحسين بن علي وابن عمر رضي الله عنهما(٢٧٤).

وقد كان علي من أدفع الناس عن عثمان رضي الله عنه، وشهد له بذلك مروان بن الحكم(٢٧٥)، أقرب الناس إلى عثمان رضي الله عنه، وألصقهم به في تلك المحنة القاسية الأليمة، وقد أخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن عليا أرسل إلى عثمان فقال: إن معي خمسمائة دارع، فائذن لي، فأمنعك من القوم، فإنك لم تحدث شيئًا يستحل به دمك، فقال: جزيت خيرًا، ما أحب أن يهراق دم في سببي(٢٧٦)، وقد وردت روايات عديدة تفيد وقوفه بجانب عثمان رضي الله عنهما، أثناء الحصار فمن ذلك: أن الثائرين منعوا عن عثمان الماء حتى كاد أهله يموتوا عطشًا، فأرسل علي رضي الله عنه إليه بثلاث قرب مملوءة ماء، فما كادت تصل إليه، وجرح بسببها عدة من بني هاشم وبني أمية حتى وصلت(٢٧٧)، ولقد تسارعت الأحداث فوثب الغوغاء على عثمان وقتلوه رضي الله عنه وأرضاه، ووصل الخبر إلى الصحابة في المسجد، فذهبت عقولهم، وقال علي لأبنائه وأبناء إخوانه: كيف قتل عثمان وأنتم على الباب؟ ولطم الحسن، وكان قد جرح(٢٧٨) وضرب صدر

(٢٧٠) خلافة علي بن أبي طالب ، عبد الحميد علي ص(٨٥).
(٢٧١) سير أعلام النبلاء(٣/ ٥١٥).
(٢٧٢) فتنة مقتل عثمان (١/ ١٦٧). المسند (١/ ٣٩٦) أحمد شاكر.
(٢٧٣) الطبقات لابن سعد (٨/ ١٢٨) بسند صحيح.
(٢٧٤) تاريخ خليفة (١٧٤).
(٢٧٥) تاريخ الإسلام للذهبي الخلفاء الراشدون ص(٤٦٠- ٤٦١) إسناده قوي.
(٢٧٦) تاريخ دمشق ص(٤٠٣).
(٢٧٧) أنساب الأشراف للبلاذري (٥/ ٦٧).
(٢٧٨) ابن أبي عاصم الآحاد والمثاني(١/ ١٢٥) نقلاً عن خلافة علي ص(٨٧).

الحسين، وشتم ابن الزبير وابن طلحة، وخرج غضبان إلى منزله يقول: تبا لكم سائر الدهر، اللهم إني أبرأ إليك من دمه أن أكون قتلت أو مالأت على قتله[٢٧٩]، وهكذا كان موقف علي رضي الله عنه، نصح وشورى، سمع وطاعة، وقفة قوية بجانبه أثناء الفتنة، ومن أدفع الناس عنه، ولم يذكره بسوء قط، يحاول الإصلاح وسد الخرق بين الخليفة والخارجين عليه لكن الأمر فوق طاقته، وخارج إرادته إنها إرادة الله (عز وجل) أن يفوز أمير المؤمنين عثمان ابن عفان رضي الله عنه بالشهادة[٢٨٠].

**٣- المصاهرات بين آل علي وآل عثمان رضي الله عنهم:**

لم يكن بين بني هاشم وبني أمية من المباغضة والعداوة والمنافرة التي اخترعها وابتكرها أعداء الإسلام والمسلمين ونسجوا الأساطير والقصص حولها، ولقد اتضح لكل منصف أن بني أمية وبني هاشم علاقتهم فيما بينهم علاقة أبناء العمومة والإخوان والخلان، فهم من أقرب الناس فيما بينهم يتبادلون الحب والتقدير والاحترام، ويتقاسمون الهموم والآلام والأحزان، فبنو أمية وبنو هاشم كلهم أبناء أب واحد، وأحفاد جد واحد، وأغصان شجرة واحدة قبل الإسلام وبعد الإسلام، وكلهم استقوا من عين واحدة ومنبع صاف واحد، وأخذوا الثمار من دين الله الحنيف الذي جاء به رسول الله الصادق الأمين، المعلم، المربي، خاتم الأنبياء والمرسلين، ولقد كان بين أبي سفيان وبين العباس صداقة يضرب بها الأمثال[٢٨١]، كما كانت بينهم المصاهرات قبل الإسلام وبعده، فلقد زوج رسول الله (ﷺ) بناته الثلاثة من الأربعة من بني أمية من أبي العاص بن الربيع وهو من بني أمية، ومن عثمان ابن عفان بن أبي العاص بن أمية، وهو مع ذلك ابن بنت عمة رسول الله (ﷺ) التي ولدت مع والد رسول الله (ﷺ) عبد الله بن عبد المطلب توأمين أروى بنت كريز بن حبيب بن عبد شمس وهي أم عثمان وأمها أم حكيم وهي البيضاء بنت عبد المطلب عمة النبي (ﷺ) ، هذا ولقد تزوج بعد عثمان بن عفان رضي الله عنه من بني هاشم ابنه أبان بن عثمان، وكانت عنده أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر (الطيار) ابن أبي طالب شقيق علي رضي الله عنهما[٢٨٢]، وحفيدة علي وبنت الحسين سكينة كانت متزوجة من حفيد عثمان زيد بن عمرو ابن عثمان رضي الله عنهم أجمعين، وحفيدة علي الثانية وابنة الحسين فاطمة كانت متزوجة من حفيد عثمان الآخر، محمد بن عبد الله بن عثمان بن عفان، وكانت أم حبيبة بنت أبي سفيان سيد بني أمية متزوجة من سيد بني هاشم وسيد ولد آدم رسول الله الصادق الأمين كما هو معروف، كما أن هند بنت أبي سفيان كانت متزوجة من الحارث بن نوفل بن الحارث بن

---

(٢٧٩) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/ ٢٠٩) إسناده صحيح.
(٢٨٠) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد علي ص(٨٧).
(٢٨١) الشيعة وأهل البيت ص(١٤١).
(٢٨٢) المعارف للدينوري ص(٨٦)، الشيعة وأهل البيت ص(١٤١).

عبد المطلب بن هاشم فولدت له ابنه محمداً[٢٨٣].

وتزوجت لبابة بنت عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب، العباس بن علي بن أبي طالب، ثم خلف عليها الوليد بن عتبة (ابن أخ معاوية) ابن أبي سفيان[٢٨٤]، وتزوجت رملة بنت محمد بن جعفر (الطيار) ابن أبي طالب سليمان بن هاشم بن عبد الملك (الأموي) ثم أبا القاسم بن وليد بن عتبة بن أبي سفيان[٢٨٥]، وكذلك تزوجت ابنة علي بن أبي طالب رملة من ابن مروان بن الحكم[٢٨٦] بن أبي العاص بن أمية، فقد كانت رملة بنت علي عند أبي الهياج.. ثم خلف عليها معاوية بن مروان بن الحكم بن أبي العاص[٢٨٧]، وتزوجت حفيدة علي بن أبي طالب من حفيد مروان بن الحكم، فنفيسة بنت زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب تزوجها وليد بن عبد الملك بن مروان فتوفيت عنده، وأمها لبابة بنت عبد الله بن عباس[٢٨٨]، وقد اكتفيت ببيان بعض منها، وفيها كفاية لمن أراد الحق والتبصر[٢٨٩].

**سادساً: من أقوال علي في الخلفاء الراشدين:**

إن خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم قد أجمع على صحتها وانعقادها الصحابة الكرام، ومن طعن في أحد منهم فقد خالف قول الله (تعالى): ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، وقول النبي (ﷺ): «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ» فهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ومن اتبعهم بإحسان[٢٩٠]، وما أحسن ما قاله أيوب السختياني في هذا المقام، حيث قال: من أحب أبا بكر فقد أقام الدين، ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل، ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله (عز وجل)، ومن أحب عليا فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن أحسن القول في أصحاب محمد فقد برئ من النفاق[٢٩١].

قال الشاعر:

---

(٢٨٣) طبقات ابن سعد (٥/ ١٥)، الإصابة (٣/ ٥٨، ٥٩).
(٢٨٤) نسب قريش ص(١٣٣)، الشيعة وأهل البيت ص(١٤٣).
(٢٨٥) الشيعة وأهل البيت ص(١٤٣).
(٢٨٦) المصدر نفسه ص(١٤٣).
(٢٨٧) جمهرة أنساب العرب ص(٨٧)، نسب قريش ص(٤٥).
(٢٨٨) طبقات ابن سعد (٥/ ٢٣٤).
(٢٨٩) الشيعة وأهل البيت ص(١٤٤).
(٢٩٠) الشريعة للآجري (٤/ ١٧٦٨).
(٢٩١) المصدر نفسه (٤/ ١٧٧٢، ١٧٧٣).

إني رضيت عليًا قدوة علمًا ... كما رضيت عتيقًا صاحب الغار
وقد رضيت أبا حفص وشيعته ... وما رضيت بقتل الشيخ في الدار
كل الصحابة عندي قدوة علم ... فهل عليّ بهذا القول من عار
إن كنت تعلم إني لا أحبهم ... إلا لوجهك أعتقني من النار[٢٩٢]

هذا وقد جاءت الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة في العلاقة المتميزة بين علي والخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وقد تم توضيح ذلك في الصفحات الماضية وهذه بعض الأدلة نضيفها إلى ما سبق من براهين ساطعة على مكانة الخلفاء الراشدين عند أمير المؤمنين علي رضي الله عنه.

**١- سيدا كهول أهل الجنة وشبابها:**

عن علي رضي الله عنه قال: كنت عند النبي (ﷺ)، فأقبل أبو بكر وعمر، فقال: «يا علي، هذان سيدا كهول أهل الجنة، وشبابها، بعد النبيين والمرسلين»[٢٩٣].

**٢- ما أضمر لهما إلا الذي أتمنى المضي عليه:**

عن سويد بن غفلة، قال: مررت بنفر من الشيعة يتناولون أبا بكر وعمر فدخلت على علي فقلت: يا أمير المؤمنين، مررت بنفر من أصحابك آنفًا يتناولون أبا بكر وعمر بغير الذي هما له من هذه الأمة أهل، فلولا أنك تضمر على مثل ما أعلنوا عليه ما تجرؤوا على ذلك، فقال علي: ما أضمر لهما إلا الذي أتمنى المضي عليه، لعن الله من أضمر لهما إلا الحسن الجميل. ثم نهض دامع العين يبكي، قابضًا على يديه حتى دخل المسجد، فصعد المنبر وجلس عليه متمكنًا قابضًا على لحيته ينظر فيها وهي بيضاء، حتى اجتمع له الناس، ثم قام فخطب خطبة موجزة بليغة، ثم قال: ما بال قوم يذكرون سيدي قريش وأبوي المسلمين؟ أنا مما قالوا بريء وعلى ما قالوا معاقب، ألا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لا يحبهما إلا مؤمن تقي، ولا يبغضهما إلا فاجر ردي، صحبا رسول الله على الصدق والوفاء، يأمران وينهيان وما يجاوزان فيما يصنعان رأي رسول الله، ولا كان رسول الله يرى بمثل رأيهما، ولا يحب كحبهما أحدًا، قضى رسول الله (ﷺ) وهو عنهما راض، ومضيا والمؤمنون عنهما راضون، أمر رسول الله أبا بكر لصلاة المسلمين فصلى بهم تسعة أيام[٢٩٤]، في حياة رسول الله، فلما قبض الله (تعالى) نبيه (ﷺ) واختار ما له عنده، ولاه المؤمنون أمرهم، وقضوا إليه الزكاة، لأنهما مقرونتان ثم أعطوه البيعة طائعين غير كارهين، أنا أول من سن ذلك من بني عبد المطلب، وهو لذلك كاره يود أن أحدنا كفاه ذلك، وكان والله خير من بقي، أرحمه رحمة،

---

(٢٩٢) الشريعة (٥/ ٢٥٣٦).
(٢٩٣) مسند أحمد الموسوعة الحديثية رقم (٦٠٢) حديث صحيح وهذا إسناد حسن.
(٢٩٤) في الأصل سبعة، وورد تصويبها في الهامش.

وأرأفه رأفة، وأثبته ورعًا، وأقدمه سنًا وإسلامًا. . فسار فينا سيرة رسول الله حتى مضى على ذلك، ثم ولي عمر الأمر من بعده، فمنهم من رضي، ومنهم من كره، فلم يفارق الدنيا حتى رضي به من كان كرهه فأقام الأمر على منهاج النبي (ﷺ) وصاحبه، يتبع آثارهما كتباع الفصيل(٢٩٥) أمه، وكان والله رفيقًا رحيما، وللمظلومين عونًا راحمًا وناصرًا، لا يخاف في الله لومة لائم، ضرب الله بالحق على لسانه، وجعل الصدق من شأنه، حتى كنا نظن أن ملكًا ينطق على لسانه، أعز الله بإسلامه الإسلام، وجعل هجرته للدين قوامًا، ألقى الله (تعالى) له في قلوب المنافقين الرهبة ، وفي قلوب المؤمنين المحبة. . إلى أن قال: فمن لكم بمثلهما رحمة الله عليهما ورزقنا المضي على سبيلهما، فإنه لا يبلغ مبلغهما إلا باتباع آثارهما والحب لهما، ألا فمن أحبني فليحبهما، ومن لم يحبهما فقد أبغضني، وأنا منه بريء، ولو كنت تقدمت إليكم في أمرهما لعاقبت على هذا أشد العقوبة، ولكن لا ينبغي أن أعاقب قبل التقدم، ألا فمن أتيت به يقول هذا بعد اليوم، فإن عليه ما على المفتري، ألا وخير هذه الأمة بعد نبيها: أبو بكر وعمر، ولو شئت سميت الثالث، وأستغفر الله لي ولكم(٢٩٦).

**٣- هذا عثمان بن علي سميته بعثمان بن عفان:**

عن أبي سعيد الخدري: نظرت إلى غلام أيفع(٢٩٧)، له ذؤابة(٢٩٨) وجمة(٢٩٩)، والله يعلم أني منه حينئذ لفي شك، ما أدري غلام هو أم جارية، فمررنا بأحسن منه وهو جالس إلى جنب علي فقلت: عفاك الله، من هذا الفتى إلى جانبك؟ قال: هذا عثمان بن علي سميته بعثمان بن عفان، وقد سميت بعمر بن الخطاب ، وسميت بعباس عم رسول الله وقد سميت بخير البرية محمد، فأما حسن وحسين ومحسن(٣٠٠)، فإنما سماهم رسول الله وعق عنهم وحلق رؤوسهم(٣٠١)، وتصدق وزنها فضة وأمر بهم فسموا وختنوا(٣٠٢)، فقد ولدوا في عهده عليه الصلاة والسلام ورسول الله هو الذي سماهم وعق عنهم.

**٤- أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم كان لهم بالنبي اختصاص عظيم:**

قد عرف بالتواتر الذي لا يخفى على العامة والخاصة أن أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم كان لهم بالنبي (ﷺ) اختصاص عظيم وكانوا من أعظم الناس اختصاصًا به، وصحبة

---

(٢٩٥) الفصيل: ولد الناقة إذا فصل عن أمه.
(٢٩٦) النهي عن سب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب ص(٤٣)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي رقم (٤٤٥٦).
(٢٩٧) أيفع: شارف الاحتلام.
(٢٩٨) الذؤابة: هي الشعر المضفور من شعر الرأس.
(٢٩٩) الجمة من شعر الرأس: ما سقط على المنكبين.
(٣٠٠) مسند أحمد (٢/١١٥) رقم (٧٦٩) قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.
(٣٠١) المختصر من كتاب الموافقة ص(١٤١).
(٣٠٢) وختنوا: الختن للرجال، والخفض للنساء، المختصر من كتاب الموافقة ص(١٤١).

له وقربة إليه، وقد صاهرهم كلهم وكان يحبهم ويثني عليهم، وحينئذ فإما أن يكونوا على الاستقامة ظاهرًا وباطنًا في حياته وبعد موته، وإما أن يكونوا بخلاف ذلك في حياته، أو بعد موته، فإن كانوا على غير الاستقامة مع هذا القرب فأحد الأمرين لازم، إما عدم علمه بأحوالهم، أو مداهنته لهم ، وأيهما كان فهو من أعظم القدح في الرسول (ﷺ) كما قيل:

**فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم**

وإن كانوا انحرفوا بعد الاستقامة فهذا خذلان من الله للرسول في خواص أمّته، وأكابر أصحابه، ومن وعده أن يظهر دينه على الدين كله، فكيف يكون أكابر خواصه مرتدين؟ فهذا ونحوه من أعظم ما يقدح به الرافضة في الرسول (ﷺ) كما قال الإمام مالك وغيره: إنما أراد هؤلاء الرافضة الطعن في الرسول ليقول القائل: رجل سوء كان له أصحاب سوء، ولو كان رجلاً صالحًا لكان أصحابه صالحين، ولهذا قال أهل العلم: إن الرافضة دسيسة الزندقة(٣٠٣).

**٥- ما يترتب عليه في مذهب الرافضة من تكفير الصحابة:**

إن مذهب الرافضة في تكفير الصحابة يترتب عليه تكفير أمير المؤمنين لتخليه عن القيام بأمر الله، ويلزم عليه إسقاط تواتر الشريعة، بل بطلانها ما دام نقلتها مرتدين، ويؤدي إلى القدح في القرآن العظيم، لأنه وصلنا عن طريق أبي بكر وعمر وعثمان وإخوانهم، وهذا هو هدف واضح في هذه المقالة، ولذلك قال أبو زرعة: إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله (ﷺ) فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول (ﷺ) حق والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة(٣٠٤)، ولذلك اعترفت كتب الشيعة أن الذي وضع هذه المقالة هو ابن سبأ فقالت: إنه أول من أظهر الطعن في أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة، وتبرأ منهم، وادعى أن عليا عليه السلام أمره بذلك(٣٠٥).

**٦- قرائن عملية وأدلة واقعية على حقيقة العلاقة بين علي والخلفاء الراشدين:**

قامت القرائن العملية والأدلة الواقعية من سيرة أمير المؤمنين علي في علاقته مع إخوانه أبي بكر وعمر وعثمان مما اشتهر وذاع نقله، وقد نقلنا منه الكثير فيما مضى ما يثبت المحبة الصادقة والإخاء الحميم بين هذه الطليعة المختارة، والصفوة من جيل الصحابة رضوان الله عليهم، وتأتي في مقدمة هذه الأدلة والقرائن تزويج أمير المؤمنين علي ابنته أم كلثوم لأمير المؤمنين عمر(٣٠٦)، فإذا كان عمر فاروق هذه الأمة قد صار عند الشيعة والروافض أشد كفرًا

(٣٠٣) منهاج السنة (٤/ ١٢٣)، أصول مذهب الشيعة (٢/ ٩٣١).
(٣٠٤) الكفاية ص(٤٩).
(٣٠٥) المقالات والفرق للقمي ص(٢٠) نقلاً عن أصول مذهب الشيعة (٢/ ٩٣٣).
(٣٠٦) أصول مذهب الشيعة (٢/ ٩٣٢).

من إبليس أفلا يرجعون إلى عقولهم ويتدبرون فساد ما ينتهي إليه مذهبهم؟ إذ لو كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما كافرين كما يفترون لكان علي بتزويجه ابنته أم كلثوم الكبرى من عمر رضي الله عنه كافرًا أو فاسقًا معرضًا بيته للزنا، لأن وطء الكافر للمسلمة زنا محض[٣٠٧]، والعاقل المنصف البريء من الغرض، الصادق في محبته للنبي (ﷺ) وأهل بيته وأتباعه لهم لا يملك إلا الإذعان لهذه الحقيقة، حقيقة الولاء والحب بين الخلفاء الأربعة رضوان الله عليهم، ولذلك لما قيل لمعز الدولة أحمد بن بويه وكان رافضيًا يشتم صحابة رسول الله: إن عليا رضي الله عنه زوج ابنته أم كلثوم من عمر بن الخطاب، استعظم ذلك وقال: ما علمت بهذا، وتاب وتصدق بأكثر ماله وأعتق مماليكه ورد كثيرًا من المظالم وبكى حتى غشي عليه[٣٠٨]، لشعوره بعظم جرمه فيما سلف من عمره، الذي أمضاه ينهش في أعراض هؤلاء الأطهار مغترًا بشبهات الروافض[٣٠٩].

وقد حاول شيوخ الشيعة الروافض إبطال مفعول هذا الدليل فوضعوا روايات مكذوبة على لسان الأئمة تقول: ذلك فرج غصبناه[٣١٠]، فزادوا الطين بلة، حتى صوروا أمير المؤمنين في صورة «الديوث» الذي لا ينافح عن عرضه، ويقر الفاحشة في أهله، وهل يتصور مثل هذا في حق أمير المؤمنين علي بطل الإسلام؟ إن أدنى العرب ليبذل نفسه دون عرضه، ويقتل دون حرمه، فضلاً عن بني هاشم الذين هم سادات العرب وأعلاها نسبًا وأعظمها مروءة وحمية، فكيف يثبتون لأمير المؤمنين وابنته حفيدة رسول الله مثل هذه المنقصة الشنيعة، وهو الشجاع الصنديد، ليث بني غالب، أسد الله في المشارق والمغارب[٣١١].

ويبدو أن بعضهم لم يعجبه هذا التوجيه، فرام التخلص من هذا الدليل بمنطق أغرب وأعجب، حيث زعم أن أم كلثوم لم تكن بنت علي ولكنها جنية تصورت بصورتها[٣١٢]. فأتوا بما يستخف به أصحاب العقول ويستطيع كل من أراد أن يدعي على من يكرهه بأنه جني أو جنية وهكذا يعيش الناس في الخرافات وتضيع الحقيقة.

ومن القرائن أيضًا علاقات القربى القائمة بينهم، ووشائج الصلة، وكذلك مظاهر المحبة، حتى أن عليا والحسن والحسين -كما مر معنا- يسمون بعض أولادهم باسم أبي بكر وعمر، وهل يطيق أحد أن يسمي أولاده بأسماء أشد أعدائه كفرًا وكرهًا له؟ وهل يطيق أن يسمع أسماء أعدائه تترد في أرجاء بيته يرددها مع أهله في يومه مرات وكرات[٣١٣]. إن أمير

---

(٣٠٧) المصدر نفسه (٢/ ٩٣٢).
(٣٠٨) المنتظم (٧/ ٣٨، ٣٩)،
(٣٠٩) أصول مذهب الشيعة (٢/ ٩٣٧).
(٣١٠) فروع الكافي (٢/ ١٠) ، أصول مذهب الشيعة (٢/ ٩٣٧).
(٣١١) مؤتمر النجف للسويدي ص(٨٦) نقلاً عن أصول مذهب الشيعة (٢/ ٩٣٧).
(٣١٢) الأنوار النعمانية (١/ ٨٣- ٨٤) نقلاً عن أصول مذهب الشيعة (٢/ ٩٣٨).
(٣١٣) أصول مذهب الشيعة (٢/ ٩٣٨).

المؤمنين علي رضي الله عنه لا يحفظ عن الصحابة ومن تبعهم من التابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين إلا محبة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم في حياتهم وفي خلافتهم وبعد وفاتهم، فأما في خلافاتهم فسامع لهم مطيع، يحبهم ويحبونه، ويعظم قدرهم ويعظمون قدره، صادق في محبتهم، مخلص في الطاعة لهم، يجاهد من يجاهدون، ويحب ما يحبون، ويكره ما يكرهون، ويستشيرونه في النوازل فيشير مشورة ناصح مشفق محب، فكثير من سيرتهم بمشورته جرت[٣١٤]، وهم يبادلونه نفس الشعور ويقال: إنه لا يجتمع حب أبي بكر وعمر وعثمان وعلي إلا في قلوب أتقياء هذه الأمة[٣١٥]، وقال سفيان الثوري: لا يجتمع حب عثمان وعلي رضي الله عنهما إلا في قلوب نبلاء الرجال[٣١٦]، وقال أنس بن مالك: قالوا: إن حب عثمان وعلي رضي الله عنهما لا يجتمعان في قلب مؤمن، كذبوا، فقد جمع الله (عز وجل) حبهما بحمد الله في قلوبنا[٣١٧].

**سابعًا: وصف لأصحاب النبي رضي الله عنهم في القرآن الكريم:**

قال (تعالى): ﴿**مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا**﴾ [الفتح: ٢٩].

ومن المناسب أن أختتم هذا الفصل بهذه الآية الكريمة لتكون دليلا على ما ذكرته من المحبة والرحمة والتعاون بين الخلفاء الراشدين والصحابة الكرام، فهذه الآية تضمنت ذكر منزلة الرسول (ﷺ) بالثناء ثم ثنى الله (تعالى) فيها بالثناء على سائر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، فذكر (تعالى) أن صفاتهم: الشدة والغلظة على أهل الكفر، كما وصفهم بالتراحم والتعاطف فيما بينهم، ووصفهم بأنهم يكثرون من الأعمال الصالحة المقرونة بالإخلاص وسعة الرجاء، وفي مقدمة تلك الأعمال الصالحة إكثارهم من الصلاة ابتغاء الحصول على فضل من الله ورضوان كما بين (سبحانه) أن آثار ذلك يظهر على وجوههم ﴿**سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ**﴾ والسيما العلامة. وقد قيل: بها بياض يكون في الوجوه يوم القيامة قاله الحسن وسعيد بن جبير وهو رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواية أخرى عنه وعن مجاهد: السيماء في الدنيا هو السمت الحسن، وعن مجاهد أيضًا هو الخشوع والتواضع[٣١٨].

---

(٣١٤) الشريعة للآجري (٥/ ٢٣١٢).

(٣١٥) المصدر نفسه (٥/ ٢٣١٢).

(٣١٦) حلية الأولياء (٧/ ٣٢).

(٣١٧) الشريعة للآجري (٥/ ٢٣١٢) إسناده صحيح.

(٣١٨) تفسير الطبري (٢٦/ ١١٠- ١١١)، تفسير القرطبي (١٦/ ٢٩٣- ٢٩٤).

وهذه الأقوال لا منافاة بينها إذ يمكن أن يكون في الدنيا هو السمت الذي ينشأ عن التواضع والخشوع وفي الآخرة يكون في جباههم نور(٣١٩) قال ابن كثير: فالصحابة رضي الله عنهم خلصت نياتهم وحسنت أعمالهم فكل من نظر إليهم أعجبوه في سمتهم وهديهم وقال مالك رضي الله عنه: بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة رضي الله عنهم الذين فتحوا الشام يقولون: والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا، وصدقوا في ذلك فإن هذه الأمة معظمة في الكتب المتقدمة وأعظمها وأفضلها أصحاب رسول الله (ﷺ) وقد نوه الله (تبارك وتعالى) بذكرهم في الكتب والأخبار المتداولة، لهذا قال (سبحانه) ها هنا: ﴿مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ﴾ ثم قال: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ أي: فراخه ﴿فَآزَرَهُ﴾ أي: شده وقواه ﴿فَاسْتَغْلَظَ﴾ أي: شب وطال ﴿فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾ أي: فكذلك أصحاب رسول الله (ﷺ) آزروه وأيدوه ونصروه فهم معه كالشطء مع الزرع ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك رحمة الله عليه في رواية عنه تكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة رضي الله عنهم قال: لأنهم يغيظونهم ومن غاظه الصحابة رضي الله عنهم فهو كافر لهذه الآية ووافقه طائفة من العلماء رضي الله عنهم على ذلك.. ثم قال (تبارك وتعالى): ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم﴾ أي: ثوابًا جزيلاً ورزقًا كريمًا ووعد الله حق وصدق لا يخلف ولا يبدل، وكل من اقتفى أثر الصحابة رضي الله عنهم فهو في حكمهم ولهم الفضل والسبق والكمال الذي لا يلحقهم فيه أحد من هذه الأمة رضي الله عنهم وأرضاهم وجعل جنات الفردوس مأواهم وقد فعل(٣٢٠).

وفي قوله (سبحانه) في حق الصحابة الكرام رضي الله عنهم: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ أخطر حكم وأغلظ تهديد وأشد وعيد في حق من غيظ بأصحاب رسول الله (ﷺ) أو كان في قلبه غل لهم(٣٢١)، وأما في قوله في ختام الآية: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ فيها وعد من الله (تعالى) لجميع الصحابة بالجنة وكذلك كل من آمن وعمل الصالحات من أمة الإجابة إذ هذا الوعد عام لجميع المؤمنين إلى يوم القيامة(٣٢٢) وكلمة ﴿مِنْهُم﴾ في الآية السابقة لبيان الجنس وليست للتبعيض. قال ابن تيمية: لا ريب أن هذا مدح لهم بما ذكر من الصفات وهو الشدة على الكفار والرحمة بينهم والركوع والسجود يبتغون فضلاً من الله ورضوانا والسيماء في وجوههم من أثر السجود، وأنهم يبتدئون من ضعف إلى كمال القوة والاعتدال كالزرع والوعد لهم بالمغفرة والأجر العظيم ليس على مجرد هذه الصفات بل على الإيمان والعمل الصالح فذكر ما به يستحقون الوعد وإن كانوا كلهم بهذه الصفة ولولا ذكر ذلك لكان يظن أنهم بمجرد ما ذكر يستحقون

(٣١٩) تفسير الطبري (٢٦/ ١١٢).
(٣٢٠) تفسير ابن كثير (٦/ ٣٦٥).
(٣٢١) قبس من هدي الإسلام، عبد المحسن العباد ص(٨٦).
(٣٢٢) عقيدة أهل السنة والصحابة(١/ ٧٦).

المغفـرة والأجر العظيم ولم يكن فـيه بيـان سبب الجزاء بخـلاف ما إذا ذكـر الإيمان والعمل الصالح فإن الحكم إذا علق باسم مشتق مناسب كان ما منه الاشتقاق سبب الحكم(٣٢٣).

إن ما ذكـرته في هذا الفـصل ينسجم كليـا مع حديث القـرآن الكريم عن الرحمـة بين الصحـابة والشدة على الكفـار وخصوصًـا بين الخلفاء الراشـدين فهم السادة الـكرام، وعلية القوم، وقـادة الأمة بعـد وفاة نبـيها، فـالحذر كل الحـذر من الروايات الضعـيفـة والقصص الموضوعة التي اختلقها أعداء الأمة ليشوهوا به تاريخ صدر الإسلام، أنصدق الروايات الكاذبة والقصص الواهية التي تصـور العداء بين الخلفاء الراشدين أم نصدق كتـاب ربنا وما جاء في حقهم على لسان نبينا وما يوافقه مما دونه العلماء الثقات من أهل السنة والجماعة؟!.

قال (تعالى): ﴿**وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [الأنفال: ٦٣] فهذا وصف القـرآن الكريم لحقيقة الألفة بين قلوب الصحـابة، فهي منحة ربانية ونعمة إلهـية أعطاها الله لذلك الجيل الطاهر لا دخل لبشر فـيها، وبين القرآن الكريم أن الألفـة بين الصحابة نعمة مـن الله (تعالى) امتن بها على رسول الله (ﷺ)، وهذا التصوير القرآني لحقيقة الصحابة ينسجم مع الروايات الصحيحة التي تبين محبـة الصحابة والمودة بينهم، وبذلك يفتضح أمـر الذين وضعوا الروايات المكذوبة والموضوعة، والآية تشمل كل من سار على هدي الـقرآن الكريم وسنة سيد المرسلين قال ابن عباس: قرابة الرحم تقطع، ومنة المنعم تكفر، ولم نر مثل تقارب القلوب(٣٢٤).

قال الشاعر:

ولقـد صحـبت الـناس ثم خـبـرتهم ... وبلـوت مـا وصلـوا من الأنسـاب
فـإذا الـقـرابة لا تـقـرب قـاطـعًـا ... وإذا المودة أقـرب الأسـبـاب(٣٢٥)

---

(٣٢٣) منهاج السنة (١/١٥٨).
(٣٢٤) الدر المنثور في تفسير المأثور(٤/ ١٠٠).
(٣٢٥) المصدر نفسه (٤/ ١٠٠).

# الفصل الثالث
# بيعة علي رضي الله عنه وأهم صفاته وحياته في المجتمع

## المبحث الأول:
## بيعة علي رضي الله عنه

### أولاً: كيف تمت بيعة علي رضي الله عنه:

تمت بيعة علي رضي الله عنه بالخلافة بطريقة الاختيار، وذلك بعد أن استشهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه على أيدي الخارجين المارقين الشذاذ الذين جاؤوا من الآفاق ومن أمصار مختلفة، وقبائل متباينة لا سابقة لهم، ولا أثر خير في الدين، فبعد أن قتلوه رضي الله عنه ظلمًا وزورًا وعدوانًا، يوم الجمعة لثمان عشرة مضت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين[١] قام كل من بقي بالمدينة من أصحاب رسول الله بمبايعة علي رضي الله عنه بالخلافة؛ وذلك لأنه لم يكن أحد أفضل منه على الإطلاق في ذلك الوقت، فلم يدع الإمامة لنفسه أحد بعد عثمان رضي الله عنه ولم يكن أبو السبطين رضي الله عنه حريصًا عليها، ولذلك لم يقبلها إلا بعد إلحاح شديد ممن بقي من الصحابة بالمدينة وخوفًا من ازدياد الفتن وانتشارها، ومع ذلك لم يسلم من نقد بعض الجهال إثر تلك الفتن كموقعة الجمل وصفين التي أوقد نارها وأنشبها الحاقدون على الإسلام كابن سبأ وأتباعه الذين استخفهم فأطاعوه لفسقهم ولزيغ قلوبهم عن الحق والهدي، وقد روى الكيفية التي تم بها اختيار علي رضي الله عنه للخلافة بعض أهل العلم[٢]، فقد روى أبو بكر الخلال بإسناده إلى محمد ابن الحنفية قال: كنت مع علي رحمه الله وعثمان محاصر قال: فأتاه رجل فقال: إن أمير المؤمنين مقتول الساعة قال: فقام علي رحمه الله، قال محمد: فأخذت بسوطه تخوفًا عليه فقال: خل لا أم لك قال: فأتى علي الدار وقد قتل الرجل رحمه الله فأتى داره فدخلها فأغلق بابه، فأتاه الناس فضربوا عليه الباب فدخلوا عليه فقالوا: إن هذا قد قتل، ولا بد للناس من خليفة ولا نعلم أحدًا أحق بها منك. فقال لهم علي: لا تريدوني فإني لكم وزير خير مني لكم أمير. فقالوا: لا والله لا نعلم أحدًا أحق بها منك قال: فإن أبيتم علي فإن بيعتي لا تكون سرًا، ولكن أخرج إلى المسجد. فبايعه الناس[٣]، وفي رواية أخرى عن سالم بن أبي الجعد عن

---

(١) الطبقات لابن سعد (٣/ ٣١).
(٢) عقيدة أهل السنة في الصحابة الكرام(٢/ ٦٧٧).
(٣) كتاب السنة لأبي بكر الخلال ص(٤١٥).

محمد ابن الحنفية: فأتاه أصحاب رسول الله (ﷺ) فقالوا: إن هذا الرجل قد قتل ولا بد للناس من إمام ولا نجد واحدًا أحق بها منك أقدم مشاهد، ولا أقرب من رسول الله (ﷺ)، فقال علي: لا تفعلوا فإني وزير خير مني أمير، فقالوا: لا والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك. قال: ففي المسجد فإنه لا ينبغي لبيعتي أن تكون خفيًا ولا تكون إلا من رضا من المسلمين. قال: فقال سالم بن أبي الجعد: فقال عبد الله بن عباس: فلقد كرهت أن يأتي المسجد كراهية أن يشغب عليه وأبى هو إلا المسجد فلما دخل المسجد جاء المهاجرون والأنصار فبايعوه وبايع الناس[٤]. ومن هذه الآثار الصحيحة بعض الدروس والعبر والفوائد، منها:

١- نصرة علي بن أبي طالب رضي الله عنه لعثمان رضي الله عنه ودفاعه عنه، وهذا متواتر عن علي رضي الله عنه بل كان أكثر الناس دفاعًا عن عثمان رضي الله عنه، جاء ذلك بأسانيد كثيرة وشهد بذلك مروان بن الحكم حيث قال: ما كان في القوم أدفع عن صاحبنا من صاحبكم يعني عليا عن عثمان[٥].

٢- زهد علي رضي الله عنه في الخلافة وعدم طلبه لها أو طمعه فيها، واعتزاله في بيته حتى جاءه الصحابة يطلبون البيعة.

٣- إجماع الصحابة من المهاجرين والأنصار والناس عامة في المدينة على بيعته، ويدخل في هؤلاء أهل الحل والعقد، هم الذين قصدوا عليا وطلبوا منه أن يوافق على البيعة، وألحوا عليه حتى قبلها، وليس للغوغاء وقتلة عثمان كما في بعض الروايات الضعيفة والموضوعة.

٤- إن عليا كان أحق الناس بالخلافة يومئذ ويدل على ذلك قصد الصحابة له، وإلحاحهم عليه، ليقبل البيعة، وتصريحهم بأنهم لا يعلمون أحق منه بالخلافة يومئذ.

٥- أهمية الخلافة، ولذلك رأينا أن الصحابة أسرعوا في تولية علي، وكان علي يقول: لولا الخشية على دين الله لم أجبهم[٦].

٦- إن الشبهة التي أدخلوها على بيعة علي، كون الخوارج الذين حاصروا عثمان، وشارك بعضهم في قتله، كانوا في المدينة وأنهم أول من بدؤوا بالبيعة وأن طلحة والزبير بايعا مكرهين، وهذه أقاويل المؤرخين، لا تقوم على أساس وليس لها سند صحيح، والصحيح أنه لم يجد الناس بعد أبي بكر وعمر وعثمان، كالرابع قدرًا وعلمًا وتقىً ودينًا، وسبقًا وجهادًا، فعزم عليه المهاجرون والأنصار، ورأى ذلك فرضًا عليه، فانقاد إليه، ولولا الإسراع بعقد البيعة لعلي، لأدى ذلك إلى فتن واختلافات في جميع الأقطار الإسلامية، فكان من

---

(٤) الخلال في السنة ص(٤١٦) رجال الإسناد ثقات.

(٥) بيعة علي بن أبي طالب، أم مالك الخالدي ص(٢) نقلاً عن تاريخ الذهبي عهد الخلفاء الراشدين ص(٤٦٠) إسناده قوي.

(٦) فتح الباري (١٣/ ٧٥) إسناده صحيح بيعة علي ص(١٠٥).

مصلحة المسلمين أن يقبل علي البيعة مهما كانت الظروف المحيطة بها، ولم يتخلف عن علي أحد من الصحابة الذين كانوا بالمدينة وقد خلط الناس بين تخلف الصحابة عن المسير معه إلى البصرة وبين البيعة، أما البيعة فلم يتخلف عنها، وأما المسير معه تخلفوا عنه لأنها كانت مسألة اجتهادية(٧)، كما أن عليا لم يلزمهم بالخروج معه ،كما سيأتي التفصيل بإذن الله عند حديثنا عن الجمل.

٧- لا بد من الحذر من مبالغات الإخباريين التي تزعم أن المدينة بقيت خمسة أيام بعد مقتل عثمان وأميرها الغافقي ابن حرب، يلتمسون من يجيبهم إلى القيام بالأمر فلا يجدونه(٨)، ويزعم أن الغوغاء من مصر عرضت الأمر على علي فرفضه، وأن خوارج الكوفة عرضوا الخلافة على الزبير، فلا يجدونه، ومن جاء من البصرة عرضوا على طلحة البيعة فهذا لا يثبت أمام الروايات الصحيحة، ولا يصح إسناده(٩)، كما أن المعروف تمكن الصحابة من المدينة وقدرتهم على القضاء على الغوغاء لولا طلب عثمان رضي الله عنه بالكف عن استخدام القوة ضدهم وقد فصلت ذلك في كتابي «تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان» والصحيح أن بيعة علي كانت طواعية واختيارا من المسلمين وليس لأهل الفتنة دور في مبايعة علي، وإنما كل من كان من الصحابة في المدينة(١٠) هم الذين اختاروا أمير المؤمنين علي.

٨- بلغت الروايات الصحيحة والشواهد في بيعة علي إحدى عشرة رواية(١١)، وكما سيأتي تفصيل بعضها بإذن الله .

**ثانيا: أحقية علي بالخلافة:**

إن أحق الناس بالخلافة بعد أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهذا معتقد أهل السنة والجماعة، وهذا ما يجب على المسلم اعتقاده والديانة لله به في شأن ترتيب الخلافة الراشدة، وقد ورد الإيماء إلى أحقية خلافة علي رضي الله عنه في كثير من النصوص الشرعية منها:

١- قال (تعالى) : **﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾** [النور: ٥٥] ووجه الاستدلال بها على أحقية خلافة علي رضي الله عنه أنه أحد المستخلفين في الأرض الذين مكن الله لهم دينهم.

---

(٧) المدينة النبوية، محمد شراب (٢/ ٣١١).
(٨) تاريخ الطبري (٤/ ٤٣٢).
(٩) استشهاد عثمان ووقعة الجمل د. خالد الغيث ص(١٣٦) إلى (١٤٠).
(١٠) استشهاد عثمان ص(٢٤٠).
(١١) بيعة علي بن أبي طالب ص(١٢٢).

٢- قوله (ﷺ): «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ»[١٢]. ووجه الدلالة في هذا الحديث على أحقية خلافة علي رضي الله عنه أنه أحد الخلفاء الراشدين المهديين الذين أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وحافظوا على حدود الله وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وساروا بسيرة رسول الله (ﷺ) في العدل وإقامة الحق.

٣- قوله (ﷺ): «خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتي الله الملك من يشاء»[١٣]. وفي هذا الحديث إشارة إلى أحقية علي رضي الله عنه حيث إن خلافته كانت آخر الثلاثين من مدة خلافة النبوة التي حددها النبي (ﷺ) في هذا الحديث وبموجب هذا قال أهل العلم[١٤]، قال أحمد بن حنبل: حديث سفينة في الخلافة صحيح وإليه أذهب في الخلفاء[١٥]، وقال عبد الله ابن أحمد: قلت لأبي: إن قومًا يقولون: إنه ليس بخليفة. قال: هذا قول سوء رديء فقال: أصحاب رسول الله كانوا يقولون له: يا أمير المؤمنين. أفنكذبهم وقد حج وقطع ورجم فيكون هذا إلا خليفة[١٦].

وقال ابن تيمية في حديث سفينة: هو حديث مشهور من رواية حماد بن سلمة وعبد الوارث بن سعيد والعوام بن حوشب عن سعيد بن جهمان عن سفينة مولى رسول الله (ﷺ) رواه أهل السنن كأبي داود وغيره واعتمد الإمام أحمد وغيره في تقرير خلافة الخلفاء الراشدين الأربعة وثبته أحمد واستدل به على من توقف في خلافة علي من أجل افتراق الناس عليه حتى قال أحمد: من لم يربع بعلي في الخلافة فهو أضل من حمار أهله ونهى عن مناكحته[١٧].

وقال شارح الطحاوية: ونثبت الخلافة بعد عثمان لعلي رضي الله عنهما لما قتل عثمان وبايع الناس عليا صار إمامًا حقًا واجب الطاعة وهو الخليفة في زمانه خلافة نبوة، كما دل عليه حديث سفينة أنه قال: قال رسول الله (ﷺ): «خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتي الله ملكه من يشاء»[١٨].

٤- عن عكرمة قال لي ابن عباس ولابنه علي: انطلقا إلى أبي سعيد فاسمعا من حديثه، فانطلقنا فإذا هو في حائط يصلحه، فأخذ رداءه فاحتبى، ثم أنشأ يحدثنا حتى أتى

(١٢) سنن أبي داود (٤/ ٢٠١)، الترمذي (٥/ ٤٤) حسن صحيح.
(١٣) صحيح ابن حبان رقم (٦٦٥٧)، الطبراني في الكبير(٦٤٤٢) السلسلة الصحيحة للألباني (١/ ٧٤٢-٧٤٩).
(١٤) عقيدة أهل السنة والجماعة (٢/ ٦٨٦).
(١٥) السنة لعبد الله بن حنبل ص(٢٣٥).
(١٦) المصدر نفسه ص(٢٣٥)، عقيدة أهل السنة والجماعة (٢/ ٦٨٦).
(١٧) هذه الرسالة بالمكتبة الظاهرية بخطه في مسودته نقلاً عن عقيدة أهل السنة والجماعة (٢/ ٢٨٦).
(١٨) شارح الطحاوية ص(٥٤٥)، السلسلة الصحيحة (١/ ٧٤٢- ٧٤٩).

على ذكر بناء المسجد فقال: كنا نحمل لبنة لبنة وعمار لبنتين فرآه النبي (ﷺ) فينفض التراب عنه ويقول: «**ويح**[١٩] **عمار تقتله الفئة الباغية ويدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار**» قال: يقول عمار: أعوذ بالله من الفتن[٢٠]، وفي رواية مسلم عن أبي سعيد قال لعمار حين جعل يحفر الخندق وجعل يمسح رأسه ويقول: «**بؤسي**[٢١] **ابن سمية تقتلك فئة باغية**»[٢٢] قال ابن تيمية: بعد ذكره لقوله (ﷺ): «**تقتل عمار الفئة الباغية**»[٢٣]: وهذا يدل على صحة إمامة علي ووجوب طاعته وأن الداعي إلى طاعته داع إلى الجنة والداعي إلى مقاتلته داع إلى النار وإن كان متأولاً، أو باغ بلا تأويل وهو أصح القولين لأصحابنا وهو الحكم بتخطئة من قاتل عليا وهو مذهب الأئمة الفقهاء الذين فرعوا على ذلك قتال البغاة المتأولين، وعندما أنكر يحيى بن معين على الشافعي استدلاله بسيرة علي في قتال البغاة المتأولين قال: أيجعل طلحة والزبير معًا بغاة؟ رد عليه الإمام أحمد فقال: ويحك وأي شيء يسعه أن يصنع في هذا المقام؟ يعني: إن لم يقتد بسيرة علي في ذلك لم يكن معه سنة من الخلفاء الراشدين في قتال البغاة، إلى أن قال: ولم يتردد أحمد ولا أحد من أئمة السنة في أنه غير علي أولى بالحق منه[٢٤]، فلو قال قائل: إن قتل عمار كان بصفين، وهو مع علي والذين قتلوه مع معاوية وكان معه جماعة من الصحابة فكيف يجوز عليهم الدعاء إلى النار، فالجواب: أنهم كانوا ظانين أنهم يدعون إلى الجنة وهم مجتهدون لا لوم عليهم في اتباع ظنونهم فالمراد بالدعاء إلى الجنة إلى سببها وهو طاعة الإمام وكذلك كان عمار يدعوهم إلى طاعة علي وهو الإمام الواجب الطاعة إذ ذاك وكانوا هم يدعون إلى خلاف ذلك لكونهم معذورون للتأويل الذي ظهر لهم[٢٥].

قال النووي بعد قوله (ﷺ): «**بؤسي ابن سمية تقتلك فئة باغية**»[٢٦] قال العلماء: هذا الحديث حجة ظاهرة في أن عليا رضي الله عنه كان محقًا مصيبًا والطائفة الأخرى بغاة لكنهم مجتهدون فلا إثم عليهم لذلك.. وفيه معجزة ظاهرة لرسول الله (ﷺ) من أوجه، منها: أن عمارًا يموت قتيلاً وأنه يقتله مسلمون وأنهم بغاة، وأن الصحابة يتقاتلون. وأنهم يكونون فريقين باغية وغيرها وكل هذا وقع مثل فلق الصبح صلى الله وسلم على رسوله الذي لا

---

(١٩) ويح: كلمة رحمة تقال لمن وقع في هلكة لا يستحقها: الويل: مثل ويح إلا أنها كلمة عذاب، والويح: ترحم. غريب الحديث لابن الجوزي (٢/ ٤٨٦) لطائف في غريب الحديث (٤/ ٨٥) النهاية في غريب الحديث (٥/ ٢٣٥).

(٢٠) البخاري رقم (٤٤٧). (٢١) كأنه ترحم له من الشدة التي يقع فيها.

(٢٢) مسلم رقم (٢٢٣٥).

(٢٣) مسلم رقم (٢٢٣٥).

(٢٤) مجموع الفتاوى (٤/ ٤٣٧ - ٤٣٨).

(٢٥) فتح الباري (١/ ٥٤٢).

(٢٦) مسلم رقم (٢٢٣٥).

ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى[٢٧].

٥- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): «**تمرق مارقة عند فرقة المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق**». وفيه أيضًا: أنه قال: «**تكون في أمتي فرقتان فتخرج من بينهما مارقة يلي قتلهم أولاهم بالحق**»، وفي لفظ قال: «**تمرق مارقة في فرقة من الناس فيلي قتلهم أولى الطائفتين بالحق**». وجاء لفظ: «**يخرجون على فرقة مختلفة يقتلهم أقرب الطائفتين من الحق**»[٢٨]، فقوله (ﷺ): «**على حين فرقة**» -بضم الفاء- أي في وقت افتراق الناس أي: افتراق يقع بين المسلمين وهو الافتراق الذي كان بين علي ومعاوية رضي الله عنهما[٢٩]، والمراد بالفرقة المارقة هم أهل النهروان كانوا في عسكر علي رضي الله عنه في حرب صفين فلما اتفق علي ومعاوية على تحكيم الحكمين خرجوا وقالوا: إن عليا ومعاوية استبقا إلى الكفر كفرسي رهان فكفر معاوية بقتال علي ثم كفر علي بتحكيم الحكمين وكفروا طلحة والزبير فقتلتهم الطائفة الذين كانوا مع علي وقد شهد النبي (ﷺ) أن الطائفة التي تقتلهم أقرب إلى الحق، وهذا شهادة من النبي (ﷺ) لعلي وأصحابه بالحق وهذا من معجزات النبي (ﷺ) لكونه أخبر بما يكون فكان على ما قال، وفيه دلالة واضحة على صحة خلافة علي رضي الله عنه وخطأ من خالفه[٣٠].

## ثالثا: بيعة طلحة والزبير رضي الله عنهما:

عن أبي بشير العابدي قال: كنت بالمدينة حين قتل عثمان رضي الله عنه واجتمع المهاجرون والأنصار فيهم طلحة والزبير فأتوا عليا، فقالوا: يا أبا الحسن هلم نبايعك، فقال: لا حاجة لي في أمركم أنا معكم، فمن اخترتم فقد رضيت به.. فاختاروا والله فقالوا: ما نختار غيرك[٣١].. إلخ الرواية وفيها تمام البيعة لعلي رضي الله عنه والروايات في هذا كثيرة ذكر بعضها ابن جرير في تاريخه[٣٢]، وهي دالة على مبايعة الصحابة رضي الله عنهم لعلي رضي الله عنه واتفاقهم على بيعته بما فيهم طلحة والزبير، كما جاء مصرحًا به في الرواية السابقة، وأما ما جاء في بعض الروايات من أن طلحة والزبير بايعا مكرهين فهذا لا يثبت بنقل صحيح، والروايات الصحيحة على خلافه[٣٣]، فقد روى الطبري عن عوف بن أبي

---

(٢٧) شرح النووي على صحيح مسلم (١٨/ ٤٠-٤١).

(٢٨) هذه الأحاديث في صحيح مسلم (٢/ ٧٤٥-٧٤٦).

(٢٩) شرح النووي على صحيح مسلم (٧/ ١٦٦).

(٣٠) منهاج القاصدين في فضل الخلفاء الراشدين لابن قدامة ص(٧٥- ٧٦) نقلاً عن عقيدة أهل السنة والجماعة (٢/ ٦٨٣).

(٣١) تاريخ الطبري (٥/ ٤٤٩) إسناد الرواية حسن لغيره حملة رسالة الإسلام الأولون محب الدين الخطيب ص (٥٧).

(٣٢) تاريخ الطبري (٥/ ٤٤٨- ٤٥٠) وقد قام بجمع هذه الروايات ودرسها الدكتور محمد أمحزون تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ٥٩-٧٥).

(٣٣) الانتصار للصحب والآل ص(٢٣٦).

جميلة قال: أما أنا فأشهد أني سمعت محمد بن سيرين يقول: إن عليا جاء فقال لطلحة: ابسط يدك يا طلحة لأبايعك. فقال طلحة: أنت أحق، وأنت أمير المؤمنين، فابسط يدك، فبسط يده فبايعه[٣٤].

وعن عبد خير الخيواني أنه قام إلى أبي موسى فقال: يا أبا موسى، هل كان هذان الرجلان -يعني طلحة والزبير- ممن بايع عليا قال: نعم[٣٥]، كما نص على بطلان ما يدعي من أنهما بايعا مكرهين الإمام المحقق ابن العربي وذكر أن هذا مما لا يليق بهما، ولا بعلي قال (رحمه الله): فإن قيل: بايعا مكرهين «أي طلحة والزبير»، قلنا: حاشا لله أن يكرها، لهما ولمن بايعهما ولو كانا مكرهين ما أثر ذلك؛ لأن واحدا واثنين تنعقد البيعة لهما وتتم وهذا إجتهاد مردود، ومن بايع بعد ذلك فهو لازم له، وهو مكره على ذلك شرعًا ولو لم يبايعا ما أثر ذلك فيهما، ولا في بيعة الإمام وأما من قال: يد شلاء وأمر لا يتم[٣٦]، فذلك ظن من القائل أن طلحة أول من بايع ولم يكن كذلك، فإن قيل: فقد قال طلحة: بايعت واللج على قفي قلنا: اخترع هذا الحديث من أراد أن يجعل في (القفا) لغة (قفى)، كما يجعل في (الهوى) (هوي) وتلك لغة هزيل لا قريش[٣٧]، فكانت كذبة لم تدبر، وأما قولهم: (يد شلاء) لو صح فلا متعلق لهم فيه، فإن يدًا شلت في وقاية رسول الله (ﷺ) يتم لها كل أمر، ويتوقى بها من كل مكروه، وقد تم الأمر على وجهه، ونفذ القدر بعد ذلك على حكمه[٣٨]، إن الروايات التي تقول بأن طلحة والزبير أكرهوا على البيعة باطلة[٣٩]، وهناك روايات صحيحة أشارت - كما ذكرت- إلى بيعتهما لعلي رضي الله عنهما وهناك رواية صحيحة أوردها ابن حجر[٤٠]، من طريق الأحنف بن قيس وفيها أن عائشة وطلحة والزبير رضوان الله عليهم قد أمروا الأحنف بمبايعة علي رضي الله عنه بعدما استشارهم في من يبايع بعد عثمان رضي الله عنه[٤١].

إن سابقة علي رضي الله عنه وفضله، والتزامه بأحكام الكتاب والسنة، وتمسكه الشديد

---

(٣٤) تاريخ الطبري (٥/ ٤٥٦)، الانتصار للصحب والآل ص(٢٣٦).

(٣٥) المصدر نفسه(٥/ ٥١٧).

(٣٦) إشارة إلى ما جاء في بعض الروايات: أن أول من بايع عليًا طلحة رضي الله عنهما وكان بيده اليمنى شلل، لما وقى بها رسول الله ﷺ يوم أحد، فقال رجل في القوم: أول يد بايعت أمير المؤمنين شلاء لا يتم هذا الأمر، تاريخ الطبري(٥/ ٤٥٧)، البداية والنهاية (٧/ ٢٣٧).

(٣٧) وقيل: لغة طيء، ذكره ابن الأثير في النهاية (٤/ ٩٤) وكذلك اللج ليس من لغة قريش بل من لغة طيء، قال ابن الأثير: هو بالضم: السيف بلغة طيء النهاية (٤/ ٢٣٤) وقيل: هو السيف بلغة هذيل وطوائف اليمن لسان العرب (٢/ ٣٥٤).

(٣٨) العواصم من القواصم ص(١٤٨-١٤٩). (٣٩) استشهاد عثمان ص(١٤١).

(٤٠) فتح الباري (١٣/ ٣٨).

(٤١) استشهاد عثمان ص(١٤١)، المصنف لابن أبي شيبة (١١/ ١١٨) ورجاله رجال الصحيح عدا عمر بن جاوان مقبول وصححه ابن حجر في فتح الباري (١٣/ ٣٤- ٥٧).

بالعمل بهما، وتعهده في خطبه بتطبيق الأوامر والنواهي الشرعية، ما كان ليفتح لأحد باب الطعن في ولايته على المسلمين، ويمكن القول: إن عليا كان أقوى المرشحين للإمامة بعد مقتل عمر رضي الله عنه، فالفاروق عينه في الستة الذين أشاد بهم، وهو واحد منهم، على أن الأربعة من رجال الشورى، وهم عبد الرحمن، وسعد ،وطلحة، والزبير بتنازلهم عن حقهم فيها له ولعثمان تركوا المجال مفتوحًا أمام الاثنين، فلم يبق إلا هو وعثمان، وهذا إجماع من أهل الشورى على أنه لولا عثمان لكانت لعلي، وبعد موت عثمان، وقد قدمه ورجحه أهل دار الهجرة صار مستحقًا للخلافة، على أنه لم يكن أحد من أصحاب رسول الله (ﷺ) الموجودين في ذلك الحين أحق بالخلافة منه رضي الله عنه فهو من السابقين والمهاجرين الأولين، وابن عم رسول الله، وصهره، بالإضافة إلى ذلك له من القدرة والكفاءة ما لا ينكر، وله من الشجاعة، والإقدام والذكاء والعقلية القضائية النادرة، والحزم في المواقف، والصلابة في الحق، وبعد نظره في تصريف الأمور، فكل هذه العوامل تجعله بلا منازع المرشح الوحيد لإمامة المسلمين في تلك الفترة الحساسة من حياتهم[٤٢]، ومع ذلك كله فإنه خلافته صحت بعدما انعقد إجماع المهاجرين والأنصار عليه ومبايعتهم له.

**رابعًا: انعقاد الإجماع على خلافة علي رضي الله عنه:**

انعقد إجماع أهل السنة والجماعة على أن عليا رضي الله عنه كان متعينا للخلافة بعد عثمان رضي الله عنه لبيعة المهاجرين والأنصار له لما رأوا لفضله على من بقي من الصحابة، وأنه أقدمهم إسلامًا، وأوفرهم علمًا، وأقربهم بالنبي (ﷺ) نسبًا، وأشجعهم نفسًا، وأحبهم إلى الله ورسوله وأكثرهم مناقب، وأفضلهم سوابق وأرفعهم درجة وأشرفهم منزلة وأشبههم برسول الله (ﷺ) هديًا وسمتًا، فكان رضي الله عنه متعينًا للخلافة دون غيره، وقد قام من بقي من أصحاب النبي (ﷺ) بالمدينة بعقد البيعة له بالخلافة بالإجماع فكان حينئذ إمامًا حقًا وجب على سائر الناس طاعته وحرم الخروج عليه ومخالفته، وقد نقل الإجماع على خلافته كثير من أهل العلم منهم:

١- نقل محمد بن سعد إجماع من له قدم صدق وسابقة في الدين ممن بقي من أصحاب النبي (ﷺ) بالمدينة على بيعة علي رضي الله عنه حيث قال: وبويع لعلي بن أبي طالب (رحمه الله) بالمدينة الغد من يوم قتل عثمان بالخلافة بايعه طلحة والزبير، وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وعمار بن ياسر، وأسامة بن زيد، وسهل بن حنيف، وأبو أيوب الأنصاري ومحمد بن مسلمة وزيد بن ثابت، وخزيمة بن ثابت وجميع من كان بالمدينة من أصحاب رسول الله وغيرهم[٤٣].

٢- وذكر ابن قدامة (رحمه الله) أن الإمام أحمد (رحمه الله) روى بإسناده عن عبد الرزاق بن محمد بن راشد عن عوف قال: كنت عند الحسن فكأن رجلاً انتقص أبا موسى

(٤٢) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (٢/ ٩١- ٩٢).
(٤٣) الطبقات الكبرى (٣/ ٣١).

باتباعه عليًا فغضب الحسن ثم قال: سبحان الله قتل أمير المؤمنين عثمان فاجتمع الناس على خيرهم فبايعوه، أفَيُلام أبو موسى باتباعه[٤٤].

٣- وقال أبو الحسن الأشعري: ونثبت إمامة علي بعد عثمان رضي الله عنه بعقد من عقد له من الصحابة من أهل الحل والعقد لأنه لم يدع أحد من أهل الشورى غيره في وقته وقد اجتمع على فضله وعدله، وأن امتناعه عن دعوى الأمر لنفسه في وقت الخلفاء قبله كان حقًا لعلمه أن ذلك وقت قيامه، ثم لما صار الأمر إليه أظهر وأعلن ولم يقصر حتى مضى على السداد والرشاد، كما مضى من قبله من الخلفاء وأئمة العدل على السداد والرشاد متبعين لكتاب ربهم وسنة نبيهم هؤلاء الأربعة المجمع على عدلهم وفضلهم رضي الله عنهم[٤٥].

٤- وقال أبو نعيم الأصبهاني: فلما اختلف الصحابة كان على الذين سبقوا إلى الهجرة والسابقة والنصرة والغيرة في الإسلام الذين اتفقت الأمة على تقديمهم لفضلهم في أمر دينهم ودنياهم لا يتنازعون فيهم ولا يختلفون فيمن أولى بالأمر من الجماعة الذين شهد لهم رسول الله بالجنة من العشرة ممن توفي وهو عنهم راض فسلم من بقي من العشرة الأمر لعلي رضي الله عنه ولم ينكر أنه من أكمل الأمة ذكرًا وأرفعهم قدرًا لقديم سابقته وتقديمه في الفضل والعلم، وشهوده المشاهد الكريمة يحبه الله ورسوله، ويحب الله ورسوله ويحبه المؤمنون ويبغضه المنافقون لم يضع منه تقديم من تقدمه من أصحاب رسول الله (ﷺ) بل ازداد به ارتفاعًا لمعرفته بفضل من قدمه على نفسه إذ كان ذلك موجودًا في الأنبياء والرسل عليهم السلام قال (تعالى): ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

فلم يكن تفضيل بعضهم على بعض بالذي يقع بمن هو دونه فكل الرسل صفوة الله (عز وجل) وخيرته من خلقه، فتولى أمر المسلمين عادلاً زاهدًا آخذًا في سيرته بمنهاج الرسول عليه الصلاة والسلام وأصحابه رضي الله عنهم حتى قبضه الله (عز وجل) شهيدًا هاديًا مهديًا سلك بهم السبيل المستبين والصراط المستقيم[٤٦].

٥- وقال أبو منصور البغدادي : أجمع أهل الحق والعدل على صحة إمامة علي رضي الله عنه وقت انتصابه لها بعد قتل عثمان رضي الله عنه[٤٧].

٦- وقال الزهري: . . وكان قد وفى بعهد عثمان حتى قتل وكان أفضل من بقي من الصحابة فلم يكن أحد أحق بالخلافة منه، ثم لم يستبد بها مع كونه أحق الناس بها حتى جرت له بيعة وبايعه مع سائر الناس من بقي من أصحاب الشورى[٤٨].

(٤٤) منهاج القاصدين في فضل الخلفاء الراشدين ص(٧٧، ٧٨) نقلاً عن عقيدة أهل السنة في الصحابة (٢/ ٦٨٩).

(٤٥) الإبانة عن أصول الديانة ص(٧٨)، مقالات الإسلاميين(١/ ٣٤٦).

(٤٦) كتاب الإمامة والرد على الرافضة ص(٣٦٠- ٣٦١).

(٤٧) كتاب أصول الدين ص(٢٨٦- ٢٨٧).

(٤٨) الاعتقاد ص(١٩٣).

٧- وقال عبد الملك الجويني: وأما عمر وعثمان وعلي رضوان الله عليهم فسبيل إثبات إمامتهم وإجماعهم لشرائط الإمامة كسبيل إثبات إمامة أبي بكر، ومرجع كل قاطع في الإمامة إلى الخبر المتواتر والإجماع.. ولا اكتراث بقول من يقول: لم يحصل إجماع على إمامة علي رضي الله عنه فإن الإمامة لم تجحد له وإنما هاجت الفتن لأمور أخر(٤٩).

٨- وقال أبو عبد الله بن بطة: كانت بيعة علي (رحمه الله) بيعة اجتماع ورحمة لم يدع إلى نفسه ولم يجبرهم على بيعته بسيفه ولم يغلبهم بعشيرته ولقد شرف الخلافة بنفسه وزانها بشرفه وكساها حلة البهاء بعدله ورفعها بعلو قدره ولقد أباها فأجبروه، وتقاعس عنها فأكرهوه(٥٠).

٩- وقال الغزالي: وقد أجمعوا على تقديم أبي بكر، ثم نص أبو بكر على عمر، ثم أجمعوا بعده على عثمان، ثم على علي رضي الله عنهم، وليس يظن منهم الخيانة في دين الله (تعالى) لغرض من الأغراض، وكان إجماعهم على ذلك من أحسن ما يستدل به على مراتبهم في الفضل، ومن هذا اعتقد أهل السنة هذا الترتيب في الفضل، ثم بحثوا عن الأخبار فوجدوا فيها ما عرف مستند الصحابة وأهل الإجماع في هذا الترتيب(٥١).

١٠- قال أبو بكر بن العربي: فلما قضى الله من أمره ما قضى، ومضى في قدره ما مضى علم أن الحق لا يترك الناس سدى، وأن الخلق بعده مفتقرون إلى خليفة مفروض عليهم النظر فيه، ولم يكن بعد الثلاثة كالرابع قدرًا وعلمًا وتقىً ودينًا فانعقدت له البيعة، ولولا الإسراع بعقد البيعة لعلي لجرى على من بها من الأوباش ما لا يرقع خرقه ولكن عزم عليه المهاجرون والأنصار ورأى ذلك فرضًا عليه فانقاد إليه(٥٢).

١١- وقال ابن تيمية: واتفق أصحاب رسول الله (ﷺ) على بيعة عثمان بعد عمر وثبت عن النبي (ﷺ) أنه قال: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة**»(٥٣). فكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه آخر الخلفاء الراشدين المهديين، وقد اتفق عامة أهل السنة من العلماء والعباد والأمراء والأجناد على أن يقولوا: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي(٥٤).

---

(٤٩) كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ص(٣٦٢- ٣٦٣) بقصد القصاص من قتلة عثمان.

(٥٠) لوامع الأنوار البهية للسفاريني (٢/ ٣٤٦)، عقيدة أهل السنة(٢/ ٦٩٢).

(٥١) الاقتصاد في الاعتقاد ص(١٥٤).

(٥٢) العواصم من القواصم ص(١٤٢).

(٥٣) سنن أبي داود (٤/ ٢٠١)، الترمذي(٥/ ٤٤) حسن صحيح.

(٥٤) الوصية الكبرى ص(٢٣).

١٢- وقال ابن حجر: وكانت بيعة علي بالخلافة عقب قتل عثمان في أوائل ذي الحجة سنة خمس وثلاثين فبايعه المهاجرون والأنصار وكل من حضر، وكتب بيعته إلى الآفاق فأذعنوا كلهم إلا معاوية في أهل الشام فكان بينهم بعد ما كان[٥٥]. والذي نستفيده من هذه النقول المتقدمة للإجماع أن خلافة علي رضي الله عنه محل إجماع على أحقيتها وصحتها في وقت زمانها، وذلك بعد مقتل عثمان رضي الله عنه حيث لم يبق على الأرض أحق بها منه رضي الله عنه، فقد جاءته رضي الله عنه على قدر في وقتها ومحلها[٥٦]، وقد اعترض بعض الناس على الإجماع على خلافة علي رضي الله عنه من وجوه:

(١) تخلف عنه من الصحابة جماعة منهم سعد بن أبي وقاص، ومحمد بن مسلمة، وابن عمر وأسامة بن زيد وسواهم من نظرائهم[٥٧].

(٢) إنما بايعوه على أن يقتل قتلة عثمان[٥٨].

(٣) أن أهل الشام -معاوية ومن معه- لم يبايعوه بل قاتلوه[٥٩].

وهذه الاعتراضات لا تأثير لها على الإجماع المذكور، ولا توجب معارضته وذلك أنها مردودة من وجوه:

**الوجه الأول:** أن دعوى أن جماعة من الصحابة تخلفوا عن بيعته دعوى غير صحيحة إذ أن بيعته لم يتخلف عنها، وأما نصرته فتخلف عنها قوم منهم من ذكر لأنها كانت مسألة اجتهادية فاجتهد كل واحد وأعمل نظره وأصاب قدره[٦٠]، وأما ما قاله ابن خلدون: إن الناس كانوا عند مقتل عثمان مفترقين في الأمصار، فلم يشهدوا بيعة علي، والذين شهدوا فمنهم من بايع ومنهم من توقف حتى يجتمع الناس ويتفقوا على إمام كسعد وسعيد وابن عمر.. إلخ[٦١]، فهذا مبالغة من ابن خلدون -رحمه الله- أما سعد بن أبي وقاص فقد نقل بيعته ابن سعد، وابن حبان، والذهبي[٦٢]، وغيرهم، وكذلك البقية قد بايعوا كما ذكرنا الإجماع في ذلك في من حضر من الصحابة في المدينة، على أن ابن خلدون نفسه نقل اتفاق أهل العصر الثاني من بعد الصحابة في المدينة، على انعقاد بيعة علي ولزومها للمسلمين أجمعين وقد نقلت ما قاله ابن خلدون لأن كثيراً من الكتاب اعتمدوا عليه فيما بعد.

(٥٥) فتح الباري (٧/ ٧٢).

(٥٦) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة (٢/ ٦٩٣).

(٥٧) العواصم من القواصم (١٤٦- ١٤٧).

(٥٨) المصدر السابق ص(١٤٥).

(٥٩) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة (٢/ ٦٩٥).

(٦٠) التمهيد للباقلاني ص(٢٣٣- ٢٣٤)، العواصم من القواصم ص(١٤٧).

(٦١) المقدمة ص(٢١٤).

(٦٢) الطبقات (٣/ ٣١)، الثقات (٢/ ٢٦٨) دول الإسلام (١/ ١٤)، عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام ص(١٧١، ١٧٢).

**الوجه الثاني:** أن عقد الخلافة ونصب إمام واجب لا بد منه، ووقف ذلك على حضور جميع الأمة واتفاقهم مستحيل متعذر، فلا يجوز اشتراطه لإفضاء ذلك إلى انتفاء الواجب ووقوع الفساد اللازم من انتفائه[٦٣].

**الوجه الثالث:** أن الإجماع حصل على بيعة أبي بكر بمبايعة الفاروق وأبي عبيدة ومن حضرهم من الأنصار مع غيبة علي وعثمان وغيرهما من الصحابة، وكذلك حصل الإجماع على خلافة علي بمبايعة سعد بن أبي وقاص وابن عمر وأسامة بن زيد وعمار ومن حضر من البدريين وغيرهم من الصحابة ولا يضر هذا الإجماع من غاب عن البيعة أو لم يبايعه من غيرهم رضي الله عنهم أجمعين[٦٤]، قال الحسن البصري: والله ما كانت بيعة علي إلا كبيعة أبي بكر وعمر رضي الله عنهم[٦٥].

**الوجه الرابع:** دعوى أنه إنما بويع على أن يقتل قتلة عثمان: هذا لا يصح في شرط البيعة، وإنما يبايعونه على الحكم بالحق، وهو أن يحضر الطالب للدم، ويحضر المطلوب وتقع الدعوى ويكون الجواب وتقوم البينة ويقع الحكم[٦٦] بعد ذلك. وأما الروايات التي تزعم أن طلحة والزبير وبعض الصحابة رضوان الله عليهم قد اشترطوا في بيعتهم لعلي إقامة الحدود، فهذا الخبر على ضعف سنده فإن في متنه مقالا[٦٧]، وفي ذلك يقول ابن العربي: فإن قيل: بايعوه على أن يقتل قتلة عثمان، قلنا: هذا لا يصح في شرط البيعة[٦٨].

**الوجه الخامس:** أن معاوية رضي الله عنه لم يقاتل عليا على الخلافة ولم ينكر إمامته، وإنما كان يقاتل من أجل إقامة الحد الشرعي على الذين اشتركوا في قتل عثمان، مع ظنه أنه مصيب في اجتهاده ولكنه كان مخطئًا في اجتهاده ذلك فله أجر الاجتهاد فقط[٦٩]، وقد ثبت بالروايات الصحيحة أن خلافه مع علي رضي الله عنه كان في قتل قتلة عثمان ولم ينازعه في الخلافة بل كان يقر له بذلك، فعن أبي مسلم الخولاني أنه جاء وأناس معه إلى معاوية وقالوا: أنت تنازع عليا أم أنت مثله؟ فقال: لا والله إني لأعلم أنه أفضل مني وأحق بالأمر مني، ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قتل مظلومًا، وأنا ابن عمه والطالب بدمه فائتوه، فقولوا له: فليدفع إلي قتلة عثمان وأسلم له، فأتوا عليا فكلموه فلم يدفعهم إليه[٧٠]، ويروي ابن كثير من طرق ابن ديزيل بسنده إلى أبي الدرداء وأبي أمامة رضي الله عنهما: أنهما دخلا

(٦٣) منهاج القاصدين في فضل الخلفاء الراشدين ص(٧٦- ٧٧) نقلاً عن عقيدة أهل السنة.
(٦٤) منهاج القاصدين في فضل الخلفاء الراشدين ص(٧٦- ٧٧) نقلاً عن عقيدة أهل السنة.
(٦٥) عقيدة أهل السنة في الصحابة (٢/ ٦٩٦).
(٦٦) المصدر نفسه (٢/ ٦٩٦).
(٦٧) تاريخ الطبري (٥/ ٤٥٩، ٤٦٠).
(٦٨) العواصم من القواصم ص(١٥٠).
(٦٩) المصدر نفسه (٢/ ٦٩٦).
(٧٠) البداية والنهاية (٧/ ٢٦٥)، تحقيق مواقف الصحابة (٢/ ١٤٧).

على معاوية فقالا له: يا معاوية علام تقاتل هذا الرجل؟ فوالله إنه أقدم منك ومن أبيك إسلامًا، وأقرب منك إلى رسول الله (ﷺ) وأحق بهذا الأمر منك، فقال: أقاتله على دم عثمان، وأنه آوى قتلته، فاذهبا إليه فقولا له: فليقدنا من قتلة عثمان ثم أنا أول من أبايعه من أهل الشام[٧١]،والروايات في هذا كثيرة مشهورة بين العلماء[٧٢]، وهي دالة على عدم منازعة معاوية لعلي رضي الله عنهما في الخلافة، ولهذا نص المحققون من أهل العلم على هذه المسألة وقرروها[٧٣]، يقول إمام الحرمين الجويني: إن معاوية وإن قاتل عليا فإنه لا ينكر إمامته، ولا يدعيها لنفسه، وإنما كان يطلب قتلة عثمان ظنًا منه أنه مصيب وكان مخطئًا[٧٤]، ويقول ابن حجر الهيثمي: ومن اعتقاد أهل السنة والجماعة أن ما جرى بين علي ومعاوية رضي الله عنهما من الحروب فلم يكن لمنازعة معاوية لعلي في الخلافة للإجماع على أحقيتها لعلي كما مر فلم تهج الفتنة بسببها، وإنما هاجت بسبب أن معاوية ومن معه طلبوا من علي تسليم قتلة عثمان إليهم، لكون معاوية ابن عمه فامتنع علي[٧٥]، وسوف نبين موقف علي رضي الله عنه من عدم تسليم قتلة عثمان في حينه، وإنما الشاهد هنا هو إثبات عدم مبايعة معاوية ليس اعتراضًا على شخص علي، ويقول ابن تيمية: ومعاوية لم يدع الخلافة، ولم يبايع له بها حين قاتل عليا، ولم يقاتل على أنه خليفة، ولا أنه لا يستحق الخلافة ويقرون له بذلك، وقد كان معاوية يقر بذلك لمن سأله عنه.. وكل فرقة من المتشيعين[٧٦] مقرة مع ذلك بأنه ليس معاوية كفأ لعلي بالخلافة، ولا يجوز أن يكون خليفة مع إمكان استخلاف علي رضي الله عنه فإن فضل علي وسابقته وعلمه ودينه وشجاعته وسائر فضائله كانت عندهم ظاهرة معروفة[٧٧]، فثبت بهذا أنه لم ينازع عليا رضي الله عنه أحد في الخلافة لا من الذين خالفوه ولا من غيرهم[٧٨]، فهذه الأقوال عن هؤلاء العلماء في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة في ترتيب الخلافة الراشدة، فلا بد من الذود عنها والتبشير وتربية الأجيال عليها، والاعتزاز والافتخار في الانتساب إليها.

**خامسًا: شروط أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في بيعته وأول خطبة خطبها رضي الله عنه:**

جاء في بعض الروايات أن أمير المؤمنين عليا رضي الله عنه اشترط في بيعته أمورا منها:

---

(٧١) البداية والنهاية (٧/ ٢٧٠)، الانتصار للصحب والآل ص(٢٣٩).

(٧٢) البداية والنهاية لابن كثير (٧/٢٦٨- ٢٧٠) وقد جمع هذه الروايات الدكتور محمد أمحزون في كتابه، تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (٢/١٤٦- ١٥٠).

(٧٣) الانتصار للصحب والآل ص(٢٣٩).

(٧٤) لمعة الأدلة في عقائد أهل السنة والجماعة ص(١١٥).

(٧٥) الصواعق المحرقة نقلاً عن الانتصار للصحب والآل ص(٢٣٩).

(٧٦) أي المتشيعين لعثمان أو علي رضي الله عنهما وقد كان المطالبون بدم عثمان رضي الله عنه قد انضموا إلى معاوية ما كانوا يفضلونه على علي رضي الله عنه.

(٧٧) مجموع الفتاوي (٣٥- ٧٢-٧٣).

(٧٨) الانتصار للصحب والآل ص(٢٤١).

أن تكون البيعة في ملأ وليس في خفية، وفي المسجد وعن رضا المسلمين، وأنه يدير أمرهم كما يراه ويعلمه، فوافقوه وتواعدوا صباح اليوم التالي في المسجد للبيعة(٧٩)، وكان يومًا حافلاً وحاسمًا، فقد خرج أمير المؤمنين وقد لبس ملابسه كاملة... ثم بعد الحمد والثناء على الله بيَّن للناس المحاولات التي بذلت معه وقال: إني كنت كارهًا لأمركم، فأبيتم إلا أن أكون عليكم، ألا وإنه ليس لي أمر دونكم، ألا إن مفاتيح مالكم معي، ألا وإنه ليس لي أن آخذ منه درهما دونكم(٨٠)، ثم قال: يا أيها الناس! إن هذا أمركم ليس لأحد فيه حق إلا من أمَّرتم وقد افترقنا بالأمس على أمره، فإن شئتم قعدت لكم، وإلا فلا أجد على أحد، ثم رفع صوته قائلاً: رضيتم؟ قالوا: نعم، قال: اللهم اشهد عليهم. وأقبل الناس يبايعونه(٨١)، وبعد أداء البيعة قال أمير المؤمنين: أيها الناس! إنكم بايعتموني على ما بايعتم عليه أصحابي فإذا بايعتموني فلا خيار لكم علي، وعلى الإمام الاستقامة وعلى الرعية التسليم، وهذه بيعة عامة... إلخ(٨٢)، ومما مضى دروس وعبر وفوائد منها:

**١- مبدأ الشورى:**

إن البيعة للخليفة الرابع علي رضي الله عنه لم تختلف من حيث مبدأ الشورى عن مثيلتها السابقة بالرغم من الأزمة التي ألمت بالأمة، والأحوال المدلهمة والمشكلات المتتابعة، فلم تتم البيعة على أساس عشائري، أو أسري أو قبلي، أو على أساس عهد ووصية من رسول الله (ﷺ)، ولو وجد شيء من هذا القبيل لما حصل هذا الحوار الطويل، ولما رفض أمير المؤمنين ولكان أول من يطالب بحقه. بينما كان الناس هم الذين يدفعونه إلى البيعة دفعًا ويلحون عليه في الطلب إلحاحًا، وهو يروغ منهم متخلصًا لعله يحدث ما يمنعه من ذلك إلى أن قبل على كره منه، ولم يطالبوه بهذا على أساس وصية رسول الله له -ولو وجدوا شيئًا من ذلك لما ترددوا في تنفيذه- ولا على أساس أنه من عبد مناف، أو لأنه من قريش فحسب، بل لأنه من السابقين ومن العشرة المبشرين بالجنة، ولأنه الثاني بعد عثمان في اختيار الناس لهما عند تطبيق عملية الشورى بعد مقتل عمر بن الخطاب، فكان عبد الرحمن بن عوف لا يشير عليه أحد بتنصيب عثمان خليفة بعد عمر إلا سأله لو لم يكن عثمان موجودًا فمن تختار؟ فيقول: علي رضي الله عنه(٨٣).

**٢- أهل الحل والعقد في عهد أمير المؤمنين علي:**

كان أهل الحل والعقد عند استخلاف أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم بقية العشرة

(٧٩) تاريخ الطبري(٥/٤٤٨)، دراسات في عهد النبوة ص(٢٨١).
(٨٠) تاريخ الطبري (٥/٤٤٩).
(٨١) تاريخ الطبري (٥/٤٤٩).
(٨٢) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة ص(٢٨٢).
(٨٣) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة ص(٢٨٢).

المبشرين ورؤساء بطون الأوس والخزرج وكان هؤلاء من أهل المدينة، لأنهم هم السابقون الراسخون في العلم والإيمان(٨٤)، وكان علي رضي الله عنه يرى أن أمر اختيار الخلافة لمن كان باقيًا في المدينة من المهاجرين والأنصار وأهل الحل والعقد من أهل بدر، وأصحاب الشورى، إلا أن الحسن بن علي رضي الله عنه كان يرى ضرورة مراعاة الأمور المستجدة في تركيبة المجتمع الإسلامي، وقد بدا ذلك في هذا الحوار بين الحسن بن علي وأبيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال الحسن: قد أمرتك فعصيتني فتقتل غدًا بمضيعة لا ناصر لك، فقال علي: إنك ما زلت تحن حنين الجارية وما الذي أمرتني فعصيتك؟ قال: أمرتك يوم أحيط بعثمان رضي الله عنه أن تخرج من المدينة فيقتل ولست بها، ثم أمرتك يوم قتل ألا تبايع حتى يأتيك وفود أهل الأمصار والعرب وبيعة كل مصر(٨٥). وكان جواب علي رضي الله عنه: وأما قولك: لا تبايع حتى تأتيني بيعة الأمصار فإن الأمر أمر أهل المدينة وكرهنا أن يضيع هذا الأمر(٨٦)، على أن عليا رضي الله عنه، كان يرى أن البيعة تجوز في غير أهل المدينة من المهاجرين والأنصار ولكنه كان يكره أن يتحول ذلك عنهم إلى غيرهم أو أن يشركهم فيه غيرهم تقىً وورعًا أن يحدث بعد رسو ل الله (ﷺ) وخلفائه شيئًا يبتعد عن نهجهم وسبيلهم، أو أنه كان يرى أن الوقت ما زال مبكرًا على اشتراك غير المهاجرين والأنصار في أمور اختيار الحاكم المسلم، ولذلك فإنه كان يكره أن يضيع هذا الأمر على المهاجرين والأنصار(٨٧)، والدليل على ذلك أنه رضي الله عنه عرض عليه أهل الكوفة بيعة الحسن: قال: لا أنهاكم ولا آمركم. وهذا فيه تجويز لغير أهل المدينة في اختيار الحاكم. ونستفيد من الحوار الذي حدث بين الحسن بن علي وأبيه رضي الله عنهما أمور منها:

أ- احترام الرأي في النقاش من الجانبين.

ب- لطف المعاملة من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه لولده.

ج- صراحة الولد مع والده وإبداء كل ما يراه صوابًا في موضوع النقاش.

د- حسن الاستماع للطرف الثاني، حيث استمع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، من ابنه الحسن جميع ما عنده من الحجج.

هـ- تفنيد الحجج واحدة بعد الأخرى تفنيدًا علميًا(٨٨).

**٣- الحرص على ألا يظل منصب الخليفة شاغرا:**

لقد عزم المهاجرون والأنصار بالمدينة على علي رضي الله عنه أن يقبل الخلافة رغمًا

---

(٨٤) الخلافة بين التنظير والتطبيق، محمود المرادوي ص(٢٨٨).

(٨٥) البداية والنهاية (٧/ ٢٤٥).

(٨٦) المصدر نفسه (٧/ ٢٤٥).

(٨٧) الخلافة بين التنظير والتطبيق ص(٢٩٣، ٢٩٤).

(٨٨) منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله ص(٤٢٧، ٤٢٨).

عنه، تداركًا لخطر فساد أمر الأمة واختلاف الناس، فقبل، وحرص على زحزحة الغوغاء خطوة أخرى إلى الوراء، بأن اشترط أن تكون البيعة له علانية في المسجد، وبذلك يظل أهل الحل والعقد هم الذين يعقدون الإمامة، أما العامة فموضعهم هو: البيعة العلنية العامة[٨٩]، وحرص على تأكيد هذا المبدأ من فوق المنبر، بقوله: أيها الناس إن هذا أمركم ليس لأحد فيه حق إلا من أمرتم[٩٠].

**٤- الرد على بعض الكتب المعاصرة التي تحدثت عن بيعة علي رضي الله عنه:**

يقول العقاد -وهو يتكلم عن اختيار الخليفة بعد مقتل عثمان ـ وهذا الخبر على وجازته قد حصر لنا أسماء جميع المرشحين للخلافة بالمدينة بعد مقتل عثمان ، وربما كان أشدهم طلبًا لها طلحة والزبير اللذان أعلنا الحرب على علي بعد ذلك، فقد كانا يمهدان لها في حياة عثمان، ويحسبان أن قريشًا قد أجمعت أمرها ألا يتولاها هاشمي، وأن عليا وشيك، أن يذاد عنها بعد عثمان كما ذيد عنها قبله، وكانت السيدة عائشة تؤثر أن تؤول الخلافة إلى واحد من هذين، أو إلى عبد الله بن الزبير، لأن طلحة من قبيلة تيم، والزبير زوج أختها أسماء، وفي تأييد السيدة عائشة لواحد منهما مدعاة أمل كبير في النجاح[٩١].

وقال في موضع آخر: فمما لا شك فيه أن الإمام أنكر إجحافًا أصابه في تخطيه بالبيعة إلى غيره بعد وفاة ابن عمه صلوات الله وسلامه عليه، وأنه كان يرى أن قرابته من النبي مزية ترشحه للخلافة بعده، لأنها فرع من النبوة على اعتقاده، وهم شجرة النبوة ومحط الرسالة، كما قال[٩٢].

وقال: فمن المعلوم أن عليا كان يرى أنه أحق بالخلافة من سابقيه، وأنه لم يزل مدفوعًا عن حقه هذا منذ انتقل النبي عليه السلام إلى الرفيق الأعلى[٩٣]، وغير ذلك من الطامات والأكاذيب والإفك المبين التي تورط فيها العقاد بسبب الروايات الموضوعة، وسار على منهجه خالد محمد خالد في كتابه «خلفاء الرسول» ونقل عن علي كلامًا مفترئ، ذكر فيه أن أبا بكر وعمر قد اغتصبا الخلافة من علي[٩٤]، وجانب الصواب خالد البيطار في كتابه «علي بن أبي طالب»، عندما علق على موقف السيدة فاطمة من ميراث أبيها وموقف علي من خلافة أبي بكر، وهذا مثال لفيلق طويل لا ينتهي خاض هذه المعمعة وخبط فيها والتي تدعي أن عليا رضي الله عنه ذيد عن الخلافة بعد عثمان كما ذيد عنها قبله، وأن الصحابة كانوا يتآمرون لنيل الخلافة بدافع العصبية ضد بني هاشم، أو لمطامع دنيوية، وأن عليا أنكر إجحافًا أصابه

(٨٩) الدور السياسي للصفوة في صدر الإسلام، السيد عمر ص(٧٢).
(٩٠) تاريخ الطبري (٥/٤٤٩).
(٩١) عبقرية علي ص(٨٤).
(٩٢) المصدر نفسه ص(١٤٨).
(٩٣) عبقرية علي ص(١٨١).
(٩٤) خلفاء الرسول ص(٥٢٦-٥٢٧).

في تخطيــه بالبيعــة إلى غيــره بعد وفاة الــنبي (ﷺ) ، وأنه كان يرى أنه أحق بالخــلافة من سابقيــه، وأن النبي (ﷺ) مهد لخلافته وحــببه للناس بما أمره حين استخلفــه حينًا آخر، وأن ليس ثمة علاقة حــميمة بين الإمام وبين الصحــابة، وإنه غفر للشيخين تعديهــما عليه بأخذ الخلافة، وأنه بايع الصديق بعد وفاة فاطمة[٩٥].

وكل هذا بهتــان وزور، وكذب وافتــراء، يأباه الحق والعدل والإنصــاف، وينكره التاريخ الصحيح، ويكذبه الكلام الصــريح الذي صدر عن علي نفسه الذي سبق ذكره، فــقد اعترف علي بأفضلية الخلفــاء، حينما كان هو الخليفة فكان يعلن ذلك على المنبــر ويتوعد من يفضله عليهم بالعقاب وهذا ثابت بالأسانيد الصحيحــة وكان لهم ناصرًا ومعينًا، وعلاقته بهم وطيدة وشيجة لا تؤثر في رسوخها العواصف الهوج[٩٦] التي يثيرها من تورط في الروايات الضعيفة والأخبار الموضوعة من الكتاب الذين ذكرنا بعض نقولهم على سبيل المثال لا الحصر، السبب الذي أسقطهم في هذه الهوة هو جهلهم بمنهج أهل السنة والجمــاعة في كتابة التاريخ وبعدهم عن التمييــز بين المصادر الصحيحة والمصــادر الساقطة وعدم تفريقهم بين الروايات الصــحيحة والروايات الضعيفة والموضوعة والاعتماد على الموضوعات في تحليلاتهم.

**٥- أول خطبة خطبها علي رضي الله عنه:**

قال أميــر المؤمنين علي رضي الله عنه في أول خطبة خطبهــا حين تولى الخلافة: إن الله (عز وجل) أنزل كتابًا هاديًا، بين فيه الخير والشر، فخذوه بالخير ودعوا الشر، الفرائض أدوها إلى الله (سبحانه) يؤدكم إلى الجنة، إن الله حرم حرمًا غير مجهولة وفضل حرمة المسلم على الحرم كلها، وشد بالإخلاص والتوحــيد المسلمين، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده إلا بالحق، لا يحل أذى المسلم إلا بما يجب، بادروا أمر الــعامة، خاصة أحــدكم الموت، فإن الناس أمامكم وإن من خلفكم الساعة تحدوكم، تخفــفوا تلحقوا، فإنما ينتظر الناس أخراهم، اتقوا الله في عباده وبلاده، إنكم مسؤولون حتى عن البــقاع والبهائم، أطيعوا الله (عز وجل) ولا تعصــوه، وإذا رأيتم الخيــر فخــذوه وإذا رأيتم الشر فــدعوه **﴿وَاذْكُــرُواْ إِذْ أَنــتُمْ قَلــيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ﴾**[٩٧][الأنفال: ٢٦] ولما كانت بيعة علي جاءت بعد فتنة عمياء ذهب ضحيتــها خليفة المسلمين السابق، فــقد دعا المسلمين إلى الخير ونبذ الشــر وبين لهم أن حرمة المسلم فوق كل الحرمــات، فلا يجوز أذاه في حال من الأحــوال، ثم ذكرهم بالموت والآخرة وحثهم على التقوى والطاعة والعمل الصالح[٩٨].

وقد جاءت محــاور الخطبة حول جانب العقيدة، والعبــادة، والأخلاق، واهتمت ببعض

---

(٩٥) علي بن أبي طالب، خالد البيطار ص(٨٤).
(٩٦) المصدر نفسه ص(١٣٠).
(٩٧) تاريخ الطبري (٥/٤٥٨، ٤٥٩).
(٩٨) الأدب الإسلامي، نايف معروف ص(٥٧).

مقاصد الشريعة، ولو شئنا أن نلخص خطبته التي يريد أن يرسلها للناس لقلنا: يريد أن يقول لهم: ارجعوا إلى العهد الذي كنتم عليه أيام رسول الله[٩٩]، والخلفاء الراشدين الذين سبقوه. وقد أشار أمير المؤمنين في حكمة وبلاغة إلى المنهج الذي سيقبلون به عهد الخلافة الجديد بقوله: إذا رأيتم الخير فخذوا به وإذا رأيتم الشر فدعوه، وختم بالآية الكريمة التي كانوا في حاجة إلى استحضارها، ليقارنوا بها بين ما كانوا عليه قبل الإسلام وبعد الإسلام -إلى أمد بعيد- من القلة والضعف والضعة والخمول حتى كانوا كقطعة لحم على كف يتخطفها الطير، ثم ما صاروا إليه من القوة والسعة والأمن والسلام، والرخاء والثراء، وما أكرمهم به عليهم من النعم، فطنت حصاتهم وحققت راياتهم ودان لهم العباد والبلاد[١٠٠].

**٦- الترادف بين ألفاظ: الإمام والخليفة وأمير المؤمنين:**

قال النووي: يجوز أن يقال للإمام: الخليفة والإمام وأمير المؤمنين[١٠١]، وقال ابن خلدون: وإذ قد بينا حقيقة هذا المنصب وأنه نيابة عن صاحب الشريعة في حفظ الدين وسياسة الدنيا به تسمى خلافة وإمامة والقائم به خليفة وإمام[١٠٢]، ويعرف ابن منظور الخلافة بأنها: الإمارة[١٠٣]، ويفسر أبو زهرة الترادف بين لفظي الخلافة وهي الإمامة الكبرى، وسميت خلافة لأن الذي يتولاها ويكون الحاكم الأعظم للمسلمين يخلف النبي (ﷺ) في إدارة شؤونهم، وتسمى إمامة، لأن الخليفة كان يسمى إمامًا، ولأن طاعته واجبة، ولأن الناس كانوا يسيرون وراءه كما يصلون وراء من يؤمهم[١٠٤]، كما فسر الأستاذ محمد المبارك سبب اختيار هذه الألفاظ -الإمام والخليفة وأمير المؤمنين- بأنه: ابتعادًا بالمفهوم الإسلامي للدولة ورياستها عن النظام الملكي بمفهومه القديم عند الأمم الأخرى من الفرس والرومان المختلف اختلافًا أساسيًا عن المفهوم الإسلامي الجديد[١٠٥]، هذا وقد كان الخلفاء الأول يلقبون بالخلفاء كما يلقبون بالأئمة، ومنذ خلافة عمر بن الخطاب رضي الله (تعالى) عنه استعمل المسلمون لقب «أمير المؤمنين»، ولقد ورد لفظ «إمام» في القرآن الكريم في أكثر من موضع بمعنى الزعيم أو الدليل أو الرئيس قال الله (تعالى): ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]. أي جاعلك قدوة يؤتم به[١٠٦]، وقال (تعالى): ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]، أي يقتدون بنا في أمر الدين،

(٩٩) الخلفاء الراشدون للنجار ص(٣٧٨).
(١٠٠) المرتضى للندوي ص(١٤٠، ١٤١).
(١٠١) روضة الطالبين (١٠/٤٩).
(١٠٢) المقدمة ص(١٩٠).
(١٠٣) لسان العرب (٩/٨٣).
(١٠٤) تاريخ المذاهب لأبي زهرة ص(٢١).
(١٠٥) نظام الإسلام (الحكم والدولة) ص(٦١).
(١٠٦) نظام الحكم في الإسلام، عارف خليل ص(٨٠).

وقال (تعالى): ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١]، أي بمن ائتموا به من نبي أو مقدم في الدين، وقيل: بكتاب أعمالهم التي قدموها[١٠٧]، وورد لفظ الإمام في مواطن كثيرة من السنة النبوية منها قول رسول الله (ﷺ): «من بايع إمامًا، فأعطاه صفقة يده، وثمرة قلبه، فليعطه إن استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر»[١٠٨]، وقوله (ﷺ): «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم»[١٠٩]، وقوله: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل»[١١٠].

ومن الملاحظ أن لفظ الإمامة يغلب استعماله عند أهل السنة في مباحثهم العقدية والفقهية بينما الغالب استعمالهم لفظ (الخلافة) في كتاباتهم التاريخية، ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن هذه المباحث خاصة العقدية قد كتبت للرد على المبتدعة في هذا الباب كالشيعة والروافض والخوارج[١١١]. فالشيعة والروافض يستخدمون لفظ الإمامة دون الخلافة ويعتبرونها إحدى أركان الإيمان عندهم، ويفرقون بين الإمامة والخلافة، فهم يعتبرون الإمامة رئاسة دين، والخلافة رئاسة دولة[١١٢]، ويريدون من ذلك إثبات أن عليا رضي الله عنه كان إمامًا زمن خلافة الثلاثة الذين سبقوه[١١٣]، وقال ابن خلدون: إن الشيعة خصوا عليا باسم الإمام نعتًا له بالإمامة التي هي أخت الخلافة، وتعريضًا بمذهبهم في أنه أحق بإمامة الصلاة من أبي بكر[١١٤].

إن هذه الألقاب -الخليفة، الإمام، أمير المؤمنين- ليست من الأمور التعبدية، وإنما من مصطلحات وجدت بعد وفاة الرسول (ﷺ)، واصطلح الناس عليها، وقد أطلق المسلمون غير هذه الألقاب في وقت لاحق كلقب الأمير، كما كان الحال في الأندلس، وكذلك لقب السلطان، كما تسمى بذلك الحكام في الدولة الإسلامية، لقب من هذه الألقاب، إذ أن المهم في هذا المجال أن يكون المسلمين ورئيسهم خاضعين للتشريع الإسلامي عقيدة وشريعة، بغض النظر عن الألقاب التي يمكن أن تطلق على هذا الرئيس، سواء كان لقبه الخليفة أم أمير المؤمنين أم رئيس الدولة أم رئيس الجمهورية، فيمكن إطلاق أحد هذه الألقاب أو غيرها، وهذا يرجع إلى ما يتعارف عليه الناس، وإن كان الأفضل الالتزام بالألقاب السابقة، لما لها من مفهوم سياسي متميز عن المفاهيم المختلفة عند الأمم الأخرى ولما لها من معان دونت عبر التاريخ على أنها رمز للحضارة الإسلامية[١١٥].

---

(١٠٧) المصدر نفسه ص (٨١).
(١٠٨) صحيح مسلم بشرح النووي (١٢/ ٢٣٣).
(١٠٩) المصدر نفسه(١٢/ ٢٣٧).
(١١٠) فتح الباري (٣/ ٢٩٣).
(١١١) الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة للدميجي ص(٣٦).
(١١٢) المصدر نفسه ص(٣٦).
(١١٣) المصدر نفسه ص(٣٦).
(١١٤) نظام الحكم، عارف خليل ص(٨١).
(١١٥) المصدر نفسه ص(٨٢).

**٧- أيهما أصح عند ذكر أمير المؤمنين علي هل نقول رضي الله عنه أم كرم الله وجهه أم عليه السلام؟**

إن الأصل عند ذكر الصحابة الترضي عنهم جميعًا، كما قال (تعالى): ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال (تعالى): ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]. لذلك اصطلح أهل السنة على الترضي على كل صحابي يجري ذكره أو يروى عنه حديث، فيقال مثلاً: عن أبي بكر رضي الله عنه ولم يستعمل السلام -فيما أعلم- عند ذكر أحد منهم، مع أن السلام تحية المسلمين فيما بينهم، كما قال (تعالى): ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً﴾[النور: ٦١]، على هذا فالترضي أفضل من السلام، قال (تعالى): ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢] وأخبر النبي (ﷺ) أن الله (تعالى) يقول لأهل الجنة: «أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبدًا»[١١٦]، ولكن اصطلح العلماء على أن السلام يختص بالأنبياء لقوله (تعالى): ﴿وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٨١]. ولقوله: ﴿وَسَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ﴾ [مريم: ١٥]. ولما ورد في حق علي «أنت مني بمنزلة هارون من موسى»[١١٧]، أخذ الغلاة كالرافضة يستعملون في حق أمير المؤمنين علي: عليه السلام، أو كرم الله وجهه، ولا شك أنه أهل لذلك، لكن يشركه في ذلك جميع الصحابة[١١٨]، وقد وقع هذا في عبارة كثير من النساخ للكتب ومن بعض علماء أهل السنة أن يفرد علي رضي الله عنه بأن يقال: عليه السلام من دون سائر الصحابة أو كرم الله وجهه وهذا وإن كان معناه صحيحًا لكن ينبغي أن يساوى بين الصحابة في ذلك[١١٩].

---

(١١٦) مشكاة المصابيح للتبريزي (٣/ ٨٨).

(١١٧) البخاري رقم (٤٠٤٢).

(١١٨) فتاوى في التوحيد، عبد الله بن جبرين ص(٣٧).

(١١٩) الناهية عن طعن أمير المؤمنين معاوية ص(٢٦) في الحاشية من تعليق المحقق أحمد التويجري.

## المبحث الثاني
## شيء من فضائله وأهم صفاته وقواعد نظام حكمه

قال الإمام أحمد، وإسماعيل القاضي، والنسائي، وأبو علي النيسابوري: لم يرد في حق أحد من الصحابة بالأسانيد الجياد أكثر مما جاء في علي[(١٢٠)]، وقال الحافظ ابن حجر: وكان السبب في ذلك أنه تأخر، أي آخر الخلفاء الراشدين، ووقع الاختلاف في زمانه وخرج من خرج عليه فكل ذلك كان سببًا لانتشار مناقبه من كثرة من كان بيَّنها من الصحابة ردًا على من خالفه فاحتاج أهل السنة إلى بث فضائله فكثر الناقل لذلك، وإلا فالذي في نفس الأمر أن لكل من الأربعة من الفضائل، إذا حرر بميزان العدل لا يخرج عن قول أهل السنة والجماعة أصلاً[(١٢١)]، وقال ابن كثير: من فضائله أنه أقرب العشرة المشهود لهم بالجنة إلى رسول الله (ﷺ) نسبًا[(١٢٢)]، وقد ذكرت كثيرًا من فضائله فيما مضى من البحث كل في موضعه وإتمامًا للفائدة نشير إلى مزيد من الفضائل لعلي رضي الله عنه، منها:

• عن زر رضي الله عنه قال: قال علي: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي (ﷺ) إلى: «ألا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق»[(١٢٣)].

• عن أبي إسحاق: سأل رجل البراء وأنا أسمع قال: أشهد علي بدرًا؟ قال: بارز وظاهر[(١٢٤)].

• عن أبي هريرة أن رسول الله (ﷺ) كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحركت الصخرة فقال رسول الله (ﷺ): «**اهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد**»[(١٢٥)].

• قال سعيد بن زيد: سمعت رسول الله يقول: «**النبي في الجنة، وأبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد في الجنة، ولو شئت أن أسمي العاشر**»[(١٢٦)].

---

(١٢٠) فتح الباري (٧/ ٧١).
(١٢١) المراد ترتيبهم في الفضل هو: حسب ترتيبهم في الخلافة، فتح الباري (٧/ ٧١).
(١٢٢) البداية والنهاية (١١/ ٢٩).
(١٢٣) الصحيح المسند في فضائل الصحابة (١١١).
(١٢٤) ظاهر: أي لبس درعًا على درع. الصحيح المسند ص(١١٢).
(١٢٥) الصحيح المسند من فضائل الصحابة ص(١١٧).
(١٢٦) الصحيح المسند ص(١١٧).

• قالت أم سلمة رضي الله عنها: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «من سب عليًا فقد سبني»[١٢٧].

• جاء رجل إلى ابن عمر فسأله عن عثمان، فذكر محاسن عمله، قال: لعل ذلك يسوؤك؟ قال: نعم.. قال: فأرغم الله بأنفك ثم سأله عن علي فذكر محاسن عمله قال: هو ذاك بيته أوسط بيوت النبي (ﷺ) ثم قال: لعل ذاك يسوؤك؟ قال: أجل. قال: فأرغم الله بأنفك فاجهد على جهدك[١٢٨]، هذه بعض الفضائل الثابتة لعلي رضي الله عنه، وأما صفاته رضي الله عنه، فقد كانت صفات القائد الرباني المضحي في سبيل الله وكتابه وسنة نبيه، ونجملها في أمور ونركز على بعضها بالتفصيل، فمن أهم هذه الصفات: سلامة المعتقد، والعلم الشرعي، والثقة بالله، والقدوة، والصدق، والكفاءة والشجاعة، والمروءة، والزهد، وحب التضحية، وحسن اختياره لمعاونيه، والتواضع والحلم والصبر، وعلو الهمة والحزم والإرادة القوية، والعدل، والقدرة على التعليم وإعداد القادة، وغير ذلك من الصفات التي ظهرت للباحث في الفترة المكية في صحبته للنبي (ﷺ) وفي العهد المدني في غزواته مع رسول الله وحياته في المجتمع، وظهر البعض الآخر لما تسلم قيادة الدولة الراشدة وأصبح أمير المؤمنين رضي الله عنه، ومن أهم هذه الصفات:

**أولاً: العلم والفقه في الدين:**

كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه من علماء الصحابة الكبار، وقد تميز رضي الله عنه بجده في التحصيل، والتحري في قبول العلم، والسؤال في طلبه، واستخدام وسائل ضبط العلوم في زمنه، من كتابة، وتعهد، ولزوم النبي (ﷺ)، حيث يقول رضي الله عنه في جمعه للقرآن الكريم: آليت بيمين ألا أرتدي بردائي إلا إلى الصلاة حتى أجمع القرآن[١٢٩]، وقال: ما دخل نوم عيني، ولا غمض رأسي على عهد رسول الله حتى علمت ذلك اليوم ما نزل به جبريل رضي الله عنه، من حلال أو سنة، أو كتاب، أو أمر، أو نهي، وفيمن نزل[١٣٠]، وكان رضي الله عنه يتلقى النص من رسول الله (ﷺ) مباشرة، ولكن عندما يبلغه الحديث من غيره فإنه شديد التحري في قبوله، خشية أن ينسب لرسول الله (ﷺ) قولاً لم يقله، ومما يدل على هذا المنهج قوله رضي الله عنه : كنت رجلاً إذا سمعت من رسول الله حديثًا نفعني الله منه بما شاء أن ينفعني، وإذا حدثني أحد من الصحابة استحلفته، فإذا حلف لي صدقته، قال: وحدثني أبو بكر - وصدق أبو بكر رضي الله عنه- أنه قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «ما من عبد يذنب ذنبًا فيحسن الطهور، ثم يقوم يصلي ركعتين، ثم

(١٢٧) الصحيح المسند ص(١٢١).
(١٢٨) الصحيح المسند من فضائل الصحابة ص(١٤٠).
(١٢٩) الطبقات (٢/ ٣٣٨).
(١٣٠) مسند الإمام زيد ص(٣٤٣) نقلاً عن منهج علي بن أبي طالب في الدعوة.

يستغفر الله إلا غفر الله له»، ثم قرأ هذه الآية ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ [آل عمران: ١٣٥] إلى آخر الآية[١٣١]. نَعم، علي بن أبي طالب رضي الله عنه يستحلف أصحاب رسول الله (ﷺ) وهم الثقات العدول، ما هذا إلا دليل على شدة تحريه في تلقي الحديث الذي يتلقاه من غير رسول الله[١٣٢]، وكان رضي الله عنه صاحب لسان سؤول وقلب عقول، فقد قال: .. إن ربي وهب لي قلبًا عقولاً ولسانًا سؤولا[١٣٣]، وعلل رضي الله عنه كثرة علمه بطلبه إياه من رسول الله (ﷺ) بقوله: كنت إذا سألت أعطيت وإذا سكت ابتديت[١٣٤]، وعندما يكون عائق الحياء بينه وبين رسول الله (ﷺ)، يتغلب عليه بطلب من أحد الصحابة بسؤال رسول الله ، فعن محمد بن الحنفية قال: قال علي: كنت رجلاً مذاء[١٣٥]، فاستحييت أن أسأل رسول الله (ﷺ)، فأمرت المقداد بن الأسود فسأله فقال: «فيه الوضوء»[١٣٦].

وكان رضي الله عنه يحذر الناس من ترك العلم بسبب الحياء، فقد قال: ولا يستحي أحدكم إذا لم يعلم أن يتعلم[١٣٧]، ولا يستحي جاهل أن يسأل عما لا يعلم، وكان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه من بين القلة من المسلمين الذين كانوا يعرفون الكتابة في صدر الإسلام، وفوق هذا فقد كان من كتاب الوحي لرسول الله (ﷺ)، وقد ساعدته هذه المهارة في القراءة والكتابة على التبحر في العلوم الشرعية، وكان رضي الله عنه يرى أن تكون كتابة النصوص بخط بين مع التفريج بين السطور، والتقريب بين الحروف، فعن أبي عثمان عمرو ابن بحر الجاحظ، قال: قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: الخط علامة، فكلما كان أبين كان أحسن[١٣٨]، وقد أمر كاتبه عبيد الله بن أبي رافع بقوله: ألف دواتك وأطل سن قلمك، وافرج بين السطور، وقرمط[١٣٩] بين الحروف[١٤٠]، وعن أبي حكيمة العبدي قال: كنا نكتب المصاحف بالكوفة، فيمر علينا علي ونحن نكتب فيقول: أجل قلمك[١٤١]، وقال: فقططت منه، ثم كتبت. فقال: هكذا نوروا ما نور الله[١٤٢]، وكان رضي الله عنه يتعهد ما تعلمه بالعمل وتطبيقه، وكان أحرص الناس على تطبيق ما سمعه من رسول الله، ولو كان ذلك في

---

(١٣١) صحيح سنن الترمذي (١/١٢٨)، مشكاة المصابيح (١/٤١٦).
(١٣٢) منهج علي بن أبي طالب في الدعوة ص (٥٢). (١٣٣) الطبقات (٢/٣٣٨)، الحلية (١/٦٧).
(١٣٤) فضائل الصحابة (٢/٦٤٧) إسناده صحيح.
(١٣٥) أي كثير المذي وهو ما يخرج عند الملاعبة.
(١٣٦) مسلم، ك الطهارة (١/٢٤٧).
(١٣٧) مصنف ابن أبي شيبة (١٣/٢٨٤).
(١٣٨) الجامع لأخلاق الراوي(١/٢٦٢).
(١٣٩) قرمط بين الحروف: أي قرب بينها.
(١٤٠) الجامع لأخلاق الراوي (١/٢٦٢).
(١٤١) أي عظم قلمك، وهو كناية عن تكبير الخط.
(١٤٢) الجامع لأخلاق الراوي(١/٢٦٠).

أصعب الظروف، كما مر معنا في تعليم رسول الله له والسيدة فاطمة رضي الله عنهما الأذكار، فقد قال أمير المؤمنين: ما تركته منذ سمعته من النبي (ﷺ) قيل له: ولا ليلة صفين؛ قال: ولا ليلة صفين[١٤٣].

وقد أشار أمير المؤمنين علي رضي الله عنه إلى ضبط النص بالعمل به بقوله: تعلموا العلم تعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله[١٤٤]، وكان يرى أن العالم لا يسمى عالمًا إلا إذا كان عاملاً بعلمه، لذا يقول مخاطبًا حملة العلم: يا حملة العلم، اعملوا به فإن العالم من عمل بما علم ووافق علمه عمله[١٤٥]، وقال رضي الله عنه: هتف العلم بالعمل فإن أجاب وإلا ارتحل[١٤٦]، وكان علي رضي الله عنه من المكثرين من الفتيا في أصحاب رسول الله، قال ابن القيم: الذين حفظت عنهم الفتوى من أصحاب رسول الله مائة ونيف وثلاثون نفسًا، ما بين رجل وامرأة، وكان المكثرون منهم سبعة، عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وعائشة أم المؤمنين، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عباس، وعبد الله ابن عمر[١٤٧]، وقد عد ابن حزم عليا رضي الله عنه في المرتبة الثالثة من بين الصحابة رضي الله عنهم في كثرة الفتيا، وسيأتي الحديث -بإذن الله (تعالى)- عن المسائل القضائية، وكثير من اجتهاداته الفقهية، عند حديثنا عن المؤسسة القضائية. وكان رضي الله عنه يحث على التزاور والمدارسة، حيث يقول: تزاوروا وتدارسوا الحديث، ولا تتركوه يدرس[١٤٨]، وفي رواية: تزاوروا وتحدثوا، فإن لم تفعلوا فإنه يدرس[١٤٩]، وكان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يحث على لزوم الشيخ، والحرص على الأخذ منه، ويقول: ولا تشبع من طول صحبته، فإنما هو كالنخلة تنتظر متى يسقط عليك منها شيء[١٥٠]، وقد تهيأ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، ملازمة رسول الله (ﷺ) صغيرا تربى في حجره، وكبيرًا حينما كان صهره ووالد سبطيه، فكان بذلك قريبًا من رسول الله ، يأخذ عنه ويتعلم منه، وقد شهدت السيدة عائشة لعلي بلزومه لرسول الله (ﷺ)، فعن المقداد بن شريح، عن أبيه قال: سألت عائشة فقلت: أخبريني برجل من أصحاب النبي (ﷺ) أسأله عن المسح على الخفين، فقالت: ائت عليًا فسله، فإنه كان يلزم النبي (ﷺ) قال: فأتيت عليًا فسألته، فقال: أمرنا رسول الله (ﷺ) بالمسح على خفافنا إذا سافرنا[١٥١]، وكان رضي الله عنه يرى الانتقاء في العلوم فقد قال:

---

(١٤٣) مسلم (٤/ ٢٠٩١، ٢٠٩٢).
(١٤٤) البداية والنهاية (٨/ ٦).
(١٤٥) بيان العلم وفضله ص(٢٨٥).
(١٤٦) منهج علي بن أبي طالب ص(٦٣).
(١٤٧) إعلام الموقعين.
(١٤٨) الجامع لأخلاق الراوي(١/ ٢٣٦).
(١٤٩) شرف أصحاب الحديث للبغدادي ص(٩٣).
(١٥٠) تذكرة السامع ص(١٠٠).
(١٥١) مسند أحمد (٢/ ١٩٥) إسناده صحيح، تحقيق أحمد شاكر.

العلم أكثر من أن يحفظ، فخذوا من كل علم محاسنه[١٥٢]، وقد وصل من العلم مرتبة جعلته يقول للناس وهو في العراق: سلوني.

فعن سعيد بن المسيب رضي الله عنه قال: ما كان أحد من الناس يقول: سلوني غير علي بن أبي طالب[١٥٣] رضي الله عنه، وقد وثق الناس بعلمه سواء الصحابة أو التابعين، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: إذا أتانا الثبت عن علي لم نعدل به[١٥٤]، وعنه أيضًا قال: إذا حدثنا ثقة عن علي بفتيا لا نعدوها[١٥٥]، وعن سويد بن غفلة أنه جاءه رجل يسأله عن فريضة رجل ترك ابنته وامرأته، قال: أنا أنبئك قضاء علي. قال: حسبي قضاء علي. قال: قضى علي لامرأته الثمن، ولابنته النصف، ثم رد البقية على ابنته[١٥٦]، وقد أثنى الناس عليه في علمه ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: أما إنه أعلم الناس بالسنة[١٥٧]، وكان معاوية رضي الله عنه يكتب فيما ينزل به ليسأل له علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن ذلك، فلما بلغه قتله، قال: ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبي طالب[١٥٨]، وعن الحسن ابن علي، أنه خطب الناس بعد وفاة علي رضي الله عنه فقال: لقد فارقكم رجل أمس، ما سبقه الأولون بعلم، ولا أدركه الآخرون[١٥٩]، وعن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة -وقد سئل عن علي- قال: كان لله والله ما شاء من ضرس قاطع، السطة[١٦٠] في النسب، وقرابته من رسول الله ومصاهراته، والسابقة في الإسلام، والعلم بالقرآن والفقه بالسنة، والنجدة في الحرب، والجود في الماعون[١٦١]، وعن مسروق قال: انتهى علم أصحاب رسول الله إلى عمر، وعلي، وابن مسعود، وعبد الله رضي الله عنهم[١٦٢]، وقد ترك أمير المؤمنين رضي الله عنه نصائح وإرشادات لطلاب العلم والعلماء والفقهاء تستحق أن تحفظ ويعمل بها ، ومن هذه النصائح:

**١- الناس ثلاثة: عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق:**

روى الحافظ أبو نعيم عن كُميل بن زياد قال: أخذ علي بن أبي طالب رضي الله عنه

---

(١٥٢) تاريخ اليعقوبي(٢/ ٥).
(١٥٣) الاستيعاب ص(١١٠٣).
(١٥٤) الاستيعاب ص(١١٠٤).
(١٥٥) الطبقات (٢/ ٣٣٨).
(١٥٦) سنن الدارمي (٢/ ٣٧٥).
(١٥٧) الاستيعاب ص(١١٠٤).
(١٥٨) الاستيعاب ص(١١٠٨).
(١٥٩) فضائل الصحابة (٢/ ٥٩٥) إسناده صحيح.
(١٦٠) السطة: التوسط، والوسط في النسب هو أكرمه وأشرفه.
(١٦١) ذخائر العقبي للمحب الطبري ص(٧٩).
(١٦٢) تاريخ السيوطي ص(١٩٦).

بيدي فأخرجني إلى ناحية الجبان -يعني الصحراء- فلما أصحرنا جلس ثم تنفس ثم قال: يا كميل بن زياد، القلوب أوعية فخيرها أوعاها للعلم، احفظ ما أقول لك: الناس ثلاثة: عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيؤوا بنور العلم، ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق[(١٦٣)]، إن هذه الوصية البليغة قد اشتملت على درر المواعظ وغرر الحكم، فقد قسم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه الناس إلى ثلاثة أقسام:

**(أ) العلماء الربانيون:**

والمقصود بالعلماء علماء الدين، والربانيون الذين يجمعون بين الفقه والحكمة كما جاء في تفسير ابن عباس رضي الله عنهما في قوله (تعالى): ﴿وَلَـٰكِن كُونُواْ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ﴾ قال: حكماء وفقهاء، أخرجه الإمام البخاري، وبذلك فسره عبد الله بن مسعود رضي الله عنه[(١٦٤)]، فالذين يجمعون بين الحكمة والفقه هم المؤهلون لتربية الأمة وتوجيهها، لأن الحكمة وضع الشيء في موضعه المناسب، ومن ذلك التوفيق إلى تطبيق الحكم الشرعي على واقع الناس، وذلك يقتضي فهمًا دقيقًا لواقع المجتمع الإسلامي، ومن الحكمة القيام بتربية الأمه بهذا الدين، وذلك يقتضي الجمع بين تعليم الدين والتربية على التقوى ومكارم الأخلاق، وأما الفقه فهو فهم الأحكام الدينية من مصادرها الشرعية، ولذلك كان العلماء الربانيون هم أفضل الأمة، لأنهم جمعوا بين فضيلتين: تلقي العلم والتعليم مع التربية، فهم المؤهلون لتربية الأمة وتوجيهها[(١٦٥)]، وقد عرف أمير المؤمنين علي رضي الله عنه الربانيين بأنهم هم الذين يغذون الناس بالحكمة ويربونهم عليها[(١٦٦)].

**(ب) طلاب العلم الذين أخلصوا نياتهم في طلب العلم:**

ليكون وسيلة إلى نجاتهم من المسؤولية أمام الله (تعالى)، وقد عبر علي رضي الله عنه عن هذا القسم بقوله: ومتعلم على سبيل نجاة. وهذا لا يختص بالدارسين الذين تفرغوا لطلب العلم، وإنما يشمل كل من حمل مسؤولية تطبيق هذا الدين وأهمه أمر نجاته في الآخرة، فاستفتى في أمور دينه العلماء الربانيين، ليعبد الله على بصيرة وليستقيم في معاملته مع الناس على منهج الله، فهذا يعتبر من المتعلمين على سبيل نجاة وإن لم يجلس في حلقات العلم[(١٦٧)]، إن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يرينا أهمية إخلاص النية لله في طلب العلم ويدعوهم لتقديم ما عند الله والدار الآخرة على حطام الدنيا وشهوات النفس والدعوة إلى

---

(١٦٣) حلية الأولياء (١/ ٧٥)، صفة الصفوة (١/ ٣٢٩).

(١٦٤) التاريخ الإسلامي للحميدي (١١، ١٢/ ٤٣٨).

(١٦٥) التاريخ الإسلامي (١١، ١٢/ ٤٣٨).

(١٦٦) الفتاوى (١/ ٤٩).

(١٦٧) التاريخ الإسلامي للحميدي (١١، ١٢/ ٤٣٨).

كتاب الله وسنة رسوله ودين الحق والصبر على ذلك.

**(ج) الذين هجروا العلم الديني ولم يكن لهم ارتباط بالعلماء الربانيين:**

في معرفة أمور دينهم، وقد عبر عنهم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بقوله: وهمج رعاع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيؤوا بنور العلم.

تحدث أمير المؤمنين عن صنف الهمج الرعاع أتباع كل ناعق الذين يميلون مع كل ريح وليس لهم نور يستضيؤون به وحذر من هذا الصنف الإمعي، وكأنه رضي الله عنه يدعو الناس بأن يكون همهم الحق والثبات عليه، وبأن يعمروا الدنيا والآخرة بطاعة الله وأن يستضيؤوا بنور الله ويجعلوا الدنيا مطية الآخرة.

**٢- المقارنة بين العلم والمال:**

وجاء في وصية أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لكميل بن زياد: ... العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، العلم يزكو على العمل والمال تنقصه النفقة، العلم حاكم، والمال محكوم عليه، وصنعة المال تزول بزواله ومحبة العالم دين يدان بها، العلم يكسب العالم الطاعة في حياته، وجميل الأحدوثة بعد مماته، مات خزان المال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة[١٦٨]، عقد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه مقارنة بين العلم والمال، باعتبار أن العلم الشرعي هو عماد أهل الآخرة ومعقد عزهم وشرفهم في الدنيا والآخرة، والمقصود بالمال هنا الذي يجمعه صاحبه لذاته ولا يتوجه فيه بالطاعات وفق شرع ربه، وقد سوغ هذا الحكم بعدة أمور:

**(أ) أن العلم يحرس صاحبه بينما صاحب المال هو الذي يحرسه:**

فأما حراسة العلم لصاحبه فإن العلم الإلهي يقي صاحبه من المهالك في الدنيا والآخرة، فأما أمر الآخرة فظاهر معلوم، حيث إن هذا العلم يقود صاحبه إلى رضوان الله (تعالى) والجنة ويجنبه طريق النار، وما أعظمها من مطالب وما أبلغها من مكاسب، وأما الوقاية من مهالك الدنيا فإن السعادة الروحية الحقة لا تكون إلا باليقين الذي تتضاءل أمامه الحياة الدنيا، فتصبح جميع مآسيها ونكباتها بردًا وسلامًا على أصحاب اليقين؛ لأنهم لا يلقون لها بالاً ولا يعيرونها اهتمامًا بينما تتحول هذه المآسي والنكبات إلى حياة جحيمية على أهل الدنيا الذين يعتبرون الحياة الدنيا هي رأس المال والمكسب، وأما حراسة صاحب المال ماله فأمرها ظاهر، فكم تململ أصحابها من الهم والخوف عليها تململ المريض وباتوا يحرسون أموالهم بالهم والقلق والحزن المنهك[١٦٩]، والعلم ينور بصيرة صاحبه في الاختيار الأفضل وفي استخلاص العبر من الأمم الماضية والعيش بها في الحياة، والعلم يفتح آفاقًا واسعة في فقه الخلاف،

(١٦٨) حلية الأولياء (١/ ٧٥)، صفة الصفوة (١/ ٣٢٩).
(١٦٩) التاريخ الإسلامي (١٢/ ٤٤٢).

ومعرفة المصالح والمفاسد، والمقاصد، وترتيب الأولويات فيسير صاحبه بنور بين الناس.

**(ب) أن العلم ينمو ويترسخ بالعمل:**

لأن العمل تطبيق للعلم فهو بذلك يزيده عمقًا في الذاكرة، بخلاف المال فإن الإنفاق منه ينقصه، ولا يغبن عن البال أن المقصود هنا أموال أهل الدنيا التي ينفقون منها من أجل الدنيا، أما أموال أهل الآخرة فإنها محكومة بالعمل الشرعي، فالإنفاق منها يزيدها نموًا كما جاء في قول الرسول (ﷺ): «ما نقص مال عبد من صدقة»[١٧٠].

**(ج) أن العلم الشرعي حاكم لأن به تنتظم شؤون الحياة:**

وعلى منهاجه يجب أن تقرر جميع الأنظمة التي تحكم الناس، فهو الحاكم الحقيقي، أما المال فإنه محكوم عليه؛ لأن إصداره وإيراده يخضع للأنظمة الحاكمة سواء كانت شرعية أو غير شرعيه[١٧١].

**(د) أن العلاقات الاجتماعية التي تقوم على المصالح المالية المشتركة تزول بزوال المال:**

لأنه هو الذي عقد تلك العلاقات بناء على تبادل المصلحة بوجوده فإذا زال زالت تلك المصالح، أما العلاقات الأخوية التي تقوم على تبادل العلم الشرعي بين العالم ومحبيه فإنها باقية خالدة في الدنيا والآخرة، قال (تعالى): ﴿الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧].

**(هـ) أن العلم الشرعي يكسب صاحبه ولاء المسلمين وطاعتهم لأهله اختيارًا منهم:**

من غير أن تفرض عليهم هذه الطاعة، وذلك على امتداد حياتهم، كما يكسبهم الذكر الحسن بعد مماتهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، حيث لا يفقد الناس إلا صورهم وأشكالهم، وإننا لو استعرضنا التاريخ إلى عصرنا هذا لوجدنا العلماء من عهد الصحابة رضي الله عنهم تتردد أسماؤهم ويذكر التاريخ حياتهم في الكتب والخطب والدروس العلمية، بينما اندرست أسماء كبار أهل الدنيا بانقضاء حياتهم، وأحيانًا يشاهدون انطفاء سمعتهم وهم أحياء[١٧٢].

**٣- أن الفقيه كل الفقيه الذي لا يقنط الناس من رحمة الله ولا يؤمنهم من عذاب الله:**

ولا يرخص لهم في معاصي الله ولا يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره، ولا خير في عبادة لا علم منها، ولا خير في علم لا فهم فيه، ولا خير في قراءة لا تدبر فيها[١٧٣].

في هذا النص يبين أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أن من الفقه في الدين التزام صفة

---

(١٧٠) المصدر نفسه (١٢/ ٤٤٢).

(١٧١) التاريخ الإسلامي للحميدي (١٢/ ٤٤٢).

(١٧٢) التاريخ الإسلامي للحميدي (١٢/ ٤٤٣).

(١٧٣) حلية الأولياء (١/ ٧٧) صفة الصفوة (١/ ٣٢٥).

الاتزان والاعتدال في غرض أمور الدين ومحاولة إصلاح الناس، وذلك بأن يسير الداعية في خط وسط بين مقامي الخوف والرجاء، فلا ينطلق في تخويف الناس إلى الحد الذي يجعلهم يقنطون من رحمة الله، ولا ينطلق في ترغيب الناس إلى الحد الذي يجعلهم يأمنون من عذاب الله (تعالى)، ونجد عليًا رضي الله عنه في هذا النص يبين أن من مظاهر الفقه في الدين ألا يهوّن العالم من شأن المعاصي فيجرئ الناس على ارتكابها، وأن يحافظ على مستوى الإيمان والتقوى لدى الناس مع محاولة رفعهم نحو الكمال في ذلك، كما يبين أن من الفقه أن يحاول العالم ربط المسلمين بكتاب الله (تعالى)، وهنا يبين علي رضي الله عنه أهمية القرآن الكريم وتفضيله المطلق على كل ما سواه، وفيه تبيين أو تعليم للطريقة التي نتعامل بها مع القرآن الكريم. وألا يتجاوزه إلى غيره رغبة عنه لأنه مصدر الهداية الأول، ومن المعلوم أن السنة النبوية بيان تفصيلي للقرآن الكريم فالتوجيه إلى القرآن يعتبر توجيهًا إلى السنة، ثم يبين أن من أهم شروط العبادة الشرعية المقبولة أن تكون صادرة عن علم بالكتاب والسنة وأن العلم لا يكون نافعًا إلا إذا رافقه الفهم الصحيح، ويختم وصيته النافعة ببيان أهمية تدبر معاني كتاب الله (تعالى) حال التلاوة لأن الخير كل الخير في فهم مقاصد القرآن الكريم للعمل بأحكامه، والتوجه الكامل لله بالقلب والعقل والروح والجوارح عند قراءتنا لكتابه وبذل كل ما نستطيع لفهم مراد الله والعمل بأوامره واجتناب نواهيه والتخلص من كل العوائق التي تحول بيننا وبين كتاب الله ، فهذا يدعونا للتجرد لله بالكلية وإخلاص الدين له وتحري مراد الله ورسوله ودين الحق، ولو أدى إلى مفارقة الأهل والمال والولد والوجاهة الدنيوية، فإن ما عند الله خير وأبقى. والاتعاظ بمواعظه وتنمية الإيمان بتذكر معاني هذا الكتاب العظيم[(١٧٤)].

**٤- ما أبردها على الكبد:**

عن الشعبي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه خرج عليهم وهو يقول: ما أبردها على الكبد، فقيل له: وما ذلك؟ قال: أن تقول للشيء لا تعلمه: الله أعلم[(١٧٥)].

**٥- أهل العلم وتعليم الناس:**

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: ما أخذ الله العهد على أهل الجهل أن يتعلموا، حتى أخذ على أهل العلم أن يُعلِّموا[(١٧٦)].

**٦- الخير في كثرة العلم لا المال والولد:**

قال علي رضي الله عنه: ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر علمك، ويعظم حلمك، وأن تباهي الناس بعبادة ربك، فإن أحسنت حمدت الله ، وإن

---

(١٧٤) التاريخ الإسلامي (١٢/ ٤٣١ -٤٣٣).
(١٧٥) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٦٦).
(١٧٦) فرائد الكلام ص(٣٦١).

أسأت استغفرت الله، ولا خير في الدنيا إلا لأحد رجلين، رجل أذنب ذنبًا فهو تدارك ذلك بتوبة، أو رجل يسارع في الخيرات، ولا يقل عمل في تقوى وكيف يقل ما يتقبل؟![١٧٧]

**٧- العلم والجهل:**

قال رضي الله عنه: كفى بالعلم شرفًا أن يدعيه من لا يحسنه ويفرح به إذا نسب إليه، وكفى بالجهل صنعة أن يتبرأ منه من هو فيه ويغضب إذا نسب إليه[١٧٨].

**٨- سبب زهد الناس في العلم:**

قال رضي الله عنه: إنما زهد الناس في طلب العلم، لما يرون من قلة انتفاع من علم بما علم[١٧٩]. وهذا فيه تحذير لعلماء السوء الذي يصدون عن سبيل الله، ودعوة للعلماء بالعمل بعلمهم ودعوة الناس إليه والصبر على أذاهم في سبيل الله (تعالى).

**٩- من حقوق العلماء على أمتهم:**

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: من حق العالم ألا تكثر عليه بالسؤال، ولا تعنته بالجواب، ولا تحل عليه إذا كسل، ولا تأخذ بثوبه إذا نهض، ولا تفشين له سرًا، ولا تغتابن عنده أحدًا، ولا تطلبن عثرته، وإن زل قبلت معذرته، وعليك أن توقره وتعظمه لله ما دام يحفظ أمر الله، ولا تجلس أمامه، وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته[١٨٠].

**١٠- مكانة العلماء العاملين عند الله:**

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: من علم وعمل دعي في ملكوت السموات عظيمًا[١٨١]. وهذه دعوة للعلم والعمل، وحث للسعي للمقامات العالية التي يكرم الله بها من علم وعمل وابتغى مرضاته (سبحانه وتعالى).

**١١- الاشتغال بالعلم أولى من الاشتغال بالعبادات التطوعية:**

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد، وإذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدها إلا خلف مثله[١٨٢]. وهذا التوجيه فيه دلالة على فقه ترتيب الأولويات عند أمير المؤمنين علي، فهو يرى العمل المتعدي لخير الناس وهو العلم أولى بالتقديم من العمل التعبدي الذي ترجع فائدته على الشخص نفسه. هذه بعض التوجيهات النافعة والإرشادات الصالحة من أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لطلاب العلم.

---

(١٧٧) حلية الأولياء ص(٧٥).
(١٧٨) فرائد الكلام ص(٣٦٦).
(١٧٩) أدب الدين والدنيا ص (٨٢- ٨٥).
(١٨٠) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٥١٩).
(١٨١) المصدر نفسه (١/ ٤٩٧).
(١٨٢) المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح للدمياطي ص(١٣).

**ثانيًا: زهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وورعه:**

فهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من خلال معايشته للقرآن الكريم وملازمته للنبي الأمين (ﷺ) ومصاحبته للصحابة الكرام، ومن تفكره في هذه الحياة بأن الدنيا دار اختيار وابتلاء، فقد تربى أمير المؤمنين علي رضي الله عنه على كتاب الله، واستوعب الآيات التي تحدثت عن الدنيا وأخبرتنا بخستها وقلتها وانقطاعها وسرعة فنائها، والآيات التي رغبت في الآخرة وأخبرت بشرفها ودوامها كقوله (تعالى): ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ۞ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٥-٤٦] وتربى على يدي النبي (ﷺ) الذي كان أعرف الخلق بالدنيا ومقدارها، إذ هو القائل (ﷺ): «**لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها شربة ماء**»[١٨٣]، وقال (ﷺ): «**ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بما ترجع**»[١٨٤]، وقال (ﷺ): «**الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر**»[١٨٥]، وقد تأثر أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بالتربية القرآنية النبوية، فكان من أصدق النماذج التي زكتها تربية النبي عليه الصلاة والسلام وقال الله فيها: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ﴾ [البقرة: ١٥١]، فقد ضرب لنا أروع الأمثلة في هذا الزهد، وهذه بعض المواقف المدهشة في هذا الباب:

**١- يا صفراء، ويا بيضاء غري غيري:**

عن علي بن ربيعة الوالبي أن علي بن أبي طالب جاءه ابن النباح فقال: يا أمير المؤمنين امتلأ بيت مال المسلمين من صفراء وبيضاء، فقال: الله أكبر، فقام متوكئًا على ابن النباح حتى قام على بيت مال المسلمين فقال:

**هذا جناي خياره فيه وكل جان يده إلى فيه**

يا ابن النباح عليَّ بأشياع الكوفة، قال: فنودي في الناس، فأعطى جميع ما في بيت مال المسلمين وهو يقول: يا صفراء ويا بيضاء غُرِّي غيري، ها، ها، حتى ما بقي منه دينار ولا درهم، ثم أمر بنضحه وصلى فيه ركعتين، وفي رواية أخرى لأبي نعيم من خبر مجمع التيمي قال: كان علي يكنس بيت المال ويصلي فيه ويتخذه مسجدًا رجاء أن يشهد له يوم القيامة.

ففي هذا مثل بليغ في الترفع عن متاع الدنيا الزائل، فبيت المال قد امتلأ من الذهب والفضة، ولا ينظر إليه أمير المؤمنين علي رضي الله عنه نظرة إعجاب وغرور، بل كان جوابه

---

(١٨٣) سنن الترمذي رقم (٤١١٠) صحيح غريب.

(١٨٤) مسلم رقم (٢٨٥٨).

(١٨٥) مسلم رقم (٢٨٥٦).

حينما أبلغه المسؤول المالي عن ذلك أن قال: الله أكبر، فإذا كان بعض الناس يكبرون الدنيا ويعظمونها فالله (تعالى) أكبر منها ومن كل شيء، وما دام المسلم يشعر حقًا بأن الله أكبر فلماذا يجعل قلبه مستسلمًا لما هو أصغر، إنه فقه عظيم من أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حينما تذكر هوان الدنيا وحقارتها فكبر الله (تعالى)، ولسان حاله يؤنب من انخدع بمتاع الدنيا الزائد ونسي أن الله (جل وعلا) أكبر من كل شيء، وأنه لميزان دقيق يحسه المؤمن الذي نور الله (سبحانه) بصيرته، فكلما كان الله (تعالى) أعظم وأكبر من كل شيء في قلبه كانت الدنيا وما فيها أهون شيء عليه، وأصبح يسخر المال الحلال في طاعة الله (جل وعلا)، وكلما عظمت الدنيا في قلبه كان ذلك على حساب نقص تعظيمه لله (تعالى)، ونجد أمير المؤمنين رضي الله عنه يحلق في آفاق العظمة وهو يخاطب الدنيا بقوله: يا صفراء يا بيضاء غري غيري . . مما يدل على الوجدان الحي والحس المرهف الذي يصور الدنيا كخصم يختال ويراوغ خصمه . . وهو بهذا يعلن انتصاره على جموح النفس وجنوح العواطف، ويحكم عقله الذي يعطي الدنيا حجمها المناسب لزمنها المحدود في شقائها ونعيمها، ويعطي الآخرة حجمها المناسب لخلودها وعظمة نعيمها وهول جحيمها، ونجده رضي الله عنه يصل إلى قمة المعالي حينما صلى في بيت المال ركعتين لتكونا شاهدتين له يوم القيامة بأنه عدل في حكمه واستقام في أمره، ولعل في اتخاذ بيت المال مسجدًا رمزًا لعلو الآخرة على الدنيا، وهو مكمل للسلوك العالي الذي مارسه في تصريف ذلك المال في وجوهه المشروعة[١٨٦].

**٢- والله ما أرزؤكم من مالكم شيئًا:**

ومن مواقف أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في الزهد والورع: ما رواه هارون بن عنترة عن أبيه قال: دخلت على علي بن أبي طالب بالخورنق[١٨٧]، وهو يرعد[١٨٨] تحت سمل قطيفة[١٨٩]، فقلت: يا أمير المؤمنين إن الله قد جعل لك ولأهل بيتك في هذا المال، وأنت تصنع بنفسك ما تصنع، فقال: والله ما أرزؤكم من مالكم شيئًا وإنها لقطيفتي التي خرجت بها من منزلي -أو قال: من المدينة[١٩٠]. وهنا نتساءل فنقول: ما الذي حمل أمير المؤمنين عليًا على أن يعيش عيشة الفقراء وأن يتحمل البرد القارس وهو قادر على أن يشتري أفخر ما يوجد في الأرض من الملابس وأكثرها دفئًا؟ إنه مثال للزهد الحقيقي حيث يرغب عن متاع الدنيا مع القدرة على تحصيله، إنه تلميذ المدرسة النبوية التي تربى فيها على الزهد في متاع الدنيا الزائل، والتنافس على نعيم الآخرة الخالد، فلقد عاش رسول الله (ﷺ) عيشة الفقراء وهو يستطيع أن يكون كأفضل الأغنياء[١٩١].

---

(١٨٦) التاريخ الإسلامي (١٢/ ٤٢٧) للحميدي.
(١٨٧) موضع بالكوفة.
(١٨٨) يرعد: من شدة البرد.
(١٨٩) سمل قطيفة: يعني قطيفة قديمة.
(١٩٠) حلية الأولياء (١/ ٨٢)، صفة الصفوة (١/ ٣١٦).
(١٩١) التاريخ الإسلامي (١٢/ ٤٢٨).

### ٣- باعني رضاي وأخذه رضاه:

عن أبي مطر عمـر بن عبد الله الجهني قال: رأيت عـليًا عليه السلام متـزرًا بإزار مرتديا برداء ومعه الدرة[١٩٢]، كأنه أعرابي بدوي، ثم ذكر دخوله إلى السوق ومساومته أحد التجار في ثوب بثلاثة دراهم، وأن التاجر عرفه، قال: فلما عرفه لم يشتر منه شيئًا، فأتى آخر فلما عرفه لم يشـتر منه شيئًا، فـأتى غلامًا حدثًا فاشـترى منه قميصًـا بثلاثة دراهم، ثم جاء أبو الغلام فأخـبره، فأخذ أبوه درهمًا ثم جـاء به فقال: هذا الدرهم يا أميـر المؤمنين ، قال: ما شأن هذا الدرهم؟ قال: كان ثمن القميص درهمين، فقال: باعني رضاي وأخذه رضاه[١٩٣]، فهذا مثل في الزهد من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فلقد كان مظهره في لباسه يوحي بأنه رجل أعرابي لخشـونة ملابسه، وحينما اشترى له ثوبًا اختار نوعًـا متواضعًا رخيص الثمن مع أنه كان آنذاك أعلى مسؤول في الـعالم، حيث كان خليفة المسلمين، وهذا يدل على تواضعه وزهده في الدنيا، على الرغم بأن له حقه من الفيء ومن بيت المال وغيرها من مصادر الدولة كشخص مفرغ خليفة وحاكم لمراعاة مصالح المسلمين، ومثل آخر في الورع والاحتياط للدين حينما امتنع من الشراء ممن يعرفونه حتى لا يراعوه في الثمن لمنصبه، فهو لا يريد أن يسـتـثمر منصبه الكبـير لمصالحه الخـاصة، وهذا فهم دقيق لمجـالات الورع والتقوى، فالخلافة عنده -وعند أمثاله- عمل صالح، والخليفـة إذا صاحبه العدل كان أول السبعة الذين يظلهم الله (تعالى) في ظله يوم القـيامة، فهو لا يريد أن يدنس هذا العـمل الصالح بمصالح دنيوية فيتحول العمل إلى مجلبة للوزر بدلاً من الأجر، فكان بهذا السلوك العالي قدوة حسنة لمن أتوا بعده[١٩٤].

### ٤- يخشع القلب ويقتدي به المؤمن:

قال عـمر بن قيس: قـيل لعلي رضي الله عنه: لم ترفع قمـيصك؟قال: يـخشع القلب ويقتدي به المؤمن[١٩٥]، فهذا مثل من زهده رضي الله عنه وحرصه على تربية المسلمين على حياة الزهد والتقشف، فقد لاحظ في لبس الثوب المرقوع ملحظين: الأول: أنه وسيلة خشوع القلب وتواضع النفس والبعد عن أسـباب العجب والكبرياء، والثاني: أنه يعـتبر بذلك قدوة للمسلمين فإذا رآه الناس -وهو في أعلى منصب- يلبس الثوب المرقـوع فإن نفوسهم تتواضع ويبـتعـدون عن التنافس في شـراء الملابس الغـاليـة الثمن، ويتـقـوى بذلك الزاهدون الذين يتعرضون لملامة الناس على سلوكهم حياة الزهد[١٩٦].

---

(١٩٢) الدرة بكسر الدال وتشديد الراء العصا.
(١٩٣) الزهد ص(١٣٠).
(١٩٤) التاريخ الإسلامي (١٢/ ٤٢٩) للحميدي.
(١٩٥) تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الراشدين ص(٦٤٧) للذهبي.
(١٩٦) التاريخ الإسلامي (١٢/ ٤٣٠) للحميدي.

**٥- لا يحل للخليفة من مال الله إلا قصعتان:**

عن عبد الله بن زرير الغافقي قال: دخلت على علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقرب إلينا خزيرة[١٩٧]، فقلت: أصلحك الله لو قربت إلينا من هذا البط -يعني الوز- فإن الله (عز وجل) قد أكثر الخير فقال: يا ابن زرير إني سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «**لا يحل للخليفة من مال الله إلا قصعتان، قصعة يأكلها هو وأهله وقصعة يضعها بين يدي الناس**»[١٩٨]، فهذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يضرب مثلاً عاليًا في الورع والزهد في متاع الدنيا الزائل من طعام وشراب، فلقد كان بإمكانه أن يأخذ من بيت المال ما شاء من الأموال مما لا يلفت النظر إليه ، حيث يؤمن له معيشة مساوية لأغنياء المسلمين، ولكنه رضي بخشونة العيش إيثارًا للآجلة على العاجلة، واحتياطًا لأمد دينه، وإبرازًا للقدوة الصالحة ، لأنه إذا كان أعلى رجل في الدولة يعيش هذا المستوى من العيش فإن ذلك عزاء للفقراء ليصبروا ويرضوا بقضاء الله (تعالى) وقدره، ووعظًا للأغنياء ليشكروا الله (تعالى)، فيخفضوا من اندفاعهم نحو الترف والإسراف[١٩٩].

**٦- لا أحب أن يدخل بطني إلا ما أعلم:**

كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يختم على الجراب الذي فيه دقيق الشعير الذي يأكل منه ويقول: لا أحب أن يدخل بطني إلا ما أعلم[٢٠٠]، وقال سفيان: إن عليًا لم يبن آجرة على آجرة، ولا لبنة على لبنة، ولا قصبة على قصبة وإن كان ليؤتى بحبوبه من المدينة في جراب[٢٠١].

**٧- إنك لطيب الريح، حسن اللون، طيب الطعم:**

يروي عدي بن ثابت، وحبة بن جوين أنه أتى بطستخوان فالوذج[٢٠٢]إلى علي فلم يأكل، وقال: إنك لطيب الريح، حسن اللون، وطيب الطعم، ولكن أكره أن أعود نفسي ما لم تعتده[٢٠٣].

**٨- أزهد الناس في الدنيا علي بن أبي طالب:** قال الحسن بن صالح بن حيّ: تذاكروا الزهاد عند عمر بن عبد العزيز، فقال: أزهد الناس في الدنيا علي بن أبي طالب[٢٠٤]، وقد

---

(١٩٧) الخزيرة : لحم يقطع ويطبخ بالماء ويذر عليه الدقيق.
(١٩٨) مسند أحمد (١/ ٧٨) إسناده صحيح قاله أحمد شاكر وهناك من ضعفه.
(١٩٩) التاريخ الإسلامي (١٢/ ٤٣١)
(٢٠٠) الكامل في التاريخ(٢/ ٤٤٣).
(٢٠١) الكامل في التاريخ(٢/ ٤٤٣).
(٢٠٢) البطستخوان: عبارة عن طست كبير يوضع وسط المائدة.
(٢٠٣) الحلية (١/ ٨١) صحيح التوثيق ص(٧٤).
(٢٠٤) تاريخ الإسلام عهد الخلفاء الراشدين ص(٦٤٥).

ذكر الذهبي أن عليًا ركب حمارًا ودلى برجليه إلى موضع واحد ثم قال: أنا الذي أهنت الدنيا (وفعله هنا من باب التربية العملية على الزهد والتقوى والترفع على الدنيا وليس على سبيل الخيلاء)[٢٠٥]، وأخرج أبو عبيد في «الأموال» عن علي رضي الله عنه أنه أعطى العطاء في سنة ثلاث مرات، ثم أتاه مال من أصبهان، فقال: اغدوا إلى عطاء رابع، إني لست بخازنكم، فأخذها قوم وردها قوم[٢٠٦]، وخطب على الناس فقال: أيها الناس، والله الذي لا إله إلا هو، ما رزأت من مالكم قليلاً ولا كثيرًا إلا هذه، وأخرج قارورة من كم قميصه فيها طيب، فقال: أهدي إلى دهقان، وقال: ثم أتى بيت المال وقال: خذوا، وأنشأ يقول:

**أفلح من كانت له قوصرة[٢٠٧] يأكل منها كل يوم تمرة[٢٠٨]**

لقد كان الزهد من الصفات البارزة في شخصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان زهده رضي الله عنه مع توافر أسباب الرخاء والثراء وثقة الناس وتوقيرهم وإجلالهم له الذي يمنع من النقد والحسبة والمؤاخذة[٢٠٩]، ولم يكن رضي الله عنه مع زهده وورعه وتصلبه في دينه، على شيء من الفظاظة والخشونة والعبوس والكلح، ولم يكن ثقيل الظل، بل كان ودودًا بشوشًا فيه دعابة ملحوظة، وقد جاء في وصفه: كان حسن الوجه، ضحوك السن خفيف المشي على الأرض[٢١٠]. وقد عرف علي رضي الله عنه الزهادة فقال: أيها الناس الزهادة، قصر الأمل، والشكر عند النعم والتورع عن المحارم[٢١١]وقصر الأمل ضد طول الأمل الذي ينسي الإنسان الآخرة، وأما قصره فيجعله يجمع بين الدنيا والآخرة ابتغاء مرضاة الله، وأما الشكر عند النعم فهي صفات المسلم الرباني الذي يستشعر نعم الله عليه المادية والمعنوية ما ظهر منها وما بطن ويقابلها بالشكر للعزيز الوهاب، وأما التورع عن المحرمات فهو يبتعد عن الاقتراب من محارم الله (عز وجل)، فتعريف أمير المؤمنين يبين حقيقة الزهد، ولا شك أن زهد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قد أثر في من حوله وأصبح مدرسة مؤثرة في تاريخ الأمة.

وقد ربط أبو الحسن الندوي بين الزهد والتجديد في المجتمع الإسلامي فقال: ولقد رأينا الزهد والتجديد مترافقين في تاريخ الإسلام، فلا نعرف أحدًا ممن قلب التيار، وغير مجرى التاريخ، ونفخ روحًا جديدة في المجتمع الإسلامي، أو فتح عهدًا جديدًا في تاريخ الإسلام، وخلف تراثًا خالدًا في العلم والفكر والدين، وظل قرونًا يؤثر في الأفكار والآراء ويسيطر

---

(٢٠٥) تاريخ الإسلام للذهبي ص(٦٤٥).
(٢٠٦) كنز العمال (٢/ ٣٢٠).
(٢٠٧) القوصرة: وعاء من قصب يجعل فيه التمر ونحوه.
(٢٠٨) المرتضى للندوي ص(٢١٢).
(٢٠٩) المصدر نفسه ص(٢١٠).
(٢١٠) المصدر نفسه ص(٢١٣).
(٢١١) علي بن أبي طالب، محمد رشيد رضا ص(٣٠٤).

على العلم والأدب، إلا وله نزعة في الزهد، وتغلب على الشهوات، وسيطر على المادة ورجالها، ولعل السر في ذلك أن الزهد يكسب الإنسان قوة المقاومة، والاعتداد بالشخصية والعقيدة، والاستهانة برجال المادة، ويصرع الشهوات، وأسرى المعدة(٢١٢).

**ثالثا: تواضع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه:**

من الأخلاق القرآنية التي تجسدت في شخصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه خلق التواضع، قال (تعالى): ﴿وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً﴾ [الإسراء: ٣٧]، وقوله (تعالى): ﴿وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٨- ١٩].

وفي آية الإسراء دعوة واضحة إلى التحلي بمكارم الأخلاق من التواضع واللين، ومعرفة قدر النفس، لأن النهي الصريح عن رعونات النفس من الكبر والبطر والأشر والاحتقار للناس، والأمر بضده وهو التواضع والقصد من الأمور صراحة بعد أن علم بالمفهوم من النهي السابق، وذيل الله (تعالى) النهي والأمر بما ذيل به النهي السابق من عدم رضاه وشدة سخطه على من اتصف بتلك الصفات فقال (سبحانه): ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ فعدم محبته لمن كان كذلك، يعني بغضه له، كما دلت الآية السابقة، وفي هذا من الحث على التواضع ما فيه الكفاية للمؤمن(٢١٣)، غير أن القرآن الكريم لم يقتصر على ذلك، بل نوه بالمتواضعين أيما تنويه حيث قال الله (جل ذكره): ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

وهذا تنويه عظيم بالمتواضعين حيث وصفهم بالعبودية له، وذلك أعظم تشريف لهم، لأن العبودية له (سبحانه) هي أشرف الأوصاف ومن أعلى مراتب المحبين، وبذلك يتفاخرون، ولذلك يقول الشاعر:

وممـا زادنـي شـرفـا وتيـهـا ... وكـدت بأخمـصـي أطـأ الثـريـا
دخـولـي تحت قـولـك يا عـبـادي ... وأن صـيـرت أحـمـد لي نبـيـا(٢١٤)

وكان نبينا محمد (ﷺ) في ذروة الذرا من هذا الخلق العظيم في كل صوره وأشكاله، ولا غرابة في ذلك فهو الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه، وكان مما أدبه الله (تعالى) به في هذا الخلق قوله (سبحانه وتعالى): ﴿لاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]. وقوله (تعالى): ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥]. وخفض الجناح كناية عن التواضع لهم والرفق

(٢١٢) رجال الفكر والدعوة في حديثه عن الإمام أحمد (١/ ١٠٥).
(٢١٣) أخلاق النبي في القرآن والسنة، د. أحمد الحداد (١/ ٤٥٤).
(٢١٤) المصدر نفسه (١/ ٤٥٥)، ينسب للمصدر الأصلي.

بـهـم[٢١٥]، وقد قام النـبي (ﷺ) بذلك حق القيام وظهر أثر هذا التـواضع في كل أحواله الذاتية والاجـتمـاعية والأسـرية، وفي كل زمان ومكـان، بحيث لا يخلو حـال من أحواله (ﷺ) عن التواضع لله (تعـالى) والمؤمنين[٢١٦]، وقد تأثر أمـير المؤمنين علي رضي الله عنه بالتربية القرآنية الكريمة، والتـربية النبوية الرشيدة، فكانت هذه الصفة متجسـدة في شخصيته الفذة. وإليك بعض المواقف:

**(أ) أنا الذي أهنت الدنيا:**

عن صالح بن أبي الأسـود عمن حدثه أنه رأى عليًـا قد ركب حمـارًا ودلى رجليه إلى موضع واحد ثم قـال: أنا الذي أهنت الدنيا[٢١٧]، وهكذا يشعر أمـير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالفرح لانتـصاره على نفسه، وظهوره بمظهـر التواضع أمام الناس وهو خليفـة المسلمين، إن مناصب الدنيا خـداعة غرارة، وإن فـتنة الجاه بها أعظـم من فتنة المال، فلطالما رأى الناس مسـؤولين كانوا متـواضعين قبل أن يولـوا، فلما تولوا مناصب كـبيرة بدأ التعاظم في نفوسـهم شيئًا فشيئًـا، حتى يكون من الصعب في آخر الأمر مخـاطبتهم واللقاء معهم، لكن أوليـاء الله المتقين كلما ازدادوا رفعة في المناصب الدنيـوية زادوا تواضعًا للناس، وشعروا بالسرور وهم يقومون بمظاهر التواضع التي تنفي عنهم صفة التجبر والكبرياء[٢١٨].

**(ب) أبو العيال أحق أن يحمل:**

وري عن علي رضي الله عنه أنه اشترى تمـرًا بدرهم فحمله في ملحفة، فـقالوا: نحمل عنك يا أمير المؤمنين، قال: لا، أبو العيال أحق أن يحمل[٢١٩]، فهذا مثل من تواضعه حيث حمل متاعه بنفسه مع كونه أمير المؤمنين ومـع كبر سنه، فلم ير في ذلك مسوغًا لقبول خدمة الناس له، وهو بهذا يجعل من نـفسه قدوة حسنة للمسلـمين في التواضع، فلو نازعت أحد الكبراء نفسه في تصور العيب من حمل المتـاع فإنه بتذكره لموقف أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يزول مـا في نفسـه من ذلك، ولو اعتـرض على أحد المتـواضعين مـعترض فـإن له من الاقتداء بأكبر أمير على وجه الأرض ما يرد هذا الاعتراض[٢٢٠].

**(ج) معاملته لعمه العباس رضي الله عنهما:**

عن صهيـب مولى العباس، قـال: رأيت عليًا يقبل يد العبـاس ورجله ويقول: يا عم، ارض عنـي[٢٢١] ولنتأمل ما ورد في وصف ضرار الصـدائي لعلي رضي الله عنه حيث يقول:

---

(٢١٥) روح المعاني للآلوسي (٥/ ٨٠).

(٢١٦) أخلاق النبي في القرآن والسنة (١/ ٤٥٩).

(٢١٧) البداية والنهاية (٨/ ٥).

(٢١٨) التاريخ الإسلامي (١٧/ ٦٣) للحميدي.

(٢١٩) الزهد للإمام أحمد ص(١٣٣).

(٢٢٠) التاريخ الإسلامي (١٧/ ٦٤).

(٢٢١) أصحاب الرسول (١/ ٢٢٤)، السير للذهبي (٢/ ٩٤) إسناده صحيح.

يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما خشن، كان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، وينبئنا إذا استنبأناه، ونحن والله مع تقريبه إيانا وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبة له[٢٢٢].

ومن أقوال أمير المؤمنين في التواضع: تواضع المرء يكرمه[٢٢٣] إن العبد كلما رسخ في العلم بالكتاب والسنة وعمل بهما، وعرف حقيقة نفسه ازداد تواضعًا لله ولخلقه، كما أن علة من أعجب بنفسه من بعض دعاة اليوم إنما هي من قلة العلم والفهم، إضافة إلى انصراف نظر الداعي إلى كثرة من حوله من الأتباع، وغفلته عن النظر إلى ما عند الله ثم إلى من فوقه من العلماء الربانيين، وهذا من مداخل الشيطان الخفية على طلاب العلم والمحسوبين على حق الدعوة، وقد قيل من منثور الحكم: إذا علمت فلا تفكر في كثرة من دونك من الجهال، ولكن انظر إلى من فوقك من العلماء[٢٢٤]، ونختم هذه الصفة بقول أمير المؤمنين علي: ما أحسن تواضع الغني للفقير رغبة في ثواب الله، وأحسن منه تيه الفقير على الغني ثقة بالله (عز وجل)[٢٢٥]، والتيه المقصود به الاستغناء بالله عما في أيدي الأغنياء ولا يعني أبدًا التكبر والغرور.

**رابعًا: كرمه وجوده:**

من الأخلاق القرآنية الكريمة التي تجسدت في شخصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، خلق الكرم والجود، وقد كان تنويه القرآن الكريم بأهل الكرم عظيمًا، وقد كان هذا التنويه من أول القرآن الكريم حيث يقول (سبحانه) في مستهل ثاني سورة بعد البسملة: ﴿الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١-٥].

وقال (تعالى): ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُواْ ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٢-٢٤]، وقد كان رسول الله (ﷺ) قد بلغ مبلغ الكمال والعظمة في كافة الأخلاق ولا سيما خلق الكرم، وقد وصفته خديجة رضي الله عنها بقولها: «إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق»[٢٢٦]، فهي تصفه بهذه الصفات البالغة عظمة وخطورة التي كان عليها قبل بعثته

(٢٢٢) الاستيعاب (٣/ ١١٠٨).

(٢٢٣) منهج أمير المؤمنين علي في الدعوة ص(٥٢٣).

(٢٢٤) هداية المرشدين ص(١٠٥) علي محفوظ.

(٢٢٥) موعظة المؤمنين (٢/ ٣٤٤) فرائد الكلام ص(٣٣٩).

(٢٢٦) السيرة النبوية (١/ ١١٦).

ورسالته، ولم يكن قد تحمل أعباء أمتـه، ولا أضفت عليه النبوة زيادة كمال وعظمة، فكيف به بعد ذلك كله، لا جرم أن كرمه (ﷺ) بعد ذلك سيكون بالغًا ذروة الذرىٰ في كرم الأنبياء وسائر البشر، وهو ما دلت عليه الدلائل النقلية الكثيرة[٢٢٧]، وقد تأثر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بالتربية القرآنيـة النبوية وترك لنا آثارًا بارزة دالة على تأصل خلق الجود والكرم في شخصيـته العظيمة، فقد ذكر الحـافظ ابن كثير من خبر الأصبغ بن نباتة: أن رجلاً جاء إلىٰ علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: يا أمـير المؤمنين إن لي إليك حاجة فرفـعتها إلى الله (تعالى) قبل أن أرفعها إليك، فإن قضيتها حمدت الله وشكرتك، وإن لم تقضها حمدت الله وعذرتك، فقال علي: اكتب حاجتك على الأرض فإني أكره أن أرى ذل السؤال في وجهك، فكتب : إني محتـاج، فقال علي: علي بحلة، فأتي بهـا، فأخذها الرجل فلبسـها، ثم أنشأ يقول:

كســوتني حـلة تبلى مـــحـاسنهـا فـسوف أكسـوك من حـسن الثنا حللاً
إن نلـت حــسن ثـنائي نـلت مكرمــة ولسـت أبغـي بما قـــد قـلتــــه بدلا
إن الثنـا ليــحــيي ذكــر صــاحــبـه كـالغـيث يحـيي نداه السـهل والجبـلا
لا تزهـد في خــيـــر تواقـــعــه فكل عـبـد سـيـجزى بالـذي عـمـلا

فقال علي: علي بالدنانير، فأتي بمائة دينار فدفعها إليه، فقال الأصبغ: يا أمير المؤمنين، حلة ومائة دينار؟! قال: نعم، سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «**أنزلوا الناس منازلهم**» وهذه منزلة هذا الرجل عندي[٢٢٨]، فهذا موقف جليل لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الوقوف عند حاجـات المحتاجين والاهتمام بأمورهم ورعاية مـشاعرهم، وإن أروع ما في هذا الخبر قـوله: اكتب حاجتك على الأرض فإني أكـره أن أرى ذل السؤال في وجهك، فكم يعاني المحتاجـون من الذل بين يدي من يعرضون عليهم حوائجهم، وقد يتلعـثمون فلا يستطيعون الـنطق، ولقد كانت مشاعر ذلك المحتـاج عظيمة حينما واجهـه أمير المؤمنين علي بهذه المعاملة السامية، ولقد صاغ هذه المشاعر بالأبيات المذكورة[٢٢٩]،وقد كان علي رضي الله عنه يفرح بقدوم الضيف، ويكرم إخوانه في الله ويتفقدهم، فعن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قال: لم يأتني ضيف منذ سبعة أيام أخاف أن يكون الله قد أهانني[٢٣٠].

وقال: لعـشرون درهمًا أعـطيها أخي في الله أحب إليَّ من أن أتصـدق بمائة درهم على المســاكين[٢٣١]، وعندما سئل عن السخاء، قال: ما كان مـنه ابتداء، فأما ما كان من مسألة

(٢٢٧) أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة (٢/ ٦٤٨).
(٢٢٨) البداية والنهاية (٨/ ٩).
(٢٢٩) التاريخ الإسلامي للحميدي (١٧/ ١٢٧).
(٢٣٠) فرائد الكلام ص(٢٠٤) موعظة المؤمنين (٢/ ٢٥٢).
(٢٣١) موعظة المؤمنين (١/ ١٣٩).

فحـياء وتكرم[٢٣٢]، وقد جعل في حيـاته أوقافًا لله (تعالى)، حيث جعل أرضـه بينبع وقفًا وكتب فيها كتـابًا: هذا الذي أمر به علي بن أبي طالب، وقضى في ماله: إني تصدقت بينبع ووادي القـرى الأذينة وراعة فـي سبـيل الله وذي الرحم القـريب والبـعيـد، ولا يوهب ولا يورث، حيا أنا أو ميتًا[٢٣٣]، وقد قال عن صدقته: لقد رأيتني وإني لأربط الحجر على بطني من الجوع، وإن صدقتي لتـبلغ اليوم أربعة آلاف دينار[٢٣٤]، ولم يرد بقوله أربعة آلاف دينار زكاة ماله، وإنما أراد الوقوف التي جعلها صدقـة، كان الحاصل من دخلها صدقة هذا العدد، فإن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لم يدخر مالاً، ودليل ذلك[٢٣٥]: ما قاله ابنه الحسن بعد مقتله: لقـد فارقكم رجل ما ترك صفراء ولا بيـضاء إلا سبعمـائة درهم، بقيت من عطائه، وأراد أن يبتـاع بها خادمًـا، يعني عليًا[٢٣٦]رضي الله عنه، وكـان يحـث الناس على إكـرام العشـيرة فيـقول: أكرم عـشيرتك، فـإنهم جناحك الذي به تطير، فإنـك بهم تصول، وبهم تطول، وهم العدة عند الشدة، أكرم كريمهم، وعد سقيمهم وأشركهم في أمورك، ويسر عن معسرهم[٢٣٧].

**خامسًا: الحياء من الله (تعالى):**

الحيـاء من أجل مكارم الأخلاق، لأنه يدل على طهارة النفس، وحـياة الضمـير ويقظة الوازع الديني ومراقبة الله (تعالى)، إذ من لم يكن ذا حياء لم يقر الضيف، ولم يف بالوعد، ولم يؤد الأمانة، ولم يقض لأحد حاجة، ولا تحرى الجميل فآثره، والقبيح فتجنبه، ولا ستر عورة، ولا امتنع من فاحـشة، وكثير من الناس لولا الحياء الذي فيه لـم يؤد شيئًا من الأمور المفترضة عليه، ولم يرع لمخلوق حقًا، ولم يصل له رحمًا، ولا بر له والدًا، فإن الباعث على هذه الأفعال إما ديني- وهو رجاء عـاقبتها الحميدة- وإما دنيـوي علوي وهو حياء فاعلها من الخلق، وقد تبين أنه لولا الحياء -إما من الخالق، وإما من الخلائق- لم يفعلها صاحبها[٢٣٨]، وعلى حسب حياة القلب تكون قوة خلق الحياء، فكلما كان القلب أحيا كان الحياء أتم، وقلة الحيـاء من موت القلب والروح[٢٣٩]، وهو من شعب الإيمان، لأنه يكون باعثـا على أفعال البر، ومانعًـا من المعاصي[٢٤٠]، ولهذا كان من الأخلاق العليـا التي كان للقرآن الكريم بها

(٢٣٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص(٢٠٤).
(٢٣٣) تراث الخلفاء الراشدين ص(٥١٧).
(٢٣٤) أسد الغابة (٤/٧).
(٢٣٥) صحيح التوثيق ص(٧٧).
(٢٣٦) الطبقات (٣/٣٨)
(٢٣٧) فرائد الكلام ص(٣٤٨).
(٢٣٨)مفتاح دار السعادة (١/٣٧٧).
(٢٣٩) مدارج السالكين (٢/٢٥٩).
(٢٤٠) شرح مسلم للنووي (٣/٥).

عناية عظيمة[٢٤١]، فقد تحدث القرآن الكريم عن الحياء في الجانب النبوي في قوله (تعالى): **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾** [الأحزاب: ٥٣]، فترى كيف حمله الحياء على عدم مواجهة أصحابه بما كان يرغب فيه من خروجهم، ولم يستطع مشافهتهم بما يوده منهم[٢٤٢]، لأنه (ﷺ) كان أشد من العذراء في خدرها[٢٤٣]، وقد قال (ﷺ): «**الحياء لا يأتي إلا بخير**»[٢٤٤]، وقد تجسد هذا الحق في شخص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقد حدثنا عن هذا الخلق فقال: إني لأستحي من الله أن يكون ذنب أعظم من عفوي، أو جهل أعظم من حلمي، أو عورة لا يواريها ستري، أو خلة لا يسدها جودي[٢٤٥]، فهذه أربع صفات من النقص قابلهن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بأربع صفات من الكمال، فالحياء من الله (عز وجل) يقتضي من الإنسان أن يتصف بالعفو عند المقدرة، وذلك فيما إذا لم يكن الذنب فيه حد من حدود الله (تعالى) وأن يتصف بالعلم الذي يحتوي جهل الجاهلين، وأن يكون ستارًا لعيوب الناس، وأن يتسع كرمه لسد حاجة من احتاج إليه، ومما أعطى هذه الحكم وزنها الراجح أن أمير المؤمنين عليًا رضي الله عنه ربطها بالحياء من الله (تعالى)، فهذه الصفات الأربع تعتبر من صفات الكمال عند العقلاء، لكن كثيرًا من العقلاء يتصف بها لكسب السمعة الدنيوية وسياسة الأمور بكسب الناس ورضاهم، أما أمير المؤمنين علي رضي الله عنه فإنه ربطها بالحياء من الله (تعالى) لأن هدفه الأعلى ابتغاء مرضاة الله (جل وعلا)، ولا شك أن من هذا هدفه سيكون تمثيله لهذه الصفات أقوى بكثير ممن كان هدفه دنيويًا[٢٤٦].

### سادسًا: شدة عبوديته وصبره وإخلاصه لله (تعالى):

مارس علي رضي الله عنه مفهوم العبادة الشامل في حياته، وتميز بقيامه الليل، وأصبح من أهل التهجد الذين قال الله فيهم: **﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾** [السجدة: ١٦] وقال (تعالى): **﴿كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾** [الذاريات: ١٦-١٨] وقال (تعالى) فيهم: **﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾** [الفرقان: ٦٣-٦٤]وهذا ضرار بن ضمرة الكناني يصف علي بن أبي طالب لمعاوية ابن أبي

---

(٢٤١) أخلاق النبي في القرآن الكريم والسنة (١/ ٤٧٨).
(٢٤٢) أخلاق النبي في القرآن والسنة (١/ ٤٧٨).
(٢٤٣) مسلم رقم (٢٣٢٠).
(٢٤٤) مسلم رقم (٣٧).
(٢٤٥) تاريخ دمشق (٤٢/ ٥١٧) نقلاً عن التاريخ الإسلامي للحميدي(٢٠/ ٢٧٤).
(٢٤٦) التاريخ الإسلامي للحميدي (٢٠/ ٢٧٥).

سفيان رضي الله عنهم: كان يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته، وأشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه، وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه يتميل في محرابه، قابضًا لحيته، يتململ تململ السليم[٢٤٧]، ويبكي بكاء الحزين، فكأني أسمعه الآن وهو يقول: يا ربنا يا ربنا يتضرع إليه، ثم يقول للدنيا: أبيَ تَغَرّرت أَمْ إليَّ تشوَّفت هيهات هيهات، غرّي غيري، قد بتتُك[٢٤٨]ثلاثًا، فعمرك قصير، ومَجلسك حقير، وخطرك يسير[٢٤٩]، آه من قلة الزاد، وبعد السفر ووحشة الطريق، فوكَفت[٢٥٠]دموع معاوية على لحيته ما يملكها وجعل ينشفها بكمه، وقد اختنق القوم بالبكاء، فقال: كذا كان أبو الحسن (رحمه الله)، كيف وَجْدُكَ عليه يا ضرار؟ قال: وجد من ذبح زوجها في حجرها، لا يرقأ[٢٥١]دمعها، ولا يسكن حزنها. ثم قام فخرج[٢٥٢].

ودخل الأشتر النخعي على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وهو قائم يصلي بالليل، فقال له: يا أمير المؤمنين، صوم بالنهار وسهر بالليل وتعب فيما بين ذلك، فلما فرغ «علي» من صلاته قال له: سفر الآخرة طويل، فيحتاج إلى قطعه بسير الليل[٢٥٣]، وكان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يحث الناس على تقوى الله ومراقبته، وخشيته، فقد قال: أيها الناس، اتقوا الذي إن قلتم سمع وإن أضمرتم علم، وبادروا الموت الذي إن هربتم أدرككم وإن أقمتم أخذكم[٢٥٤]، وكان يقول: يا أيها الناس خذوا عني هؤلاء الكلمات، فلو ركبتم المطي حتى تنضوها -يعني تهزلوها- ما أصبتم مثلها: لا يرجون عبد إلا ربه، ولا يخافن إلا ذنبه، ولا يستحي إذا لم يعلم أن يتعلم، ولا يستحي إذا سئل عما لا يعلم أن يقول: لا أعلم، واعلموا أن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا خير في جسد لا رأس له[٢٥٥]. ففي هذه الوصية الجمع بين تصحيح التوحيد، والإرشاد إلى آداب العلم، حيث يوصي رضي الله عنه بتصحيح الاتجاه في مقامي الخوف والرجاء، فالمؤمن الحق لا يرجو إلا الله لأنه وحده المنعم بسائر النعم، والذي تجري على أيديهم النعم من المخلوقين إنما هم وسائط وأسباب في وصول تلك النعم، أما منشئ النعم وموجدها فهو الله (سبحانه وتعالى)، والمؤمن الحق لا يخاف إلا من الله (تعالى) لأنه هو الذي يملك ضره ونفعه،

---

(٢٤٧) السليم: الملدوغ.
(٢٤٨) بتتك: أي طلقتك.
(٢٤٩) خطر: بمعنى القدر والمنزلة.
(٢٥٠) فوكفت: أي سالت.
(٢٥١) يرقأ: لا يسكن ولا يجف.
(٢٥٢) حلية الأولياء (١/ ٨٤-٨٥)، الرقة والبكاء ص(١٩٨).
(٢٥٣) لطائف المعارف لابن رجب، التحمس لقيام الليل، محمد صالح ص(٩٣).
(٢٥٤) أدب الدنيا والدين ص(١٢٣)، فرائد الكلام ص(٣٦٩).
(٢٥٥) حلية الأولياء (١/ ٧٥)، صفة الصفوة (١/ ٣٢٦).

والمخلوقون الذين يتوهم الناس أنهم مصدر خوف إنما هم وجميع الخلق في قبضة الله (تعالى)، وإذا كان الله (تعالى) وحده هو الرازق وهو الخالق وحده، وهو المالك وحده القادر على كل شيء، فلم يرجو المؤمن سواه أو يخاف من غيره؟! ولقد عبر أمير المؤمنين علي رضي الله عنه عن الخوف من الله (تعالى) بالخوف من الذنوب؛ لأن المراد هو الخوف من عاقبتها وهو عذاب الله (تعالى) فهو إرشاد إلى أهم الطرق الموصلة إلى تحقيق مقام الخوف من الله (تعالى)، ثم بين شيئًا من آداب التعلم لأن أمور الدين إنما تؤخذ بالعلم، فيذكر من آداب المتعلم: ألا يمنعه الحياء من التعلم حتى لو كان كبير السن أو القدر، ويذكر من آداب المعلم: ألا يمنعه الحياء من أن يقول: لا أعلم فيما لا علم له به؛ لأن ذلك يحفظ عليه دينه ودين من سأله، ثم يختم وصيته النافعة ببيان أصل من أصول الإيمان ألا وهو الصبر حيث يعتبره من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، وذلك أن نجاح الأمور كلها يقوم على الصبر سواء في أمور الدنيا أو الآخرة[٢٥٦]، وقد مارس أمير المؤمنين علي رضي الله عنه مقام الصبر في حياته منذ نعومة أظافره، وإسلامه سرًا مع رسول الله (ﷺ) مرورًا بما لاقاه في المغازي والسرايا وعهد الخلفاء الراشدين وما صحبها من أحداث جسام، ومن ثم ما واجهه من صنوف الفتن في خلافته، إلى أن انتهى الأمر بقتله، كل هذه المراحل في حياته فيها الدروس البليغة لدعاة اليوم، والتنبيه لهم لما تحتاجه الدعوة إلى الله (سبحانه وتعالى) من الصبر والتحمل ودفع الثمن[٢٥٧]ابتغاء مرضاة الله (تعالى)، وكان رضي الله عنه يحث أصحابه على مقام الصبر، فقد قال رضي الله عنه للأشعث بن قيس: إنك إن صبرت جرى عليك القلم وأنت مأجور، وإن جزعت جرى عليك القلم وأنت مأزور[٢٥٨]، وقال رضي الله عنه: ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا قطع الرأس بار الجسم، ثم رفع صوته فقال: ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له[٢٥٩]، وقال: الصبر مطية لا تكبو، والصبر له مكانته المعروفة في دين الله، فقد ذكر الله (تعالى) الصبر في آيات كثيرة منها قوله (تعالى): ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، وقد جاء ذكر فضائله في أحاديث كثيرة، والصبر له ثلاثة أقسام وهي: الصبر على طاعة الله، والصبر عن معصية الله، والصبر على البلاء.

وقد كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب حريصًا على أن تكون أعماله خالصة لوجه الله (تعالى)، عاملاً بقوله (تعالى): ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩]، وقوله (تعالى): ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف ١١٠]، وقوله (تعالى): ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: ١٤]، وقوله (جل

(٢٥٦) التاريخ الإسلامي (١٢/ ٤٣٤).
(٢٥٧) منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله ص(٥٢٥).
(٢٥٨) أدب الدنيا والدين ص(٢٧٨)، فرائد الكلام ص(٣٧١).
(٢٥٩) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم ص(١٥٣).

شـأنه): ﴿هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [غافر: ٦٥]، فقـد كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قد تعلم من رسول الله (ﷺ) أن الأعمال لا تقبل إلا إذا خلصت النيـة، فمعنـى ذلك أن الإخلاص ركن أساسـي في العبـادة، وأن العبادة التـي يفقد مـنها الإخلاص ترد على صاحبها، كـما جاء في الحديث القدسي: «أنا أغنى الشركـاء عن الشرك من عمل عمـلاً أشرك فيه غيري تركـته وشركه»(٢٦٠)، فقد كـان علي رضي الله عنه محاربًا للشرك بجـميع أشكاله وأنواعـه سواء شـرك الربوبية أو شرك الألوهيـة، وكان حـريصًا في سكناته وحركـاته أن تكون أعماله خالصـة لوجه الله (تعالى) وكان يحث الناس ـ خـصوصًا طلاب العلم- على البعـد عن الرياء، فقد قال رضي الله عنه: يا حـملة العلم، اعملوا به، فإنما العالم من عـمل بما علم، ووافق عمله علمه، وسيكون أقـوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهـم، تخالف سريرتهم علانيـتهم، ويخالف عملهم علمـهم، يجلسون حلقًا، فـيباهي بعضهم بعضًا، حتى أن أحدهـم ليغضب على جليسه حين يجلس إلى غيره ويدعه، أولئك لا تصعد أعمالهم في مـجالسهم تلك إلى الله (عز وجل)(٢٦١)، وقد أشار أمـير المؤمنين علي رضي الله عنه إلى إحدى الأمراض الخطيرة عند بعض من يجلس للتعليم للمباهاة والسمعة، ويغضب على طلابه لو تركوه وذهبوا لغيره،ولو كـان هذا الذهاب فيه مصلحة لهم، فليست مصلحـة طلابه عنده هي المهمـة، بل المهم عنده مكانته وسمـعته، وإن لـم يقل ذلك بلسان المقال، فإنه يتـبين من حكاية الحال(٢٦٢)، لأن من إخلاص الداعي إلى الله أن يكون همه أن يتبع الناس الحق ولو خالفوا رأيه، وهذه حـال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقد قال: اقضوا كما كنتم تقضون فـإني أكره الاختلاف حتى يكون الناس جماعة، أو أموت كما مات أصحابي(٢٦٣)، وكان ذلك في رأي رآه في عدم جواز بيع أم الولد، وكان عمر يرى رأيه هذا ثم رجع علي عن رأيه الأول فـرأى أنهن يبعن(٢٦٤)، وهذا تعليـم للدعـاة وطلاب العلم أن الخـلاف في الرأي المشروع أمـر طبيـعي يجب ألا تضيق به الصـدور ولا يؤثر على وحدة الصف، إن دعاة اليـوم في أشد الحاجة أن يراجعـوا أنفسهم في هذا الخلق -وأين هم منه- وأن يتضرعـوا إلى الله أن يمدهم بهذه الصفة الجميلـة حتى ينالوا ثواب الله بعد مماتهم، وتثمـر دعوتهم إلى الله في دنياهم، لقـد كانت عبـادة علي رضي الله عنه قائمة على كـمال الإخلاص لله (تعالى)، واتباع هدى النبي (ﷺ)، فالله هو المستحق للعبادة وحده، فقد كانت حيـاته كلها عبادة، ينتـقل فيها مـن نوع إلى نوع، ومن حال إلى حال، يمتثل قـول الله (عز وجل): ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ

(٢٦٠) مسلم، ك الزهد رقم (٥٩٨٥).
(٢٦١) سنن الدارمي في المقدمة (١/ ١٠٦)، الجامع لأخلاق الراوي (١/ ٩٠).
(٢٦٢) منهج علي بن أبي طالب ص(٥١٣).
(٢٦٣) البخاري، ك فضائل الصحابة (٣/ ٢٣).
(٢٦٤) فتح الباري (٧/ ٧٣).

أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]، لقد كانت العبادة عاملاً مهما في تزكية الأخلاق والاستقامة عَلى شرع الله (تعالى)، ولذلك عرّف أمير المؤمنين الاستقامة في تفسيره لمعنى استقاموا فقال: أدوا الفرائض[٢٦٥].

**سابعًا: شكره لله:**

والشكر هو صرف العبد كل ما أنعم به عليه إلى ما خلق لأجله[٢٦٦]، يعني من نعمه الظاهرة والباطنة في النفس والمال، فيصرف ذلك كله إلى عبادة ربه بما يليق بكل جارحة على الوجه الأكمل، وإذا ما فعل ذلك قد أظهر نعم الله عليه، وأدى واجب شكرها[٢٦٧]. يعتبر الشكر من أجل الأخلاق السلوكية الإيمانية التي على المؤمن أن يتحلى بها في كل أحواله لما فيه من الاعتراف بالنعم لمسديها، وقد دل على عظم مكانته انضواء جل الأخلاق الإيمانية تحته -من محبة ورضا وتوكل- لأن الشكر لا يتم إلا بعد التحلي بها، ولا يكون إلا عند استشعارها[٢٦٨]، ولقد كانت عناية القرآن الكريم بهذا الخلق عظيمة كعظم مكانته في الأخلاق، فقد ورد ذكره في نحو من سبعين آية، أمرًا به، وحثًا عليه، وثناء على أهله، ووعدًا لهم بحسن جزائه، ونهيًا عن ضده مما يدل على أن هذا الخلق عظيم الشأن[٢٦٩]، فقد قرن الله (سبحانه) في كتابه الذكر بالشكر فقال (تعالى): ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وقرن (سبحانه) العبادة بالشكر، قال (تعالى): ﴿فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٧]. مما يدل على تلازم العبودية بالشكر تلازمًا وثيقًا[٢٧٠]وكان رسول الله (ﷺ) صاحب القدح المعلى في كل الأخلاق الحميدة -ومنها هذا الخلق- وربى أصحابه -ومنهم علي بن أبي طالب- على هذا الخلق، فكان لا يشعر بنعمة إلا شكر الله عليها، وكان إذا خرج من الخلاء مسح بطنه بيده، وقال: يا لها من نعمة لم يعلم العباد شكرها[٢٧١]، وعن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أنه قال لرجل من أهل همدان: إن النعمة موصولة بالشكر، والشكر متعلق بالمزيد، وهما مقرونان في قرن، فلن ينقطع المزيد من الله (عز وجل) حتى ينقطع الشكر من العبد[٢٧٢]، وكان رضي الله عنه يرى أن من شكر النعمة العفو عن الخصم، فقد قال رضي الله عنه: إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكرًا للمقدرة عليه[٢٧٣].

---

(٢٦٥) زاد المسير (٧/ ٢٥٤).

(٢٦٦) التوقيف على مهمات التعاريف ص(٤٣٥).

(٢٦٧) أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة ص(١٨٥).

(٢٦٨) مدارج السالكين (٢/ ٢٤٩).

(٢٦٩) أخلاق النبي في القرآن والسنة (١/ ١٨٦).

(٢٧٠) المصدر نفسه (١/ ١٨٧).

(٢٧١) عدة الصابرين ص(١٢٢)، علو الهمة (٥/ ٤٨١).

(٢٧٢) الشكر لابن أبي الدنيا، نقلاً عن علو الهمة (٥/ ٤٨١).

(٢٧٣) الإعجاز والإيجاز للثعالبي ص(٣٠).

**ثامنًا: الدعاء لله:**

فالدعاء باب عظيم، فإذا فتح للعبد تتابعت عليه الخيرات وانهالت عليه البركات، ولذلك حرص أمير المؤمنين على حسن الصلة بالله وكثرة الدعاء، قال (تعالى): ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]. وقال (تعالى): ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقد لازم أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه رسول الله (ﷺ) ورأى كيف كان رسول الله (ﷺ) يستغيث بالله ويستنصره ويطلب المدد منه، وقد حرص أمير المؤمنين على أن يتعلم هذه العبادة من رسول الله، وأن يكون دعاؤه وتسبيحه على الصيغة التي يأمر بها رسول الله ويرتضيها، إذ ليس للمسلم أن يفضل على الصيغة المأثورة في الدعاء والتسبيح والصلاة على النبي صيغًا أخرى مهما كانت في ظاهرها حسنة اللفظ، جيدة المعنى، لأن رسول الله (ﷺ) وهو معلم الخير والهادي إلى الصراط المستقيم، وهو أعرف بالأفضل والأكمل وقد نسب أقوام من الدعاء والذكر المبتدع لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب كذبًا وزورًا وبهتانًا، فمن كان محبًا لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه، فعليه أن يتبع هديه ومنهجه، فقد أرشدنا لمتابعة النبي (ﷺ) في الأقوال والأفعال، وكان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه صاحب دعوة مستجابة، فعن زاذان أبي عمر أن رجلاً حدث عليًا بحديث فقال: ما أراك إلا قد كذبتني، قال: لم أفعل قال: أدعو عليك إن كنت كذبت، قال: ادع. فدعا فما برح حتى عمي(٢٧٤)، وكان رضي الله عنه يقول عندما يثنى عليه: اللهم اغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني خيرًا مما يظنون(٢٧٥)، ويروي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: «إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله، وليرد عليه من حوله: يرحمك الله، وليرد عليهم: يهديكم الله، ويصلح بالكم» (٢٧٦)، وفي هذا الفعل من حسن الخلق والتأدب مع الله (سبحانه وتعالى) بحمده والثناء عليه في مناسبة أمر فيها العبد بذلك.

قال الحليمي: العطاس يدفع الأذى من الدماغ، الذي فيه قوة الفكر، ومنه منشأ الأعصاب، التي هي معدن الحس وبسلامته تسلم الأعضاء، فيظهر بذلك أنها نعمة جليلة، فناسب أن تقابل بالحمد لله، لما فيه من الإقرار لله بالخلق والقدرة، وإضافة الخلق إليه لا إلى الطبائع(٢٧٧)، وبين أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أدبًا من آداب المسافر فيما يرويه عن

(٢٧٤) البداية والنهاية (٨/ ٦).

(٢٧٥) فرائد الكلام، موعظة المؤمنين(٢/ ٢٢٨).

(٢٧٦) سنن ابن ماجه (٢/ ١٢٢٤)، صحيح سنن ابن ماجه للألباني (٢/ ٣٠٣).

(٢٧٧) فتح الباري(١٠/ ٦٠٢).

رسول الله (ﷺ) بقوله: كان النبي (ﷺ) إذا أراد سفرًا قال: «**بك اللهم أصول وبك أجول، وبك أسير**»[٢٧٨]. وبين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أدبًا آخر من آداب المسافر، وذلك لما أراد سفرًا ووضع رجله في الركاب قال: بسم الله، فلما استوى قال: الحمد لله، ثم قال: سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون، ثم حمد الله ثلاثًا، وكبر ثلاثًا، ثم قال: اللهم لا إله إلا أنت، ظلمت نفسي فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، ثم ضحك، وقال: فقيل: ما يضحكك يا أمير المؤمنين؟ قال: رأيت النبي (ﷺ) فعل مثل ما فعلت، وقال مثل ما قلت، ثم ضحك، فقلنا: ما يضحكك يا نبي الله قال: «**عجبت للعبد، إذا قال: لا إله إلا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، يعلم أنه لا يغفر الذنوب إلا هو**»[٢٧٩]، وعن ابن أعبد قال: قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: يا ابن أعبد، هل تدري ما حق الطعام؟ قال: قلت: وما حقه يا ابن أبي طالب؟ قال: تقول: بسم الله، اللهم بارك لنا فيما رزقتنا، قال: وتدري ما شكره إذا فرغت، قال: قلت: وما شكره؟ قال: تقول: الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا[٢٨٠]، وكان رضي الله عنه إذا رأى الهلال قال: اللهم إني أسألك خير هذا الشهر فتحه ونصره وبركته ورزقه ونوره وطهوره وهداه، وأعوذ بك من شره وشر ما فيه وشر ما بعده[٢٨١]، وكان يقول في السجود: رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي[٢٨٢]، وكان يقول بين السجدتين: «اللهم اغفر لي وارحمني واجبرني وارزقني»[٢٨٣]، وكان يُعَلِّم من دخل السوق هذا الدعاء فيقول: «إذا دخلت السوق فقل: بسم الله الرحمن الرحيم، توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم إني أعوذ بك من يمين فاجرة، وصفقة خاسرة، ومن شر ما أحاطت به هذه السوق»[٢٨٤]، وكان يقول: «ما من كلمات أحب إلى الله أن يقول العبد: اللهم لا إله إلا أنت، اللهم لا أعبد إلا إياك، الهم لا أشرك بك شيئا، اللهم إني ظلمت نفسي فاغفر لي ذنوبي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»[٢٨٥]، وكان يقول: « اللهم ثبتنا على كلمة العدل بالرضى والصواب، وقوام الكتاب، هادين مهديين، راضيين مرضيين، غير ضالين، ولا مضلين»[٢٨٦]، ومن أدعيته رضي الله عنه: «اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء، وبجبروتك التي غلبت بها كل شيء، وبعظمتك التي غلبت بها كل شيء، وسلطانك

---

(٢٧٨) مسند أحمد(٢/ ٨٣) إسناده صحيح قاله أحمد شاكر.

(٢٧٩) مسند أحمد (٢/ ١٨٣) إسناده صحيح قاله أحمد شاكر.

(٢٨٠) مسند أحمد (٢/ ٣٢٩) قال المحقق: إسناده حسن.

(٢٨١) كنز العمال رقم (٢٤٣١٠)، فقه علي بن أبي طالب، قلعجي ص(٢٥١).

(٢٨٢) فقه علي بن أبي طالب، قلعجي ص(٢٥١).

(٢٨٣) المصدر نفسه ص(٢٥١).

(٢٨٤) فقه علي بن أبي طالب ص(٢٥١).

(٢٨٥) مصنف ابن أبي شيبة (٢/ ١٤٩).

(٢٨٦) فقه علي بن أبي طالب ص(٢٥٢).

الذي ملأت به كل شيء، وبقوتك التي لا يقوم لها شيء، وبنورك الذي أضاء له كل شيء، وبعلمك الذي أحاط بكل شيء، وباسمك الذي تبيد كل شيء، وبوجهك الباقي بعد فناء كل شيء يا الله يا رحمن يا رحيم، اغفر لي الذنوب التي تنزل النقم، والذنوب التي تورث الندم، واغفر لي الذنوب التي تحبس القسم، واغفر لي الذنوب التي تغير النعم، واغفر لي الذنوب التي تنزل البلاء، وتديل الأعداء، واغفر لي الذنوب التي تحبس غيث السماء وترد الدعاء، واغفر لي الذنوب التي تردني إلى النار»(٢٨٧)، وهذا الدعاء يبين افتقار أمير المؤمنين علي رضي الله عنه إلى ربه وخوفه من ذنوبه، ويعلمنا كيفية التعامل مع أسماء الله الحسنى ودعاء الله بها (سبحانه وتعالى)، وهذا الدعاء يسلط الأضواء على عبودية أمير المؤمنين لله (عز وجل).

وعن علي رضي الله عنه قال: لقنني رسول الله (ﷺ) هؤلاء الكلمات وأمرني إن نزل بي كربة أو شدة أن أقولها: «**لا إله إلا الله الحليم الكريم (سبحانه)، تبارك الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين**»(٢٨٨)، وكان عبد الله بن جعفر يلقنها الميت وينفث بها على الموعوك(٢٨٩)، ويعلمها المغتربة من بناته(٢٩٠). هذه بعض صفاته التي كانت ثمارًا لتوحيده وإيمانه بالله واستعداده للقدوم على الله (تعالى)، وسوف يلاحظ القارئ الكريم كثيرًا من صفاته بإذن الله (تعالى)، كالشجاعة والحلم والفصاحة والبلاغة وغيرها من الصفات من خلال الأحداث التي نمر بها في هذا الكتاب.

**تاسعًا: المرجعية العليا لدولة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه:**

كانت المرجعية العليا لدولة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: كتاب الله، وسنة رسوله (ﷺ)، والاقتداء بالشيخين في هديهم.

**١- فالمصدر الأول: هو كتاب الله:**

قال (تعالى): ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا**﴾ [النساء: ١٠٥]، فكتاب الله (تعالى) يشتمل على جميع الأحكام الشرعيّة التي تتعلق بشؤون الحياة، كما بين القرآن الكريم للمسلمين كل ما يحتاجون إليه من أسس تقوم عليها دولتهم، وقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ... الزموا دينكم واهتدوا بهدي نبيكم، واتبعوا سنته، واعرضوا ما أشكل عليكم على القرآن، فما عرفه القرآن فالزموه، وما أنكره فردوه(٢٩١).

---

(٢٨٧) فقه علي بن أبي طالب ص(٢٥٢).
(٢٨٨) سنن البيهقي (٧/ ١٢٩)، معرفة الصحابة لأبي نعيم رقم (٣٥٢).
(٢٨٩) الموعوك من الوعك وهو الحمى وقيل: ألمها.
(٢٩٠) فضائل الصحابة (٢/ ٨٢٠) إسناده حسن.
(٢٩١) البداية والنهاية (٧/ ٢٤٦).

**٢- المصدر الثاني: السنة المطهرة:**

التي يستمد منها الدستور الإسلامي أصوله ومن خلاله يمكن معرفة الصيغ التنفيذية والتطبيقية لأحكام القرآن الكريم[٢٩٢]، فقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: واقتدوا بهدي نبيكم (ﷺ)، فإنه أفضل الهدي واستنوا بسنته، فإنها أفضل السنن[٢٩٣].

**٣- الاقتداء بالخلفاء الراشدين الذين سبقوه:**

قال رسول الله (ﷺ): «اقتدوا باللذين من بعدي: أبي بكر وعمر»[٢٩٤]. وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما: ... والذي خلق الحبة وبرأ النسمة، لا يحبهما إلا مؤمن تقي، ولا يبغضهما إلا فاجر ردي، صحبا رسول الله على الصدق والوفاء، يأمران وينهيان وما يجاوزان فيما يصنعان رأي رسول الله، ولا كان رسول الله يرى بمثل رأيهما، ولا يحب كحبهما أحدًا، ، قضى رسول الله وهو عنهما راض ومضيا والمؤمنون عنهما راضون، واستمر في حديثه إلى أن قال في أبي بكر: وكان والله خير من بقي، أرحمه رحمة، وأرأفه رأفة، وأثبته ورعًا، وأقدمه سنًا وإسلامًا، فسار فينا سيرة رسول الله حتى مضى على ذلك، ثم ولي عمر الأمر من بعده... فأقام الأمر على منهاج النبي (ﷺ) وصاحبه، يتبع آثارهما كتباع الفصيل[٢٩٥]أمه ... إلى أن قال: فمن لكم بمثلهما (رحمة الله عليهما) ورزقنا المضي على سبيلهما، فإنه لا يبلغ مبلغهما إلا باتباع آثارهما والحب لهما، ألا من أحبني فليحبهما ومن لم يحبهما فقد أبغضني وأنا منه بريء[٢٩٦]، وكان رضي الله عنه يدافع عن اجتهادات عثمان بن عفان ويقول: يا أيها الناس لا تغلوا في عثمان، ولا تقولوا له إلا خيرًا -أو قولوا خيرا- فوالله ما فعل الذي فعل- أي في المصاحف- إلا عن ملأ منا جميعًا - أي الصحابة.. ووالله لو وليت لفعلت مثل الذي فعل[٢٩٧]، وكان يقول: ما كنت لأحل عقدة شدها عمر[٢٩٨].

**عاشرًا: حق الأمة في الرقابة على الحكام:**

إن للأمة الحق في مراقبة الحكام وتقويمهم قال (تعالى): ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]. وكان أول ما قاله أمير المؤمنين علي رضي الله عنه إثر توليه: إن هذا أمركم ليس لأحد فيه

---

(٢٩٢) فقه التمكين في القرآن الكريم للصلابي ص(٤٣٢).
(٢٩٣) البداية والنهاية (٧/٣١٩).
(٢٩٤) صحيح سنن الترمذي (٣/ ٢٠٠).
(٢٩٥) الفصيل ولد الناقة إذا فصل عن أمه.
(٢٩٦) شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي رقم (٤٤٥٦).
(٢٩٧) فتح الباري (٩/ ٨) إسناده صحيح.
(٢٩٨) المختصر من كتاب الموافقة ص(١٠٤)، إسناده منقطع ابن أبي شيبة المصنف رقم (١٢٠).

حق إلا من أمرتم إلا أنه ليس لي أمر دونكم[٢٩٩]، وهذا نفس ما قاله أبو بكر عندما تولى حيث قال: فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني[٣٠٠]، وما قاله عمر: أحب الناس إلي من رفع إلي عيوبي[٣٠١]، وقال: إني أخاف أن أخطئ فلا يردني أحد منكم تهيبًا مني[٣٠٢]، وما قاله عثمان: إن وجدتم في كتاب الله أن تضعوا رجلي في القيد فضعوا رجلي في القيد[٣٠٣]، وبذلك يكون قد جرى العمل في عهد الخلفاء الراشدين على التسليم للأمة بحق الرقابة على الحكام ولم ينكره أحد فدل ذلك على الإجماع[٣٠٤] كما أن إجماع الصحابة -حكامًا ومحكومين- في عهد الخلافة الراشدة ليس له إلا معنى واحد وهو الفهم الصحيح للكتاب، والطريق السليم للعمل بالسنة، فهم الذين عاصروا عهد تنزيل الكتاب وعاشوا طريقة النبي (ﷺ) في إقامة حياة الناس عليه، فهم أفهم الناس لروح الدين، وأعرف بمقاصد الشرع، وأقدر الناس على التمييز بين الحق والباطل، ومن المستبعد -بل من المحال- أن يجتمعوا على باطل، لقول النبي (ﷺ): «**إن أمتي لا تجتمع على ضلالة**»[٣٠٥]، ولهذا كان إجماعهم حجة يسوغ أن تراعى وتوضع ضمن مصادر الدستور الإسلامي، وإجماع الأمة قد يكون على فهم نص، ويجوز أن ينعقد الإجماع عن اجتهاد وقياس، ويكون حجة[٣٠٦]، إن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه كان يحث الناس في خلافته على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد خطب ذات يوم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أيها الناس إنما هلك من هلك قبلكم بركوبهم المعاصي ولم ينههم الربانيون والأحبار، فأخذتهم العقوبات، فمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن ينزل بكم مثل الذي نزل بهم، واعلموا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقطع رزقًا ولا يقرب أجلاً»[٣٠٧].

**الحادي عشر: الشورى:**

إن من قواعد الدولة الإسلامية: حتمية تشاور قادة الدولة وحكامها مع المسلمين والنزول على رضاهم ورأيهم وإمضاء نظام الحكم بالشورى، قال (تعالى): ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وقال

---

(٢٩٩) تاريخ الطبري(٥/ ٤٤٩، ٤٥٧).

(٣٠٠) البداية والنهاية (٦/ ٣٠٥).

(٣٠١) الشيخان أبو بكر وعمر من رواية البلاذري ص(٢٣١).

(٣٠٢) المصدر نفسه ص(٢٣١)، نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين ص(١٩٨).

(٣٠٣) مسند أحمد الموسوعة الحديثية رقم (٥٢٤).

(٣٠٤) الدولة والسيادة في الفقه الإسلامي، فتحي عبد الكريم ص(٣٧٨).

(٣٠٥) سنن ابن ماجه (٢/ ٢٦٤) رقم (٤٠١٤).

(٣٠٦) روضة الناظر وجنة المناظر (١/ ٣٨٥).

(٣٠٧) تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ١٥)، تفسير ابن كثير (٢/ ٦٠٣).

(تعـــالى): ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى: ٣٨]. لقد قرنت الآية الكريمة حكم الشورى بين المسلمين بإقامة الصلاة، فدل ذلك على أن حكم الشورى كحكم الصلاة، وحكم الصلاة واجبة شرعًا، فكذلك الشورى واجبة شرعًا[٣٠٨]، وقد كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه حريصًا على التزام منهج الشورى في تصرفاته وأعماله وقراراته، فمن ذلك أنه حينما وصل إليه كتاب من قائده معقل بي قيس الرياحي المكلف بمحاربة الخريث بن راشد الخارجي جمع أصحابه وقرأ عليهم كتابه واستشارهم وطلب منهم الرأي حيث اجتمع رأي عامتهم على قول واحد وهو : نرى أن تكتب إلى معقل بن قيس فيتبع أثر الفاسق فلا يزال في طلبه حتى يقتله أو ينفيه فإنا لا نأمن أن يفسد عليك الناس[٣٠٩]، ومما روي عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في الشورى قوله: الاستشارة عين الهداية وقد خاطر من استغنى برأيه[٣١٠]، وقوله: نعم المؤازرة المشاورة وبئس الاستعداد الاستبداد [٣١١]، وقوله : رأي الشيخ خير من مشهد الغلام[٣١٢]، ومما أوصى به أمير المؤمنين علي مالك بن الحارث الأشتر حين بعثه إلى مصر في الشورى قوله: لا تدخلن في مشورتك بخيلاً فيعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر، ولا جبانًا فيضعفك عن الأمور، ولا حريصًا فيزين لك الشر بالجور، فإن البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله[٣١٣]، وكان علي رضي الله عنه يعلم أن الحاكم إذا لم يكن له مستشارون فلا يعلم محاسن دولته ولا عيوبها، وسوف يغيب عنه الكثير من شؤون الدولة وقضايا الحكم، وكان يعلم أن الشورى تعرفه ما يجهله، وتضع أصابعه على ما لا يعرفه، وتزيل شكوكه في كل الأمور التي يقدم عليها، فها هو يقول للأشتر النخعي عندما ولاه مصر: انظر في أمور عمالك الذين تستعملهم، فليكن استعمالك إياهم اختيارًا ولا يكن محاباة ولا إيثارًا، فإن الأثرة بالأعمال -أي الاستبداد بلا مشورة- والمحاباة بها جماع من شعب الجور والخيانة لله وإدخال الضرر على الناس وليست تصلح أمور الناس ولا أمور الولاة إلا بإصلاح من يستعينون به على أمورهم، ويختارونه لكفاية ما غاب عنهم، فاصطف لولاية أعمالك أهل الورع والعفة والعلم والسياسة والصق بذوي التجربة والعقول والحياء من أهل البيوتات الصالحة وأهل الدين والورع، فإنهم أكرم أخلاقًا وأشد لأنفسهم صونًا وإصلاحًا وأقل في المطامع إسرافًا وأحسن في عواقب الأمور نظرًا من غيرهم فليكونوا عمالك وأعوانك[٣١٤].

---

(٣٠٨) النظام السياسي في الإسلام لأبي فارس ص(٩). (٣٠٩) تاريخ الطبري (٦/ ٣٩).
(٣١٠) أدب الدنيا والدين للماوردي ص(٨٩، ٢٩١)، الإدارة العسكرية(١/ ٢٧٩).
(٣١١) نهاية الأرب (٦/ ٦٩) نقلاً عن الإدارة العسكرية (١/ ٢٧٩).
(٣١٢) المصدر نفسه (٦/ ٧٥)، المصدر نفسه (١/ ٢٧٩).
(٣١٣) الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية (١/ ٢٧٩)
(٣١٤) نهاية الأرب(٦/ ٢١)، في الحكم الإسلامي ص(١٥١) الشورى بين الأصالة والمعاصرة ، عز الدين التيمي ص(١٠٢).

**الثاني عشر: العدل والمساواة:**

إن من أهداف الحكم الإسلامي: الحرص على إقامة قواعد النظام الإسلامي التي تساهم في إقامة المجتمع المسلم ومن أهم هذه القواعد العدل والمساواة، وقد قام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بإقامة العدل بين الناس، وقد تضافرت كل الخصال الحميدة والمعطيات العلمية والفقهية التي جعلته مؤهلاً للقيام بدوره هذا على أكمل وجه، حتى أن الرسول (ﷺ) لثقته به وبقدراته بعثه قاضيًا إلى اليمن[٣١٥]، وقد دعا له رسول الله بهذا الدعاء العظيم: «اللهم ثبت لسانه، واهد قلبه»[٣١٦]، ولذلك كان من الطبيعي أن يقيم حكمه على العدل الشامل وأن يجعله على رأس غايات وأهداف الحكم لأن به تستقيم الأمور وتظهر المودة بين الرعية[٣١٧]، ولا شك أن العدل في فكر أمير المؤمنين علي هو عدل الإسلام، الذي هو الدعامة الرئيسية في إقامة المجتمع الإسلامي والحكم الإسلامي، فلا وجود للإسلام في مجتمع يسوده الظلم ولا يعرف العدل، لقد كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قدوة في عدله أسر القلوب وبهر العقول، فالعدل في نظره الذي يسعى لتطبيقه في الحكم هو أحد أهم ركائز الخلافة الراشدة وهو دعوة عملية للإسلام تفتح قلوب الناس للإيمان، وقد سار على ذات نهج الرسول (ﷺ) فكانت سياسته تقوم على العدل الشامل بين الناس، فعن شريح قال: لما توجه علي رضي الله عنه إلى حرب معاوية رضي الله عنه، افتقد درعًا له، فلما انقضت الحرب ورجع إلى الكوفة، أصاب الدرع في يد يهودي يبيعها في السوق، فقال له: يا يهودي، هذا الدرع درعي، لم أبع ولم أهب. فقال اليهودي: درعي وفي يدي. فقال علي: نصير إلى القاضي، فتقدما إلى شريح، فجلس علي إلى جنب شريح، وجلس اليهودي بين يديه.

فقال شريح: قل يا أمير المؤمنين، فقال: نعم أقول: إن هذه الدرع التي في يد اليهودي درعي، لم أبع ولم أهب. فقال شريح: يا أمير المؤمنين بينة قال: نعم قنبر[٣١٨] والحسن والحسين يشهدون أن الدرع درعي، قال: شهادة الابن لا تجوز للأب، فقال: رجل من أهل الجنة لا تجوز شهادته؟ سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»[٣١٩]. فقال اليهودي: أمير المؤمنين قدمني إلى قاضيه، وقاضيه قضى عليه؟ أشهد أن هذا الحق، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وأن الدرع درعه، كنت راكبًا على جملك الأورق وأنت متوجه إلى صفين، فوقعت منك ليلاً، فأخذتها. قال: أما إذ قلتها فهي لك، وحمله على فرس، فرأيته وقد خرج فقاتل مع علي الشراة بالنهروان[٣٢٠].

(٣١٥) نظام الحكم في العهد الراشدي، حمد العمد ص(١٤١).
(٣١٦) فضائل الصحابة (٢/ ٨٧١) إسناده حسن رقم (١١٩٥).
(٣١٧) نظام الحكم في العهد الراشدي ص(١٤١).
(٣١٨) مولى لعلي رضي الله عنه.
(٣١٩) مصنف ابن أبي شيبة رقم (١٢٢٢٥)، المستدرك (٣/ ١٦٦) حديث صحيح من أوجه كثيرة.
(٣٢٠) الشراة: الخوارج. النهروان: بين واسط وبغداد.

ومن أمثلة عدله في الحكم: عن ناحية القرشي عن أبيه قال: كنا قيامًا على باب القصر إذ خرج علي علينا فلما رأيناه تنحينا عن وجهه هيبة له، فلما جاز صرنا خلفه، فبينما هو كذلك إذ نادى رجل: يا غوثا بالله، فإذا رجلان يقتتلان، فلكز صدر هذا وصدر هذا، ثم قال لهما: تنحيا، فقال أحدهما: يا أمير المؤمنين إن هذا اشترى مني شاة وقد شرطت عليه ألا يعطيني مغموزا ولا محذقًا -يعني الدراهم المعيبة- فأعطاني درهما مغموزًا فرددته عليه فلطمني، فقال الآخر: ما تقول؟ قال: صدق يا أمير المؤمنين قال: فأعطه شرطه، ثم قال للاطم: اجلس ، وقال للملطوم: اقتص، قال: أو عفو يا أمير المؤمنين. قال: ذلك إليك، قال: فلما جاز الرجل قال علي: يا معشر المسلمين خذوه، قال: فأخذوه فحمل على ظهر رجل كما يحمل صبيان الكتاب، ثم ضربه خمس عشرة درة، ثم قال: هذا نكال لما انتهكت من حرمته، وفي رواية أنه قال: هذا حق السلطان(٣٢١)، هذا وإن هذا الخبر ليعتبر مثلاً عاليًا للتواضع حيث يخرج أمير المؤمنين من بيته إلى السوق يتفقد أحوال الناس، ويقوم بنفسه في حل مشكلاتهم، وهو نوع من السلوك العالي الذي يبرز وجود الولاة في واقع حياة الرعية سواء قام بذلك الوالي الأكبر أو من دونه، ولا يلزم تكرر هذا الوجود كل يوم، إذ يكفي شعور الناس بأن الولاة معهم في مشكلاتهم ليطمئن صاحب الحق على بقاء حقه في حوزته، وعودته إليه فيما لو اعتدى عليه، وليرتدع من تسول له نفسه الاعتداء على حقوق الناس، وقبل ذلك وأهم منه أن يرتدع كل من يحدث نفسه بالاعتداء على حق الله (تعالى)، وهذا الوجود المتلاحم بين الوالي والرعية يظهر بصور متعددة تتناسب مع أنماط الحياة في كل عصر، فلا يقولن بأن من قام به أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يعتبر سائغًا في عصره، ولكنه بعيد التصور في هذا العصر، فإنه لا عبرة بالأشكال والصور، وإنما العبرة بالأهداف والمقاصد التي بها تتحقق الحياة السعيدة للمسلمين، وذلك برعاية حق الله أولاً ثم حقوق الناس العامة والخاصة، وفيما أمر به أمير المؤمنين علي رضي الله عنه من إجراء العقوبة على المتعدي مع تنازل صاحب الحق دلالة على إدراكه رضي الله عنه لمقاصد الإسلام من حفظ الأمن، وإشاعة السلام بين المؤمنين، وبذلك سيرتدع من تميل نفسه إلى الاعتداء على غيره إذا عرف بأن العقوبة ستجري عليه ولو عفا عنه خصمه(٣٢٢)، ومن مواقف عدله رضي الله عنه: ما رواه عاصم بن كليب عن أبيه قال: قدم على علي بن أبي طالب مال من أصبهان(٣٢٣)، فقسمه سبعة أسباع، فوجد فيه رغيفًا، فقسمه سبع كسر، وجعل على كل جزء كسرة، ثم أقرع بينهم، أيهم يعطى أول(٣٢٤).

وأما مبدأ المساواة الذي اعتمده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في دولته، فيعد أحد

---

(٣٢١) تاريخ الطبري (٦/ ٧٢، ٧٣).

(٣٢٢) التاريخ الإسلامي للحميدي (١٢/ ٤٣٣، ٤٢٣).

(٣٢٣) مدينة عظيمة في بلاد فارس.

(٣٢٤) الكامل في التاريخ (٢/ ٤٤٢).

المبادئ العامة التي أقرها الإسلام، قال (تعالى): ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]، وجاءت ممارسة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لهذا المبدأ خير شاهد، ومن هذه المواقف: حرصه على تقسيم المال فور وروده إليه على الناس بالتساوي بعد أن يحتجز منه ما ينبغي أن يأخذ على المرافق العامة، ولم يكن يستبيح لنفسه أن يأخذ من هذا المال إلا مثلما يأخذه غيره من الناس، كما أنه كان يعطي معارضيه من الخوارج من العطاء مثلما يعطي غيرهم وهذا قبل سفكهم للدماء، واعتدائهم على الناس[(٣٢٥)]، وكان رضي الله عنه يساوي في العطايا بين الناس وبذلك يكون اقتداء بالصديق في هذا الباب، وكان رضي الله عنه لا يفضل شارفًا على مشروف، ولا عربيًا على أعجمي، فقد دفع مرة طعامًا ودراهم بالتساوي إلى امرأتين إحداهما عربية، والثانية أعجمية، فاحتجت الأولى قائلة: إني والله امرأة من العرب، وهذه من العجم، فأجابها علي: إني والله لا أجد لبني إسماعيل في هذا الفيء فضلاً على بني إسحاق. وكذلك لما طلب إليه تفضيل أشراف العرب وقريش على الموالي والعجم، قال: لا والله، لو كان المال لي لساويت بينهم، فكيف وإنما هي أموالكم؟[(٣٢٦)] وعن يحيي بن سلمة قال: استعمل علي عمرو بن سلمة على أصبهان فقدم ومعه ماله وزقاق فيها عسل وسمن، فأرسلت أم كلثوم بنت علي إلى عمرو تطلب منه سمنًا وعسلاً، فأرسل إليها ظرف عسل وظرف سمن، فلما كان الغد خرج علي وأحضر المال والعسل والسمن ليقسم، فعد الزقاق فنقصت زقين، فسأله عنهما، فكتمه وقال: نحن نحضرهما، فعزم عليه إلا ذكرها له، فأخبره، فأرسل إلى أم كلثوم فأخذ الزقين منها فرآهما قد نقصا فأمر التجار بتقويم ما نقص منهما، فكان ثلاثة دراهم، فأرسل إليها فأخذها منها ثم قسم الجميع[(٣٢٧)]، وعن أبي رافع -وقد كان خازنًا لعلي رضي الله عنه على بيت المال- قال: دخل يومًا وقد زينت ابنته، فرأى عليها لؤلؤة من بيت المال قد كان عرفها، فقال: من أين لها هذه؟ لله علي أن أقطع يدها، قال: فلما رأيت جده في ذلك قلت: أنا والله يا أمير المؤمنين زينت بها ابنة أخي، ومن أين كانت تقدر عليها لو لم أعطها؟ فسكت[(٣٢٨)].

**الثالث عشر: الحريات:**

مبدأ الحرية من المبادئ الأساسية التي قام عليها الحكم في عهد الخلفاء الراشدين، ويقضي هذا المبدأ بتأمين وكفالة الحريات العامة للناس كافة ضمن حدود الشريعة الإسلامية وبما لا يتناقض معها، فقد كانت دعوة الإسلام لحرية الناس -جميع الناس- دعوة واسعة

---

(٣٢٥) نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين ص(٢١٦).
(٣٢٦) تراث الخلفاء الراشدين ص(١٠١).
(٣٢٧) الكامل في التاريخ (٢/٤٤٢).
(٣٢٨) تاريخ الطبري (٦/ ٧٢).

عريضة قلما تشتمل على مثلها دعوة في التاريخ، وكانت أول دعوة أطلقها في هذا المجال هي دعوته الناس في العديد من الآيات القرآنية لتوحيد الله والتوجه له بالعبادة وحده دون سائر الكائنات والمخلوقات، وفي دعوة التوحيد هذه كل معاني الحرية والاستقلال لبني الإنسان، أضف إلى ذلك أن الإسلام عرف الحرية بكل معانيها ومدلولاتها ومفاهيمها، فتارة تكون فعلاً إيجابيًا كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتارة فعلاً سلبيًا كالامتناع عن إكراه أحد في الدخول في الدين، وفي أحيان كثيرة يختلط معناها بمعنى الرحمة، والعدل والشورى والمساواة، لأن كل مبدأ من هذه المبادئ التي نادى بها الإسلام لا يستقيم أمره ولا يمكن تحقيقه إلا بوجود الحرية، وقد أسهم مبدأ الحرية مساهمة فعالة إبان حكم الخلفاء الراشدين خاصة بانتشار الدين الإسلامي، وبتسهيل فتوحات المسلمين واتساع رقعة دولتهم، لأن الإسلام كرم الإنسان وكفل حرياته على أوسع نطاق ولأن النظم السياسية الأخرى السائدة آنذاك في دولة الروم والفرس كانت أنظمة استبدادية وتسلطية، وفئوية، قاسى بسببها الرعايا -وبصورة خاصة المناوئون السياسيون والأقليات الدينية- أشد درجات الكبت والاضطهاد والظلم، وأما في الإسلام في عهد النبي (ﷺ) والخلفاء الراشدين، فقد كانت الحريات العامة المعروفة في أيامنا معلومة ومصونة تمامًا[٣٢٩]، وقد كان لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أقوال تدافع عن الحريات ومواقف تدعم هذا المبدأ في المجتمع الإسلامي، فمن أقواله: بئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد[٣٣٠]، وقوله الموجز هذا يدل على أن الاعتداء على الناس كافة بأي شكل كان غير جائز في الإسلام ، وذكر المعتدين بعذاب الله يوم القيامة وفي أيام عهد الراشدين، وعرف عنه قوله: ليس من العدل القضاء على الثقة بالظن[٣٣١]، وقوله هذا يدل دلالة واضحة على أنه ليس من الجائز أخذ الناس بالشبهات والحكم عليهم لمجرد الظنون والشكوك، بل ينبغي أن يكون ذلك بـ(الثقة) أي باليقين المسند إلى أدلة دامغة وأكيدة لا تقبل الجدل حولها، وخير هذه الأدلة ما نصت عليه الشريعة[٣٣٢]، وبذلك يكون المبدأ الذي أقرته التشريعات الجزائية الحديثة القائل بأن المتهم يبقى بريئًا حتى إثبات العكس قد عرفه الإسلام منذ أمد بعيد[٣٣٣]وقد تجلى مبدأ الحرية على أروع صوره ومعانيه أيام علي رضي الله عنه، فبالرغم من ظروف استثنائية (فتن، مؤامرت، وحروب) تبرر الحاجة إلى تقييد حرية الأفراد في ذهابهم وإيابهم وإقامتهم أو ما يسمى في العصر الحديث بقانون الطوارئ، إلا أن عليًا لم يقيد حرية أحد، سواء كان من أتباعه أو من

---

(٣٢٩) نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين ص(١٥٧، ١٥٨).

(٣٣٠) نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين.ص(١٦٥).

(٣٣١) المصدر نفسه ص(١٦٥).

(٣٣٢) هذه الأدلة هي: البينة الخطية المنظمة وفقًا لأحكام الشريعة، أو الثابتة بشهادة رجلين أو بشهادة رجل وامرأتين وأحيانًا بشهادة أربعة رجال كما في حالة الزنا.

(٣٣٣) نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين ص(١٦٦).

خصومـه، ولم يكره أحدًا على الإقامة والبقاء في ظـل سلطانه أو على الخروج منه ولا حتى على المسير معه لمقاتلة أعدائه، ولم يصد أحدًا من الناس عن اللحاق بمعاوية(٣٣٤)، كما أنه لم يقيد حرية أصحاب عبد الله بن مسـعود وعبيدة السلماني والربيع بن خيثم ولم يكرههم على المسير معه لمقاتلة أهل الشام عندمـا رفضوا ذلك، بل سمح لهم بالذهاب لبعض الثغور نزولاً عند رغبتهم(٣٣٥)، وعندما ثار عليه الخوارج بعد معركة صفين بسبب قبول التحكيم، فإنه لم يكره أحدًا منهم على البقاء في ظل سلطانه أو الخروج منه، بل العكس فـقد كان يأمر عماله بعـدم التـعـرض لهم في طريقـهم طالما أنهم لا يفـســدون في الأرض ولا يعـتـدون على النـاس(٣٣٦)، وقال لهم: ... إن لكم عندنا ثلاثًا: لا نمنعكم صـلاة في هذا المسجد، ولا نمنعكم نصيبكم من هذا الفيء ما كانت أيديكم مع أيدينا، ولا نقاتلكم حتى تقاتلونا(٣٣٧).

●●●

(٣٣٤) المصدر نفسه ص(١٥٩).
(٣٣٥) نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين ص(١٥٩).
(٣٣٦) المصدر نفسه ص(١٦٠).
(٣٣٧) تاريخ الطبري (٥/ ٦٨٨).

## المبحث الثالث
## حياته في المجتمع واهتمامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

### أولاً: دعوته للتوحيد ومحاربته للشرك:

إن حياة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عامرة بالدعوة إلى توحيد الله (تعالى) وتعريف الناس معاني الإيمان، والاعتماد والتوكل على الله والخوف منه (سبحانه وتعالى)، والتعريف به من خلال أسمائه الحسنى وصفاته العلى، ومحاربته للشرك بجميع أشكاله وأنواعه، ومن خلال توجيهه وتعليمه وتربيته للناس على دعوة التوحيد ومحاربة الشرك، ومن ذلك:

**١- قوله رضي الله عنه: «لا يرجون عبد إلا ربه ولا يخافن إلا ذنبه»(٣٣٨):**

فهذا من أحسن الكلام، وأبلغه وأتمه، فإن الرجاء يكون للخير، والخوف يكون من الشر، والعبد إنما يصيبه الشر بذنوبه، كما قال (تعالى): ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠] فالراجي يطلب حصول الخير ودفع الشر، ولا يأتي بالنعم إلا الله، ولا يذهب المصائب إلا الله ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ [يونس: ١٠٧]، ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ﴾ [فاطر: ٢]، والرجاء مقرون بالتوكل، فإن المتوكل يطلب ما رجاه من حصول المنفعة ودفع المضرة، والتوكل لا يجوز إلا على الله، كما قال (تعالى): ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠]. وقال (تعالى): ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ [التوبة: ٥٩]. وقال (تعالى): ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] فهؤلاء قالوا: حسبنا الله، أي: كافينا الله في دفع البلاء، أولئك أمروا أن يقولوا: حسبنا في جلب النعماء، فهو (سبحانه) كاف عبده في إزالة الشر وفي إنالة الخير، أليس الله بكاف عبده؟ ومن توكل على غير الله ورجاه خذل من جهته وحرم، ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ﴾ [العنكبوت: ٤١]. ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزّاً * كَلاَّ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدّاً﴾ [مريم: ٨١-٨٢]، ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]. ﴿لاَّ تَجْعَل مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَّخْذُولاً﴾ [الإسراء: ٢٢]، وقال الخليل: ﴿فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ

---

(٣٣٨) الفتاوي (٨/ ١٠١).

تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٧]، فمن عمل لغير الله رجاء أن ينتفع بما عمل له، كانت صفقته خاسرة، قال (تعالى): ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩]، وقال (تعالى): ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ﴾ [إبراهيم: ١٨]، وقال (تعالى): ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]، وقال (تعالى): ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]، كما قيل في تفسيرها: كل عمل باطل إلا ما أريد به وجهه، فمن عمل لغير الله ورجاه بطل سعيه، والراجي يكون راجيًا تارة بعمل يعمله لمن يرجوه، وتارة باعتماد قلبه والتجائه إليه وسؤاله، فذاك نوع من العبادة له، وهذا نوع من الاستعانة به، وقد قال (تعالى): ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] وقال: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣] وقال: ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرعد: ٣٠] ومما يوضح ذلك: أن كل خير ونعمة تنال العبد فإنما هي من الله، وكل شر ومصيبة تندفع عنه أو تكشف عنه، فإنما يمنعها الله، وإنما يكشفها الله، وإذا جرى ما جرى من أسبابها على يد خلقه، فالله (سبحانه) هو خالق الأسباب كلها سواء كانت الأسباب حركة حي باختياره وقصده، كما يحدثه (تعالى) بحركة الملائكة والجن والإنس والبهائم أو حركة جماد بما جعل الله فيه من الطبع، أو بقاسر يقسره كحركة الرياح والمياه ونحو ذلك، فالله خالق ذلك كله، فإنه لا حول ولا قوة إلا به[٣٣٩]، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فالرجاء يجب أن يكون كله للرب، والتوكل عليه والدعاء له، فإنه إن شاء ذلك ويسره كان وتيسر، ولو لم يشأ الناس، وإن لم يشأه ولم ييسره لم يكن وإن شاءه الناس[٣٤٠]، هذه بعض المعاني من قول أمير المؤمنين: لا يرجون أحدًا إلا ربه[٣٤١]، أما قوله: ولا يخافن أحد إلا ذنبه[٣٤٢]، قال (تعالى): ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَن مَّعَهُ﴾ [الأعراف: ١٣١]. بين (سبحانه) أن الحسنة من الله ينعم بها على الناس، وأن السيئة إنما تصيبهم بذنوبهم، ولهذا قال (تعالى): ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣]، فأخبر أنه لا يعذب مستغفرًا، لأن الاستغفار يمحو الذنب الذي هو سبب العذاب، فيندفع العذاب، كما في سنن أبي داود وابن ماجه عن النبي (ﷺ) أنه قال: «من أكثر الاستغفار، جعل الله له من كل هم فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب»[٣٤٣]، وقال (تعالى): ﴿أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ

---

(٣٣٩) الفتاوي (٨/ ١٠٢).

(٣٤٠) الفتاوي (٨/ ١٠٢).

(٣٤١) الفتاوي (٨/ ٩٩).

(٣٤٢) المصدر نفسه (٨/ ٩٩).

(٣٤٣) سنن ابن ماجه رقم (٣٨١٩)، سنن أبي داود (١٥١٨).

وَبَشِيرٌ * وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ [هود: ٢، ٣]. فبين أن من وحده واستغفره متعه متاعًا حسنًا إلى أجل مسمى، ومن عمل بعد ذلك خيرًا زاده من فضله، وفي الحديث: «يقول الشيطان: أهلكت الناس بالذنوب، وأهلكوني بلا إله إلا الله، والاستغفار[٣٤٤]، فلما رأيت ذلك بثثت فيهم الأهواء فهم يذنبون ولا يتوبون، لأنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا»[٣٤٥]. وقال عمر بن عبد العزيز: ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع إلا بتوبة، ولهذا قال (تعالى): ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ * إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٣- ١٧٥] فنهى المؤمنين عن خوف أولياء الشيطان، وأمرهم بخوفه، وخوفه يوجب فعل ما أمر به، وترك ما نهى عنه، والاستغفار من الذنوب وحينئذ يندفع البلاء وينتصر على الأعداء، فلهذا قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: لا يخافن عبد إلا ذنبه[٣٤٦]، وإن سلط عليه مخلوق فما سلط عليه إلا بذنوبه، فليخف الله، وليتب من ذنوبه التي ناله بها ما ناله[٣٤٧]، كما في الأثر: يقول الله: أنا الله، مالك الملوك، قلوب الملوك ونواصيهم بيدي، من أطاعني جعلتهم عليه رحمة، ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة، فلا تشتغلوا بسب الملوك، وأطيعوني أعطف قلوبهم عليكم[٣٤٨].

**٢- تعريف أمير المؤمنين الناس بأسماء الله وصفاته:**

قال (تعالى): ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ [محمد: ١٩] فمن كان بالله أعرف كان منه أخوف، كما في قوله (سبحانه وتعالى): ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]. وقد بين القرآن الكريم أن معرفة الأسماء الحسنى وصفاته العلى من أعظم الوسائل في زيادة الإيمان وقوته وثباته، ومعرفتها تتضمن أنواع التوحيد الثلاثة، توحيد الربوبية، توحيد الإلهية وتوحيد الأسماء والصفات، وهذه الأنواع هي روح الإيمان، وأصله وغايته، فكلما ازداد العبد معرفة بأسماء الله وصفاته، ازداد إيمانه وقوي يقينه[٣٤٩]، قال (تعالى): ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠] وقال (تعالى): ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا

---

(٣٤٤) مسند أبي يعلى (١/ ١٢٣) رقم (١٣٦) مجمع الزوائد (١/ ٢١٠) وهو ضعيف.
(٣٤٥) الفتاوي (٨/ ١٠٠).
(٣٤٦) الفتاوي (٨/ ٩٩).
(٣٤٧) المصدر نفسه (٨/ ١٠١).
(٣٤٨) المصدر نفسه (٨/ ١٠١).
(٣٤٩) الوسطية في القرآن الكريم للصلابي ص(٢٢٨).

تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاءَ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: ١١٠]، وقد ثبت في الصحيحين عنه (ﷺ) أنه قال: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا -مائة إلا واحدًا- من أحصاها، دخل الجنة»[٣٥٠]، أي من حفظها وفهم معانيها، واعتقدها، وتعبد الله بها دخل الجنة، والجنة لا يدخلها إلا المؤمنون[٣٥١]، ولأهمية هذا العلم قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: يا طالب العلم، إن للعالم ثلاث علامات، العلم بالله، وبما يحب الله، وبما يكره الله[٣٥٢]، وقال في معرض وصفه للمولى (سبحانه وتعالى): هو العالم بكل مكان، وكل حين وأوان، لم يخلق الأشياء من أصول أولية، ولا بأوائل كانت قبله بدية، بل خلق فأقام خلقه، وصور ما صور فأحسن صورته، توحد في علوه فليس لشيء منه امتناع، ولا له بطاعة شيء من خلقه انتفاع، إجابته للداعين سريعة ، والملائكة في السماوات والأرضين له مطيعة، علمه بالأموات البائدين، كعلمه بالأحياء المتقلبين، وعلمه بما في السموات العلى، كعلمه بما في الأرض السفلى، علمه بكل شيء، لا تحيره الأصوات، ولا تشغله اللغات . . . مدبر بصير، عالم بالأمور، حي قيوم . . . (سبحانه وتعالى) عن تكييف الصفات[٣٥٣]، وجاء يهودي إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فسأله: متى كان ربنا؟ فتمعر[٣٥٤]وجه علي بن أبي طالب وقال: لم يكن فكان؟ هو كان ولا كينونة، كان بلا كيف، كان ليس قبل ولا غاية، انقطعت الغايات دونه، فهو غاية كل غاية، فأسلم اليهودي[٣٥٥]، ومما يرويه أمير المؤمنين علي رضي الله عنه عن رسول الله (ﷺ) في صفات الله (سبحانه وتعالى) قوله: قال رسول الله (ﷺ): «إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف»[٣٥٦].

إن معرفة أسماء الله وصفاته، وتأمل معانيها، والإيمان بها تثمر للعبد محبة الله وتعظيمه الموجبين للقيام بأمره ونهيه، كما توجب اللجوء إليه في الكربات، وسؤاله عند الحاجات، واستغاثته في الملمات وغيرها من أنواع العبادات القلبية[٣٥٧].

**٣- تعريف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الناس بنعم الله المستوجبة لشكره:**

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه مذكرًا بالله (سبحانه وتعالى) وبنعمه على عباده: أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ضرب لكم الأمثال، ووقت لكم الآجال، وجعل لكم أسماعًا تعي ما عناها، وأبصارًا لتجلو عن غشاها، وأفئدة تفهم ما دهاها، في

---

(٣٥٠) البخاري، ك الدعوات رقم (٦٤١٠).
(٣٥١) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان للسعدي ص(٤١)
(٣٥٢) تاريخ اليعقوبي (٢/٢٠٧) منهج علي بن أبي طالب ص(٩١).
(٣٥٣) حلية الأولياء (١/٧٣).
(٣٥٤) تمعر: تغير، لسان العرب (٥/١٨١).
(٣٥٥) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص(٢٠٦).
(٣٥٦) مسند أحمد (٢/١٧٣) قال أحمد شاكر: إسناده حسن.
(٣٥٧) منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله ص(٩٢).

تركيب صورها وما أعمرها فإن الله لم يخلقكم عبثا ولم يضرب عنكم الذكر صفحًا، بل أكرمكم بالنعم السوابغ، وأرفدكم بأوفر الروافد، وأحاط بكم الإحصاء، وأرصد لكم الجزاء في السراء والضراء، فاتقوا الله عباد الله وجدوا في الطلب، بادروا بالعمل مقطع النهمات وهادم اللذات[٣٥٨]، وكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يحث الناس على القرب من الله بشكر النعم الحاصلة ويحذرهم من الركون إليها والأمن معها، ويرغبهم فيما عند الله من المزيد في حال شكر النعم، حيث يقول: فإن نزلت بكم رغبة فاشكروا الله، واجمعوا معها رهبة، وإن نزلت بكم رهبة فاذكروا الله واجمعوا معها رغبة، فإن الله قد تأذن المسلمين بالحسنى، ولمن شكره بالزيادة[٣٥٩]، ودعا أمير المؤمنين علي رضي الله عنه الناس إلى التفكير في أنفسهم فقال: من عرف نفسه عرف ربه[٣٦٠]، وقد قال (تعالى): ﴿**وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ**﴾ [الذاريات: ٢١].

**٤- حرص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب على محو آثار الجاهلية:**

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كان رسول الله (ﷺ) في جنازة، فقال: «**أيكم ينطلق إلى المدينة فلا يدع وثنًا إلا كسره، ولا قبرًا إلا سواه، ولا صورة إلا لطخها؟**» فقال علي رضي الله عنه: أنا أنطلق يا رسول الله ، فقال: «**فانطلق**»، ثم رجع فقال: يا رسول الله، لم أدع بها وثنًا إلا كسرته، ولا قبرًا إلا سويته، ولا صورة إلا لطختها، ثم قال رسول الله : «**من عاد لصنعة شيء من هذا فقد كفر بما أنزل على محمد ((ﷺ))**»[٣٦١]وعندما أصبح أميرًا للمؤمنين أرسل أبا الهياج الأسدي وقال له: أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله (ﷺ)، ألا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته[٣٦٢]، فأمره بمحو التماثيل، وأن تكون القبور مدروسة معالمها.

**٥- الغرض من زيارة القبور عند أمير المؤمنين علي:**[٣٦٣] وقد كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه كثيرًا ما يقصد المقبرة زائرًا ومتعظًا، وقد أشرف على المقبرة فقال: يا أهل القبور أخبرونا بخبركم، أما خبركم قبلنا فالنساء قد تزوجن، والمال قد قسم، والمساكن قد سكنها قوم غيركم، ثم قال: أما والله لو نطقوا لقالوا: لم نر خيرا من التقوى[٣٦٤]، وقد كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يسعى جاهدًا في تجريد التوحيد ، وقطع أسباب الشرك

---

(٣٥٨) الحلية (١/ ٧٨)، صفة الصفوة (١/ ٣٢٨).

(٣٥٩) البداية والنهاية (٧/ ٣٠٩).

(٣٦٠) مطلوب كل طالب من شرح كلمات علي بن أبي طالب لمحمد عبد الجليل العمري مخطوط نقلاً عن منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله ص(٩٦).

(٣٦١) مسند أحمد (٢/ ٦٨) قال أحمد شاكر: إسناده حسن.

(٣٦٢) مسلم، ك الجنائز (٢/ ٦٦٦).

(٣٦٣) الغرض: الاتعاظ والدعاء للأموات، فقه علي قلعجي ص(٤٩٤).

(٣٦٤) الاستذكار (١/ ٢٣٤).

ووسائله من جميع الجهات، ولذلك حذر من اتخاذ القبور مساجد لما تسببه من الفتنة في أهلها، وكونها ذريعة إلى عبادة الأموات، وقد وصف رضي الله عنه من فعل ذلك بأنه شرار الناس كما في قوله: شرار الناس من يتخذ القبور مساجد[٣٦٥]، وهذا اتباع لقول رسول الله (ﷺ): «**اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[٣٦٦]، وغيره من الأحاديث التي صحت في هذا المعنى، كما لا بد من التنبيه على أن الغرض من زيارة القبور أمران، كما هو بين من الهدي النبوي الشريف الاتعاظ بالموت، والدعاء للميت والترحم عليه، وليس في واحد منها ما يدل على أن الزائر يقصد القبر ليقضي حاجته، فقصد القبر للانتفاع به مخالف لهدي النبي (ﷺ) ومخالف لأدب زيارة القبور التي نص عليها العلماء[٣٦٧]، وقال ابن العربي وهو يعدد أغراض السفر، ومنه: . . . القصد إلى الإخوان لتفقد أحوالهم -وبعد أن ذكر فضل من زار أخًا له في الله- قال: هذا إن كان حيًا، فإن كان ميتًا، فتجوز زيارة قبره أيضًا، والترحم عليه لينتفع الميت بالحي، ولا يقصد الانتفاع بالميت فإنها بدعة[٣٦٨]، بل إن قصد القبر رجاء قضاء الحاجة هو عين ما حذر منه النبي (ﷺ) أصحابه عندما سألوه أن يجعل لهم ذات أنواط، ففي حديث أبي واقد الليثي: أن رسول الله (ﷺ) لما خرج إلى حنين مر بشجرة للمشركين يقال لها: ذات أنواط يعلقون عليها أسلحتهم فقالوا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم (ذات أنواط)، فقال النبي (ﷺ): «**سبحان الله، هذا كما قيل لموسى: اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة، والذي نفسي بيده لتركبن سنة من كان قبلكم**»[٣٦٩]، وفي عدة المريد يقول الشيخ الزروق بعد أن ذكر الحديث المتقدم: ولا يجوز عند العلماء تعظيم مكان، أو شجر، أو بناء، أو أي شيء آخر له أصل في معتقدات الجاهلية، رجاء الشفاء أو قضاء حاجة[٣٧٠]، ثم قال: في الحديث دليل على منع كل ما يستدام أو يكون له أصل في عبادة الجاهلية من خشبة أو حديدة أو حجر أو بناء ونحوه، لا يمتهن أو يكون مستهلكًا[٣٧١]، ولا شك أن القبر له أصل في عبادة الجاهلية، بل هو أصل من أصولها، ولا أدل على ذلك، من أن أشهر أصنامهم التي عبدوها من دون الله، سواء في جاهليتهم اللاحقة: «اللات»، هي أسماء لرجال صالحين ماتوا فغالوا في تعظيمهم حتى عبدوهم من دون الله[٣٧٢]، وهنا كان حديث النبي (ﷺ) وفعل سيدنا علي له عمل عظيم في حماية

---

(٣٦٥) مصنف عبد الرزاق (١/ ٤٠٥)، كنز العمال رقم (٢٢٥٢٢).

(٣٦٦) فتح الباري (٤/ ٣٧٦) إسناده حسن.

(٣٦٧) الغلو في الدين د. الصادق الغرياني ص(١١٩).

(٣٦٨) فتح الباري (٣/ ٦٥).

(٣٦٩) سنن الترمذي رقم (٢١٨٠) حسن صحيح.

(٣٧٠) عدة المريد ص(٢٠٦)، الغلو في الدين للغرياني ص(١١٩).

(٣٧١) عدة المريد ص(٢٠٦)، المصدر نفسه ص(١١٩).

(٣٧٢) الغلو في الدين ص(١١٩).

جناب التوحيد ويتضح لنا أن ما يفعله بعض جهلة المسلمين من تعظيم القبور والطواف حولها والتعلق بأهلها أمر محرم يخالف أمر الله وسيرة أمير المؤمنين فعلى العلماء الربانيين الذي يرجون الله واليوم الآخر أن يقتدوا بالنبي (ﷺ) كما فعل أمير المؤمنين علي وأن يسعوا لتعبيد الناس لربهم وجعل قلوبهم تتعلق بالله الواحد القهار وأن يحاربوا العوائق في الطريق إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

### أ- الزيارة الشرعية للقبور:

إن الزيارة الشرعية للقبور سنة مجهولة عند الكثيرين قد غفلها جمع من الناس لفشو البدع والخرافات في العالم الإسلامي، وعدم إرشاد أهل العلم الناس إلى هذه الزيارة المشروعة، وتقصير الدعاة في توضيح هذا النوع المباح وما يقال عند الزيارة، فالزيارة الشرعية الغرض منها: تذكر الموت ومكان الإنسان ونهايته، وأنه سيأتي اليوم الذي يكون هذا موضعه ومضجعه الذي يزوره الآن، مما يعين على الثبات على الطاعة، وحث النفس والأخذ بزمامها نحو العبادة، خاصة إذا أصابها فتور وتقاعس عن العبادة، كما يشرع فيها السلام على الأموات والدعاء لهم بالرحمة والمغفرة، ومن الأدلة على ذلك حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله (ﷺ) يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد»، وفي رواية عنها رضي الله عنها في قصة جبريل، حين جاء النبي (ﷺ) وأخبره أن الله (تعالى) يأمره أن يستغفر لأهل بقيع الغرقد، قالت عائشة رضي الله عنها: كيف أقول لهم يا رسول الله؟ فقال: «قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون» (٣٧٣).

### ب- تاريخ الاحتفال بالمزارات في الأضرحة:

يذكر أن أول من أحدث الاحتفال بالمزارات السنوية في الأضرحة هم العبيديون (الفاطميون) في القرن الرابع، ذكر ذلك المقريزي أحمد بن علي قال: كانت لهم ستة موالد، مولد النبي (ﷺ)، ومولد علي بن أبي طالب، والحسن والحسين، وفاطمة رضي الله عنهم، ومولد الخليفة، وكانوا ينحرون عند قبر الحسين الإبل والبقر والغنم(٣٧٤)، ولم يكن المسلمون قبل هذا التاريخ في القرون الثلاثة الأولى يقيمون الأضرحة، ولا يحتفلون بها، ولا أدل على ذلك من أن أكثر الصحابة رضوان الله عليهم دفنوا خارج البقيع في مصر والشام والعراق، لا تعرف قبورهم، ومن عرف قبره منهم فمختلف فيه بين المؤرخين، وكتاب السير، فكيف خفيت قبورهم عن أهل السير، وهم الصلحاء والعلماء وأعلام الهدى، الذين حملوا راية الدين والعلم، والجهاد والعبادة؟ لو كان للأضرحة في زمانهم وزمان تابعيهم ذكر لما خفي

---

(٣٧٣) مسلم رقم (١/ ٦٧١) رقم (٩٧٤).

(٣٧٤) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (١/ ٤٢٧، ٤٩٠) الغلو في الدين للغرياني ص(١٠٣).

مكانها، ولما اختلف المؤرخون فيها، وفعل الناس لهذا الأمر بعد القرون الأولى خير القرون لا يكسبه مشروعية بحال، كيف وقد نهى النبي (ﷺ) عن اتخاذ قبره عيدًا، فمن يفعل ذلك من الناس فإنما يفعل عين ما حذر منه النبي (ﷺ)، ويحتج بعمله، وعمل شيخه، ويقدمه على هدي رسول الله (ﷺ) وأصحابه، والله (تعالى) يقول: **﴿لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾** [الحجرات: ١] ويقول: **﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** [النور: ٦٣].

**جـ- ارتباط المزارات بالتخلف والجهل:**

ارتفع شأن القباب والتوابيت -المضروبة على القبور- خلافًا لأمر رسول الله (ﷺ) بتسويتها كما بين لنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وتفنن الناس في زخرفتها بالألوان الزاهية، ونصبت عليها ستائر الحرير كستائر الكعبة، وحرست بالأبواب الفاخرة وزودت بخزائن الحديد الثقيلة، لجمع ما يجود به الزائرون، وما ينفقونه على أصحاب الأضرحة من نذور، لتُقضى حوائجهم وتتحقق آمالهم، وازدهرت الحياة للمتعيشين على خدمة الضريح وحراسته، رواة الكرامات، ورواة التحذير الصارم بسوء عاقبة كل من يحاول أن يشكك في سلامة ما يجري، ومن المعروف أن التبجيل على هذا النحو للأضرحة لم يزدهر إلا يوم أن تخلف المسلمون، وضعفت هممهم، في عصور الانحطاط العلمي، والجمود الفكري، يوم أن حولوا نور الرسالة المحمدية، التي استطاعت في الأربعين سنة الأولى من عمرها أن تجعل أهل الأرض من فارس إلى المغرب يدينون بها، حولوا هذه الرسالة الحضارية المشرقة إلى دروشة وخمول، وبطالة وتعلق بالأوهام، وقصروا هممهم على أمور ما كان سلفنا الصالح الذي ملأ الدنيا علمًا وعملاً صالحًا يقف عندها، ولا يلتفت إليها. ألا يجدر بنا أن نسأل أنفسنا: هل وجد شيء من هذا على عهد الصحابة فعلوه لقبر رسول الله (ﷺ) وهو أفضل قبر على وجه الأرض، أو لقبورهم، وهم أفضل أمته، أو وجد شيء منه حتى عهد الأئمة الذين يقتدى بهم، كمالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد رحمهم الله، أليس عدم وجود شيء من ذلك عندهم دليل على أن ما يجري لا صلة له بالدين، ولا بالعبادة، ولا بالولاية، وإنما هي مظاهر التخلف والجهل، استغلها من لهم مصلحة باسم الدين، أيا كانت المصلحة، لتخدير العامة والاستيلاء على عقولهم، وجيوبهم، وأكل أموالهم وشدهم إلى الوراء؟ لقد ظل الإسلام قرونًا عديدة يتزعم العالم قوة ومعرفة، وحضارة، وتشريعًا، وأخلاقًا، ورحمة بالإنسانية، وتطلعًا إلى الابتكار، ومعالي الأمور، ذلك كان حال المسلمين يوم أن كان تعلقهم بحقيقة الإسلام، فلما أعرضوا عن ذلك، واستبدلوا ما عندهم من العلم والهداية، بمفاهيم مغلوطة تعتمد على التواكل والبطالة والدروشة والتعلق بالغيبيات، التي لم يقم عليها دليل، ولم يأمرنا الله بها، وسموا كل ذلك (بركة)، تسمية للشيء بضده، وأحرى بمن يعرض عن الهداية وأسبابها أن يكون من الضالين، وعن البركة من المبعدين (٣٧٥).

---

(٣٧٥) الغلو في الدين، للغرياني (١٠٥).

### د- الحملات الاستعمارية وإقامة الأضرحة:

كان للحملات الغربية الاستعمارية مواقف في تشجيع المسلمين أن ينحو هذا المنحى ليبتعدوا عن جوهر الدين، ذكرت صحيفة التايمز الإنجليزية قول أحد رجال الاستعمار البريطاني يحض على تشجيع البدع والأوهام بين المسلمين يقول: فإن ذلك كفيل بإبعادهم عن الإسلام، يقول الشيخ أحمد الباقوري: إن أحد كبار الشرقيين حدثه عن بعض أساليب الاستعمار في آسيا، أن الضرورة كانت تقضي بتحويل القوافل الآتية من الهند إلى بغداد، عبر تلك المنطقة اتجاه جديد، للمستعمر فيه غاية، ولم نجد الوسائل في جعل القوافل تختاره، وأخيرًا اهتدوا إلى إقامة عدة أضرحة وقباب على مسافات متقاربة في هذا الطريق، وما هو إلا أن تناقل الناس الإشاعات بما فيها من الأولياء، وبما شوهد من كرامات، حتى صارت تلك الطريق مأهولة، ومقصودة عامرة(٣٧٦)، وقد اهتمت الحكومة الإنجليزية بالحالة الدينية في مصر، وهي ترصد للتحرك الشيوعي في المنطقة، فكان مما طمأنها على تدين المصريين: أن ثلاثة ملايين مسلم زاروا ضريح أحمد البدوي بطنطا في ذلك العام، يقول أحد العلماء الذين أوفدوا من وزارة الأوقاف لوعظهم: لقد كنت أشهد من أعمالهم ما يستدعي الجلد بالسياط لا ما يستدعي الزجر بالكلام، و لو دعوا إلى واجب ديني صحيح لفروا نافرين، وحسبك من معرفة حالهم أنهم جاؤوا الضريح المذكور للوفاء بالنذور والابتهال بالدعاء(٣٧٧).

### هـ- هل المزارات من الإحداث في الدين؟:

مات رسول الله (ﷺ) وهو أكرم الخلق على الله (تعالى) وأتقاهم لله، وأخشاهم لله، وتوقير أصحابه له غير خاف، ومحبتهم إياه لا تقدر، وقبر (ﷺ) في بيته، ومكان قبره الشريف معروف لدى أصحابه غير مجهول، وهو أفضل قبر في الدنيا، فلم يقيموا عليه مشهدًا، ولا بناء، ولا قبابًا، ولم يجتمع عند قبره الخلفاء الراشدون إحياء لذكراه في يوم من السنة معلوم في (مزار) ولا غيرهم من أصحابه الأخيار، اغتنامًا للذكر والعبادة، بل كانوا إذا مروا بقبره الشريف يصلون ويسلمون عليه كما أمرهم ربهم ، وكانوا يطيعون أمره ويتبعون سننه، ويهتدون بهديه، ويقفون عند أمره ونهيه، حيًا وميتًا، امتثالاً لأمر ربهم: **﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾** [الحشر: ٧]، وقوله (عز وجل): **﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾** [الأحزاب: ٢١]، وخلفاؤه هم القدوة الحسنة الذين أمرنا رسول الله باتباع سننهم والعض عليها بالنواجذ، ولم ينقل أحد من أهل الإسلام أن أصحابه اجتمعوا ليلة في السنة عند قبره للذكر والعبادة، رجاء البركة، وهم أولياء الله، وحزب الهدى، وأنصار الحق، وكتائب الدين، وأعلم منا بما يحبه رسول الله (ﷺ)، وأحرص على

---

(٣٧٦) انظر: ليس من الإسلام، لمحمد الغزالي ص(٢٢٤).
(٣٧٧) الغلو في الدين ص(١٠٥).

الطاعة، وتعظيم رسول الله في قلوبهم وتوقيره، بالمكان الذي لا يخفى، ولا يختلف عليه، لأن الذي نطق به القرآن، وأجمع على تعظيمهم له، ومحبتهم وتوقيرهم إياه أهل الإسلام، ولو كان هذا العيد السنوي عند قبره مما يقرب إلى الله، ولا يخاف منه فساد في الدين لكانوا أسبق إليه، ولم يأمرهم رسول الله (ﷺ) في حياته بشيء من هذا، ولا وجد في سنته بفعل ولا تقرير ما يدل على مشروعيته عند قبر النبي (ﷺ) بعد موته، أو عند أحد من قبور أصحابه الذين ماتوا، ومرت عليهم السنون في حياته، فلم يتعبد هو ولا أصحابه بشيء من هذا، وهو أكمل الخلق عبودية لله، وأكملهم علمًا بما يرضي الله (تعالى)، ونصحه لأمته، وحرصه على ما ينفعهم نزل به القرآن ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وقد نهانا النبي (ﷺ) عن اتخاذ قبره عيدًا، فقال (ﷺ): «**لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، ولا تجعلوا قبري عيدًا، وصلوا علي، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**»[٣٧٨]، ومعنى عيد من العود، وهو الرجوع والمعاودة، لأنه يتكرر مرة بعد مرة، أي لا تجعلوا لزيارة قبري أيامًا معلومة، وأوقاتًا مخصوصة، كل شهر، أو كل سنة، أو غير ذلك، في اجتماع عام يتكرر بصفة ثابتة كالعيد، ولا تتخذوه منسكًا ترحلون إليه كالحج، ولا تشبهوا باليهود والنصارى، فإنهم يفعلون ذلك، وقد أدى بهم الأمر إلى الغلو والمبالغة في الإطراء، حتى جعلوا المسيح عليه السلام إلهًا، وقد حذر النبي (ﷺ) أصحابه من ذلك فقال (ﷺ): «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله**»[٣٧٩]، فإذا كان الحال من النهي في التعلق بقبر النبي (ﷺ)، وهو أكرم الخلق على الله، وهو سيد الأولين، والآخرين، وأفضل الخلق أجمعين، وأرجى الشفعاء عند الله يوم الدين، فما بالك بقبور الأموات من دونه من الأولياء والصالحين، فتكون مخالفة نهيه في ذلك باتخاذ قبورهم أعيادًا، داخلة في الشق الثاني من الحديث، وهو ما يقرب إلى من يخالف نبيه في قوله (عز وجل): ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

فهذا هو هدي خير القرون فمن خالفهم زاعمًا أنه أتى بطاعة وقربة، فلا يخلو حاله من أمرين، إما أنه جاء ببدعة ظلمًا، وإما أن يكون مدعيًا أنه فاقهم فضلاً وعلمًا، بل كان الإمام مالك رحمه الله (تعالى) يقول: من أحدث في هذه الأمة شيئًا لم يكن عليه سلفها، فقد زعم أن رسول الله (ﷺ) خان الدين، لأن الله (تعالى) يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، فما لم يكن يومئذ دينًا، لا يكون اليوم دينًا[٣٨٠]، وكان يقول: السنة سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق[٣٨١]، إن إقامة (المزارات) عبادة لم يفعلها رسول الله

---

(٣٧٨) فتح الباري (٤/ ٣٧٦) إسناده حسن.

(٣٧٩) البخاري رقم (٣٣٤٥).

(٣٨٠) الاعتصام للشاطبي (٢/ ٥٣).

(٣٨١) الغلو في الدين للغرياني ص(١٠٩).

(ﷺ) ولا أصحابه، بل نـهى عنها، ومخالفتـه من الإحداث في الدين الذي ينتهي بصـاحبه إلى الضلال كما أخبر النبي (ﷺ)، فقـد كان مما يخطب به في كل جمعة محذرًا: «أمـا بعد؛ فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة»[٣٨٢]، وقال (ﷺ): «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد»[٣٨٣]. إن جمع الناس في يوم مـعين على الدوام، في مكان ما، تشـد إليه الـرحال من كل حـدب وصوب للعبـادة، لا يجوز إلا فيـما شـرعه الله (تعالى) من إقـامة النسك في مكة، وعـرفة، ومنى والمزدلفة، وفي صلـوات الأعياد والجـمعة والجـماعة، وهي الشـعائر التي أمـر الله (تعالى) بتعظيمها، وإقامتها، وأثنى على أهلها بقوله (تبارك وتعالى): ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢] وإحداث مشهد آخر غير ما ذكر، في يوم من السنة، من الأحداث في الدين، لأنه إحداث عبادة ونسك لم يشرعها الله (تعالى)، فإن هذه المزارات صارت عند العامة كـالنسك، يجتمع إليها الناس في يوم من السنة مـعلوم للذبح والعبادة، وتشد إليهـا الرحال، وهذا في ذاته أمر مذمـوم، فإن الطاعات المطلقة المندوب إلـيها في كل وقت، إذا خصص شيء منها بليلة معينة، أو يوم معين، أو مكان معين، لم يخصصه الشرع به، واعتقد أن لفعلها في ذلك الوقت المعين، أو المكان المعين، أثرًا خاصًا في البركة، أو رفع الدرجـات، أو قبـول العمل، أو تعظيم الأجـر، تحولـت تلك الأعمـال التي هي من جنس الطاعات إلى بدعة بالاتفاق، لأن ترتيب الثواب على الأعـمال، أمر توقيفي لا يكون إلا من الشارع، وقد جر هذا إلى مفـاسد عظام، منها اعتقاد العامة في أصـحابها الذين بنيت عليهم القباب خلافًا لنهي رسول الله (ﷺ)، فاعتقـدوا فيها الضر والنفع، وقضاء الحوائج، وتقربوا إليه بالذبائح والقرابين في يوم معلوم من السنة، عند إقامة المزار، وتوددوا إليها بعدما أشاعوا حولها أن من سـاق إليها الحيـوان ليذبح في ذلك اليوم، وكانت له حاجـة يرجوها من ربه، -مثل ولد إن كان لا يلد، أو شـفاء مرض إن كان مريضًا -لا يرجع إلا بهـا، فصارت ملجأ لنجاح المطالب، وسألوا منها مـا سأله العباد من ربهم واستغاثوا بهـا، وأن حوائجهم تقضى لهم من ربهم بواسطتها وعن طريقها، حـتى صاروا يذبحون عندها، لاستنزال المطر إذا تأخر المطر، معرضين عن كتاب الله وهدي رسول الله (ﷺ) الذي أمـر بالتوبة والاستغفار والدعاء والصلاة طلبًا للسقيا، وقد ينزل المطر بعـد ذبحهم، استدراجًا وابتلاء، ولكن عملهم لا يزال من أعمال الشياطين، ومعتقدات الجاهلية[٣٨٤]، فإلى الله المشتكى.

إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه دعا للتوحيد وحارب الشرك وأسبابه، فعلى محبـيه ومتبعيـه أن يأخذوا بأقواله وأفعاله التي ترشدنا للتـمسك بالقرآن الكريم وهدي النبي عليه الصلاة والسـلام وما أحسن كلامه عندما قال: لا يـرجون أحد إلا ربه ولا يخافن

---

(٣٨٢) مسلم رقم (٨٦٧).
(٣٨٣) البخاري (٢٦٩٧).
(٣٨٤) الغلو في الدين ص(١١١، ١١٢).

إلا ذنبه[٣٨٥]، وقوله لأبي الهياج الأسدي: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله (ﷺ): «ألا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته»[٣٨٦].

**(و) حرص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه على بطلان الاعتقاد بالكواكب:**

لما أراد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يسافر لقتال الخوارج، عرض له منجم، فقال: يا أمير المؤمنين، لا تسافر، فإن القمر في العقرب، فإنك إن سافرت والقمر في العقرب هزم أصحابك -أو كما قال- فقال علي: بل أسافر ثقة بالله وتوكلاً على الله وتكذيبًا لك، فسافر فبورك له في السفر فقتل عامة الخوارج[٣٨٧]، وجاء في رواية: . . . فلما فرغ من النهروان حمد الله وأثنى عليه ثم قال: لو سرنا في الساعة التي أمرنا المنجم لقال الجهال الذين لا يعلمون: سار في الساعة التي أمره بها المنجم فظفر[٣٨٨]. انظر إلى حرص أمير المؤمنين علي رضي الله عنه على سلامة عقيدة أصحابه مما ادعاه المنجم من ذلك الاعتقاد الفاسد، فعلي رضي الله عنه مع ما كان فيه من الأمر المهم من قتال الخوارج، وانشغاله بنتيجة المعركة، فإنه لم ينس تلك الكلمة التي قالها ذلك المنجم له في بداية مسيره، فكان منه بيان فساد ذلك المعتقد في الوقت المناسب بعد انتهاء قتاله للخوارج وانتصاره عليهم[٣٨٩].

**(ز) إحراق أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لمن غلوا فيه وادعوا فيه الألوهية:**

عن عبد الله بن شريك العامري عن أبيه قال: قيل لعلي: إن هنا قومًا على باب المسجد يدعون أنك ربهم، فدعاهم فقال لهم: ويلكم، ما تقولون؟ قالوا: أنت ربنا وخالقنا ورازقنا، فقال: ويلكم إنما أنا عبد مثلكم، آكل الطعام كما تأكلون، وأشرب كما تشربون، إن أطعت الله أثابني إن شاء الله، وإن عصيته خشيت أن يعذبني، فاتقوا الله وارجعوا، فأبوا فلما كان الغد غدوا عليه، فجاء قنبر، فقال: قد والله رجعوا يقولون ذلك الكلام، فقال: أدخلهم، فقالوا كذلك. فلما كان اليوم الثالث، قال: لئن قلتم ذلك لأقتلنكم بأخبث قتلة، فأبوا إلا ذلك، فخد لهم أخدودًا بين المسجد والقصر، وقال: إني طارحكم فيها أو ترجعوا، فأبوا أن يرجعوا، فقذف بهم فيها، حتى إذا احترقوا[٣٩٠]،

قال:

إني إذا رأيت الأمر أمرًا منكرًا    أوقدت ناري ودعوت قنبرًا[٣٩١]

---

(٣٨٥) القتاوي (٨/ ١٠١).    (٣٨٦) مسلم ك الجنائز (٢/ ٦٦٦).

(٣٨٧) مجموع الفتاوي (٣٥/ ١٧٩)، البداية والنهاية (٧/ ٢٨٨).

(٣٨٨) البداية والنهاية (٧/ ٢٨٨).

(٣٨٩) منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله ص(٣٢٩).

(٣٩٠) فتح الباري (١٢/ ٢٧٠) سنده حسن.

(٣٩١) المصدر نفسه (١٢/ ٢٧٠) سنده حسن.

كما أخرج البخاري في صحيحه خبر الإحراق من حديث عكرمة، قال: أتي علي رضي الله عنه بزنادقة فأحرقهم، فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم لنهي رسول الله (ﷺ) حيث قال: «**لا تعذبوا بعذاب الله**»، ولقتلتهم لقول رسول (ﷺ): «**من بدل دينه فاقتلوه**»[٣٩٢]، وقال ابن تيمية: وثبت عنه أنه حرق غالبية الرافضة الذين اعتقدوا فيه الإلهية[٣٩٣].

لم ير ابن عباس رضي الله عنهما، رأي علي بن أبي طالب رضي الله عنه في إحراق السبئية، حيث يقول: لو كنت أنا لم أحرقهم محتجا عليه بنهي رسول الله (ﷺ): «**لا تعذبوا بعذاب الله**» ولقوله (ﷺ): «**من بدل دينه فاقتلوه**»[٣٩٤]، وقال ابن حجر: وهذا يحتمل أن ابن عباس سمعه من رسول الله (ﷺ)، ويحتمل أن يكون سمعه من بعض الصحابة.

وفي رواية أبي داود: فبلغ ذلك عليًا، فقال: ويح أم ابن عباس[٣٩٥]، وهذا يحتمل أنه لم يرض بما اعترض به ورأى أن النهي للتنزيه[٣٩٦]. وقال ابن حجر أيضًا: (ويح) كلمة رحمة، فتوجع له لكونه حمل النهي على ظاهره، فاعتقد التحريم مطلقًا، فأنكره، ويحتمل أن يكون قالها رضًا بما قال، وأنه حفظ ما نسيه بناء على أحد ما قيل في تفسير «ويح»، أنها تقال بمعنى المدح والتعجب[٣٩٧]، وقال: واختلف السلف في التحريق، فكره ذلك عمر، وابن عباس، وغيرهما مطلقًا سواء كان ذلك بسبب كفر، أو في حال مقاتلة، أو كان قصاصًا، وأجازه علي، وخالد بن الوليد وغيرهما، وقال المهلب: ليس هذا النهي على التحريم، بل على سبيل التواضع، ويدل على جواز التحريق فعل الصحابة، فقد سمل النبي (ﷺ) أعين العرنيين بالحديد المحمي، وقد حرق أبو بكر البغاة بالنار بحضرة الصحابة، وحرق خالد بن الوليد ناسًا من أهل الردة، وأكثر علماء المدينة يجيزون تحريق الحصون والمراكب على أهليها، قاله الثوري، والأوزاعي، وقال ابن المنير وغيره: لا حجة فيما ذكر للجواز، لأن قصة العرنيين كانت إما قصاصًا أو منسوخة كما تقدم وتجويز الصحابي معارض بمنع صحابي آخر، وقصة الحصون والمراكب مقيدة بالضرورة إلى ذلك إذا تعين طريقًا للعدو[٣٩٨]، وقال ابن القيم: وحرق أبو بكر رضي الله عنه اللوطية وأذاقهم حر النار في الدنيا قبل الآخرة، ولذلك قال أصحابنا: إذا رأى الإمام تحريق اللوطي فله ذلك، فإن خالد ابن الوليد رضي الله عنه كتب إلى أبي بكر رضي الله عنه أنه وجد في بعض نواحي العرب رجلا ينكح كما تنكح المرأة، فاستشار الصديق أصحاب رسول الله وفيهم علي بن أبي طالب وكان أشدهم قولاً، فقال: إن هذا الذنب لم تعص به أمة من الأمم إلا واحدة فصنع الله بهم

---

(٣٩٢) البخاري، ك المرتدين (٤/ ٢٧٩). (٣٩٣) الفتاوي (٢٨/ ٤٧٤)منهاج السنة (٥/ ١٢).
(٣٩٤) البخاري، ك المرتدين (٤/ ٢٧٩).
(٣٩٥) سنن أبي داود، ك الحدود (٤/ ٥٢٠) صححه الألباني.
(٣٩٦) فتح الباري (١٢/ ٢٧١). (٣٩٧) المصدر نفسه(١٢/ ٢٧٢).
(٣٩٨) فتح الباري (٦/ ١٥٠).

ما قد علمتم، أرى أن يحرق بالنار، فكتب أبو بكر إلى خالد أن يحرقوا فحرقهم، ثم حرقهم عبد الله بن الزبير في خلافته، ثم حرقهم هشام بن عبد الملك[٣٩٩].

**(ح) كيفية بداية الإيمان في القلب عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وتعريفه للتقوى:**

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إن الإيمان يبدو لمظة بيضاء في القلب، فكلما ازداد العبد إيمانًا ازداد القلب بياضًا، وكلما ازداد العبد نفاقًا ازداد القلب سوادًا، حتى إذا استكمل العبد النفاق اسود القلب، وايم الله لو شققتم عن قلب المؤمن لوجدتموه أبيض، ولو شققتم عن قلب المنافق والكافر لوجدتموه أسود[٤٠٠].

وقد بين علماء أهل السنة حقيقة الإيمان فقالوا: بأن الإيمان هو التصديق بالقلب والنطق بالشهادتين والعمل بالجوارح والأركان أي هو: اعتقاد وقول وعمل، فهذه الثلاثة كلها مندرجة فيه وتمثل أجزاء من حقيقته، وقد تواترت أقوال العلماء ومن بعدهم على هذه الحقيقة واستدلوا بأدلة كثيرة من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية على صحة هذا القول في حقيقة الإيمان[٤٠١]، وقال (تعالى): **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾** [الأنفال: ٢-٤].

فقد جمعت هذه الآيات -وهي تعرض صفات المؤمنين- بين عمل القلب وعمل الجوارح، واعتبرت هذا كله إيمانًا، وقصرت الإيمان عليه بأداة القصر والحصر (إنما) وعرفت المؤمنين بتلك الصفات مجتمعة، عندما ضمنتها بعبارة **﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾** وأعمال الجوارح في هذه الصفات هي: إقامة الصلاة والإنفاق في سبيل الله[٤٠٢].

وقال رسول الله (ﷺ): «**الإيمان بضع وسبعون شعبة، أفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان**»[٤٠٣]. والشاهد في الحديث ما ذكره رسول الله (ﷺ)، فالشهادة قول وإماطة الأذى عن الطريق عمل، والحياء خلق وسلوك، وجعل الثلاثة من الإيمان دليل على حقيقته، ومعظم شعب الإيمان هي أعمال[٤٠٤]، وقال الإمام البخاري في صحيحه: هو قول وفعل يزيد وينقص والحب في الله والبغض في الله من الإيمان. وقال عمر بن عبد العزيز: إن للإيمان فرائض وشرائع وحدودًا وسننًا، فمن استكملها

(٣٩٩) الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية ص(٢٢، ٢٣).
(٤٠٠) الفتاوى (٧/ ١٩١).
(٤٠١) في ظلال الإيمان للخالدي ص(٢٣).
(٤٠٢) تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين ص(١٨٨).
(٤٠٣) مسلم، ك الإيمان (١/ ٦٣) رقم (٥٧).
(٤٠٤) في ظلال الإيمان ص (٣٠).

استكمل الإيمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان، فإن أعش فسأبينها لكم حتى تعملوا بها، وإن أمت فما أنا على صحبتكم بحريص[٤٠٥]، وما قاله أمير المؤمنين في الإيمان لما سئل عنه: الإيمان على أربع دعائم: على الصبر واليقين والعدل والجهاد، والصبر منها على أربع شعب: على الشوق والشفق والزهد والترقب، فمن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات، ومن أشفق من النار اجتنب المحرمات، ومن زهد في الدنيا استهان بالمصيبات، ومن ارتقب الموت سارع إلى الخيرات، واليقين منها على أربع شعب: على تبصرة الفطنة وتأول الحكمة، وموعظة العبرة وسنة الأولين. فمن تبصر في الفطنة تبينت له الحكمة ومن تبينت له الحكمة عرف العبرة، ومن عرف العبرة فكأنما كان في الأولين: والعدل منها على أربع شعب: على غائض الفهم، وغور العلم، وزهرة الحكم ورساخة الحلم، فمن فهم علم غور العلم، ومن علم غور العلم صدر عن شرائع الحكم، ومن حلم لم يفرط في أمره وعاش بين الناس حميدًا، والجهاد منها على أربع شعب: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصدق في المواطن وشنئان الفاسقين، فمن أمر بالمعروف شد ظهور المؤمنين، ومن نهى عن المنكر أرغم أنوف المنافقين، ومن صدق في المواطن قضى ما عليه ومن شنئ الفاسقين وغضب لله غضب الله له وأرضاه يوم القيامة[٤٠٦]، وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في تعريفه للتقوى: ترك الإصرار على المعصية، وترك الاغترار بالطاعة[٤٠٧]، وقال فيها: التقوى هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والقناعة بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل[٤٠٨]، ففي اهتمام أمير المؤمنين في حث الناس على التقوى ثمرات وآثارًا في جانب الفرد والمجتمع، منها محبة الله ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤]، معية الله ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]، الانتفاع بالقرآن ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، الحفظ من الشيطان ووساوسه ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]، انتفاء الخوف والحزن ﴿فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: ٣٥] قبول العمل ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧] اليسر بعد العسر، والمخرج بعد الضيق ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢]. ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤]. الفراسة والحكمة والنور ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩]. دخول الجنة ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]. النجاة من النار ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧٢]. المنزلة العالية يوم القيامة[٤٠٩] ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [البقرة: ٢١٢].

---

(٤٠٥) البخاري، ك الإيمان (١/٩).

(٤٠٦) نهج البلاغة ص(٦٦٧، ٦٦٨).

(٤٠٧) تفسير الرازي (٢/٢١).

(٤٠٨) فرائد الكلام ص(٣٣٤).

(٤٠٩) سورة الحجرات دراسة تحليلية موضوعية للعمري ص(٢٣٦، ٢٣٧).

**ط- القضاء والقدر عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه:**

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إنه لا يكون في الأرض شيء حتى يقضى في السماء وليس من أحد إلا وقد وكل به ملكان يدفعان عنه ويكلانه، حتى يجيء قدره، فإذا جاء قدره خليا بينه وبين قدره، وإن عليّ من الله جنة حصينة، فإذا جاء أجلي كشف عني، وأنه لا يجد طعم الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه[٤١٠]، وقال رضي الله عنه: إن الأمر ينزل من السماء كقطر المطر لكل نفس ما كتب الله لها من زيادة أو نقصان في نفس أو أهل أو مال، فمن رأى نقصًا في نفسه وأهله أو ماله، ورأى لغيره كثرة فلا يكون ذلك له فتنة، فإن المسلم ما لم يعش دنياه يظهر تخشعًا لها إذا ذكرت، ويغري به لئام الناس كالبائس العالم ينتظر أول فورة من قداحة توجب له المغنم، وتدفع عنه المغرم، فكذلك المسلم البريء من الخيانة بين إحدى الحسنيين، إذا ما دعا الله، فما عند الله خير له، وإما أن يرزقه الله مالاً فإذا هو ذو أهل ومال ومعه حسبه ودينه، وإما أن يعطيه الله في الآخرة، فالآخرة خير وأبقى، الحرث حرثان، فحرث الدنيا المال والتقوى، وحرث الآخرة الباقيات الصالحات، وقد يجمعها الله (تعالى) لأقوام[٤١١].

**ي- كيف يحاسب الله العباد على كثرة عددهم؟**

قيل لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كيف يحاسب الله العباد على كثرة عددهم؟ فقال: كما يرزقهم على كثرة عددهم[٤١٢].

**ثانيًا: خطبة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب وتحليلها:**

كان أمير المؤمنين على بن أبي طالب يتعهد الرعية بالتوجيه والتعليم والتربية من خلال الاحتكاك اليومي وخصوصًا يوم الجمعة حيث كانت خطبة الجمعة من المنابر الهامة في توجيه الأمة وترشيدها، وقد حفظ التاريخ لأمير المؤمنين علي كثيرًا من خطبه وهذه إشارات عابرة عن خطبه وإليك هذا النموذج الفريد العجيب من خطبه حيث قال: أما بعد؛ فإن الدنيا قد أدبرت وآذنت[٤١٣] بوداع، وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع، وإن المضمار[٤١٤] اليوم وغدًا السباق، ألا وإنكم في أيام أمل من ورائه أجل، فمن قصر في أيام أمله قبل حضور أجله فقد خاب عمله ألا فاعملوا لله في الرغبة، كما تعملون له في الرهبة، وإنه لم أر كالجنة نام طالبها، ولم أر كالنار نام هاربها، وإنه من لم ينفعه الحق ضره الباطل، ومن لم يستقم به الهدى حاد به الضلال، ألا وإنكم قد أمرتم بالظعن، ودللتم على الزاد، ألا أيها

(٤١٠) حياة الصحابة (٢/ ٦١٤) فرائد الكلام ص(٣٤٨).
(٤١١) البداية والنهاية (٨/ ٨)، فرائد الكلام ص(٣٤٣).
(٤١٢)أدب الدنيا والدين ص(٢٦)، فرائد الكلام ص(٣٣٩).
(٤١٣) آذنت: أعلمت.
(٤١٤) المضمار: الموضع الذي تضمر فيه الخيل للسباق.

الناس إنما الدنيا عرض حاضر، يأكل منها البر والفاجر، وإن الآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قادر، ألا إن الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء، والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً، والله واسع عليم: أيها الناس، أحسنوا في أعماركم تحفظوا في أعقابكم، فإن الله وعد جنته من أطاعه، وأوعد ناره من عصاه، إنها نار لا يهدأ زفيرها، ولا يفك أسيرها، ولا يجبر كسيرها، حرها شديد، وقعرها بعيد، وماؤها صديد[٤١٥]. ولو تأملنا في المقطع السابق لوجدنا أن عوامل التأثير في المدعوين تتمثل فيما يلي:

١- صدق اللهجة النابع من إيمانه بما يدعو إليه، مما يجعل كلماته كأنها قبس من نفسه المشتعلة، وصورة من عواطفه المنفعلة، فهو لا يكاد ينطق بالجملة حتى يكون أسماعهم قد تلقفتها، وقلوبهم قد وعتها.

٢- تمتاز الألفاظ بالقوة، مع سهولتها وعذوبتها وسلاستها، كما أن عباراتها واضحة، وجملتها قصيرة ولعل ذلك يسعف السامعين بإدراك المعنى المراد.

٣- المقابلة بين المعاني المتضادة مما يزيد المعنى وضوحًا، والسامع تأثرًا، ومن ذلك مثلاً: قوله: فإن الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع.. وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع وقوله: وإنه لم أر كالجنة نام طالبها.. ولا كالنار نام هاربها.

٤- الاقتباس من القرآن الكريم، كما في قوله: ألا إن الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء، والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً، والله واسع عليم، ذلك مقتبس[٤١٦]، من قوله (تعالى): **﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾** [البقرة: ٢٦٨].

٥- لقد كانت عناصر الخطبة المذكورة تتمثل في التأثر الشديد بالقرآن الكريم وبكلام الرسول (ﷺ)، وواقعيتها واتصالها الحميم بالحياة البشرية، وعمق المعاني وسموها وشمولها، والإجادة في تخير الألفاظ وبناء العبارة، والإيجاز، والتعبير عن المعاني والألفاظ بالصور، واعتماد الوسائل البديعية، وغاية القول، فإن هذه الخطبة تكتسب أهمية خاصة لما تتكشف عنه من مزايا دينية وأدبية وشخصية، فهي عميقة الدلالة على شخصية صاحبها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، تنبئ عن إدراكه السليم للمفاهيم والآراء الإسلامية السديدة التي تتناول طبيعة الدنيا وغاية الوجود البشري والمصير الذي ينتهي إليه، وتوضح النتائج التي توصل إليها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في هذا الخصوص وتدلنا على ما كان يتحلى به من حكمة نافذة ورؤيا معمقة يرفدها صفاء ذهنه وطهارة روحه، إلى غير ذلك من المزايا العقلية والروحية العالية التي أفاضها عليه إيمانه وتقاه وتمسكه بعرى الإسلام واعتصامه بربه ورضاه بقضائه، إن هذا كله قد ساعده في الوصول بالنثر الفني إلى هذا المستوى الرفيع، فكان بحق

(٤١٥) البداية والنهاية (٨/٧).
(٤١٦) منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله.

في عالم الأدب فارس الكلمة وقائدها وإمامهـا تمامًا، كما كان في الناس إمامًا عادلا زاهدًا، وقائدًا حكيمًا مـجربًا، وفارس حرب لا يبارى[٤١٧]، هذا وقد اهتم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بانتهاز المناسبات في وعظ الناس وتذكيرهـم ولم يكتف بخطب الجمعة فقط. فعندما شيع جنازة ووضعت في لحدها وعج[٤١٨] أهلها وبكوا قال: ما تبكون؟ أما والله لو عاينوا ما عاين ميتهم، لأذهلتهم معاينتهم عن مـيتهم. وإن له فيهم لعودة ثم عودة، ثم لا يبقى منهم أحدًا. . فـاتقوا الله عباد الله، وجـدوا في الطلب، وبادروا بالعمل مقطع النهـمات، وهادم اللذات، فإن الدنيا لا يدوم نعيمها، ولا تؤمن فـجائعها، غرور حائل، وسناد مائل، اتعظوا عبـاد الله بالعبر، واعـتبروا بالآيات والأثر، وازدجـروا بالنذر، وانتفعـوا بالمواعظ، فكأن قد علقتكم مـخالب المنية، وضـمكم بيت التراب، ودهمتكم مـقطعات الأمور بنفخـة الصور، وبعثرة القبور وسيـاقة المحشر، وموقف الحساب، بإحاطة قدرة الجبـار، كل نفس معها سائق يسوقها لمحشرها، وشاهد يشهد عليها بعملها ﴿**وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَـا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِـيِّينَ وَالشُّهَـدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْـلَمُونَ**﴾ [الزمـر: ٦٩]. فـارتجت لذلك اليومَ الـبلاد، وناد المناد، وكان يومَ التـلاق، وكشف عن سـاق، وكسفـت الشمس، وحشرت الوحوش، مكان مواطن الحشـر، وبدت الأسرار، وهلكت الأشرار وارتجت الأفئدة[٤١٩].

**ونستنتج من هذه الموعظة بعض عوامل التأثير منها:**

١- وقوع الموعظة في مناسبـتها، فإن الموعظة كانت بمناسبة تشـييع جنازة، والنفوس في هذه الحال تكون مستعدة لتلقي ما تذكر به في الموت والدار الآخرة.

٢- الصياغة البلاغية للمـوعظة، فمواعظ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه تتميز بأسلوبها البلاغي المؤثر في نفوس المدعوين، فمن الجوانب البلاغية في النموذج المذكور ما يلي:

**أ-** الاستعـارة مثل قوله: فكأن قد علقـتكم مخالب المنيـة. تشبيه الموت (المنيـة) بحيوان مفترس، له مخالب، فحذف المشبه به وأبقى شيئًا من لوازمه وصفاته وهو المخالب.

**ب-** السجع الـعفوي غـير المتكلف مـثل قوله: فـإن الدنيا لا يدوم نعـيمـها، ولا تؤمن فجائعها، غرور حائل، وسند مائل.

**ج-** الصـيغ الإنشائيـة[٤٢٠]، وهي مبثوثة في الخطبة كلها منهـا: ما تبكون؟ استفهام. . (اتعظوا عباد الله بالعبـر) نداء، (اتعظوا، اعتبروا ، وازدجروا، وانتفـعوا) كل هذا على سبيل

---

(٤١٧) الأدب العربي، حبيب يوسف مغنية ص(٣٥٤ إلى ٣٦٣).
(٤١٨) العج: رفع الصوت، الصحاح للجوهري (١/٣٢٧).
(٤١٩) حلية الأولياء لأبي نعيم (١/٧٨)، صفة الصفوة (١/٣٢٨).
(٤٢٠) الكلام الذي لا يحتمل التصديق والتكذيب.

الأمر.

د- جزالة الألفاظ، لعل أي جزء من الخطبة يكون شاهدًا عليها، لأن الخطبة كلها لا خلل فيها ولا ضعف.

٣- اعتماد المضمون على القرآن الكريم وانتهاجها منهجه في الإرشاد والإقناع، كقوله: كل نفس معها سائق يسوقها لمحشرها، وشاهد يشهد عليها بعملها اعتمادًا على قوله (تعالى) ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢١].

٤- الترهيب بذكر أهوال يوم القيامة، كقوله: ودهتكم مقطعات الأمور بنفخة الصور، وبعثرة القبور، وسياقة المحشر، وموقف الحساب بإحاطة قدرة الجبار.

٥- الإقناع ومن ذلك قوله: كم مرضت بيديك وعللت بكفيك، ممن تطلب له الشفاء وتستوصف له الأطباء.. للإقناع بحصول الموت، والارتحال عن الدنيا والقدوم على الآخرة، وأنه لا مهرب ولا فكاك.

٦- استحضار الصورة، وذلك لتعبيره بالفعل الماضي عما سيحدث في المستقبل، حتى يتصور السامع هذا الأمر الذي ينتظره، ومن ذلك قوله: فكأن قد علقتكم مخالب المنية، وضمكم بيت التراب، ودهتكم مقطعات الأمور.

٧- لطف العبارة بحيث تستهوي السامعين ولا تنفرهم[٤٢١] فهذه بعض النماذج من خطب ومواعظ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه والتي انتشرت بين الناس وساهمت في تربيتهم وتهذيب نفوسهم، وتطهير قلوبهم وكان مفعولها ساريا في جيله والأجيال التي بعده إلى يومنا هذا.

**ثالثا: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والشعر:**

يظهر من الأخبار التي وصلتنا أن الحركة الشعرية في عهد الخلفاء الراشدين، كانت نشطة، ومعروف أن كتب الأدب لم تعتمد في الأسانيد الموثوقين من الرواة، ولكنها تكون المصدر الوحيد للأخبار الأدبية والنقدية التي تتصل بالخلفاء الراشدين، والصحابة بعامة، والتابعين بإحسان ما عدا بعض الأراجيز التي كانت تتردد في العهد النبوي وروتها كتب الحديث الشريف[٤٢٢]، فالمراجع فيما يتعلق بالشعر والشعراء في عهد أمير المؤمنين علي هي كتب الأدب والأدباء، فهي غنية في هذا الجانب ولا يختلف موقف أمير المؤمنين علي رضي الله عنه من الشعر عن مواقف الراشدين الذين سبقوه إلى سدة الخلافة، فكلهم يستقون من كتاب الله وسنة رسوله، فهو يستمع إلى الشعراء ينشدون بين يديه ما يطلب له أن يسمعه من صادق القول ورفيع المعاني، وكان يعطي على الشعر إذا استساغه وأعجبه، كما مر معنا عندما قال الأعرابي:

---

(٤٢١) منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله ص(١٤٥).
(٤٢٢) المدينة النبوية فجر الإسلام (٢/ ٩٨).

كسونتي حلة تبلى محاسنها فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا[٤٢٣]

ولعلي آراء نقدية راقية في الشعر، ما زالت معايير يعتمدها النقاد في عصرنا الحاضر، فهو يقول: الشعر ميزان القول[٤٢٤]، أي أن للشعر خصائص فنية يعرف بها صحيح القول من سقيمه في مقاييس أهل هذا الفن الكلامي، وإن خالف في أغراضه قيم قوم آخرين[٤٢٥]، وأما أمير المؤمنين الشاعر، فقد اختلف في كثير مما ينسب إليه من شعر، وهذا الاختلاف لا يقلل من شاعريته المتمثلة فيما رجحت نسبته إليه، ولا يقدم ولا يؤخر في إمامته اللغوية والأدبية، ولكن يبدو للباحث أن الشعر لم يكن غاية عنده، كما أن سيرته السياسية وما رافقها من أحداث جسام لم تكن لتسمح له بالالتفات إلى صناعة الشعر وروايته، واصطياد المعاني الجميلة واختيار القوافي الرنانة المؤثرة، ومع ذلك فقد اشتهر له شعر كثير، ونسب إليه ديوان شعر يشتمل على العديد من القصائد والمقطوعات، فيه الكثير من الأقوال المرتجلة والآراء السديدة السامية، وكان أول من شكك في نسبة بعض القصائد إليه ابن هشام، فقد روى أن عليًا كان يرتجز في أثناء بناء مسجد الرسول في المدينة:

لا يستوي من يعمر المساجدا يدأب فيه قائمًا وقاعدًا
ومن يُرى عن الغبار حائدًا[٤٢٦]

ويعقب ابن هشام قائلا: سألت غير واحد من أهل العلم بالشعر عن هذا الرجز، فقالوا: بلغنا أن علي بن أبي طالب ارتجز به، ثم يقول: فلا يدري أهو قاله أم غيره؟[٤٢٧]، وفي موضع آخر يقول ابن هشام: وقد روى ابن إسحاق ثلاث قصائد منسوبة لعلي، ولم تصح له، ويرجح أنها قيلت في المعارك الإسلامية من قبل أحد المسلمين، وقد نظروا إلى معانيها الدينية فرأى الرواة أنها تناسب عليًا فنسبوها له وأما الديوان الذي نسب إليه فيرى الدكتور نايف معروف أن أمير المؤمنين عليًا بفصاحته المعهودة وبلاغته المشهورة، هو أرفع من مجموع هذا الديوان، ويغلب على الظن أنه خليط لشعراء من مستويات متفاوتة قام بجمعها بعض محبيه الذين عز عليهم ألا يكون شاعرًا، ظنًا منهم أن ذلك يرفع من قدره عند الناس، علمًا أن عليًا لم يكن بين شعراء الرسول الذين تولوا الرد على الحملة الدعائية التي شنها شعراء المشركين على الإسلام والمسلمين[٤٢٨]، ولكن الأمر لم يصل إلى حد الرواية التي نقلها ياقوت الحموي عن أبي عثمان المازني، حينما يزعم أنه لم يصح أن عليًا تكلم من

(٤٢٣) العمدة لابن رشيق (١/ ١٦).
(٤٢٤) العمدة لابن رشيق (١/ ١٤).
(٤٢٥) الأدب الإسلامي، نايف معروف ص(١٩٢).
(٤٢٦) سيرة ابن هشام (١/ ٤٩٧).
(٤٢٧) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٤٩٧).
(٤٢٨) الأدب في الإسلام، د. نايف معروف ص(١٩٥).

الشعر بشيء غير بيتين[٤٢٩]، فهناك روايات عديدة جاءت تخالف هذا القول؛ إذ أثبت له الرواة عدداً من المقطوعات التي صحت نسبتها إليه عندهم[٤٣٠]، ومن الأشعار التي نسبت إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

**١- في الفرج والشدة:**

إذا اشتملت على الناس القلوب — وضاق بما به الصدر الرحيب
وأوطنت المكاره واطمأنت — وأرست في أماكنها الخطوب[٤٣١]
ولم تر لانكشاف الضر وجهًا — ولا أغنى بحيلته الأريب[٤٣٢]
أتاك على قنوط منك غوث — يمن به القريب المستجيب[٤٣٣]
وكل الحادثات إذا تناهت — فموصول بها الفرج القريب[٤٣٤]

**٢- في الصبر:**

ألا فاصبر على الحدث الجليل — وداو جواك بالصبر الجميل[٤٣٥]
ولا تجزع فإن أعسرت يومًا — فقد أيسرت في الدهر الطويل
ولا تظنن بربك ظن سوء — فإن الله أولى بالجميل
فإن العسر يتبعه يسار — وقول الله أصدق كل قيل
فلو أن العقول تجر رزقًا — لكان الرزق عند ذوي العقول
فكم من مؤمن قد جاع يومًا — سيروي من رحيق السلسبيل[٤٣٦]

**٣- في حرص الناس على الدنيا:**

للناس حرص على الدنيا وتدبير — وفي مراد الهوى عقل وتشمير
وإن أتوا طاعة الله ربهم — فالعقل منهم على الطاعات مأسور
لأجل هذا وذاك الحرص قد مزجت — صفاء عيشاتها هم وتكدير
لم يرزقوها بعقل عندما قسمت — لكنهم رزقوها بالمقادير
كم من أديب لبيب لا تساعده — ومائق نال دنياه بتقصير
لو كان عن قوة أو عن مغالبة — طار البزاة بأرزاق العصافير[٤٣٧]

---

(٤٢٩) معجم الأدباء، ياقوت (٥/ ٢٦٣).
(٤٣٠) الأدب في الإسلام ص(١٩٥).
(٤٣١) الخطوب: الأمور العظيمة.
(٤٣٢) الأريب: العاقل.
(٤٣٣) البداية والنهاية (٨/ ١٠).
(٤٣٤) البداية والنهاية (٨/ ١٠).
(٤٣٥) الجوى: الشوق.
(٤٣٦) البداية والنهاية (٨/ ١١).
(٤٣٧) البداية والنهاية (٨/ ١١).

**٤- في الصداقة:**

فـــلا تصـــحـب أخـــا الجـــهـل ... وإيـــــاك وإيـــــاه
فـكـــم مــن جـــــاهـل أردى ... حلـيــــمًــا حين آخـــاه
يــقـــــاس المرء بـالمـرء ... إذا مـــا هــو مـــاشـــاه
ولـلـــشـــيء مـــن الـــشـــيء ... مـــقـــاييس وأشـــبـــاه
قـــيـــاس النـعـل بـالنـعـل ... إذا مـــا هـو حـــاذاه
ولـلـقـلـب عـلـى الـقـلـب ... دلـيـل حـين يـلـقـــاه[٤٣٨]

**٥- في التواضع والقناعة:**

حـــقـــيق بـالتـــواضع مـن يموت ... ويكـفي المرء من دنيـــاه قـــوت
فـــمـــا للـمـــرء يصـبح ذا هـمـــوم ... وحـــرص ليس تدركـــه النعـــوت
صنيع مليكنا حـسـن جـمـيـل ... ومـــا أرزاقـــه عنا تفـــوت
فـيـــا هذا ســتـــرحـل عن قليل ... إلى قـــوم كـلامـــهم السكوت[٤٣٩]

**٦- في السر وكتمانه:**

ولا تـفـش ســـــرك إلا إليـك ... فـــإن لكـل نصــيح نصــيـحًــا
فـــإني رأيـت غـــواة الرجـــال ... لا يتـركـــون أديمًا صـحـيـحًــا[٤٤٠]

**رابعًا: من حكم أمير المؤمنين علي التي سارت بين الناس:**

تهيأ لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه مجموعة من الأسباب من سرعة البديهة، وذلاقة اللسان، ورجحان العقل، وطهارة القلب، وصفاء النفس وعمق الإيمان، والتضلع في الدين والقرب من رسول الله (ﷺ) وتلقي الوحي عنه، ما يمكنه من فصاحة اللسان، وجودة البيان، فأصبحت كلماته دررًا، وجمله حكمًا أعجبت ذوي العقول، فهي لأهل البلاغة مطلب، ولأهل الهداية مغنم، ففيها حث لهم على فضائل الأعمال، وجميل الخصال وأصبحت حكمه الجميلة مادة قيمة في مجال دعوة الناس وتعليمهم، وتهذيب نفوسهم وتنوير عقولهم، وإحياء قلوبهم، لما فيها من جودة التعبير، ووضوح المعاني، وعمق التفكير، وفوق ذلك فهي تنبع من قلب تقي، وصدر نقي[٤٤١]، ومن هذه الحكم على سبيل المثال ما يلي:

١- صلاة الليل بهاء في النهار[٤٤٢]:

---

(٤٣٨) البداية والنهاية (٨/ ١٢). (٤٣٩) البداية والنهاية (٨/ ١٢).
(٤٤٠) عيون الأخبار لابن قتيبة (١/ ٩٧).
(٤٤١) منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله ص(٢٧٥).
(٤٤٢) نشر اللآلي مخطوط نقلاً عن منهج علي بن أبي طالب (٢٧٦).

قال (تعالى): ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ [الفرقان: ٦٤] وقال أيضًا في قيام الليل: نور المؤمن من قيامَ الليلَ[٤٤٣].

٢- صلاح الدين من الورع وفساده من الطمع[٤٤٤].

٣- طوبى لمن عمل بعلمه[٤٤٥].

٤- الفرصة تمر مر السحاب[٤٤٦].

٥- قسوة القلب من الشبع[٤٤٧].

٦- الشرف بالفضل والأدب، لا بالأصل والنسب[٤٤٨].

٧- جمال الخُلق أبهى من جمال الخَلق[٤٤٩].

٨- في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق[٤٥٠].

٩- المعروف كنز من الكنوز[٤٥١].

اجتمع عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه جماعة فتذاكروا المعروف، فانتهز أمير المؤمنين هذا الحديث لترغيبهم فيه وحثهم عليه فقال: المعروف كنز من أفضل الكنوز، وزرع من أزكى الزروع، فلا يزهدنكم في المعروف كفر من كفره، وجحد من جحده، فإن من يشكرك عليه ممن لم يصل إليه منه شيء أعظم مما ناله أهله منه، فلا تلتمس من غيرك ما أسديت إلى نفسك، إن المعروف لا يتم إلا بثلاث خصال تصغيره، وستره، وتعجيله، فإذا أصغرته فقد عظمته، وإذا سترته فقد أتممته، وإذا عجلته فقد هنأته[٤٥٢].

١٠- لا شرف مع سوء الأدب[٤٥٣].

١١- لا راحة لحسود[٤٥٤].

١٢- الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له[٤٥٥].

---

(٤٤٣) المرجع السابق ص(٢٧٦).

(٤٤٤) المرجع السابق ص(٢٧٦).

(٤٤٥) المرجع السابق ص(٢٧٧).

(٤٤٦) المرجع السابق ص(٢٧٧).

(٤٤٧) المرجع السابق ص(٢٧٨).

(٤٤٨) الإعجاز والإيجاز للثعالبي ص(٣٠)، نقلاً عن منهج علي بن أبي طالب ص(٢٢٦).

(٤٤٩) نثر اللآلي مخطوطة، نقلاً عن منهج علي بن أبي طالب ص(٢٢٨).

(٤٥٠) المصدر نفسه ص(٢٢٨).

(٤٥١) تاريخ اليعقوبي (١/ ٢١٠) منهج علي بن أبي طالب ص(٣٠).

(٤٥٢) المصدر نفسه (٢/ ٢١٠) المصدر نفسه ص(٣٠).

(٤٥٣) الإعجاز والإيجاز للثعالبي ص(٢٨).

(٤٥٤) مطلوب كل طالب من كلمات علي بن أبي طالب مخطوطة نقلاً عن منهج علي ص(٢٣٤).

(٤٥٥) الإعجاز والإيجاز للثعالبي ص(٢٩)، منهج علي بن أبي طالب ص(٢٣٥).

١٣- ويل للباغين من أحكم الحاكمين[٤٥٦].
١٤- من سل سيف البغي قتل به[٤٥٧].
١٥- للظالم البادي -غدًا- بكفه عظة[٤٥٨].
وهذا الترهيب مستفاد من قوله: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ [الفرقان: ٢٧].
١٦- إخفاء الشدائد من المروءة[٤٥٩].
١٧- أحسن إلى المسيء تسده[٤٦٠].
١٨- الإحسان يقطع اللسان[٤٦١].
١٩- من عذب لسانه كثر إخوانه[٤٦٢].
٢٠- من قل صدقه، قل صديقه[٤٦٣].
٢١- لسانك يقتضيك ما عودته[٤٦٤].
٢٢- من طلب ما لا يعنيه فاته ما يعنيه[٤٦٥].
٢٣- صاحب الأخيار تأمن الأشرار[٤٦٦].
٢٤- جليس الخير غنيمة[٤٦٧].
٢٥- صحبة الأحمق نقصان في الدنيا، وحسرة في الآخرة[٤٦٨].
٢٦- كفى أدبًا لنفسك ما كرهت لغيرك[٤٦٩].
٢٧- لا تنظر إلى من قال وانظر إلى ما قال[٤٧٠].

(٤٥٦) المصدر نفسه ص(٣٥)، المصدر نفسه ص(٢٣٥).
(٤٥٧) منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله ص(٢٣٥).
(٤٥٨) المصدر نفسه ص(٢٣٦).
(٤٥٩) المروءة: هي كمال الرجولة، منهج علي بن أبي طالب ص(٢٤٣).
(٤٦٠) نثر اللآلي من كلام علي بن أبي طالب، نقلاً عن منهج علي بن أبي طالب ص(٢٤٥).
(٤٦١) مطلوب كل طالب من كلمات علي بن أبي طالب عن منهج علي ص(٢٤٦).
(٤٦٢) المصدر نفسه ص(٢٤٧).
(٤٦٣) المصدر نفسه ص(٢٤٧).
(٤٦٤) المصدر نفسه ص(٢٤٨).
(٤٦٥) الإعجاز للثعالبي ص(٢٩) المرجع السابق ص(٢٤٩).
(٤٦٦) نثر اللآلي من كلام علي بن أبي طالب والمرجع السابق ص(٢٤٩).
(٤٦٧) نثر اللآلي من كلام علي بن أبي طالب والمرجع السابق ص(٢٤٩).
(٤٦٨) المرجع السابق ص(٢٤٩).
(٤٦٩) المرجع السابق ص(٢٥٠).
(٤٧٠) المرجع السابق ص(٢٥٠).

٢٨- خير الناس من ينفع الناس(٤٧١).

٢٩- المرء مخبوء تحت لسانه(٤٧٢).

٣٠- اللسان معيار أطاشه الجهل وأرجحه العقل(٤٧٣).

٣١- أخوك من واساك في الشدة(٤٧٤).

٣٢- قيمة كل امرئ ما يحسنه.

٣٣- احذر صولة الكريم إذا جاع، وصولة اللئيم إذا شبع.

٣٤- النفس مؤثرة للهوى، آخذة بالهوينى، جامحة إلى اللهو، أمارة بالسوء، مستوطنة للفجور، طالبة للراحة، نافرة عن العمل، فإن أكرهتها أنضيتها، وإن أهملتها أرديتها(٤٧٥).

٣٥- العجز آفة، والصبر شجاعة، والزهد ثروة، والورع جنة.

٣٦- لا تكن عبد غيرك، وقد جعلك الله حرًا.

٣٧- إياك والاتكال على المنى، فإنها بضائع النوكى(٤٧٦).

٣٨- الناس نيام، إذا ماتوا انتبهوا.

٣٩- الناس أعداء ما جهلوا.

٤٠- ما هلك امرؤ عرف قدره.

٤١- رب كلمة سلبت نعمة.

٤٢- الآداب حلل مجددة والفكر مرآة صافية.

٤٣- الفقر يخرس الفطن عن حجته، والمقل غريب في بلدته.

٤٤- إذا أقبلت الدنيا على أحد أعارته محاسن غيره، وإذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه(٤٧٧).

٤٥- اجمعوا هذه القلوب، والتمسوا لها طرف الحكمة، فإنها تمل كما تمل الأبدان(٤٧٨).

---

(٤٧١) المرجع السابق ص(٢٥١).

(٤٧٢) المرجع السابق ص(٢٥٢).

(٤٧٣) أدب الدنيا والدين ص(٢٦٥).

(٤٧٤) منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله ص(٢٥٣).

(٤٧٥) المرتضى للندوي ص(٢٠١).

(٤٧٦) النوكى: الحمقى.

(٤٧٧) المرتضى للندوي ص(٢٠٢).

(٤٧٨) المرتضى للندوي ص(٢٠١).

٤٦- بشاشة الوجوه عطية ثابتة[٤٧٩].
٤٧- العفو عند المقدرة شكر للمقدرة[٤٨٠].
٤٨- إعادة الاعتذار تذكير للذنب[٤٨١].
٤٩- أبلغ العظات النظر إلى الأموات[٤٨٢].
٥٠- ذكر الموت جلاء القلوب[٤٨٣].

فهذه بعض الحكم لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه التي سارت بين الناس، والتي لخصت كثيرًا من تجاربه في الحياة في عبارات موجزة، غزيرة المعاني والغايات والأهداف والمقاصد كان لها تأثير في حياة المجتمع الذي عاش فيه والمجتمعات المتلاحقة من بعده إلى يومنا هذا، لقد كانت الحكم، والخطب والأشعار والمواعظ من وسائل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في توجيه وترشيد وتعليم المجتمع الإسلامي.

**خامسًا: حديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عن صفات خيار العباد، وعن تطوع النبي (ﷺ)، ووصف الصحابة الكرام:**

**١- صفات خيار العباد:**

سئل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عن خيار العباد فقال: الذين إذا أحسنوا استبشروا، وإذا أساؤوا استغفروا، وإذا ابتلوا صبروا، وإذا غضبوا غفروا[٤٨٤]، وقال: ألا وإن لله عبادًا كمن رأى أهل الجنة في الجنة مخلدين، وأهل النار في النار معذبين.. شرورهم مأمونة، وقلوبهم محزونة، أنفسهم عفيفة وحوائجهم خفيفة، صبروا أيامًا قليلة لعقبى راحة طويلة، إذا رأيتهم في الليل، رأيتهم صافين أقدامهم تجري دموعهم على خدودهم، يجأرون إلى الله في فكاك رقابهم، وأما نهارهم فضلاء حلماء بررة أتقياء، كأنهم القداح، ينظر إليهم الناظر فيقول: مرضى وما بهم من مرض، وخولطوا، ولقد خالط القوم أمر عظيم[٤٨٥]، وقال: ينبغي للمؤمن أن يكون نظره عبرة، وسكوته فكرة، وكلامه حكمة[٤٨٦]، وقال: طوبى لكل عبد نومه[٤٨٧] عرف الناس، ولم يعرفه الناس، عرف الله برضوانه، أولئك

---

(٤٧٩) نثر اللآلي من كلام علي بن أبي طالب، نقلاً عن منهج علي بن أبي طالب ص(٢٣٨).
(٤٨٠) مطلوب كل طالب نقلاً عن منهج علي بن أبي طالب ص(٢٣٩).
(٤٨١) الإعجاز العلمي للثعالبي ص(٢٩) نقلاً عن علي بن أبي طالب (٢٣٩).
(٤٨٢) نثر اللآلي نقلاً عن منهج علي بن أبي طالب ص(١٤٨).
(٤٨٣) منهج علي بن أبي طالب ص(١٤٩).
(٤٨٤) مروج الذهب (٢/ ٤٣١).
(٤٨٥) البداية والنهاية (٨/ ٦).
(٤٨٦) مروج الذهب (٢/ ٤٣٤).
(٤٨٧) الخامل الذكر الذي لا يؤبه له، وقيل: الغامض في الناس الذي لا يعرف الشر وأهله.

مصابيح الهدى، يكشف الله عنهم كل فتنة مظلمة، سيدخلهم الله في رحمة منه ليسوا بالمذاييع[٤٨٨]، البذر[٤٨٩]، ولا الجفاة[٤٩٠] المرائين[٤٩١]، وكلام أمير المؤمنين علي فيه تأثر واضح بقول رسول الله (ﷺ): «إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي»[٤٩٢].

**٢- إجابته لمن سأل عن تطوع النبي ((ﷺ)):**

عن عاصم بن ضمرة قال: سألنا عليًا عن تطوع النبي (ﷺ) بالنهار فقال: إنكم لا تطيقونه. قال: قلنا: ما أطقنا. قال: كان النبي (ﷺ) إذا صلى الفجر أمهل، حتى إذا كانت الشمس من ها هنا، يعني من قبل المشرق، مقدارها من صلاة العصر من ها هنا من قبل المغرب قام فصلى ركعتين، ثم يمهل حتى إذا كانت الشمس من ها هنا يعني من قبل المشرق مقدارها من صلاة الظهر من ها هنا، يعني من قبل المغرب قام فصلى أربعًا، وأربعا قبل الظهر إذا زالت الشمس، وركعتين بعدها، وأربعًا قبل العصر، يفصل بين كل ركعتين بالتسليم على الملائكة المقربين، والنبيين، ومن تبعهم من المؤمنين والمسلمين، قال: قال علي: تلك ست عشرة ركعة تطوع النبي (ﷺ) بالنهار، وقل من يداوم عليها[٤٩٣]، وقد بين أمير المؤمنين في موضع آخر هدي رسول الله (ﷺ) في الوتر فقال: أوتر رسول الله (ﷺ) من أول الليل وآخره وأوسطه فانتهى وتره إلى السحر[٤٩٤]، وفي بيان هدي النبي (ﷺ) بعد صلاته، قال أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب: كان النبي (ﷺ) إذا سلم من الصلاة قال: «اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت»[٤٩٥].

**٣- وصف أمير المؤمنين علي رضي الله عنه للصحابة الكرام:**

لما أحس أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه من أصحابه شيئًا من الغفلة وقلة النشاط في الطاعة ذكرهم بشيء من سيرة أسلافهم أصحاب رسول الله (ﷺ) فيما رواه أبو أراكة بقوله: صليت مع علي صلاة الفجر، فلما انفلت عن يمينه مكث كأن عليه كآبة، حتى إذا كانت الشمس على حائط المسجد قيد رمح صلى ركعتين ثم قلب يده فقال: والله لقد رأيت أصحاب محمد (ﷺ) فما أرى اليوم شيئًا يشبههم، لقد كانوا يصبحون صفرًا شعثًا غبرًا بين أعينهم أمثال ركب المعزى، قد باتوا لله سجدا وقياما، يتلون كتاب الله، يتراوحون

---

(٤٨٨) المذاييع: جمع مذياع، من أذاع الشيء إذا أفشاه والمذايع: الذي لا يكتم السر.

(٤٨٩) البذر جمع بذور وهو الذي يفشي الكلام بين الناس.

(٤٩٠) الجفاء: غلظ الطبع.

(٤٩١) صفة الصفوة (١/ ٣٢٥).

(٤٩٢) المسند (١/ ١٦٨) وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح، مسلم (٤/ ٢٢٧٧).

(٤٩٣) مسند أحمد (٢/ ٦٢) قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٤٩٤) المصدر نفسه (٢/ ٦٤) قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٤٩٥) صحيح سنن أبي داود (١/ ٢٨٣) للألباني.

بين جباههم وأقدامهم، فإذا أصبحوا فذكروا الله مادوا كما تميد الشجر في يوم الريح، وهملت أعينهم حتى تنبل ثيابهم، والله لكأن القوم باتوا غافلين، ثم نهض فما رؤي بعد ذلك مفترًا حتى قتله ابن ملجم عدو الله الفاسق(٤٩٦).

**٤- تنبيه أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أصحابه على فضائل الأعمال:**

مما ورد له في خطبة قوله: أوصيكم بتقوى الله فإن أفضل ما توسل به العبد الإيمان والجهاد في سبيله، وكلمة الإخلاص فإنها الفطرة، وإقام الصلاة فإنها الملة وإيتاء الزكاة فإنها فريضة، وصوم شهر رمضان فإنه جنة من عذابه، وحج البيت فإنه منفاة مدحضة للذنب، وصلة الرحم فإنها منسأة في الأجل، ومحبة في الأهل، وصدقة السر فإنها تكفر الخطيئة، وتطفئ غضب الرب، وصنع المعروف فإنه يدفع ميتة السوء ويقي مصارع الهول، أفيضوا في ذكر الله فإنه أحسن الذكر(٤٩٧).

**٥- معايدة المريض:**

عن ثوير بن أبي فاختة عن أبيه قال: أخذ علي بيدي، قال: انطلق بنا إلى الحسن نعوده، فوجدنا عنده أبا موسى فقال علي رضي الله عنه: أعائدًا جئت يا أبا موسى أم زائرًا؟ قال: لا بل عائدًا، فقال علي: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «**ما من مسلم يعود مسلمًا غدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك، حتى يمسي، وإن عاده عشية إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح**»(٤٩٨).

**٦- تشجيعه لابنه الحسن على الخطابة:**

قال أمير المؤمنين علي لابنه الحسن يومًا: يا بني ألا تخطب حتى أسمعك؟ فقال: إني أستحي أن أخطب وأنا أراك، فذهب علي حيث لا يراه الحسن ثم قام الحسن في الناس خطيبًا، وعلي يسمع فأدى خطبة بليغة فصيحة، فلما انصرف جعل علي يقول: ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم(٤٩٩).

**٧- إني لست كما تقول:**

قال عمرو بن مرة، عن أبي البختري قال: جاء رجل إلى علي فأثنى عليه، وكان قد بلغه عنه أمر، فقال: إني لست كما تقول، وأنا فوق ما في نفسك(٥٠٠).

**٨- التحذير من الانقياد للشهوات:**

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: إياكم وتحكيم الشهوات على أنفسكم، فإن

(٤٩٦) حلية الأولياء (١/ ٧٦).
(٤٩٧) البداية والنهاية (٧/ ٣١٩).
(٤٩٨) صحيح سنن الترمذي للألباني (١/ ٢٨٦).
(٤٩٩) البداية والنهاية (٨/ ٣٧).
(٥٠٠) تاريخ الذهبي عهد الخلفاء الراشدين (٦٤٦).

عاجلها ذميم، وآجلها وخيم، فإن لم ترها تنقاد بالتحذير والإرهاب، فسوفها بالتأميل والإرغاب، فإن الرغبة والرهبة إذا اجتمعا على النفس ذلت لهما وانقادت[٥٠١].

**٩- إدخال السرور على المسلم:**

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إن من موجبات المغفرة إدخال السرور على أخيك المسلم[٥٠٢].

**١٠- أشد الأعمال ثلاثة:**

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: أشد الأعمال ثلاثة: إعطاء الحق من نفسك وذكر الله على كل حال، ومواساة الأخ في المال[٥٠٣].

**سادسًا: التحذير من الأمراض الخطيرة التي حذر منها أمير المؤمنين:**

**١- جزاء المعصية:**

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: جزاء المعصية الوهن في العبادة، والضيق في المعيشة، والنقص في اللذة، قيل: وما النقص في اللذة؟ قال: لا ينال شهوة حلال إلا جاءها ما ينغصه إياها[٥٠٤]، ومع هذا الترهيب والتخويف من المعصية فإن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لا يغفل عن الترغيب في تركها، حيث قال: من كان يريد العز بلا عشيرة والنسل بلا كثرة، والغنا بلا مال، فليتحول من ذل المعصية إلى عز الطاعة[٥٠٥]، وقال: إذا رغبت في المكارم، فاجتنب المحارم[٥٠٦].

**٢- طول الأمل واتباع الهوى:**

خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه على منبر الكوفة، فحمد الله وأثنى عليه وقال: أيها الناس إن أخوف ما أخاف عليكم طول الأمل واتباع الهوى، فأما طول الأمل فينسي الآخرة، وأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، ألا إن الدنيا قد ولت مدبرة والآخرة مقبلة، ولكل واحد منها بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدًا حساب ولا عمل[٥٠٧].

فقد أشار أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في هذه الخطبة إلى أمرين خطيرين لهما تأثير

---

(٥٠١) أدب الدنيا والدين ص(٢٦).
(٥٠٢) تنبيه الغافلين ص(٢٤٥).
(٥٠٣) حلية الأولياء(١/ ٨٥).
(٥٠٤) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص(٢٠٤).
(٥٠٥) تاريخ اليعقوبي(٢/ ٢٠٦).
(٥٠٦) منهج علي في الدعوة إلى الله ص(٣٠٧)، نقلاً عن سجع الحمام في حكم الإمام ص(٥٧).
(٥٠٧) حلية الأولياء (١/ ٧٦) صفة الصفوة (١/ ٣٢١).

كبيـر في حياة الناس وهما طول الأمل بالبـقاء على قيد الحيـاة، فإنه يخدع الإنسان فـيشغله بمشاريعه وطموحاته الدنيوية، ويمنيه بتأجيل الأعمال الصـالحة وينسيه الحياة الآخرة، فيتضخم عمله للدنيا ويتضـاءل عمله للآخرة، ولو أن كل إنسان وضع في مخيلتـه أنه معرض للموت في كل ساعة لأصبح العـمل للدنيا قليلاً بقدر الضرورة، ولأصبح العمل للآخـرة كثيرًا لأنه هو الهدف الذي سيبقى بعد الموت، وأما اتباع الهوى فـإنه يغير اتجاه صاحبه، ويجعل الهدف الأعلى في فكره هو تحـقـيق هوى نفـسـه وهوى من يعـمل تحت إدارتهم، وينسي الهـدف الإسـلامي الأعلى الذي هو ابتغـاء رضوان الله (تعـالى) وفضـله في الجنة، وبناء على تغيـر الأهداف فإن مناهج العمل تتغير فتصبح مناهج دنيوية يراد بها تحقيق أهداف لا تتجاوز الحياة الدنيا، كمـا تتغير العلاقات والروابط، فـتصبح الأخوة قائمـة على المصالح الدنيوية بدلاً من الإيمان والتقوى، إلى غير ذلك مما يترتب على تغير الأهداف[٥٠٨].

**٣- الرياء:**

قـال أميـر المؤمنين علي رضي الله عنه: لا تعـمل شيـئًـا من الخيـر ر ياءً، ولا تتركـه حياء[٥٠٩]، وقال رضي الله عنه :للمرائي ثلاث علامات: يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان في الناس، ويزيد في العمل إذا أثني عليه،وينقص إذا ذم به[٥١٠]، وقد جاءت نصوص الشرع بتسمية الرياء شركًـا أصغر، فقد قال رسول الله (ﷺ): «**إن أخوف مـا أخاف عليكم الشرك الأصـغر، قالوا: ومـا الشرك الأصغـر يا رسول الله؟ قال: الرياء يقـول الله (تعالى) يوم القيامة إذا جازى الناس بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جـزاء**»[٥١١]، وعن شداد بن أوس، قال: كنا نعد الرياء على عهد رسول الله (ﷺ) الشـرك الأصغـر[٥١٢]، إن أميـر المؤمنين علي رضي الله عنه حذر من مـرض القلب الخطير المتعلق بإرادة الإنسان وقصده، وحث الناس على إفراد الله (سبحانه وتعالى) بالقصد والطاعة والالتزام بالسير على هدي السنة النبوية، فقد ثبت عنه أنه قال: «**لا ينفع قول إلا بعمل، ولا عمل إلا بنيـة ولا نية إلا بموافـقة السنة**»[٥١٣]،ويروى عن الفضـيل بن عيـاض أنه تلا قوله (تعالى): ﴿**لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً**﴾ [الملك: ٢]، فقال: أخلصه وأصوبه قالوا: يا أبا علي ما أخلصَـه وأصوبه؟ قال: إذا كان العـمل خالصًا ولم يكن صوابا لم يقـبل، وإذا كان صوابًا ولم يـكن خالصًا، لم يقـبل حتى يكون خـالصًا صـوابًا، والخالص إذا كـان لله (عز وجل)، والصواب إذا كان على السنة[٥١٤].

(٥٠٨) التاريخ الإسلامي الحميدي (٢٠/٢٧٦).
(٥٠٩) أدب الدنيا والدين ص(١١٠).
(٥١٠) الكبائر للذهبي ص(١٤٥) فرائد الكلام ص(٣٣٨).
(٥١١) مسند أحمد (٥/٤٢٨، ٤٢٩) إسناده حسن.
(٥١٢) الحاكم (٤/٣٢٩) صححه الألباني في صحيح الترغيب (١/١٨).
(٥١٣) الشريعة للآجري (٢/٦٣٨) إسناده فيه ضعف.
(٥١٤) مدارج السالكين (٢/٨٩).

إن صور الرياء متعددة، منها ما يكون بالأعمال، كمن يصلي فيطيل القيام ويطيل الركوع والسجود ويظهر الخشوع عند رؤية الناس له، ومنها ما يكون من جهة القول، كالرياء بالوعظ والتذكير وحفظ الأخبار والآثار لأجل المحاورة وإظهار غزارة العلم، وتحريك الشفتين في محضر الناس ويتغافل عنه في منزله، أو يكون الرياء من جهة الزي، كإبقاء أثر السجود على جبهته، ولبس الغليظ من الثياب وخشنها مع تشميرها كثيرًا ليقال، عابد زاهد، أو ارتداء نوع معين من الزي ترتديه طائفة يعدهم الناس علماء ليقال عالم، أو يكون الرياء بالأصحاب والزائرين، كالذي يتكلف أن يستزير عالمًا أو عابدًا ليقال: إن فلانًا قد زار فلانًا، ودعوة الناس لزيارته كي يقال: إن أهل الخير يترددون عليه، وكذلك من يرائي بكثرة الشيوخ ليقال: لقي فلان شيوخًا كثيرين واستفاد منهم ليباهي بذلك، أو يكون الرياء لأهل الدنيا، كمن يتبختر ويختال في مشيته، أو يصعر خده أو يلف عباءته، أو يحرك سيارته حركة خاصة، أو يكون الرياء من جهة البدن، كأن يرائي بأظهار النحول والصفار ليوهم الناس أنه جاد في العبادة كثير الخوف والحزن وغير ذلك من الصور التي يرائي بها المراؤون -يطلبون بذلك الجاه والمنزلة في قلوب العباد[٥١٥]، وبالجملة فإن المحافظة على أعمال الخير والإكثار من ذكر الله وعبادته وخشيته وحده، وعدم خشية الناس في ذات الله ومحبة الصالحين وغيرها كل هذا من الأعمال الصالحة الحسنة المطلوبة، ولكن لا بد أن تكون كلها لله لأن الرياء هو عمل العمل الصالح لغير الله، فيجب على المؤمن تصحيح نيته لله لا يترك العمل الصالح خوفًا من الرياء ، فليحذر تلك الأصناف من خطورة مرض الرياء وليتذكروا قول رسول الله (ﷺ): «**من طلب العلم ليماري به الفقهاء أو يجاري به العلماء أو يصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار**»[٥١٦].

إن أمير المؤمنين علي حذر من الرياء وبين أن الأعمال لا تقبل إلا إذا كانت خالصة لله وعلى سنة رسول الله (ﷺ)، وقد حث رضي الله عنه على التمسك بالسنة في مناسبات عديدة، فقد قال: واقتدوا بهدي نبيكم (ﷺ)، فإنه أفضل الهدي، واستنوا بسنته فإنها أفضل السنن[٥١٧].

**٤- العجب:**

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: الإعجاب آفة الألباب[٥١٨]. إن العجب من الآفات التي تفسد الأعمال، وتهلك العباد، والعجب أحد العوارض التي تعرض للعاملين

(٥١٥) انظر : مختصر منهاج القاصدين ص(٢١٥-٢١٧)، الشرك في القديم والحديث أبو بكر محمد زكريا (١/ ١٧١، ١٧٢).
(٥١٦) مسلم، ك الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة (٢/ ١٥١٣).
(٥١٧) البداية والنهاية (٧/ ٣١٩).
(٥١٨) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٥٧١).

أثناء سيرهم إلى الله (تعالى)، والعجب داء ينافي الإخلاص ويضاده، ويجافي الذل والافتقار لله (تعالى)، فهو سوء أدب مع الله (جلا جلاله) كما أن العجب يجانب محاسبة النفس، ويعمي عن معرفة أدواء النفس وعيوبها، ومع كل ذلك فالحديث عن تلك الآفة قليل مع شدة خطرها، وعظيم ضررها، وكثرة انتشارها، قال عبد الله بن المبارك: العجب أن ترى عندك شيئًا ليس عند غيرك[٥١٩]، وفرق ابن تيمية بين الرياء والعجب فقال: والعجب قرين الرياء لكن الرياء من باب الإشراك بالخلق، والعجب من باب الإشراك بالنفس، فالمرائي لا يحقق قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ والمعجب لا يحقق قوله: ﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فمن حقق قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ خرج من الرياء، ومن حقق قوله: ﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ خرج من الإعجاب[٥٢٠].

وقال الغزالي: اعلم أن آفات العجب كثيرة، فإن العجب يدعو إلى الكبر، فيتولد عن العجب الكبر، ومن الكبر الآفات الكثيرة التي لا تخفى، والعجب يدعو إلى نسيان الذنوب وإهمالها، وأما العبادات فإنه يستعظمها ويتبجح بها، ويمن على الله بفعلها، وينسى نعمة الله عليه بالتوفيق والتمكين منها، والمعجب يغتر بنفسه وبرأيه ويأمن مكر الله وعذابه، ويظن أنه عند الله بمكان.. ويخرجه العجب إلى أن يثني على نفسه ويحمدها ويزكيها[٥٢١].

وقال القرافي: وسر تحريم العجب أنه سوء أدب على الله (تعالى) فإن العبد لا ينبغي له أن يستعظم ما يتقرب به إلى سيده، بل يستصغره بالنسبة إلى عظمة سيده، لا سيما عظمة الله (تعالى)، ولذلك قال الله (تعالى): ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]، أي ما عظموه حق تعظيمه، فمن أعجب بنفسه وعبادته فقد هلك مع ربه، وهو مطلع عليه، وعرض نفسه لمقت الله (تعالى) وسخطه[٥٢٢]. ويمكن القول ابتداء، أن سبب العجب أمران:

**(أ)** الجهل بحق الله (تعالى)، وعدم تقدير الله (تعالى) حق قدره وقلة العلم بأسماء الله وصفاته، وضعف التعبد بهذه الأسماء والصفات.

**(ب)** الغفلة عن حقيقة النفس، وقلة العلم بطبيعتها، والجهل بعيوبها وأدوائها، وإهمال محاسبة النفس ومراقبتها[٥٢٣].

ومن ثم فإن العلاج هو التعرف على الله (تعالى)، وتحقيق تعظيمه وتقديره حق قدره والقيام بالعبودية له من خلال العلم بأسمائه الحسنى وصفاته العلى وتعبد المولى (عز وجل) بها، فالخير كله بيديه، ورحمته (تعالى) وسعت كل شيء ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

---

(٥١٩) سير أعلام النبلاء (٨/٤٠٧).

(٥٢٠) مجموع الفتاوي (١٠/٢٧٧).

(٥٢١) الإحياء (٣/ ٣٧٠) باختصار.

(٥٢٢) الفروق (٤/٢٢٧).

(٥٢٣) معالم في السلوك وتزكية النفوس، عبد العزيز عبد اللطيف ص(٩٨).

قال الإمام الشافعي: إذا خفت على عملك العجب، فاذكر رضى من تطلب، وفي أي نعيم ترغب،ومن أي عقاب ترهب، فمن فكر في ذلك صغر عنده عمله[٥٢٤].

وقال النووي: وطريقه في نفي الإعجاب أن يعلم أن العلم فضل من الله (تعالى)، ومنة عارية، فإن لله (تعالى) ما أخذ، وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى، فينبغي ألا يعجب بشيء لم يخترعه، وليس مالكًا له، ولا على يقين من دوامه[٥٢٥].

قال ابن القيم: اعلم أن العبد إذا شرع في قول أو عمل يبتغي به مرضاة الله ، مطالعًا فيه منة الله عليه به، وتوفيقه له فيه، وأنه بالله لا بنفسه، ولا بمعرفته وفكره وحوله وقوته، بل هو الذي أنشأ له اللسان والقلب والعين والأذن، والذي منّ عليه بالقول والفعل، فإذا لم يغب ذلك عن ملاحظته ونظر قلبه لم يحضره العجب الذي أصله رؤية نفسه وغيبته عن شهود منة ربه وتوفيقه[٥٢٦]، أما العلاج الآخر للعجب فهو معرفة النفس ومحاسبتها. قال ابن الجوزي: من تلمح خصال نفسه وذنوبها ، علم أنه على يقين من الذنوب والتقصير، وهو من حال غيره في شك، فالذي يحذر منه الإعجاب بالنفس،ورؤية التقدم في أعمال الآخرة، والمؤمن لا يزال يحتقر نفسه، وقد قيل لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: إن مت ندفنك في حجرة رسول الله (ﷺ)، فقال: لأن ألقى الله بكل ذنب غير الشرك أحب إليّ من أن أرى نفسي أهلا لذلك[٥٢٧]، وقال ابن حزم: من امتحن بالعجب فليفكر في عيوبه، فإن أعجب بفضائله، فليفتش ما فيه من الأخلاق الدنيئة، فإن خفيت عليه جملة حتى لا يظن أنه لا عيب فيه، فليعلم أن مصيبته إلى الأبد، وأنه أتم الناس نقصًا، وأعظمهم عيوبًا، وأضعفهم تمييزًا، وأول ذلك أنه ضعيف العقل، جاهل، ولا عيب أشد من هذين، لأن العاقل هو من ميز عيوب نفسه فغالبها وسعى في قمعها، والأحمق هو الذي يجهل عيوب نفسه، وأن أعجبت بآرائك، فتفكر في سقطاتك واحفظها ولا تنسها، وفي كل رأي قدرته صوابًا فخرج بخلاف تقديرك، وأصاب غيرك وأخطأت أنت، وإن أعجبت بعملك، فاعلم أنه لا حصة لك فيه، وأنه موهبة من الله مجردة، وهبك إياها ربك (تعالى)، فلا تقابلها بما يسخطه، فلعله ينسيك ذلك بعلة يمتحنك بها، تولد عليك نسيان ما علمت وحفظت، وإن أعجبت بمدح إخوانك لك، ففكر في ذم أعدائك إياك، فحينئذ ينجلي عنك العجب، فإن لم يكن لك عدو، فلا خير فيك، ولا منزلة أسقط من منزلة من لا عدو له، فليست إلا منزلة من ليس لله (تعالى) عنده نعمة يحسد عليها -عافانا الله- فإن استحقرت عيوبك، ففكر فيها لو ظهرت إلى الناس، وتمثل اطلاعهم عليها، فحينئذ تخجل وتعرف نقصك[٥٢٨]، ويقول

---

(٥٢٤) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٢).

(٥٢٥) المجموع (١/ ٥٥).

(٥٢٦) الفوائد ص(١٤٤).

(٥٢٧) صيد الخاطر ص(٢٥٠، ٢٥١).

(٥٢٨) الأخلاق والسير ص(٦٦- ٧١) باختصار.

ابن القيم أثناء حديثه عن الحكم والأسرار في قضاء السيئات وتقدير المعاصي: ومنها: أن الله (سبحانه) إذا أراد بعبده خيرًا أنساه رؤية طاعاته ورفعها من قلبه ولسانه، فإذا ابتلي بذنب جعله نصب عينيه، ونسي طاعته وجعل همه كله بذنبه، فلا يزال ذنبه أمامه، إن قام أو قعد، أو غدا أو راح، فيكون هذا عين الرحمة في حقه، كما قال بعض السلف: إن العبد ليعمل الذنب فيدخل به الجنة، ويعمل الحسنة فيدخل بها النار، قالوا: وكيف ذلك؟ قال: يعمل الخطيئة فلا تزال نصب عينيه، كلما ذكرها بكى وندم وتاب واستغفر وتضرع وأناب إلى الله، وذل له وانكسر وعمل لها أعمالاً فتكون سبب الرحمة في حقه، ويعمل الحسنة فلا تزال نصب عينيه يمن بها، ويراها، ويعتد بها على ربه وعلى الخلق، ويتكبر بها ويتعجب من الناس كيف لا يعظمونه ويكرمونه ويجلونه عليها، فلا تزال هذه الأمور به حتى تقوى عليه آثارها فتدخله النار[٥٢٩]، هذا شرح موجز وسريع لقول أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: الإعجاب آفة الألباب[٥٣٠].

**سابعًا: اهتمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بترشيد الأسواق ومواقف متنوعة مع الناس:**

حرص أمير المؤمنين علي رضي الله عنه على تفقد أحوال المتعاملين في السوق وحملهم على التعامل بالشرع الحنيف، وقد ثبت أن عليًا رضي الله عنه كان شديد العناية بالاحتساب في مجال السوق، فعن الحر بن جرموز المرادي عن أبيه قال: رأيت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يخرج من القصر وعليه قطريتان وإزاره إلى نصف الساق، ورداؤه مشمر قريبًا منه، ومعه الدر يمشي في الأسواق ويأمرهم بتقوى الله وحسن البيع ويقول: أوفوا الكيل والميزان ولا تنقحوا[٥٣١]اللحم[٥٣٢]، وعن أبي مطر قال: خرجت من المسجد، فإذا رجل ينادي من خلفي: ارفع إزارك، فإنه أبقى لثوبك وأتقى لربك، وخذ من رأسك إن كنت مسلمًا فمشيت خلفه، وهو مؤتزر بإزار، مرتد برداء، ومعه الدرة، كأنه أعرابي بدوي، فقلت : من هذا؟ فقال لي رجل: أراك غريبًا في هذا البلد، فقلت: أجل من أهل البصرة. فقال: هذا علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، حتى انتهى إلى دار ابن أبي معيط وهو يسوق الإبل، فقال: بيعوا ولا تحلفوا، فإن اليمين تنفق السلعة وتمحق البركة ثم أتى أصحاب التمر، فإذا خادمة تبكي، فقال: ما يبكيك؟ فقالت: باعني هذا الرجل تمرًا بدرهم، فرده مولاي فأبى أن يقبله. فقال له علي: خذ تمرك وأعطها درهمًا، فإنها ليس لها أمر، فدفعه، فقلت: أتدري من هذا؟ فقال:

---

(٥٢٩) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٩٧، ٢٩٨) مدارج السالكين (١/ ١٧٧).

(٥٣٠) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٥٧).

(٥٣١) في بعض الروايات (ولا تنفحوا) كما في الطبقات (٣/ ٢٨) ومصنف ابن أبي شيبة(٧/ ٣٠٨) .

(٥٣٢) تنقيح العظم استخراج مخه وتنقح شحم الناقة أي قل، ونقح الشيء أي قشره والمراد -والله أعلم: لا تخرجوا مخ العظام المكسو باللحم، (لسان العرب (٢/ ٦٢٤)، فضائل الصحابة (٢/ ٦٨٨) إسناده صحيح رقم (٩٣٨).

لا. فقلت: هذا علي بن أبي طالب أمير المؤمنين. فـهبت تمرها فـأعطاها درهمًا. ثم قـال الرجل: أحب أن ترضى عني يا أمـير المـؤمنين. قال: مـا أرضاني عنك، إذا وفـيت الناس حقوقهم. ثم مـر مجتازًا بأصحاب التمـر، فقال: يا أصحاب التمـر، أطعموا المساكين يرب كسبكم ثم مر مجتازًا - ومعه المسلمون- حتى انتهى إلى أصحاب السمك. فقال: لا يباع في سوقنا طافي. ثم أتى دار فرات وهي سوق الكرابيس(٥٣٣). وعن زاذان قال: كان علي يمشي في الأسواق وحده يرشد الضال، ويعين الضعيف، ويمر بالبيـاع والبقال فيفـتح عليه القرآن ويقرأ ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا﴾ [القصص: ٨٣]، ثم يقـول: نزلت هذه الآية بأهل العـدل والتواضع مـن الولاة وأهل القدرة من سـائر النـاس(٥٣٤)، وأخرج الخلال بسنده عن أبي سعيد قـال: كان علي أتى السوق فقال: يا أهل السوق، اتقوا الله وإياكم والحلف، فإن الحلف ينفق السلعة، ويمحق البركة، وإن التاجر فاجر إلا من أخذ الحق وأعطى الحق، والسلام عليكم ثم ينصرف، ثم يعود إلـيهم فيقول لهم مثل مـقالتـه(٥٣٥)، وعن أبي الصهبـاء قال: رأيت علي بن أبي طالب رضي الله عنه بشط الكلأ يسأل عن الأسعار(٥٣٦)، فهذا الإشراف المباشر من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، تضمن أمورًا منها:

**(أ)** لم تقتصـر الجولات على الإشراف والتوجيه، بل تعـدت ذلك إلى خدمة الناس في شؤونهم، كإرشاد الضـال، وإعانة الضعيف، فمن كانت هذه حاله كانت كلمـاته وتوجيهاته أقرب للناس، وأبلغ في نفوس السامعين.

**(ب)** تضمن التـوجيه النصح بتقوى الله (سـبحانه وتعالى) وحـسن البيع، وربما وعظهم بالقرآن الكريم، فـإن من اتقى الله (سبـحانه وتعالى) أحـسن معاملتـه للناس في النفع لهم، والبعد عن مخادعتهم وغشهم.

**(ج)** منع الظلم في المعامـلات، وإعادة الحق إلى أهله، لأن موالي الجارية الـتي اشترت التمر لم يجيزوا هذا الشراء، وهي في نفسها ليس لها أمر.

**(د)** النهي عن أصناف الغش التي تحـصل في الأسواق، كنهيه عـن تنقيح اللحم، وفي رواية (نفخ اللحم).

**(هـ)** بيان بعض الأحكام والآداب المتعلقة في معاملات الناس ومنها:

- النهي عن الحلف في البـيع، وتعليل ذلك بأن اليمين تنـفق السلعة، وتمحق البـركة،

---

(٥٣٣) البداية والنهاية (٨/ ٤) اسم سوق الكرابيس.

(٥٣٤) الدر المنثور للسيوطي (٦/ ٤٤٤)، البداية والنهاية (٨/ ٥).

(٥٣٥) السنة ص(٣٥٢)، تحقيق د. عطية الزهراني ص(٣٥٢).

(٥٣٦) الرياض النضرة في مناقب العشرة ص(٦٩٠) شط الكلأ مكان وبالبصرة سوق الكلأ.

كما ورد عن رسول الله (ﷺ): «الحلف منفقة للسلعة، ممحقة للبركة»[٥٣٧].

- الحث على إطعام المساكين وترغيبهم فيه، لأنه زيادة في الكسب.

- النهي عن بيع السمك الطافي[٥٣٨] ولعل ذلك حتى لا يختلط مع المصيد الطري.

كان أمير المؤمنين يتفقد أمور التجار في حضرته ويأمر ولاته بذلك في الولايات، ويثني على المحسن منهم، أما من يقترف خطيئة بعد النهي، فينكل به، ويعاقبه من غير إسراف[٥٣٩] وكانت له بعض الإرشادات النافعة والنواهي الزاجرة التي تحث الناس على مكارم الأخلاق والالتزام بأحكام الشريعة وإليك بعضا منها:

**١- إنكاره على مزاحمة النساء الرجال في الأسواق:**

أنكر أمير المؤمنين علي على أناس لا يمنعون نساءهم من الخروج إلى الأسواق مزاحمات الكفار، فقال لهم: ألا تستحيون أو تغارون؟ فإنه بلغني أن نساءكم يخرجن في الأسواق يزاحمن العلوج[٥٤٠].

**٢- لا تردوا قليل الربح فتحرموا كثيره:**

كان علي رضي الله عنه يدخل السوق وبيده الدرة، وعليه عباءة ويقول: يا أيها التجار، خذوا الحق، وأعطوا الحق تسلموا، لا تردوا قليل الربح فتحرموا كثيره، ونظر إلى رجل يقص، فقال له: أتقص ونحن قريب عهد برسول الله (ﷺ)، لأسألنك فإن أجبتني وإلا جعفتك[٥٤١] بهذه الدرة، ما ثبات الدين وما زواله؟ قال: أما ثباته فالورع وأما زواله فالطمع، قال: أحسنت قص فمثلك من يقص[٥٤٢].

**٣- خطورة التجارة قبل التفقه في أحكامها:**

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: من اتجر قبل أن يتفقه في الدين فقد ارتطم في الربا ثم ارتطم ثم ارتطم[٥٤٣]، وقد كان الفاروق رضي الله عنه يضرب بالدرة من يقعد في السوق وهو لا يعرف الأحكام، ويقول: لا يقعد في سوقنا من لا يعرف الربا[٥٤٤]، وكان يقول: لا يبيع في سوقنا إلا من تفقه، وإلا أكل الربا شاء أو أبى[٥٤٥]، فكل شؤون

(٥٣٧) البخاري، ك البيوع (٢/ ٨٥).

(٥٣٨) هو الذي يعلو الماء ولا يرسب.

(٥٣٩) الدور السياسي للصفوة في صدر الإسلام ص(٢٠٢).

(٥٤٠) العلوج: جمع علج وهو الواحد من كفار العجم، مسند أحمد (٢/ ٢٥٤، ٢٥٥) قال أحمد شاكر: صحيح الإسناد.

(٥٤١) جعفه: صرعه وضرب به الأرض.

(٥٤٢) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي (٥/ ٧٠).

(٥٤٣) ارتطم: وقع: بستان العارفين ص(٣٥٠).

(٥٤٤) نظام الحكومة الإسلامية للكتاني (٢/ ١٧). (٥٤٥) المصدر نفسه (٢/ ١٧).

الحكم كانت محل اهتمام الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم لا يطغى جانب على جانب، فلا يختل الحال بين يدي الحاكم، فقد كانوا يقعدون للتجارة القواعد التي تصلح للأسواق، وتنظم التداول، وتضمن الثبات والاستقرار ، فلا غبن ولا غش، ولا احتكار ولا أسواق سوداء ولا زرقاء، ولا جهل بما يجوز وما لا يجوز في عالم التجارة، ويمكن اليوم تفقيه التجار من خلال دورات في المساجد خصوصًا التي في قلب الأسواق ولا بد من توجيه الخطاب للتجار من خلال كتيبات خاصة بهم والأشرطة الصوتية المختصرة التي تبين أحكام التجارة وتبسط من المسائل المتعلقة بها والتي تبرز ما يلي:

- نماذج مختارة من التجار المسلمين المخلصين لدينهم الذين نصروا الله ورسوله بأموالهم.
- بيان أهمية الآخرة بالنسبة لهم لكي يجمعوا بين خيري الدنيا والآخرة.

وعلى العلماء وطلاب العلم واجب كبير في تفقيه هذه الشريحة الكبيرة في المجتمعات، وعلى الحركات الإسلامية ألا تنسى واجبها في تعليم أبنائها من التجار وغيرهم هذا الفقه العزيز.

**٤- من سبق إلى موضع فهو أحق به:**

أثيرت قضية المحل التجاري في السوق وقضى علي بن أبي طالب رضي الله عنه في سوق الكوفة، أن من سبق إلى موضع فهو أحق به ما دام فيه ذلك اليوم، فإذا انتقل عنه، فهو لمن حل فيه، قال الأصبغ بن نباتة: خرجت مع علي بن أبي طالب إلى السوق، فرأى أهل السوق قد حازوا أمكنتهم فقال علي: ما هذا؟ فقالوا: أهل السوق قد حازوا أمكنتهم، فقال: ليس ذلك لهم، سوق المسلمين كمصلى المسلمين، من سبق إلى شيء فهو له يومه حتى يدعه، وظلت هذه القاعدة متبعة حتى ولاية المغيرة بن شعبة، فلما كانت ولاية زياد ابن أبيه عليها عام ٤٩ هـ جعل من قعد في مكان فهو أحق به ما دام فيه[٥٤٦].

**٥- المحتكر عاص ملعون:**

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في احتكار الطعام: جالب الطعام مرزوق، والمحتكر عاص ملعون[٥٤٧]، وقد أمر أمير المؤمنين بتحريق الطعام المحتكر، فقد أخرج الحافظ ابن أبي شيبة عن الحكم قال: أخبر علي برجل احتكر طعامًا بمائة ألف فأمر به أن يحرق[٥٤٨]وقد ذهب ابن قدامة أن الاحتكار المحرم ما اجتمعت فيه شروط ثلاثة هي:

(أ) أن يشتري ، فلو جلب شيئًا، أو أدخل من غلته شيئًا فادخره لم يكن محتكرًا، وهذا واضح من قول علي رضي الله عنه.

---

(٥٤٦) الأموال لأبي عبيد ص(١٢٣)، الحياة الاقتصادية د. بطانية ص(١١٥).

(٥٤٧) فقه علي قلعجي ص(٢٧)، مصنف عبد الرزاق (٨/ ٢٠٤)، مسند زيد ص(٢٤٥).

(٥٤٨) المصنف رقم (٤٣٣) (٦/ ١٠٣) الحسبة في العصر النبوي ص(٣٤).

(ب) أن يكون المشترى قوتًا(٥٤٩).

(ج) أن يضيق على الناس بشرائه. وترهيب أمير المؤمنين علي من الاحتكار مبني على قول رسول الله (ﷺ): «لا يحتكر إلا خاطئ»(٥٥٠).

**٦- الخسارة على المال والربح على ما اصطلحوا عليه:**

بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب شيئًا من أحكام المضاربة وهي: نوع من أنواع المعاملات بين الناس، وهي دفع مال معلوم لمن يتجر به ببعض ربحه، فقال رضي الله عنه: الوضيعة على المال، والربح على ما اصطلحوا عليه(٥٥١). والوضيعة تعني الخسران في الشركة وهي على المال، أي على كل واحد بقدر ماله، فإن كان مالهما متساويًا في القدر(٥٥٢) فالخسران بينهما نصفين، وإن كان أثلاثًا فالوضيعة أثلاثًا.

**٧- تحريقه قرية كانت تباع فيها الخمر:**

كان رضي الله عنه شديد الإنكار على من باع خمرًا، فقد أمر بتحريق قرية كانت تباع فيها الخمر، فقد روى الإمام أبو عبيدة القاسم بن سلام أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه نظر إلى زرارة(٥٥٣) فقال: ما هذه القرية؟ قالوا: قرية تدعى زرارة، يلحم فيها، تباع فيها الخمر، فقام يمشي حتى أتاها، فقال: علي بالنيران، أضرموها فيها، فإن الخبيث يأكل بعضه بعضًا قال (الراوي): فاحترقت من غربيها حتى بلغت بستان خوستا ابن جبرونا(٥٥٤).

**٨- احتسابه فيما يتعلق باللباس والهيئة:**

عن أبي مطر قال: خرجت من المسجد فإذا رجل ينادي خلفي: ارفع إزارك فإنه أبقى لثوبك، وأتقى لك، وخذ من شعرك إن كنت مسلمًا(٥٥٥).

**٩- حبسه أهل الشر والفساد:**

كان رضي الله عنه يلاحق أهل الشر والفساد، فإذا وجد أحدًا منهم حبسه، فقد روى القاضي أبو يوسف عن عبد الملك بن عمير قال: كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه إذا كان في القبيلة أو القوم الرجل الداعر حبسه، فإن كان له مال أنفق عليه من ماله، وإن لم يكن له مال أنفق عليه من بيت مال المسلمين، وقال: يحبس عنهم شره وينفق عليه من بيت مالهم(٥٥٦).

---

(٥٤٩) وقيل لا فرق في القوت وغيره.

(٥٥٠) مسلم، ك المساقاة (٣/ ١٢٢٨) والخاطئ: العاصي الآثم.

(٥٥١) مصنف ابن أبي شيبة (٦/ ٤)، مصنف عبد الرزاق (٨/ ٢٤٨).

(٥٥٢) المغني (٥/ ٣١).

(٥٥٣) محلة في الكوفة سميت باسم بانيها زرارة بن زيد.

(٥٥٤) الأموال ص (٩٧، ٩٨)، الحسبة لابن تيمية ص(٦٠).

(٥٥٥) البداية والنهاية (٨/ ٤).

(٥٥٦) الخراج لأبي يوسف ص(١٥٠).

**١٠- الترهيب من عدم الإنفاق:**

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: بشـر مال البخيل بحادث أو وارث[٥٥٧]، وقـال: البخـيل مستـعجل الفـقر، يعيش في الدنـيا عيش الفـقراء، ويحاسب في الـعقبى حـساب الأغنياء[٥٥٨].

**١١- مناداته للصلاة:**

كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه شديد الاهتمام بأمر الصلاة فقد كان يمر في الطريق مناديًا: الصلاة، الصلاة، كان يوقظ بذلك الناس لصلاة الفجر، يحدثنا الحسن رضي الله عنه عن خروجـه اليوم الذي طعن فـيه من بيتـه حيث يقول: فلمـا خرج من البـاب نادى: أيها الناس! الصـلاة، الصلاة. وكذلك كـان يصنع كل يوم، ومعـه درته، فاعـترضـه الرجلان، فضربه ابن ملجم على دماغه[٥٥٩].

**١٢- الاهتمام بالطرق العامة:**

كان أمير المؤمـنين علي رضي الله عنه يأمر بالمثاعب[٥٦٠]، والكـنف[٥٦١]، تقطع مـن طريق المسلمين[٥٦٢].

**١٣- ظهور بدعة القصص ومحاربة أمير المؤمنين علي لها:**

حدثت بدعة القُـصَّاص في عهد علي رضي الله عنه فـأنكرها الصحابة والتابعـون، فقد أخرج محمد بن وضاح عن موسى بن معاوية قال: حـدثنا ابن مهدي عن سفيان: عن عبيد الله ابن نافع قال: «لم يقـص على عهد النبي (ﷺ)، ولا أبي بكر ولا عـمر ولا عثـمان، وأول ما كـان القصص حين كـانت الفتنة»[٥٦٣]، والقـصاص هم، الوعـاظ الذين يعقـدون مـجالس للوعظ تضـاهي مـجالس العلم، يعـظون الناس فيـها بـالحكايات والإسرائيليـات ونحوها، مما لا أصل له أو موضوع، أو مما لا تدركه عقول الـعامة، وقد منعهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، لأنهم أخذوا يحدثون الناس بالغـرائب والمتشابهات، وما لا تدركه عقولهم وما لا يعرفون[٥٦٤] وأذن أمير المؤمنين لمن كان متمكنًا من العلم الشرعي بأن يقص على الناس.

---

(٥٥٧) نثر اللآلي نقلاً عن منهج علي بن أبي طالب ص(١٨٣).
(٥٥٨) منهج علي في الدعوة إلى الله ص(١٨٣).
(٥٥٩) البداية والنهاية (٧/ ٣٣٩).
(٥٦٠) المثاعب: مفرد الثعب: سيل الماء في الوادي.
(٥٦١) والكنف: جمع كنيف وهو المرحاض، المصباح المنير ص(٥٤٢).
(٥٦٢) مصنف عبد الرزاق (١٠/ ٧٢).
(٥٦٣) البدع والنهي عنها ص (٢٠).
(٥٦٤) دراسات في الأهواء والفرق والبدع ص(٢٣٩).

كانت حياة أمير المؤمنين في المجتمع دعوة للتوحيد ومحاربة للشرك وكان حريصًا على تعليم الناس أسماء الله وصفاته وربط قلوبهم به وحده وتذكيرهم بنعم الله وحضهم على شكرها، وقد كان رضي الله عنه مثابرًا على محو آثار الجاهلية، متخذًا كافة الوسائل الدعوية من خطابة ووعظ، وشعر وحكم، ولم يعش رضي الله عنه بعيدًا عن الناس بل عاش بينهم بأخلاقه وسمته وعلمه رضي الله عنه.

**ثامنًا: ولاية الشرطة في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب:**

عندما تولى علي رضي الله عنه أمر الخلافة كانت وظيفة الشرطة إحدى الوظائف المهمة المعروفة في الدولة، والقصص والآثار التي تحدثت عن دور الشرطة في عهد علي رضي الله عنه كثيرة، منها ما رواه أصبغ بن نباتة، أن شابًا شكا إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه نفرًا، فقال: إن هؤلاء خرجوا مع أبي في سفر فعادوا ولم يعد أبي، فسألتهم عنه، فقالوا: مات، فسألتهم عن ماله: فقالوا ما ترك شيئًا، وكان معه مال كثير، وترافعنا إلى شريح، فاستحلفهم وخلى سبيلهم، فدعا علي بالشرطة، فوكل بكل رجل رجلين، وأوصاهم ألا يمكنوا بعضهم يدنو من بعض، ولا يمكنوا أحدًا يكلمهم، ودعا كاتبهن، ودعا أحدهم، فقال أخبرني عن أبي هذا الفتى، أي يوم خرج معكم؟ وفي أي منزل نزلتم؟ وكيف كان سيركم؟ وبأي علة مات؟ وكيف أصيب بماله؟ وسأله عمن غسله ودفنه، ومن تولى الصلاة عليه، وأين دفن، ونحو ذلك، والكاتب يكتب، فكبر علي، وكبر الحاضرون والمتهمون لا علم لهم إلا أنهم ظنوا أن صاحبهم قد أقر عليهم، ثم دعا آخر بعد أن غيب الأول عن مجلسه، فسأله كما سأل صاحبه، ثم الآخر كذلك، حتى عرف ما عند الجميع، فوجد كل واحد منهم يخبر بضد ما أخبر به صاحبه، ثم أمر برد الأول فقال: يا عدو الله، قد عرفت عنادك وكذبك بما سمعت من أصحابك، وما ينجيك من العقوبة إلا الصدق، ثم أمر به إلى السجن، وكبر وكبر معه الحاضرون، فلما أبصر القوم الحال لم يشكوا أن صاحبهم أقر عليهم فدعا آخر منهم، فهدده، فقال: يا أمير المؤمنين، والله لقد كنت كارهًا لما صنعوا، ثم دعا الجميع فأقروا بالقصة واستدعى الذي في السجن وقيل له: قد أقر أصحابك ولا ينجيك سوى الصدق، فأقر بكل ما أقر به القوم، فأغرمهم المال، وأقاد منهم القتيل[٥٦٥]، فهذه القصة تحوي معاني ودلالات كثيرة تفيد المحققين، وتدل في الوقت نفسه على وجود السجن، ورجال الشرطة[٥٦٦]، هذا وقد بنى أمير المؤمنين سجنًا في الكوفة سماه (نافعًا) لم يكن مستوثق البناء، فكان المسجونون يخرجون منه، فهدمه وبني بدلا منه سجنًا آخر سماه مخيسا[٥٦٧]، وقد أجرى على أهل السجون ما يقوتهم من طعامهم وأدمهم وكسوتهم في

(٥٦٥) الطرق الحكمية ص(٤٩).

(٥٦٦) ولاية الشرطة في الإسلام، د. نمر الحميداني ص(١٠٧).

(٥٦٧) وهذه التسمية ليست اعتباطًا بل لها غرض، فإن النافع من النفع وهو ضد الضرر، والمخيس وهو التذليل والتهذيب، والتسميتان تحققان أغراض السجن.

الشتاء والصيف[٥٦٨]، وكان لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب أصحاب شرطة منهم، أبو الهياج الأسدي، وقيس بن سعد بن عبادة ومعقل بن قيس الرياحي، ومالك بن حبيب اليربوعي، والأصبغ بن نباتة المجاشعي، وسعيد بن سارية بن مرة الخزاعي، وكان من ضمن الوظيفة الاجتماعية للشرطة، مساعدة المحتاج، وإغاثة الملهوف، وإرشاد التائه، وإطعام المساكين، وتقديم العون، وإظهار الرفق وغير ذلك من المساعدات الإنسانية التي يراد بها وجه الله (تعالى).

ومن هنا يظهر لنا أن الأمن في العصر الراشدي كان يقوم بدور حضاري في تقديم خدمات عامة للمجتمع ولم يقتصر دوره فقط على الجانب الأمني وإن كان للجانب الأمني الأهمية الكبرى.

●●●

(٥٦٨) ولاية الشرطة (١٠٨).

## الفصل الرابع
## المؤسسة المالية والقضائية
## في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وبعض اجتهاداته الفقهية

### المبحث الأول
### المؤسسة المالية

في عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه لم يحدث تغيير يذكر في السياسة المالية للدولة الإسلامية إلا أن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه رجع إلى ما كان عليه أبو بكر الصديق في التسوية في العطاء [1] فلم يفضل أحدًا على أحد، فأعطى الموالي كما أعطى السادة [2]، كان الخراج في بعض الأمصار موكولاً إلى الولاة أنفسهم، ففي مصر كان قيس ابن سعد بن عبادة -الوالي العام- مسؤولا عن الخراج فيها، وكذلك حينما بعث علي رضي الله عنه الأشتر النخعي على مصر كان في خطابه له ما يوحى أنه مع ولايته العامة كان مسؤولا عن الخراج بما يصلح أهله، فإن صلاحه وصلاحهم صلاحا لمن سواهم ولا صلاح إلا بهم، لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله، وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لأن ذلك يدرك بالعمارة ومن طلب الخراج بغير عمارة، أضر بالبلاد وأهلك العباد ولم يستقم أمره إلا قليلا، فإن شكوا ثقلا أو علة أو انقطاع شرب، أو إحالة أرض اغتمرها غرق، أو أجحف بها عطش، خففت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم. فإن العمران محتمل ما حملته، إنما خراب الأرض من إعواز أهلها وإنما إعوازها لإشراف أنفس الولاة على الجمع وسوء ظنهم بالبقاء وقلة انتفاعهم بالعبر [3].

فقد كانت نظرة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه إلى الخراج بما يتعدى الجباية إلى المسألة الاقتصادية برمتها، حيث يشكل الخراج المصدر الأساسي لها في ذلك الوقت، وقد اشتهر عن علي رضي الله عنه تشديده في مراقبة عماله في جميع النواحي، وكان الخراج والشؤون المالية من الأمور المهمة التي كان يدقق فيها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فكان يبعث العيون والأرصاد ليعلم أحوالهم [4] وقد كان لولاة البلدان صلاحيات عامة في المصروفات من ولاياتهم وبيوت أموالها، فالولاة الذين كانوا يباشرون بيت المال وعمال

---

(١) الاستيعاب (٣ / ١١).
(٢) علي بن أبي طالب، د. علي شرفي ص٦٦ .
(٣) الولاية على البلدان (٢ / ١٥٣ - ١٦٣).
(٤) الولاية على البلدان(٢ / ٩٨)، النظريات المالية في الإسلام ص١٥٥ .

الخراج بأنفسهم في عهد الخلفاء عمومًا، كانوا ينفقون من الأموال التي لديهم في الأوجه الشرعية في مصالح الولاية، فكانوا يستخدمون هذه الأموال في شؤون الجهاد والفتوح من إعداد للسلاح والدواب ومرتبات الجند وغير ذلك من أوجه الجهاد كما كان الولاة يقومون بصرف نفقات العمال والموظفين في الولاية (٥) إضافة إلى أنهم كانوا يقومون ببعض الإصلاحات من بناء للجسور وحفر للقنوات والعيون والأنهار وكان ذلك يستدعي الصرف مما يجبونه من ولاياتهم(٦) وفي الأوقات التي تعزل فيها ولاية الخراج أو بيت المال عن الولاية العامة، فإن الولاة بحكم إشرافهم العام على الولاية يطلبون من عمال الخراج الإنفاق على هذه الإصلاحات، أو يقوم الولاة بتعيين عمال خاصين بهذه المشاريع، ،تصرف نفقات العمل أو التجهيز من دخل الولاية عن طريق عمال الخراج إذا كانوا مستقلين، وهكذا فإنه حتى لو عزلت مهمة (الجباية) عن الوالي كما عبر عنها بعض الباحثين(٧) فإن النفقات مع ذلك كانت تأخذ طريقها بواسطة الولاة في كثير من الأحيان سواء للجهاد أو التعمير، ولقد نبه بعض الفقهاء إلى أن على الولاة إنفاق الأموال في مصالح المسلمين وعدم تجميدها، إذ أن تجميد الأموال التي أخذت بحقها وعدم صرفها في مصالح المسلمين يوازي الظلم في جمعها، فعدوا التجميد للأموال العامة من باب الظلم والتقصير من جانب الولاة (٨) وقد كانت الأمصار والولايات أحق بأموالها وجباياتها من غيرها، فكان الولاة لا يعملون على ترحيل الأموال عن مناطقهم إلى العاصمة في المدينة أو الكوفة فيما بعد، إلا بعد أن يسددوا حاجة ولاياتهم من النفقات (٩) ولا شك أن ما قام به الخلفاء الراشدون خصوصا في عهد عمر من تنظيم دقيق للشؤون المالية في الولايات بما فيها من جباية مصادر الدخل أو الواردات العامة للدولة إضافة إلى النفقات العامة يعتبر تنظيما جديدا ولم يمنعهم ذلك من الاستفادة من خبرات من سبقوهم حيث استحدثوا الدواوين وضبطوا أمورهم المالية في مختلف جوانبها، وقد تحدثت عن المؤسسة المالية في عهد الفاروق رضي الله عنه بنوع من التفصيل، فمن أراد المزيد فليرجع إليها في كتابي: «فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب»، وقد حاول بعض المستشرقين وفيهم «فيليب حتى» في موسوعته عن تاريخ العرب أن يقلل من شأن ما قام به الخلفاء الراشدون من تنظيم للأموال في الدولة عموما فقال: والحقيقة أن الأخبار تعزو إلى عمر كثيرًا مما أحدثتها السنون التي لحقت عهده من إنشاءات دعت إليها التجارب والأحوال الجديدة وأن ما جاء به الخلفاء وعمال الأمصار الأول في صدد الخراج والجزية، وأصول جبايتها وسياسة أموال الدولة لم يكن بالشيء الخطير فلقد أبقى الإسلام أساس الحكم وأنظمة الإدارة البيزنطية على ما كانت عليه في سوريا ومصر، ولم يفكر أرباب

---

(٥) التراتيب الإدارية للكتاني(١ / ٣٩٣).
(٦) الولاية على البلدان (٢ / ٩٨).
(٧) النظم المالية في الإسلام ص١٥٧، الولاية على البلدان (٢ / ٩٩).
(٨) أصول الفكر السياسي الإسلامي، فتحي عثمان ص ٤٣ .
(٩) السياسة المالية لعثمان بن عفان، قطب ص٩٩ .

الأمر في الأمصار الفارسية أن يبدلوا أصول الحكومة المحلية، ولم يأخذ الفاتحون الضرائب إلا طبقا لطبيعة البلاد وبمقتضى الأصول المرعية في العهد المنقرض سواء أكان بيزنطيا أو فارسيا ولم يعتبروا في ذلك إذا كانت قد دانت لهم صلحا أو أنهم فتحوها عنوة، ولا اهتدوا بتشريع أوجده عمر[١٠] . والكاتب هنا قد تجاهل النصوص التي وردت في استنباط عمر للخراج على الأراضي المفتوحة عنوة، وكيف أن النظام قد لقي مجادلة ومعارضة من بعض الصحابة إلى أن استقر الأمر عليه، واتفق الجميع على تنفيذه[١١]، وقد تولى محمد ضياء الدين الريس الرد على هؤلاء المستشرقين فيما قالوه من خلال نصوص تاريخية موثقة يخلص منها إلى أن هذه الدعوى لا أساس لها من الصحة، وأن المسلمين وفقهاءهم كانوا يفرقون بين ما أحدثه عمر، وما أحدثه غيره، بل ويفصلون تفصيلا دقيقا في قضايا الخراج في عهد عمر[١٢].

وهذه عادة المستشرقين وأذنابهم من الطعن والتنقص في عظماء الإسلام ولكن المشكلة أنهم يجدون من الأمة من ينظر لهم بإجلال وتقدير. وبسبب الحروب والنزاعات الداخلية تأثرت دولة الخلافة في عهد علي في مؤسساتها المتعددة، كالمالية والعسكرية، ومنصب الخلافة مما ساهم في زوال الخلافة الراشدة، وسيأتي تفصيل ذلك في محله بإذن الله.

• • •

(١٠) تاريخ العرب، فيليب حتى(١ / ٢٢٨).
(١١) الولاية على البلدان (٢ / ١٠٠).
(١٢) الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية ص١٣١- ١٣٦، نقلا عن الولاية على البلدان (٢ / ١٠٠).

## المبحث الثاني
## المؤسسة القضائية

ولي الخلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، واقترنت توليته التي نجمت عن قتل عثمان وما تبعها من أحداث شقت صف المسلمين وفرقت كلمتهم، وأصبحت مواجهة تلك الأحداث لرأب الصدع شغله الشاغل، ولم يكن، هذا الصراع الدامي في عهد علي رضي الله عنه مانعا له من أن يعطي للقضاء نصيبا من الاهتمام به وتنظيمه ويدل على هذا رسالته التي(١٣) أرسلها إلى الأشتر النخعي واليه على مصر حين كانت تابعة لحكمه، وفيها يقول: ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك ممن لا تضيق به الأمور، ولا تمحكه الخصوم، ولا يتمادى في الزلة، ولا يحصر في الفيء إلى الحق إذا عرفه، ولا تستشرف نفسه على طمع، ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه، أوقفهم في الشبهات، وآخذهم بالحجج وأقلهم تبرما بمراجعة الخصوم، وأصبرهم على كشف الأمور، وأصرمهم على اتضاح الحكم، من لا يزدهيه إطراء، ولا يستميله إغراء، وأولئك قليل، ثم أكثر من تعاهد قضائه، وأفسح له في البذل ما يزيل علته، وتقل معه حاجته إلى الناس، وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك، ليأمن بذلك اغتيال الرجال عندك(١٤) في هذه الرسالة أيضا: أنصف الله، وأنصف الناس من نفسك، ومن خاصة أهلك، ومن لك فيه هوى من رعيتك، فإنك إلا تفعل تظلم، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده، ومن خاصمه الله أدحض حجته، وكان لله حربا. حتى ينزع أو يتوب. وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله، وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم، فإن الله سميع دعوة المضطهدين، وهو للظالمين بالمرصاد(١٥).

ونلاحظ أن هذا العهد تضمن صفات القاضي، كما تضمن حقوقه وواجباته، والذي يتأمل في الذي كتبه أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لواليه على مصر، يعجب لهذا العهد الذي كتب عام ٤٠هـ، أو حولها، في وقت لم يكن للعرب فيه أي اتصال بالحضارات الأخرى بعد، وكيف كان العقل المسلم الذي ينظر بنور الله قادرا على تفتيق المعاني، ووضع أمور الدولة في نصابها، على خير ما نرى اليوم في الدساتير والقوانين(١٦) وهذه النظرات من أمير المؤمنين علي في إنصاف الرعية، وتجنب ظلمها كانت فيما بعد عمادا في تنظيم ولاية المظالم(١٧).

(١٣) وقائع ندوة النظم الإسلامية (١ / ٣٧٩).
(١٤) شرح نهج البلاغة نقلاً عن نظام الحكم للقاسمي(٢ / ١٠٣).
(١٥) المصدر نفسه (٢ / ٥٥٩).
(١٦) نظام الحكم للقاسمي(٢ / ١٠٤).
(١٧) المصدر نفسه(٢ / ٥٦٠).

**أولا: الخطة القضائية والتشريعية في عهد الخلفاء الراشدين والمصادر التي اعتمدها الصحابة في ذلك العهد:**

قصد بهذه الخطة الطريقة التي سلكها الخلفاء الراشدون والصحابة الكرام وهم يبحثون عن الأحكام الشرعية لما يحدث لهم من وقائع وقضايا في حياتهم العملية، وهي طريقة، هدتهم إليها صحبتهم للرسول الكريم وتدريبهم على يديه، لذلك كان اتباع هذه الطريقة حقا على من جاء بعدهم لاحظنا من خلال دراستنا لعهد الخلفاء الراشدين في كتبنا عن أبي بكر وعمر وعثمان ودراستنا الحالية لعهد علي رضي الله عنهم، أنهم كانوا كلما عرض لهم حادث، أو قضاء لجؤوا إلى كتاب الله أولا، فإن وجدوا فيه الحكم الشرعى للنازلة حسم الأمر، وإلا رجعوا إلى سنة رسول الله (ﷺ)، حتى إذا لم يجدوا فيها حلا انتقلوا إلى الرأي بمعناه الواسع، وقد لاحظنا أن هذا الرأي كان في أول الأمر جماعيا في غالب الأحيان، خصوصا إذا انصب موضوعه على أمر من أمور الدولة ذات الصبغة العامة، وقد ساعد على ذلك أن كبار الصحابة كانوا ما زالوا مستقرين بالمدينة يسهل جمعهم وأخذ رأيهم، وقد انبثق عن رأيهم الجماعى ما اصطلح على تسميته فيما بعد "الإجماع"، وقد كانوا يستعملون القياس والمصلحة هي مناط التشريع وخير دليل على هذه الخطة ما قاله ميمون بن مهران حيث قال: كان أبو بكر إذا ورد عليه الخصوم نظر في كتاب الله فإن وجد فيه ما يقضي بينهم قضى به، وإن لم يكن في الكتاب، وعلم من رسول الله (ﷺ) في ذلك الأمر سنة قضى بها، فإن أعياه أن يجد فيها سنة عن رسول الله جمع رؤوس الناس وخيرهم فاستشارهم فإذا اجتمع رأيهم على أمر قضى به، وكان عمر يفعل ذلك فإن أعياه أن يجد في القرآن والسنة نظر هل كان فيه لأبي بكر قضاء فإن وجد أبا بكر قضى فيه بقضاء قضى به، وإلا دعا رؤوس المسلمين، فإن أجمعوا على شيء قضى به [١٨]، وعن ابن مسعود قال: فمن عرض عليه قضاء بعد اليوم فليقض بما في كتاب الله، فإن جاءه أمر ليس في كتاب الله ولا قضى به نبيه (ﷺ) فليقض بما قضى به الصالحون، فإن جاءه أمر ليس في كتاب الله ولا قضى به نبيه (ﷺ) ولا قضى به الصالحون فليجتهد رأيه، ولا يقل: إنى أرى وإني أخاف، فإن الحلال بين، والحرام بين، وبين ذلك مشتبهات فدع ما يريبك إلى ما لا يريبك [١٩]، وقد بينا في حديثنا عن المرجعية العليا لدولة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب حرصه على السير على نفس المنهج، ويتبين من هذه الآثار أن الصحابة كانوا يعتمدون في خطتهم التشريعية والقضائية على الكتاب والسنة قبل الانتقال إلى الرأي بمعناه الواسع [٢٠]، ونحب أن نقف عند هذه الآثار لنستخلص منها بعض النتائج:

---

(١٨) سنن الدارمي (١ / ٥٨) رجال إسناده ثقات غير جعفر بن برقان صدوق، السنن الكبرى للبيهقي (١٠ / ١١٤) وصحح إسناده ابن حجر، فتح الباري (١٣ / ٣).

(١٩) إعلام الموقعين (١ / ٦٢).

(٢٠) الاجتهاد في الفقه الإسلامي ضوابطه ومستقبله ص٥٣ .

١- اتفاق الصحابة حول هـذه الخطة إذ كانوا يرتبون مراحل اجتهادهم وفقـههم مبتدئين بكتاب الله أولا، ثم الانـتقال إلى سنة رسـول الله (ﷺ) قبل استـخدام الرأي الجـماعي ثم القياس.

٢-كان للسابقة القضائية دور هام في هذه الخطة وهو دور جعلها تلي النصوص مباشرة.

٣- ومما يلفت الـنظر في هذه الخطة أن أبا بـكر وعـمـر على الخـصـــوص، لم يكونا يستشيران إلا من كان موجودا من الصحابة بالمدينة، ولم نطلع على نص يدل على أنهما كانا يستدعيان من كان غائبًا من الصحابة قـصد استشارته في أمر من الأمور الاجتهادية، مما يدل على أن الإجماع كان ينعـقد باتفاق من حضر من الصحـابة، بصرف النظر عن رأي من كان غائـبًا [٢١]، ويتضح لنا من خلال ما سبق من خطة الخلفـاء الراشدين والصحابة في التشريع والقضاء أنهم كانوا كلما حزبهم أمر أو عـرضت عليهم قضية بادروا إلى القرآن أولا حتى إذا لم يجدوا فـيه حلا رجـعوا إلى السنة، فإذا لم يجـدوا الحل، استعـملوا الرأي بمعناه الواسع سواء كان جماعـيا أو فرديا، وقد انبثق عن آرائهم الجماعية ما سُـمِّي بالإجماع، وهو مصدر طارئ لم يكن له وجود في عصر الرسالة، وقد صنف هذا المصدر ثالث المصادر بعد الكتاب والسنة، وبما أنه لم يكن من الميسور دائمـا جمع الصحابة قصد التـشاور والاتفاق على حكم معين لأسباب كثيـرة، فقد لجأ الصحابة لاستعمال الرأي بصـورة فردية في الفتوى والقضاء، وقد اعتمدوا الكتاب والسنة في آرائهم الفردية والجماعـية وعلى الفهم العميق لمقاصد الشريعة الهادفة إلى دفع المفاسد وجلب المصالح، واستـوحوا الأحكام للحوادث التي لا نص فيها من روح النصوص ولم يقضوا مع ظواهرها وقد استـعملوا القياس منذ عهد الرسول (ﷺ) وهو المصدر الرابـع من مصادر التـشريع يأتي بعـد الإجمـاع في المرتبة وإن كـان سابقا عـليه في الوجود[٢٢] وهذه هي المصادر التي اعتمدها الخلفاء الراشدون والصحابة الكرام:

١- القرآن الكريم وهو العمدة والأساس، وينبـوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور الأبصار والبصائر، وأنه لا طريق إلى الله سواه.

٢- السنة وتطلق على ما جاء منقولا عن النبي (ﷺ) بطرق صحيحة.

٣- الإجماع ولا بد أن يكونه مستندا إلى نص من كتاب أو سنة أو قياس.

٤- القياس.

وكان الخلفـاء الراشدون والصحابة الكرام يشـرعون أحكاما لحـوادث بناء على المصلحة الواجب مراعـاتها أو دفع المفسـدة، فكان اجتهادهم فـيما لا نص فـيه فسيـحا مجـاله يتسع لحاجات الناس ومصالحهم[٢٣].

---

(٢١) الاجتهاد في الفقه الإسلامي ضوابطه ومستقبله ص١٥٣ .

(٢٢) المصدر نفسه ص ١٥٤ .

(٢٣) الاجتهاد في الفقه الإسلامي ضوابطه ومستقبله ص١٥٩ .

**ثانيا: ميزات القضاء في العهد الراشدي:**

إن القضاء في العهد الراشدي يمثل الدرجة الثانية بعد القضاء في العهد النبوي الذي يمثل الجذور والأساس، وجاء القضاء في العهد الراشدي يمثل البناء الكامل، والتنظيم الشامل من جهة، ويعطي الصورة البراقة للقضاء الإسلامي من جهة ثانية، ويعتبر أنموذجا ومثلا وقدوة وتحت محط الأنظار طوال العهود التالية، ويمكننا أن نشير باختصار وإيجاز إلى أهم ميزات القضاء في العهد الراشدي، وهي:

١- كان القضاء في العهد الراشدي امتدادا لصورة القضاء في العهد النبوي بالالتزام به، والتأسي بمنهجه، وانتشار التربية الدينية، والارتباط بالإيمان والعقيدة، والاعتماد على الوازع الديني، والبساطة في سير الدعوة، واختصار الإجراءات القضائية، وقلة الدعاوى والخصومات إذا قورنت باتساع الدولة، وتعدد الشعوب والأمصار، وحسن اختيار القضاة وتوفر الشروط الكاملة فيهم.

٢-يعتبر القضاء في العهد الراشدي صورة صحيحة وصادقة وسليمة للقضاء الإسلامي؛ ولذلك صار موئل الباحثين، ومحط الأنظار للفقهاء، وصارت الأحكام القضائية، والتنظيم القضائي في العهد الراشدي مصدرا للأحكام الشرعية، والاجتهادات القضائية، والآراء الفقهية في مختلف العصور، وهذا بالاتفاق ولو أدبيا، عند جميع العلماء والمذاهب، مع وجود الاختلاف في التدقيق والجزئيات والتفاصيل، ومن ذلك اختلاف الأئمة في حجية قول الصحابي وعدم حجيته، كما هو مقرر في علم أصول الفقه، وعلم مصطلح الحديث، وتاريخ التشريع وسيأتي الحديث عن ذلك بإذن الله .

٣- مارس الخلفاء الراشدون، وبعض ولاة الأمصار، النظر في المنازعات وتولي القضاء بجانب الولاية، كما أولوا الاهتمام الكامل لتولى قضاء المظالم وقضاء الحسبة [٢٤].

٤- عين الخلفاء الراشدون في أكثر المدن والأقطار الإسلامية قضاة لممارسة القضاء خاصة، دون بقية السلطات، وظهر بشكل مبدئي- ولأول مرة- فصل السلطة القضائية عن بقية السلطات، وأن الولاة لا سلطان لهم على القضاة في المدن الكبرى التي تم فيها تعيين القضاة بجانب الولاة، بينما يتولى الولاة في بقية المدن والأمصار القضاء والولاية معا وهم تحت بصر ومحاسبة الخليفة الراشد.

٥- كان القضاة في العهد الراشدي مجتهدين، فينظرون في نصوص القرآن والسنة مباشرة، ويعملون فيها بما يؤدى إليه اجتهادهم، فإن لم يجدوا فيها حكم الواقعة اجتهدوا رأيهم بعد الاستئناس بما قضى به أسلافهم، واستشارة العلماء المعاصرين لهم، ثم أصدروا الحكم الذي وصل إليه اجتهادهم.

---

(٢٤) تاريخ القضاء في الإسلام ص ١٥٨ .

٦- ظهرت مصادر جديدة للقضاء في العهد الراشدي نتيجة للمنهج السابق الذي التزموه، وصارت الأحكام القضائية هي: القرآن والسنة الشريفة، والإجماع، والقياس، والسوابق القضائية، والرأي الاجتهادي مع المشورة.

٧- تم التنظيم الإدراي الدقيق للقضاء في العهد الراشدي، وأرسل عمر وعلي رضي الله عنهما الرسائل الخالدة والمشهورة إلى القضاة والولاة، لتنظيم شؤون القضاء، وبيان الدستور والمنهج، وتبع ذلك متابعة الخلفاء للقضاة، ومراقبتهم، وتبادل الرأي معهم، والسؤال عن أخبارهم وأقضيتهم، وطلب مراجعتهم في القضايا المهمة والمعضلة والخطيرة، وكانت هذه الميزة في أوجّها في عهد عمر رضي الله عنه، وخفت قليلا في عهد عثمان، وضعفت في عهد علي لاضطراب الأمور، وكثرة الفتن، ونشوب الحروب الداخلية، وظهور بذرة الاستقلال الذاتي في الشام وما يتبعها، مع تعدد السلطة.

٨- كانت اختصاصات القاضي في الغالب عامة وشاملة لجميع الوقائع، وكانت صلاحية القاضي واسعة، وله الحرية الكاملة في الإجراءات ولكن ظهر في هذا العهد نواة الاختصاص الموضوعى والنوعى للقضاة، وتم تعيين قضاة للنظر في القضايا الصغيرة والبسيطة، كما تم تعيين قضاة للأحداث الجسيمة والوقائع الكبيرة، وبقى معظم الخلفاء- غالبا- يتولون النظر في الجنايات والحدود، وقام بهذا الشأن بعض الولاة أيضا، كما ظهر في هذا العهد تعدد القضاة في وقت واحد في المدن الكبرى والأقطار الواسعة كالمدينة المنورة، والكوفة، والبصرة، واليمن، كما ظهر قاض للعسكر لأول مرة.

٩- تأكد في هذا العهد ما كان في العهد النبوي من مراقبة الأحكام القضائية، وإقرار ما وافق القرآن والسنة وما صدر عن الرأي والاجتهاد، لأن الاجتهاد لا ينقض بمثله، وينقض ما خالف القرآن والسنة [٢٥].

١٠- استحدث في العهد الراشدي رواتب القضاة بشكل منظم، مع التوسعة على القضاة، وأقيمت دار للقضاء، وأنشئ السجن للحبس، كما ظهر- ولأول مرة- امتناع كبار الصحابة عن القضاء، كابن عمر الذي طلبه عثمان فامتنع، وكعب بن يسار بن ضنة الذي طلبه عمر لتوليه القضاء بمصر فأبي أن يقبل، وقيل: قبله أيامًا، ثم اعتزل [٢٦].

١١- كانت إجراءات التقاضي في العهد الراشدي بسيطة وسهلة وقليلة، بدءًا من سماع الدعوى إلى إقامة البينة والإثبات والحجج إلى إصدار الحكم فيها، إلى التنفيذ، وكانت آداب القضاء مرعية في حماية الضعيف، ونصرة المظلوم، والمساواة بين الخصوم، وإقامة الحق والشرع على جميع الناس، ولو كان الحكم على الخليفة أو الأمير أو الوالي، وكان القاضي في الغالب يتولى تنفيذ الأحكام، إن لم ينفذها الأطراف طوعًا واختيارًا، وكان التنفيذ عقب

(٢٥) تاريخ القضاء في الإسلام ص ١٥٩ .
(٢٦) تاريخ القضاء في الإسلام ص ١٦٠ .

صدور الحكم فورا، ولكن ظهرت في العهد الراشدي أمور تنظيمية جديدة، فوجد كاتب للقاضي في عهد عمر، وظهرت الشرطة والأعوان لمساعدة القاضي والوالي في عهد عثمان، وتطور التحقيق الجنائي على عهد سيدنا علي رضي الله عنه، وفرق بين الشهود للوصول إلى الحق وكشف الواقع حتى صار مضرب المثل(٢٧).

**ثالثا: أشهر قضاة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه:**

أقر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بعض القضاة الذين ثبتت جدارتهم، وكانوا على القضاء قبله، وعين قضاة وولاة آخرين(٢٨)، منهم:

١- شريح بن الحارث الذي كان على قضاء الكوفة، وأقره علي عليها، وكان يرزقه كل شهر خمسمائة درهم(٢٩).

٢- أبو موسى الأشعرى الذي ولاه عثمان القضاء بالكوفة، فأقره علي ثم عزله(٣٠).

٣- عبيد الله بن مسعود، الوالي والقاضي باليمن.

٤- عثمان بن حنيف على البصرة.

٥- قيس بن سعد على مصر، وكان شهد فتح مصر، واختط بها دارا، ووليها لعلي ثم عزله بمحمد بن أبي بكر(٣١).

٦- عمارة بن شهاب على الكوفة.

٧- قثم بن العباس على المدينة المنورة، سنة ٣٧ هـ على مكة والطائف(٣٢).

٨- جعدة بن هبيرة المخزومي، ثم خليد بن قرة اليربوعى على خراسان(٣٣).

٩- عبد الله بن عباس كان واليا لعلي على البصرة، وكان أبو الأسود الدؤلي على قضائها، وفي قول: ولى عبد الله بن عباس على القضاء في البصرة عبد الرحمن بن يزيد الحداني، وكان أخا المهلب بن أبي صفرة لأمه، وبقى قاضيا عليها أيام علي بن أبي طالب، وطائفة من عمل معاوية حتى قدم زياد فعزله(٣٤)، وقال أبو عبيدة: كان ابن عباس يفتي الناس ويحكم بينهم(٣٥)، وإذا خرج ابن عباس عن البصرة استخلف أبا الأسود، فكان هو

(٢٧) تاريخ القضاء في الإسلام ص ١٦٠.
(٢٨) القضاء في صدر الإسلام، جبر محمود ص ٢٣٩.
(٢٩) أخبار القضاة (٢ / ٢٢٧).
(٣٠) تاريخ القضاء في الإسلام ص ١٤٩.
(٣١) تاريخ الطبري (٥ / ٥٨٩).
(٣٢) تاريخ الطبري (٦ / ٧١).
(٣٣) تاريخ القضاء في الإسلام ص ١٥١.
(٣٤) أخبار القضاة (١ / ٢٨٨، ٢٨٩).
(٣٥) أخبار القضاة (١ / ٢٨٨).

المفتي، والقاضي يومئذ يدعى المفتي، فلم يزل كذلك حتى قتل علي سنة أربعين، ونقل عن أبي الأسود أقضية طريفة، لما خرج أمير المؤمنين علي من المدينة إلى البصرة ولى عليها عبد الله بن عباس[(٣٦)].

١٠- سعيد بن نمران الهمذاني الذي عينه علي لما قدم الكوفة، ثم عزله، ثم استقضاه مصعب بن الزبير على الكوفة فقضى ثلاث سنوات، ثم عين الزبير عبد الله بن عتبة بن مسعود[(٣٧)].

١١- عبيدة السلماني، محمد بن حمزة الذي عينه علي على قضاء الكوفة بعد عزل سعيد الهمذاني، وقال له: اقضوا كما كنتم تقضون، ثم عزله وعين شريحا، وقال الشعبي: كان شريح أعلم الناس بالقضاء وكان عبيدة يوازي شريحا في القضاء، وله أقضية طريفة، وكان من علماء الكوفة المشهورين، وكان شريح يستشيره ويرجع إليه[(٣٨)].

١٢-محمد بن يزيد بن خليدة الشيباني، عينه علي قاضيا على الكوفة، وله أقضية فيها[(٣٩)].

وقد كان قضاة علي في الأمصار هم ولاته على البلدان المختلفة؛ لأن ولايتهم كانت عامة تشمل الحكم والإدارة وإقامة الحدود والإمامة والقضاء وجباية الصدقات وغيرها[(٤٠)]، وكان علي رضي الله عنه يطلب من ولاته التحري في تعيين القضاة، مما يدل على أنه خول لهم تعيين القضاة في البلدان التابعة لولاياتهم، مع أن الولاة في الغالب هم قضاة الأمصار التي يقيمون فيها، إلا أنه ورد ذكر أسماء عدد من قضاة الأمصار في عهد علي كما مر معنا، ويبدو أن ولاة الأمصار كان لهم الحق في النظر في المظالم التي يرفعها الناس ضد أحكام القضاء، وبالدرجة الأولى التي حكم فيها قضاة ولوا من قبلهم وليس من قبل الخليفة، كما كان لهم النظر في المظالم الأخرى من قبل قضاة البلدان المعينين من قبل الخليفة بحكم عموم ولايتهم[(٤١)]، إلا أنهم كانوا يرجعون إلى الخليفة في مثل هذه القضايا، ومن المعروف أن الخلفاء كانوا يفتحون أبوابهم لمن يجأر بالشكوى، سواء كانت الشكوى ضد الولاة أو ضد القضاة أو عمال الخراج أو غيرهم[(٤٢)].

---

(٣٦) تاريخ القضاء في الإسلام ص ١٥١ .
(٣٧) أخبار القضاة (٢ / ٣٩٦، ٣٩٧).
(٣٨) طبقات ابن سعد (٦ / ١٠) أخبار القضاة (٢ / ٣٩٩- ٤٠١).
(٣٩) أخبار القضاة (١ / ٣٩٥).
(٤٠) قضاء أمير المؤمنين، عبد الله بن عثمان ص ٢٩٠ .
(٤١) الأحكام السلطانية ص ٧٧ للماوردي.
(٤٢) الولاية على البلدان (٢ / ٩٣).

**رابعا: الأسلوب القضائي عند أمير المؤمنين علي، ونظرته للأحكام الصادرة قبله، والمؤهلين للقضاء ومكانة ومجانية الحصول على الحكم:**

**١ - إبقاؤه على أسلوب القضاء:**

يظهر أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان ينوي إدخال بعض التعديلات في أسلوب القضاء وأصول المحاكمات بما يتناسب مع التطورات الجديدة التي طرأت على المجتمع، إلا أنه أرجأ ذلك إلى أن تستقر الأمور، فقد أثر عنه أنه رضي الله عنه قال: اقضوا كما تقضون حتى تكونوا جماعة، فإني أخشى الاختلاف[٤٣].

**٢ -عدم نقضه الأحكام الصادرة قبله:**

وحرصًا على استقرار الأمور فإن أمير المؤمنين كان يرى بأنه لا يحق للقاضي أن ينقض حكما أصدره قاض آخر، وقد كان هو رضي الله عنه كتب الكتاب بين أهل نجران وبين النبي (ﷺ)، فكثروا في عهد عمر حتى خافهم على الناس، فوقع بينهم الاختلاف، فأتوا عمر، فسألوه البدل، فأبدلهم، ثم ندموا، ووضع عليهم شيئا فأبوه، فاستقالوه، فأبى أن يقيلهم، فلما ولي علي أتوه فقالوا: يا أمير المؤمنين شفاعتك بلسانك وخطك بيمينك، فقال علي: ويحكم إن عمر كان رشيد الأمر[٤٤]، ولن أرد قضاء قضى به عمر[٤٥].

**٣- الأهلية للقضاء:**

القضاء من الولايات العامة، ولذلك يشترط في القاضي ما يشترط فيمن تكون له ولاية عامة على المسلمين من العقل والبلوغ والإسلام، ويشترط في القاضي أن يكون عفيفا عما في أيدي الناس، حليما لا تثيره الكلمة، ولا يغضبه التصرف النابي، عالما بأحكام الشريعة، وبناسخها ومنسوخها، فقد قال علي بن أبي طالب لقاض: هل تعلم الناسخ من المنسوخ؟ قال: لا، قال: هلكت وأهلكت[٤٦]، وإنما سأله علي عن الناسخ والمنسوخ؛ لأن معرفته ليس بالأمر السهل في ذلك العصر، ويشترط فيه أن يكون عالما بما قضى به القضاة السابقون، حتى لا يخرج عن خطهم في القضاء، حسما لفوضى الأحكام، وأن يكون متواضعا لا يرى غضاضة في استشارة ذوي العلم والعقل الراجح، لأن هذه الشورى تبعده عن الخطأ في الأحكام، وأن يكون جريئا في الحق لا يتأخر عن النطق بالحكم به ولو أغضب ذوى السلطان، وقد جمع ذلك كله قول علي رضي الله عنه: لا ينبغي أن يكون القاضي قاضيا حتى تكون فيه خمس خصال: عفيف، حليم، عالم بما كان قبله، يستشير ذوي الألباب، لا يخاف في الله لومة لائم[٤٧].

(٤٣) مصنف عبد الرزاق (١١ / ٣٢٩).
(٤٤) سنن البيهقي (١٠ / ١٢٠).
(٤٥) المغني (٩ / ٥٧).
(٤٦) سنن البيهقي (١٠ / ١١٧).
(٤٧) المغني (٩ / ٤٣).

٤ - مكان القضاء:

على القاضي أن يختار مكان جلوسه بين المتخاصمين في وسط المدينة بحيث لا يشق على أحد الوصول إليه، ولذلك كان علي رضي الله عنه يأمر شريحًا - القاضي- بالجلوس في المسجد الأعظم(٤٨)، ليبسر الوصول إليه(٤٩).

٥- مجانية الحصول على الحكم:

لما كان إقامة العدل بين الناس من أهداف الدولة الإسلامية، فإن الفقه الإسلامي يقضي بألا يقام أى حائل بين صاحب الحق وبين الحصول على حقه، ولذلك فإن المتقاضيين لا يدفعان للقاضي ولا للدولة شيئًا من المال للحصول على الحكم الذي يفصل الخلاف بينهما، بل الدولة الإسلامية هي التي تتكفل بنفقات الحاكم والمحكمة، وقد كان علي رضي الله عنه يعطى شريحا على القضاء رزقا ،وقد رزقه حين ولاه القضاء في الكوفة كل شهر خمسمائة درهم(٥٠).

٦- بذور المحاماة:

في العهد الراشدي ظهرت بذور المحاماة، فكان علي رضي الله عنه يوكل أخاه عقيلا في المخاصمة، ولما أسن عقيل، وُكّل عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عنه أمام القضاء، وكان يقول: ما قضي لوكيلي فلي، وما قضى على وكيلي فعلي(٥١).

**خامسا: ما يجب على القاضي:**

لكي يحقق القاضي العدل في الأحكام لا بد له من مراعاة ما يلي:

١- دراسة القضية المعروضة عليه دراسة واعية:

ولا يجوز له أن يتسرع في إصدار الحكم قبل الانتهاء من الدراسة، والاطمئنان إلى الحكم، ولذلك قال علي لشريح: لسانك عبدك ما لم تتكلم، فإذا تكلمت فأنت عبده، فانظر ما تقضي وفيم تقضى وكيف تقضي(٥٢).

٢- المساواة بين الخصوم:

فقد نزل علي على ضيف، فكان عنده أياما، فأتى في خصومة، فقال له علي: أخصم أنت؟ قال: نعم، قال: فارتحل عنا، فإنا نهينا أن ننزل خصما إلا مع خصمه(**).

---

(٤٨) مسند زيد (٤ / ١٣٧)، موسوعة فقه علي بن أبي طالب ص ٥٠٦ .

(٤٩) موسوعة فقه علي بن أبي طالب ص ٥٠٦ .

(٥٠) موسوعة فقه علي بن أبي طالب ص ٥٠٦ .

(٥١) أصول المحاكمات الشرعية ص٧٠، تاريخ الفقهاء في الإسلام ص ١٣٢ .

(٥٢) كنز العمال (١٤٤٣٣).

(**) كنز العمال برقم ١٤٤٢٩، مصنف عبد الرزاق (٨ / ٣٠٠).

٣- عدم الصياح بالمتخاصمين:

ولى علي بن أبي طالب رضي الله عنه أبا الأسود الدؤلي القضاء، ثم عزله، فقال: لم عزلتني وما خنت ولا جنيت؟ فقال: إنما رأيتك يعلو كلامك على الخصمين[٥٣].

٤- الابتعاد عن المؤثرات، ومجاهدة النفس:

سواء كانت هده المؤثرات قرابة، أو مالا، أو بغضا أو..... فقد جاء جعدة بن هبيرة إلى علي بن أبي طالب فقال: يا أمير المؤمنين، يأتيك الرجلان أنت أحب إلى أحدهما من نفسه، والآخر لو يستطيع أن يذبحك لذبحك، فتقضي لهذا على هذا؟ قال: فلمزه علي وقال: هذا شيء لو كان لي لفعلت، ولكن إنما ذلك شيء لله[٥٤].

٥- الشورى:

وعلى القاضي أن يستشير ذوي العلم والرأي لئلا يفلت منه حق، وقد كان علي رضي الله عنه أحد أعضاء الشورى الذين يحرص الخلفاء على استشارتهم عندما تعرض عليهم مشكلة، فقد روى الخصاف في أدب القاضي أن عثمان بن عفان كان إذا جاءه الخصمان قال لهذا: ادع عليا، وقال لهذا: ادع طلحة والزبير ونفرا من أصحاب رسول الله، فإذا جاؤوا إليه قال لهما: تكلما، فإذا تكلما يقبل عليهم فيقول: ماذا تقولون؟ فإن قالوا ما يوافق قوله قضى عليهما ولا ينظرهم بعد[٥٥].

---

(٥٣) المغني (٩ / ١٠٤).

(٥٤) فقه علي بن أبي طالب، قلعجي ص ٥٠٨.

(٥٥) شرح أدب القاضي للخصاف (١ / ٣٠٥) موسوعة علي بن أبي طالب ص ٥٠٨.

## المبحث الثالث
## من فقه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

**أولا: في العبادات:**

لم يأل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه جهدا في بيان أحكام العبادات للناس، لما يتمتع به من غزارة في العلم وفقه في الدين، وما بينه للناس من أحكام العبادات يحتاج إلى سفر [٥٦] ضخم، ولكن نشير إلى مجموعة من الأحكام في هذا الكتاب على النحو التالي:

**أحكام في الطهارة:**

**١ - يغسل من بول الجارية وينضح من بول الغلام ما لم يطعم:**

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: يغسل من بول الجارية، وينضح من بول الغلام ما لم يطعم [٥٧]. والدليل على ذلك، لما بال الحسين بن علي في حجر النبي (ﷺ) قالت لبابة بنت الحارث: يا رسول الله، أعطني ثوبك، والبس ثوبا غيره. فقال: «**إنما ينضح من بول الذكر، ويغسل من بول الأنثى**» [٥٨].

**٢- نوم الجالس وحكمه في نقض الوضوء:**

أخرج عبد الرزاق في مصنفه بسنده أن عليا، وابن مسعود، والشعبي قالوا في الرجل ينام وهو جالس: ليس عليه الوضوء [٥٩] ودل على ذلك حديث رسول الله (ﷺ): «**العين وكاء السه، فمن نام فليتوضأ**» [٦٠].

**٣- غسل المذي والوضوء منه:**

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: كنت رجلا مذاء فأمرت رجلا [٦١]، أن يسأل النبي (ﷺ)- لمكان ابنته- فسأله، فقال: «**توضأ واغسل ذكرك**» [٦٢].

---

(٥٦) انظر على سبيل المثال: موسوعة فقه علي بن أبي طالب، محمد قلعجي، فقه الإمام علي، أحمد طه.

(٥٧) صحيح سنن أبي داود للألباني (١ / ٧٥) صحيح موقوف.

(٥٨) صحيح سنن ابن ماجه (١ / ٨٥) حسن صحيح.

(٥٩) المصنف (١ / ١٣١).

(٦٠) صحيح سنن أبي داود للألباني(١ / ٤١).

(٦١) الرجل هو المقداد كما في رواية البخاري.

(٦٢) مسلم: ك الحيض (١ / ٢٤٧).

**٤- قراءة القرآن- من دون المصحف- على كل حال ما لم يكن جنبًا:**

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كان رسول الله (ﷺ) يقرئنا القرآن على كل حال ما لم يكن جنبا [٦٣]، وعن عامر الشعبي قال: سمعت أبا الغريف الهمداني يقول: شهدت علي بن أبي طالب بال ثم قال: اقرؤوا القرآن ما لم يكن أحدكم جنبا، فإذا كان جنبا فلا، ولا حرفا واحدا [٦٤].

**٥- وطء الحائض:**

سأل عمر رضي الله عنه عليا ما ترى في رجل وقع على امرأته وهي حائض؟ قال: ليس عليه كفارة إلا أنه يتوب [٦٥] وقد أجمعت الأمة على حرمة وطء الحائض دون خلاف [٦٦]، لقوله (تعالى): ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

**٦- مباشرة الحائض:**

فقد سئل علي رضي الله عنه ما لك من امرأتك إذا كانت حائضا؟ قال: ما فوق الإزار [٦٧]، ودليله في ذلك عن عائشة رضي الله عنها قالت: كانت إحدانا إذا كانت حائضا أمرها رسول الله فتأتزر ثم يباشرها [٦٨].

**أحكام في الصلاة:**

**١- لا يقرأ القرآن راكعًا أو ساجدًا:**

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «**نهاني رسول الله عن قراءة القرآن وأنا راكع أو ساجد**» [٦٩].

**٢- من لم يصل فهو كافر:**

سئل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين ما ترى في امرأة لا تصلي؟ قال: من لم يصل فهو كافر [٧٠]، قال عبد الله بن شقيق: لم يكن أصحاب رسول الله (ﷺ) يرون شيئا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة، ولأنها عبادة يدخل بها في

---

(٦٣) مسند أحمد (٢ / ٥١) قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.
(٦٤) مصنف عبد الرزاق (١ / ٣٣٦).
(٦٥) مصنف ابن أبي شيبة (١ / ٥٩).
(٦٦) بداية المجتهد (١ / ٥٧)، المجموع (٢ / ٣٥٩).
(٦٧) فقه الإمام علي بن أبي طالب (١ / ١٥٥).
(٦٨) مسلم (١ / ١٦٦). (٦٩) مسلم (١ / ٣٤٩).
(٧٠) مصنف ابن أبي شيبة (١١ / ٤٧)، كنز العمال (٨ / ١٣).

الإسلام، فيخرج بتركها منه كالشهادة [٧١] ويؤيد هذا الحكم، قول رسول الله (ﷺ): «إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»[٧٢]، قال الإمام النووي: تارك الصلاة إن كان منكرا لوجوبها فهو كافر بإجماع المسلمين، خارج من ملة الإسلام، إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام، ولم يخالط المسلمين مدة يبلغه فيها وجوب الصلاة عليه، وإن كان تركه تكاسلا مع اعتقاد وجوبها- كما هو حال كثير من الناس- فقد اختلف العلماء فيه فذهب مالك والشافعي-رحمهما الله- والجماهير من السلف والخلف إلى أنه لا يكفر، بل يفسق، ويستتاب، فإن تاب وإلا قتلناه حدا، كالزاني المحصن، ولكنه يقتل بالسيف، وذهب جماعة من السلف إلى أنه يكفر، وهو مروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو إحدى الروايتين عن أحمد بن حنبل- رحمه الله- وبه قال عبد الله بن المبارك، وإسحاق بن راهويه، وهو وجه لبعض أصحاب الشافعي، وذهب أبو حنيفة وجماعة من أهل الكوفة، والمزني صاحب الشافعي أنه لا يكفر ولا يقتل، بل يعزر، ويحبس حتى يصلي[٧٣].

٣- إعادة الصلاة في الوقت:

إذا أعاد المصلى صلاته في الوقت لفضيلة الجماعة فإن [٧٤] الأولى فرضه والمعادة نافلة عند علي، نقل ذلك عن ابن قدامة، وعن الحارث عن علي في الذي يصلى وحده ثم يصلى في الجماعة، قال: صلاته الأولى [٧٥]، أي: الثانية نافلة له، ودليله ما رواه أبو ذر حيث قال: قال لي رسول الله (ﷺ): «كيف أنت إذا كانت عليك أمراء يميتون الصلاة أو يؤخرون الصلاة عن وقتها، فإن أدركتها معهم فصل فإنها لك نافلة» [٧٦]، وجه الدلالة أنه سمى التي يصليها جماعة نافلة [٧٧] وإذا أعاد المغرب شفعها بركعة عند علي، فعن الحارث عن علي: إذا أعاد المغرب شفع بركعة [٧٨].

٤- قضاء الفوائت:

من فاتته صلاة فيجب عليه قضاؤها، ويستحب أن يقضيها على الفور عند علي، وقد قال علي: إذا نام الرجل عن صلاة أو نسى فليصل إذا استيقظ أو ذكر [٧٩]، وعلى هذا إجماع المسلمين دون خلاف[٨٠]، والدليل على ذلك قول رسول الله (ﷺ): «إذا رقد أحدكم

(٧١) المغني (٢ / ٤٤).
(٧٢) مسلم ك الإيمان (١ / ٨٨).
(٧٣) شرح صحيح مسلم (٢ / ٧٠)، المغني (٢ / ٤٤٢- ٤٤٧).
(٧٤) المغني (٢ / ١١٣).
(٧٥) مصنف ابن أبي شيبة (٢ / ٢٧٦) كنز العمال ٢٢٨٣٣ .
(٧٦) مسلم، ك المساجد رقم ٢٤٠ .
(٧٧) فقه الإمام علي بن أبي طالب (١ / ١٧٧).
(٧٨) مصنف ابن أبي شيبة (٢ / ٢٧٦).
(٧٩) مصنف ابن أبي شيبة (٢ / ٦٤).
(٨٠) فقه الإمام علي بن أبي طالب (١ / ١٨١).

عن الصلاة أو غفل عنها فليصلها إذا ذكرها، فإن الله يقول: أقم الصلاة لذكري» (٨١).

٥- صلاة التراويح:

عن أبي عبد الرحمن السلمى أن عليا قام بهم في رمضان(٨٢)، وعن إسماعيل بن زياد قال: مر علي على المساجد وفيها القناديل في شهر رمضان فقال: نور الله على عمر قبره، كما نور علينا مساجدنا (٨٣)، وعلى هذا إجماع مذاهب أهل السنة (٨٤)، والحجة في ذلك ما رواه أبو هريرة أن النبي (ﷺ) قال: «من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه» (٨٥)، وجه الدلالة أن التراويح من القيام فهو سنة (٨٦)، والجماعة في التراويح أفضل عند علي وكان هو يصليها جماعة (٨٧)، ويجعل للرجال إماما وللنساء إماما، فعن عرفجة الثقفي قال: كان علي بن أبي طالب يأمر الناس بقيام شهر رمضان ويجعل للرجال إماما وللنساء إماما، قال عرفجة: فكنت أنا إمام النساء (٨٨)، وصلاة التراويح لها دليل في أصلها من هدى النبي (ﷺ)، فعن عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها أخبرته أن رسول الله (ﷺ): «خرج ليلة من جوف الليل، فصلى في المسجد، وصلى رجال بصلاته، فأصبح الناس فتحدثوا، فاجتمع أكثر منهم، فصلى فصلوا معه، فأصبح الناس فتحدثوا فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة، فخرج رسول الله فصُلِّي بصلاته، فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله حتى خرج لصلاة الصبح، فلما قضى الفجر أقبل على الناس فتشهد، ثم قال: أما بعد: فإنه لم يخف علي مكانكم، ولكني خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها فتوفي رسول الله والأمر على ذلك» (٨٩).

٦- صلاة العيد في المسجد بالشيوخ الضعفاء:

لما تولى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الخلافة وصار بالكوفة، وكان الخلق بها كثيرا، قالوا: يا أمير المؤمنين، إن بالمدينة شيوخًا وضعفاء يشق عليهم الخروج إلى الصحراء، فاستخلف علي بن أبي طالب رجلا يصلى بالناس العيد في المسجد، وهو يصلى بالناس خارج الصحراء، ولم يكن هذا يفعل قبل ذلك، وعلي من الخلفاء الراشدين، وقد قال النبي (ﷺ): «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي» (٩٠). فمن تمسك بسنة الخلفاء

(٨١) مسلم، ك المساجد ومواضع الصلاة (١ / ٤٧٧) رقم ٦٨٤ .

(٨٢) المغني (٢ / ١٦٩)، مصنف ابن أبي شيبة (٢ / ٣٩٥).

(٨٣) المغني (٢ / ١٦٩). .

(٨٤) بداية المجتهد (١ / ٢١٤)، المغني (٢ / ١٦٥).

(٨٥) مسلم رقم: ٧٥٩ .

(٨٦) فقه الإمام علي بن أبي طالب (١ / ٢٨٥).

(٨٧) المغني (٢ / ١٦٨).

(٨٨) المجموع (٤ / ٣٤)، مصنف ابن أبي شيبة (٢ / ٢٢٢).

(٨٩) البخاري رقم: ٢٠٢١ .

(٩٠) سنن الترمذي في العلم ٢٦٧٦ حسن صحيح.

الراشدين فقد أطاع الله ورسوله [٩١].

٧- تغسيل الرجل زوجته:

يجوز للرجل أن يغسل جنازة زوجته عند علي إذ أنه غسل زوجته فاطمة رضي الله عنهما [٩٢]، وعن أسماء بنت عميس قالت: أوصت فاطمة إذا ماتت ألا يغسلها إلا أنا وعلي، قالت: فغسلتها أنا وعلي [٩٣]، وحكي إجماع الصحابة على ذلك لأن ذلك اشتهر فيهم ولم ينكروه [٩٤]، وبه قال جمهور العلماء والحجة لهم لقول رسول الله (ﷺ) لعائشة: «ما ضرك لو مت قبلي فغسلتك وكفنتك ثم صليت عليك ودفنتك» [٩٥].

٨- الكفن من مال الميت:

يحسب تكاليف تكفين الميت من رأس ماله إن كان له مال عند علي [٩٦]، فعن عبد الله ابن ضميرة عن أبيه عن جده عن علي رضي الله عنه أنه قال: الكفن من رأس المال [٩٧]، والحجة في ذلك أن مصعب بن عمير قتل يوم أحد ولم يوجد له شيء يكفن فيه إلا نمرة فكنا إذا وضعناها على رأسه خرجت رجلاه وإذا وضعناها على رجليه خرج رأسه، فقال رسول الله (ﷺ): «ضعوها مما يلي رأسه واجعلوا على رجليه الإذخر» [٩٨]، وجه الدلالة، أنه لو كان واجب على المسلمين لأخذ له من المسلمين الحاضرين ما يتم به كفنه [٩٩].

٩- كفن الرجل والمرأة وعدم المغالاة فيه:

يسن أن يكفن الرجل في ثلاثة أثواب والمرأة في خمسة أثواب عند علي، نقل ذلك عنه الكاساني وغيره [١٠٠]، ويكره المغالاة في الكفن وهو الزيادة على الثلاثة للرجل والخمسة للمرأة عند علي [١٠١]، فقد قال أمير المؤمنين علي: كفن المرأة خمسة أثواب وكفن الرجل ثلاثة ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين [١٠٢].

---

(٩١) الفتاوي (٢٤ / ١١٣).
(٩٢) السيل الجرار (١ / ٣٤٤) المبسوط (٢ / ٧١).
(٩٣) مصنف عبد الرزاق (٣ / ٤١٠) المحلى (٥ / ١٧٥).
(٩٤) المغني (٢ / ٢٥٢)، نيل الأوطار (٤ / ٥٨).
(٩٥) سنن ابن ماجة، رقم: ١٤٦٤، إسناده صحيح.
(٩٦) فقه الإمام علي بن أبي طالب (١ / ٣٠٥).
(٩٧) الطبراني في الأوسط (٤ / ٦٧) إسناده ضعيف.
(٩٨) مسلم (٢ / ٦٤٩)، رقم: ٩٤٠ .
(٩٩) فقه الإمام علي بن أبي طالب(١ / ٣٠٦).
(١٠٠) البدائع (٢ / ٧٦٦) المبسوط(٢ / ٧٢).
(١٠١) فقه الإمام علي بن أبي طالب (١ / ٣٠٧).
(١٠٢) البدائع (٢ / ٧٦٦) المبسوط(٢ / ٧٢).

١٠ - غسل الشهيد وكفنه:

لا يغسل الشهيد ولا يكفن عند علي، فقد نقل ذلك عنه الكاساني وغيره [١٠٣]، وروي عنه أنه لم يغسل من قتل معه في قتاله مع مخالفيه ولم يأمر بتكفينهم، بل دفن عمارا ولم يغسله [١٠٤]، وهذا قول جمهور أهل العلم إلا الحسن البصري وسعيد بن المسيب لقولهما: إن الميت يجنب [١٠٥].

**أحكام متعلقة بالزكاة:**

١ - لا زكاة في مال حتى يحول عليه الحول:

بين أمير المؤمنين علي أن حولان الحول شرط في وجوب الزكاة، لما ورد عنه رضي الله عنه قال: ليس في مال زكاة حتى يحول عليه الحول [١٠٦]، والحول شرط لوجوب الزكاة في النقود والمواشي، وأموال التجارة، وليس بشرط في الزرع، وذلك إجماع لا خلاف فيه [١٠٧].

٢ - نصاب الذهب والفضة ومقدار الزكاة فيهما:

بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن نصاب الذهب عشرون مثقالا، وليس فيما دونه زكاة، وما زاد فبحسابه، حيث يقول: ليس فيما دون عشرين دينارا شيء وفي عشرين نصف دينار، وفي أربعين دينار، فما زاد بالحساب [١٠٨]، وقال عن نصاب الفضة: ليس في أقل من مائتي درهم زكاة [١٠٩]، وقال: فإذا بلغ مائتي درهم ففيه خمسة دراهم، وإن نقص من المائتين فليس فيه شيء، وإن زاد على المائتين فبحسابه [١١٠].

٣ - نصاب الإبل ومقدار الزكاة فيها:

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: في خمس من الإبل شاة إلى تسع، فإن زادت واحدة ففيها شاتان إلى أربع عشرة، فإن زادت واحدة ففيها ثلاث شياه إلى تسع عشرة، فإن زادت واحدة ففيها أربع شياه إلى أربع وعشرين، فإن زادت واحدة ففيها خمس شياه [١١١]، فإن زادت واحدة ففيها بنت مخاض أو لبون (ذكر أكبر منها بعام) إلى خمس وثلاثين، فإن زادت واحدة ففيها بنت لبون إلى خمس وأربعين، فإن زادت واحدة ففيها حقة «طرقة الفحل» إلى ستين، فإن زادت واحدة ففيها بنتا لبون إلى تسعين، فإذا كثرت الإبل ففي

---

(١٠٣) البدائع (٢ / ٢٨٧)، فقه الإمام علي بن أبي طالب(١ / ٣٠٦).
(١٠٤) المغني (٢ / ٥٣٤)، فقه الإمام علي (١ / ٣٠٦).
(١٠٥) البدائع (٢ / ٨٠٦)، المغني (٢ / ٥٢٩).
(١٠٦) مسند أحمد (٢ / ٣١١) قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.
(١٠٧) موسوعة فقه الإمام علي قلعجي ص٢٩٥ .
(١٠٨) مصنف ابن أبي شيبة (٣ / ١١٩).
(١٠٩) مصنف ابن أبي شيبة (٣ / ١١٧).
(١١٠) المحلى (٦ / ٥٩، ٦١)، المجموع (٦ / ١٦).
(١١١) عند ابن قدامة في المغني (٢ / ٥٧٩) من ٢٥ إلى ٣٥ فيها بنت مخاض.

كل خمسين من الإبل حقة، ولا يجمع بين مفترق ولا يفرق بين مجتمع[١١٢].

**٤- الأصناف التي تجب فيها الزكاة من الزروع:**

الأصناف التي تجب فيها الزكاة عند علي هي: الحنطة والشعير والتمر والزبيب، نقل ذلك عنه ابن حزم وغيره [١١٣]، وقد قال علي: الصدقة عن أربع: من البر فإن لم يكن بر فتمر، فإن لم يكن تمر فزبيب، فإن لم يكن زبيب فشعير[١١٤].

**٥- عدم الزكاة في الخضروات والفواكه والعسل:**

قال أمير المؤمنين علي: ليس في الخضر صدقة [١١٥]، وفي رواية: ليس في الخضر والبقول صدقة [١١٦] وهو قول جمهور العلماء [١١٧] ولا زكاة في الفواكه عند علي، فعن أبي إسحاق عن علي قال: ليس في التفاح وما أشبه صدقه [١١٨]، وعن عاصم بن ضمرة عن علي قال: ليس في الخضر صدقة البقل والتفاح والقثاء [١١٩]، وهو قول كل من قال باقتصار وجوب الزكاة على الأصناف الأربعة، والحجة لهم لدخولها تحت حكم الخضروات لاشتراكها معها في عدم البقاء والادخار[١٢٠] وأما زكاة العسل فهي غير واجبة عند علي حيث قال: ليس في العسل زكاة[١٢١].

**٦- صرف الزكاة لصنف واحد:**

يجوز إعطاء الزكاة لصنف واحد من الأصناف الثمانية، أو لشخص واحد يغنون بها عند علي، فقد قال: لا بأس أن يبعث الرجل الصدقةَ في صنف واحد[١٢٢]، وروي عنه أنه أتى بصدقة فبعثها إلى أهل بيت واحد[١٢٣].

**٧- إعطاء الزكاة للأصول والفروع:**

قال أمير المؤمنين علي: ليس لولد ولا لوالد حق في صدقة مفروضة، ومن كان له ولد

---

(١١٢) مصنف ابن أبي شيبة (٣ / ١٢٢).
(١١٣) المحلى (٥ / ٢١٢) فقه الإمام علي (١ / ٣٤٦).
(١١٤) مصنف ابن أبي شيبة (٣ / ٤٣٨).
(١١٥) مصنف عبد الرزاق ٧١٨٨ جمع الجوامع (٢ / ١٥٧).
(١١٦) سنن البيهقي نقلاً عن فقه الإمام علي (١ ./ ٣٤٧).
(١١٧) فقه الإمام علي(١ / ٣٤٧).
(١١٨) جمع الجوامع (٢ / ٩٥) فقه الإمام علي (١ / ٣٤٨).
(١١٩) مصنف عبد الرزاق ٧١٨٨، فقه الإمام علي (١ / ٣٤٨).
(١٢٠) فقه الإمام علي بن أبي طالب (١ / ٣٤٥).
(١٢١) جمع الجوامع (٢ / ١٥٧)، فقه الإمام علي (١ / ٣٤٥).
(١٢٢) فقه الإمام علي (١ / ٣٥٢) نقلاً عن سنن البيهقي.
(١٢٣) البدائع (٢٠/٢ ١٠٤) فقه الإمام علي (١ / ٣٥٢).

أو والد فلم يصله فهو عاق[١٢٤] وحكي إجماع العلماء على هذا، وحمل من خالفه على صدقة التطوع والحجة لهم؛ لأن منفعتها تعود على دافع الزكاة لأنها تغنيهم عن النفقة فلا يدفعها إليهم، وقد يتخذ ذلك حيلة للتخلص من دفع الزكاة، ثم إن الزكاة والنفقة واجبان مستقلان لا يحل أحدهما مكان الآخر كالصلاة والصوم وإن الزكاة حق لله (تعالى) فهي عبادة، وأما النفقة فهي حق العباد، وهي صلة القرابة[١٢٥].

**أحكام متعلقة بالصيام:**

١ - ثبوت صيام رمضان برؤية الواحد العدل:

يثبت دخول شهر رمضان عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بخبر الواحد العدل، ويلزم الناس بصيامه، فعن فاطمة بنت الحسين أن رجلا شهد عند علي بن أبي طالب رضي الله عنه على رؤية هلال رمضان فصام، وأحسبه قال: وأمر الناس بالصيام[١٢٦] وهذا الحكم مبنى على ما ثبت عن رسول الله (ﷺ): «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن غبى عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يومًا» [١٢٧]، قال النووي: المراد رؤية بعض المسلمين، ولا يشترط رؤية كل إنسان، بل يكفي جميع الناس رؤية عدلين وكذا عدل على الأصح، وأما الفطر فلا يجوز بشهادة عدل واحد على هلال شوال عند جميع العلماء إلا أبا ثور فجوزه بعدل[١٢٨].

٢ - صيام الجنب:

يجوز أن يصوم الجنب أي يؤخر الغسل حتى يصبح ثم يغتسل ويتم صومه عند علي نقل ذلك عنه ابن قدامة وعن الحارث عن علي قال: إذا أصبح الرجل وهو جنب فأراد أن يصوم فليصم إن شاء[١٢٩]، والدليل على ذلك ما ورد عن عائشة وأم سلمة: «أن رسول الله (ﷺ) كان يدركه الفجر وهو جنب من أهله ثم يغتسل ويصوم»[١٣٠].

٣ - الإفطار للشيخ الكبير:

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في تفسير قول الله (تعالى): ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة ١٨٤] قال: الشيخ الكبير الذي لا يستطيع الصوم يفطر ويطعم مكان كل يوم مسكينا[١٣١].

(١٢٤) سنن البيهقي نقلاً عن فقه الإمام علي (١ / ٣٥٥).
(١٢٥) فقه الإمام علي بن أبي طالب (١ / ٣٥٥).
(١٢٦) المجموع (٦ / ٣١٥) المغني (٣ / ٩٠) موسوعة فقه الإمام علي ص ٤٢٠ .
(١٢٧) مسلم (٢ / ٧٥٩).
(١٢٨) شرح صحيح مسلم (٧ / ١٩٠).
(١٢٩) مصنف ابن أبي شيبة(٣ / ٨١)، المغني (١ / ١٣٧).
(١٣٠) البخاري (٢ / ٢٣٢).
(١٣١) تفسير الطبري (٢ / ٨١).

٤- مكان الاعتكاف:

عن أبي عبد الرحمن السلمى عن علي قال: لا اعتكاف إلا في مسجد جماعة[(١٣٢)]، وفي لفظ: لا اعتكاف إلا في مصر جامع[(١٣٣)]، ولعله قصد بذلك أن الاعتكاف لا يقام إلا في مسجد المصر الجامع الذي تقام فيه الجمعة[(١٣٤)].

٥- ما يجوز للمعتكف:

قال علي: إذا اعتكف الرجل فليشهد الجمعة وليعد المريض وليشهد الجنازة وليأت أهله وليأمرهم بالحاجة وهو قائم[(١٣٥)].

**من أحكام الحج:**

١- تقبيل المحرم امرأته:

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: من قبل امرأته وهو محرم فليهرق دمًا [(١٣٦)].

٢- قتل المحرم للحيوان الصائل:

عن مجاهد عن علي في الضبع إذا عدا علي المحرم فليقتله فإن قتله قبل إن يعدو عليه فعليه شاة [(١٣٧)]، ودليل ذلك قوله (تعالى): ﴿**فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ**﴾ [البقرة: ١٧٣] لأنه إن لم يقتله قتله فيتحقق منه الاضطرار، ثم إنه انقلب بذلك حيوانا شريرا فيلحق بالمؤذيات التي يجوز قتلها [(١٣٨)].

٣- قتل الغراب:

يجوز للمحرم قتل الغراب عند علي، فقد قال: يقتل المحرم الغراب[(١٣٩)]، ودليل ذلك قول رسول الله (ﷺ): «**خمس فواسق يقتلن في الحرم: الفأرة، والعقرب، والغراب، والحدأة والكلب العقور**» [(١٤٠)].

٤- الشك في الطواف:

قال أمير المؤمنين: إذا طفت في البيت فلم تدر أتممت أو لم تتم، فائت ما شككت فإن الله لا يعذب على الزيادة [(١٤١)].

---

(١٣٢) مصنف عبد الرزاق ٨٠٠٩ .
(١٣٣) مصنف ابن أبي شيبة (٣ / ٩١).
(١٣٤) فقه الإمام علي بن أبي طالب (١ / ٣٨٦).
(١٣٥) مصنف ابن أبي شيبة (٣ / ٨٧)، جمع الجوامع (٢ / ١٤٠).
(١٣٦) فتح العزيز، شرح الوجيز للرافعي الهامش المجموع (٧ / ٤٨٠).
(١٣٧) مصنف ابن أبي شيبة (٤ / ٦).
(١٣٨) فقه الإمام علي بن أبي طالب(١ / ٤٠٣).
(١٣٩) مصنف ابن أبي شيبة (٤ / ٩٤).
(١٤٠) سنن الترمذي (١ / ١٦٦) حسن صحيح.
(١٤١) مصنف ابن أبي شيبة (٤ / ٩٦).

٥- النسيان في الطواف:

إذا نسي الرجل فطاف أشواطا زائدة على المسنون يضيف إليها ما يبلغه مجموع أشواط طوافين عند علي، قال علي في الرجل ينسى فيطوف ثمانية فليزد عليها ستة حتى تكون أربعة عشر يصلي أربع ركعات(١٤٢).

٦- النيابة للحج:

من استطاع بماله الحج ولم يستطع ببدنه لشيخوخة أو مرض يجب عليه أن ينيب عنه غيره عند علي، نقل ذلك عنه ابن حزم وغيره(١٤٣)، فقد قال في الشيخ الكبير، أنه يجهز رجلا بنفقته فيحج عنه (١٤٤)، ودليل ذلك ما روى ابن عباس أن امرأة من خثعم قالت يا رسول الله (ﷺ) إن أبي شيخ كبير عليه فريضة الله في الحج وهو لا يستطيع أن يستوى على ظهر بعيره فقال النبي (ﷺ): «فحجي عنه» (١٤٥)، وهذا يدل على أن الاستطاعة بالمال كافية لوجوب الحج على المكلف عند علي ومن معه، أما الاستطاعة بالبدن فيكفي أن يستطيع بغيره إذا وجد، سواء أكان بمؤنة أو إجارة أو غيرهما (١٤٦).

٧- الشك في عدد الرميات:

إذا شك الحاج في عدد رمي الجمرات يعيد ما شك فيه عند علي، فعن أبي مجلز أن رجلا سأل ابن عمر فقال: إني رميت الجمرة ولم أدر رميت ستا أو سبعا، قال: أنت وذاك الرجل يريد عليا، فذهب فسأله فقال: أما أنا لو فعلت في صلاتى لأعدت الصلاة، فجاء فأخبره بذلك، فقال صدق، أو أحسن، قال الشيخ: وكأنه أراد والله أعلم لأعدت المشكوك في فعله، كذلك في الرمي يعيد المشكوك في رميه(١٤٧).

**بعض الأحكام التي ألحقت بالعبادات:**

١- إدراك الميتة قبل موتها:

إذا أدرك الحيوان الآيل إلى الموت قبل موته بوقت قصير فذبح جاز أكله، وعلامة حياته قبل ذبحه أن يتحرك منه عضو بعد ذبحه عند علي(١٤٨)، فقد قال: إذا وجد الموقوذة، والمتردية والنطيحة وما أصاب السبع فوجدت تحريك يد أو رجل فذكها وكل(١٤٩)، ودليله

(١٤٢) مصنف عبد الرزاق رقم ٩٨١٤ .
(١٤٣) المحلى (٧ / ٦١)، المغني (٣ / ٢٢٨).
(١٤٤) المصدر نفسه.
(١٤٥) مسلم (٢ / ٩٧٤) رقم (١٣٣٥).
(١٤٦) فقه الإمام علي بن أبي طالب (١/ ٤٢٠).
(١٤٧) سنن البيهقي (٥ / ١٤٩) نقلا عن فقه الإمام علي (١ / ٤١٨).
(١٤٨) فقه الإمام علي بن أبي طالب (١ / ٤٥٦).
(١٤٩) المحلى (٧ / ٤٥٨).

على ذلك قول الله (تعالى): ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ [المائدة: ٣]، ووجه الدلالة: أن قوله (تعالى): ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ استثناء مما سبقه أي إلا ما أدركتم ذكاته فيحل أكله(١٥٠).

٢- ذبائح النصارى العرب:

لا يحل أكل ذبائح نصارى العرب استثناء من عموم النصارى عند علي، نقل ذلك عنه الطبري وغيره (١٥١)، وعن عبيدة السلماني قال: لا تؤكل ذبائح نصارى العرب فإنهم لا يتمسكون من النصرانية إلا بشرب الخمر(١٥٢)، وفي رواية: لا تأكلوا ذبائح نصارى بني تغلب فإنهم لم يتمسكوا بشيء من النصرانية إلا بشرب الخمر(١٥٣)، وقد استدل على ذلك بعدم التزامهم بتعاليم النصرانية في تحليل ما حللوا وتحريم ما حرموا فلا يعدون منهم، ولكن الله (تعالى) حين أحل ذبائحهم أحلها في وقت كان النصارى منحرفين عن أصل تعاليم النصرانية سواء في عقيدتها، أو في أحكامها فلم يمنع ذلك من تحليل ذبائحهم، فهذا ما عليه جمهور الصحابة والفقهاء(١٥٤).

٣- ذبيحة الفخر:

يحرم أكل ما ذبح فخرا عند علي رضي الله عنه، فعن الجارود بن أبي سبرة قال: كان رجل من بني رياح يقال له: ابن وشيل-وهو سحيم- قال: وكان شاعرا نافرا غالبه أبا فرزدق الشاعر بماء بظهر الكوفة على أن يعقر هذا مائة من إبله وهذا مائة من إبله إذا وردت، فلما وردت الإبل الماء قاما إليها بالسيوف فجعلا يكسعان عراقيبهما، فخرج الناس على الحمرات(١٥٥) يريدون اللحم، وعلي بالكوفة، فخرج على بغلة رسول الله (ﷺ)، وهو ينادي: أيها الناس! لا تأكلوا من لحومها فإنها أهل بها لغير الله قال ابن حزم: ولا يعلم لعلي في هذا الباب غير هذا الحديث فعن علي قال: إن رسول الله قال: «لعن الله من ذبح لغير الله»(١٥٦)، وجه الدلالة أن الذبح لأجل الفخر مما أهل به لغير الله، فيشمله الحديث(١٥٧).

٤- نجاسة البيضة داخل الدجاجة الميتة:

البيضة في بطن الدجاجة الميتة نجسة عند علي لا يجوز أكلها سواء أصلبت قشرتها أم لا

(١٥٠) فقه الإمام علي بن أبي طالب (١ / ٤٥٦).
(١٥١) تفسير الطبري (٦ / ٥٦)، تفسير القرطبي (٦ / ٧٨).
(١٥٢) مصنف عبد الرزاق ١٠٠٣٥، تفسير الطبري (٦ / ٥٦).
(١٥٣) مصنف عبد الرزاق ١٠٠٣٤، كنز العمال ١٥٦٥١ .
(١٥٤) تفسير الطبري (٥ / ٦٥)، بداية المجتهد (١ / ٤٦٥).
(١٥٥) فقه الإمام علي (١ / ٤٦٧).
(١٥٦) مسلم: ك الأضاحي، باب تحريم الذبح لغير الله (٣ / ١٥٦٧).
(١٥٧) فقه الإمام علي بن أبي طالب (١ / ٤٦٨).

نقل ذلك عنه ابن قدامة[١٥٨].

**٥- طعام المشركين والمجوسي غير الذبائح:**

لا بأس بأكل طعام المجوس والمشركين إذا لم يكن فيه من ذبائحهم؛ لأن التحريم خاص بالذبائح، فقد قال أمير المؤمنين علي: لا بأس بطعام المجوسي إنما نهي عن ذبائحهم[١٥٩]، وفي رواية: لا بأس بأكل خبز المجوس إنما نهي عن ذبائحهم[١٦٠] وهو قول جمهور الفقهاء[١٦١].

**٦- ترك الشيب أبيض:**

يجوز ترك الشيب أبيض دون تغييره بحناء أو غيره عند علي، نقل ذلك عنه ابن حجر وغيره[١٦٢]، وعن الشعبي قال: رأيت عليا أبيض الرأس واللحية قد ملأت ما بين منكبيه[١٦٣] وعن أبي إسحاق رأيت عليا أصلع أبيض الرأس واللحية[١٦٤]، وعن ابن الحنفية أن عليا اختضب الحناء مرة ثم ترك[١٦٥].

**٧- اللعب بالنرد والشطرنج:**

لعب النرد حرام عند أمير المؤمنين علي حيث قال: لأن أقلب جمرتين أحب إليّ من أن أقلب كعبين[١٦٦] وكان لا يسلم على أصحاب النردشير[١٦٧]، ودليل تحريمه قول رسول الله (ﷺ): **«من لعب النردشير فكأنما صبغ يده في لحم الخنزير ودمه»**[١٦٨] والشطرنج محرم عند علي أيضا نقله عنه ابن قدامة[١٦٩] وكان يقول في الشطرنج: هو ميسر الأعاجم[١٧٠]، وفي رواية: هو من الميسر[١٧١]، وعن ميسرة بن حبيب قال: مر علي بن أبي طالب على قوم يلعبون بالشطرنج فقال: ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون لأن يمس جمرا حتى يطفأ خير له من أن يمسها[١٧٢]، وعن عمار بن أبي عمار قال: مر علي بمجلس من مجالس تيم الله

---

(١٥٨) المغني (١ / ٧٥)، المجموع (١ / ٢٤٥).
(١٥٩) كنز العمال (٢٥٧٦)، فقه الإمام علي بن أبي طالب (١ / ٤٧٦).
(١٦٠) المغني (٤ / ٢٩٦).
(١٦١) فقه الإمام علي (١ / ٤٧٧).
(١٦٢) المنتقى (٧ / ٢٧٠) فقه الإمام علي (١ / ٤٩٥).
(١٦٣) فقه الإمام علي (١ / ٤٩٥).
(١٦٤) مصنف ابن أبي شيبة (٩ / ٤٢٧).
(١٦٥) مصنف ابن أبي شيبة (٩ / ٤٢٧).
(١٦٦) المصدر نفسه (٨ / ٧٣٨).
(١٦٧) إعلاء السنن للتهانوي (١٧ / ٤٦٤).
(١٦٨) مسلم (٤ / ١٧٧٠) رقم ٢٢٦٠.
(١٦٩) المغني (١٠ / ٢١٢).
(١٧٠) إعلاء السنن للتهانوي (١٧ / ٤٦٤)، فقه الإمام علي (١ / ٥٠١).
(١٧١) المصدر نفسه (١٧ / ٤٦٤)، فقه الإمام علي (١ / ٥٠١).
(١٧٢) المغني (٩ / ١٧).

وهم يلعبون بالشطرنج فوقف عليهم فقال: أما والله لغير هذا خلقتم أما والله لولا أن تكون سنة لضربت بها وجوهكم[(١٧٣)] والحجة في هذا التحريم بين المتلاعبين وهو علة الميسر المحرم بنص الكتاب فيقاس عليه[(١٧٤)].

٨- نكاح المتعة:

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: نسخ رمضان كل صوم ونسخ المتعة الطلاق والعدة والميراث[(١٧٥)] وحجة علي ما رواه عن النبي (ﷺ): «بأنه نهي عن المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية زمن خيبر»[(١٧٦)].

٩- النكاح بدون ولى:

عن أبي قيس الأودى أن عليا كان يقول: إذا تزوج بغير إذن ولى ثم دخل بها لم يفرق بينهما وإن لم يصبها فرق بينهما[(١٧٧)].

١٠- العيوب الجسدية في المرأة:

إذا وجد الرجل فيمن تزوجها عيبا يصعب المقام معه، قال أمير المؤمنين علي: إنه إذا دخل بها وجب المهر وخير بين الطلاق والإمساك، وإن لم يدخل بها فرق بينهما بدون مهر[(١٧٨)].

١١- نكاح الخصى:

قال أمير المؤمنين علي: لا يحل للخصي أن يتزوج فإن تزوج ولم تعلم المرأة، فرق بينهما عند علي، فقد قال: لا يحل للخصى أن يتزوج امرأة مسلمة عفيفة[(١٧٩)]، ودليل ذلك أن الخصاء من العيوب المنفرة التي يصعب معه الجماع أو ينعدم فقيس على غيره من العيوب التي جاز بها التفريق[(١٨٠)].

١٢-من تزوج أختان جهلا بأنهما أختان:

من تزوج امرأة ثم تزوج أخرى فظهر أنهما أختان يفارق التي تأخر زواجها عند علي، فعن ابن جريج قال: أخبرت عن علي أنه قال في رجل تزوج امرأة فأصابها ثم انطلق إلى أرض أخرى فتزوج امرأة فأصابها، فإذا هي أختها فقضى أنه يفارق الآخرة ويراجع الأولى

---

(١٧٣) سنن البيهقي نقلا عن فقه الإمام علي (١ / ٥٠٢).
(١٧٤) فقه الإمام علي (١ / ٥٠٢).
(١٧٥) المصدر نفسه (٢ / ٥٠٩).
(١٧٦) مسلم: ك النكاح (٢ / ١٠٢٧)، رقم ١٤٠٧ .
(١٧٧) مصنف عبد الرزاق (٦ / ١٩٦).
(١٧٨) كنز العمال ٤٥٦٦٤، مصنف عبد الرزاق ١٠٦٧٧، فقه الإمام علي (٢ / ٥٣٥).
(١٧٩) مصنف عبد الرزاق ١٠٧١٩ .
(١٨٠) فقه الإمام علي بن أبي طالب (٢ / ٥٣٦).

غير أنه لا يراجع الأولى حتى تقضي هذه عدتها[١٨١]، وهو قول جمهور فقهاء المذاهب[١٨٢]، والحجة لهم أن نكاح الأول وقع صحيحا دون الثانية، فإنه باطل لا ينعقد[١٨٣].

**١٣ – تحريم وطء الزوجة في دبرها:**

وطء الزوجة في دبرها حرام عند علي نقل ذلك عنه ابن قدامة[١٨٤] فعن أبي المعتمر قال: نادى عليٌّ على المنبر فقال: سلوني فقال رجل: أتؤتى النساء في أدبارهن؟ فقال: سفلت سفل الله بك: ألم تر أن الله (تعالى) يقول: ﴿**إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ**﴾[العنكبوت:٢٨]، وروى ذلك عن عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو وأبي هريرة وبه قال سعيد بن المسيب وأبو بكر بن عبد الرحمن ومجاهد وعكرمة وهو قول أبي حنيفة والشافعي وأحمد والمالكية والظاهرية[١٨٥]، ودليل التحريم، قول رسول الله (ﷺ): «**ملعون من أتى امرأته في دبرها**»[١٨٦]، وجه الدلالة: أن النهي عن الشيء وترتيب اللعن عليه يدل على التحريم[١٨٧].

**١٤ – عدة الحامل المتوفي عنها زوجها:**

إذا كانت المرأة حاملا وتوفي زوجها فوضعت قبل أن تنقضي عدتها فعند علي أنها تعتد أبعد الأجلين أي عدة الحمل إذا لم تضع قبل عدة المتوفي عنها زوجها، فإن وضعت قبل ذلك تعتد أربعة أشهر وعشرا، نقل ذلك عن ابن رشد وغيره[١٨٨]، وعن عبد الرحمن بن معقل قال: شهدت عليا سأله رجل عن امرأة توفي عنها زوجها وهي حامل قال: تتربص أبعد الأجلين[١٨٩]، وعن الشعبى كان يقول: أجل كل حامل آخر الأجلين[١٩٠]، وقد جمع أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بين قول الله (تعالى): ﴿**وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ**﴾ [الطلاق: ٤]، وقوله (تعالى): ﴿**وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا**﴾ [البقرة: ٢٣٤] إذ بينهما عموما وخصوصا فلا يترجح العمل بأحدهما دون الآخر، فيعمل بالاثنين للخروج من الظن إلى اليقين والتخلص من

(١٨١) مصنف عبد الرزاق ١٠٥١٧ .
(١٨٢) المدونة (٢ / ٢٨٠)، المغني (٦ / ٢٥٨١).
(١٨٣) فقه الإمام علي بن أبي طالب (٢ / ٥٦٢).
(١٨٤) المغني (٧ / ٢٢).
(١٨٥) المغني (٧ / ٢٢)، المحلى (٧ / ٦٩)، تفسير القرطبي (٣ / ٩٣).
(١٨٦) سنن أبي داود (٢ / ٢٥٦)، الجامع الصغير (٢ / ٥٣٩).
(١٨٧) فقه الإمام علي بن أبي طالب (٢ / ٥٦٨).
(١٨٨) بداية المجتهد (٢ / ٩٥)، نيل الأوطار (٨ / ٧٧).
(١٨٩) مصنف ابن أبي شيبة (٤ / ٣٠٠).
(١٩٠) مصنف ابن أبي شيبة (٤ / ٢٩٨).

التعارض[١٩١].

والراجح أن عدتها وضع الحمل في كلتا الحالتين، فقد صح عن عبد الله بن عتبة أن سبيعة بنت الحارث أخبرته أنها كانت تحت سعد بن خولة، وكان ممن شهد بدرًا، فتوفي عنها في حجة الوداع وهي حامل فلم تنشب أن وضعت حملها بعد وفاته، فلما تعلت من نفاسها تجملت للخطاب فدخل عليها أبو السنابل بن بعكك، فقال لها ما لي أراك متجملة؟ لعلك ترجين النكاح؟ إنك والله ما أنت بناكح حتى تمر عليك أربعة أشهر وعشر قالت سبيعة فلما قال لي ذلك جمعت علي ثيابي حين أمسيت فأتيت رسول الله (ﷺ) فسألته عن ذلك فأفتاني: **«بأني قد حللت حين وضعت حملي وأمرني بالتزوج إن بدا لي»** [١٩٢]، وهذا قول جمهور علماء المسلمين وقيل حصل الإجماع على ذلك بعد سماع هذا الحديث [١٩٣]، وقال الشعبي: ما أصدق أن علي بن أبي طالب كان يقول عدة المتوفي عنها زوجها آخر الأجلين[١٩٤] ولعل عليا قال بذلك لعدم بلوغه حديث سبيعة وإلا فلا يخالف على الصحيح الثابت عن النبي (ﷺ) [١٩٥].

**بعض الأحكام المتعلقة بالمعاملات المالية:**

**١-جوائز السلطان:**

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: لا بأس بجوائز السلطان ما يعطيكم من الحلال أكثر مما يعطيكم من الحرام[١٩٦]، وقال أيضا: لا تسأل السلطان شيئا، فإن أعطاك فخذ فإن ما في بيت المال من الحلال أكثر مما فيه من الحرام[١٩٧].

**٢- الهدية لرفع الظلم وأخذ الحق:**

من نصر شخصا في حق أو رفع عنه ظلما لا يجوز له أن يقبل هدية من نصره أو رفع عنه الظلم عند علي، نقل ذلك عنه ابن حزم[١٩٨].

**٣- عدم ضمان العارية:**

لا يضمن المستعير العارية إذا تلفت بدون تعدي عند علي فقد قال علي:[١٩٩] ليست العارية مضمونة إنما هو معروف إلا أن يخالف فيضمن[٢٠٠].

---

(١٩١) سبل السلام للصنعاني (٣ / ١٩٨).
(١٩٢) البخاري رقم ٥٣١٨، مسلم ١٤٨٤ .
(١٩٣) المغني (٧ / ٤٧٣) فقه الإمام علي (٢ / ٧١٦).
(١٩٤) سبل السلام (٣ / ١٩٨).
(١٩٥) فقه الإمام علي بن أبي طالب (٢ / ٧١٦).
(١٩٦) المغني (٦ / ٤٤٤)، فقه الإمام علي (٢ / ٧١٦).
(١٩٧) المغني (٦ / ٤٤٤).
(١٩٨) المحلى (٩ / ١٢٩).
(١٩٩) فقه الإمام علي بن أبي طالب (٢ / ٧٢١).
(٢٠٠) مصنف عبد الرزاق ٤٧٨٨ .

**٤- عدم ضمان الوديعة:**

الوديعة أمانة بيد المودع عنده، فإذا تلفت عنده من غير جناية فلا ضمان عليه عند علي، فقد قال رضي الله عنه: لا يضمن صاحب العارية ولا الوديعة[٢٠١].

**٥- بيع الغنيمة للكفار:**

لا يجوز بيع ما غنمه المسلمون من أموال الكفار في الحرب إلى الكفار أنفسهم عند علي رضي الله عنه، فعن أم موسى قالت: أتى علي بن أبي طالب بآنية مخصوصة بالذهب من آنية العجم فأراد أن يكسرها ويقسمها بين المسلمين، فقال ناس من الدهاقين: إن كسرت هذه كسرت ثمنها ونحن نغلي لك بها، فقال علي: لم أكن لأرد لكم ملكًا نزعه الله منكم فكسرها وقسمها بين الناس[٢٠٢]، وقد فعل أمير المؤمنين ذلك حتى لا تذكرهم بأمجادهم أو تعود بالنفع عليهم.

**٦- تضمين الصناع:**

وذلك حفظًا لأموال الناس من الضياع قال الشاطبي: إن الخلفاء الراشدين قضوا بتضمين الصناع قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لا يصلح الناس إلا ذاك[٢٠٣]، وفي هذا مقصد من مقاصد الشريعة وهو حفظ الأموال من الضياع[٢٠٤]، وفي مصنف عبد الرزاق أن عليا رضي الله عنه ضمن الخياط والصباغ، وأشباه ذلك احتياطا للناس[٢٠٥].

**٧ـ عقد الذمة وعدم التشديد في الجباية عليهم:**

قال أمير المؤمنين علي: لا يقبل من مشركي العرب إلا الإسلام أو السيف، أما مشركو العجم فتؤخذ منهم الجزية، وأما أهل الكتاب من العرب والعجم فإن أبوا أن يسلموا وسألونا أن يكونوا أهل ذمة قبلنا منهم الجزية[٢٠٦]، وعن علي أنه قال: إنما قبلوا عقد الذمة لتكون أموالهم كأموالنا ودماؤهم كدمائنا[٢٠٧]، وكان رضي الله عنه يستعمل الرفق في طريقة أخذها واليسر في مقدارها، فعن عبد الملك بن عمير قال أخبرني رجل من ثقيف قال: استعملني علي بن أبي طالب، فقال: لا تضربن رجلا سوطا في جباية درهم ولا تبيعن لهم رزقا ولا كسوة شتاء ولا صيفا، ولا دية يعملون عليها، ولا تقم رجلا قائما في طلب درهم، قال: قلت: يا أمير المؤمنين إذا أرجع إليك كما ذهبت من عندك، قال: وإن رجعت كما ذهبت ويحك إنما أمرنا أن تأخذ منهم العفو يعني: الفضل[٢٠٨].

---

(٢٠١) مصنف عبد الرزاق ١٤٧٨٦ .

(٢٠٢) فقه الإمام علي بن أبي طالب (٢ / ٧٥٢).

(٢٠٣) الاعتصام (٢ / ١١٩). (٢٠٤) مقاصد الشريعة الإسلامية، اليوبي ص ٦٠٢ .

(٢٠٥) مصنف عبد الرزاق (٨ / ٢١٧)، موسوعة علي بن أبي طالب ص ٢٢ .

(٢٠٦) فقه الإمام علي (٢ / ٧٥٦).

(٢٠٧) المغني (٨ / ٣٧٥)، فقه الإمام علي (٢ / ٧٥٦).

(٢٠٨) كنز العمال ١٤٣٤٦، المغني (٨ / ٥٣٧).

**ثانيا: في الحدود:**

**١- عقوبة المرتد:**

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: يستتاب المرتد ثلاثا، فإن عاد وإلا قتل(٢٠٩) وحجة قتله: ما روي ابن عباس عن النبي (ﷺ) قال: «**من بدل دينه فاقتلوه**» (٢١٠)، وأما دليل استتابته فما روى عن جابر بن عبد الله أن رسول الله (ﷺ) استتاب رجلا ارتد عن الإسلام أربع مرات (٢١١) وروى عن علي في استتابة الزنديق الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر قولان هما:

أ- لا فرق في الاستتابة بين من أظهر الردة، وبين الزنديق الذي أظهر الإسلام وأبطن الكفر، وقامت عليه البينة بذلك(٢١٢).

فقد روى عبد الرزاق أن محمد بن أبي بكر كتب إلى علي عن مسلمَين تزندقا فكتب إليه: إن تابا وإلا فاضرب أعناقهما (٢١٣).

ب- يستتاب من أظهر الردة ولا يستتاب الزنديق، فقد روى الأثرم بإسناده إلى علي رضي الله عنه: أنه أتي برجل عربي قد تنصر، فاستتابه فأبى أن يتوب فقتله، وأتى برهط يصلون وهم زنادقة وقد قامت عليهم بذلك الشهود العدول، فجحدوا وقالوا: ليس لنا دين إلا الإسلام، فقتلهم ولم يستتبهم قال: أتدرون لم استتبت النصراني؟ استتبته لأنه أظهر دينه، فأما الزنادقة الذين قامت عليهم البينة فإنما قتلتهم لأنهم جحدوا، وقد قامت عليهم البينة(٢١٤).

**وأما المرأة المرتدة فقد ورد فيها عن علي قولان:**

أ- لا فرق بينها وبين الرجل في حكم القتل، وقد روى هذا القول أيضا عن أبي بكر رضي الله عنه، وقال به الحسن والزهرى والنخعي ومكحول وحماد ومالك والليث والأوزاعي والشافعي وإسحاق(٢١٥).

ب- المرأة تسترق ولا تقتل، وهذا القول قال به الحسن وقتادة لأن أبا بكر استرق نساء بنى حنيفة وذراريهم وأعطى عليًا منهم امرأة فولدت محمد بن الحنفية وكان ذلك بمحضر من الصحابة فلم ينكر، فكان إجماعًا (٢١٦)، كما أن قصة بعث علي إلى بني ناجية دليل على

---

(٢٠٩) مصنف ابن أبي شيبة (١٠ / ١٣٨).

(٢١٠) البخاري رقم ٣٠١٧ .

(٢١١) مجمع الزوائد (٦ / ٢٦٢) فيه ضعف.

(٢١٢) المغني (٨ / ١٢٦) موسوعة فقه علي بن أبي طالب ص ٢٧٣ .

(٢١٣) المصنف (٧ / ٣٤٢)(١٠ / ١٧٠).

(٢١٤) المغني (٨ / ٤١٤١) موسوعة فقه علي بن أبي طالب ص ٢٧٣ .

(٢١٥) المغني (٨ / ١٢٣).

(٢١٦) المغني (٨ / ١٢٣)، فتح الباري (١٢ / ٢٦٨).

هذا الرأي، وسيأتي الحديث عنها لاحقا وفيها: وقتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم(٢١٧).

**وقد قتل أمير المؤمنين علي المرتدين بطرق مختلفة حسب حال كل منهم على النحو التالي:**

أ- ضرب العنق بالسيف:

كما في جواب علي بن أبي طالب رضي الله عنه لمحمد بن أبي بكر عندما سأله عن مسلمين تزندقا فقال: فأما اللذين تزندقا، فإن تابا، وإلا فاضرب أعناقهما(٢١٨).

ب- الضرب حتى الموت:

ففي مصنف ابن أبي شيبة أن عليًا أتي برجل نصراني أسلم ثم تنصر، فسأله عن كلمة فقال له فقام إليه علي، فرفسه برجله، فقام الناس إليه فضربوه حتى قتلوه(٢١٩).

ج- الإحراق بعد القتل:

كما في قصة المستورد العجلي حيث أسلم ثم ارتد، فإن عليا رضي الله عنه أحرقه بعد أن قتله، ولعل عليا رضي الله عنه أحرقه لما خاف أن ينبش قومه جثته، بعد أن رفض علي تسليمها مقابل مبلغ من المال بذلوه له(٢٢٠).

د- القتل بالإحراق:

كما في قصة علي رضي الله عنه مع السبئية كما سبق بيانه(٢٢١).

وقتل المرتد فيه حفظ لأهل الدين والدين، ومن مقاصد الشريعة الغراء حفظ الدين، فقد لاحظنا حرص الخلفاء الراشدين على تفيذ أحكام الله في أهل الأهواء والخارجين عن الدين، وإنزال العقوبة المناسبة بهم، ومن أعظمها قتل المرتدين وقتالهم، كما فعل الخلفاء الراشدون وهذا تنفيذ لقول رسول الله (ﷺ): «**لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة**»(٢٢٢)، وقال ابن تيمية: فإنه لو لم يقتل ذلك- يعني المرتد-لكان الداخل في الدين يخرج منه فقتله حفظ لأهل الدين والدين، فإن ذلك يمنع من النقص ويمنعهم من الخروج عنه(٢٢٣).

٢- حد الزنا:

أ- قصة رجم:

قال الشعبي: كان لشراحة زوج غائب بالشام، وإنها حملت، فجاء بها مولاها إلى أمير

(٢١٧) مصنف ابن أبي شيبة (١٠ / ١٤٤).
(٢١٨) مصنف عبد الرزاق (٨ / ٣٩٥).
(٢١٩) المحلى لابن حزم (١١ / ١٩٠).
(٢٢٠) موسوعة فقه علي بن أبي طالب ص ٢٧٥ .
(٢٢١) منهج علي بن أبي طالب ص ٢٧٥ .
(٢٢٢) البخاري رقم ٦٨٧٨ .
(٢٢٣) مجموع الفتاوى (٢٠ / ١٠٢).

المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال: إن هذه زنت واعترفت، فجلدها يوم الخميس مائة جلدة، ورجمها يوم الجمعة، وحفر لها إلى السرة، وأنا شاهد، ثم قال: إن الرجم سنة سنها رسول الله (ﷺ)، ولو كان شهد على هذا أحد لكان أول من يرمى الشاهد بشهادته، ثم يتبع شهادته حجره، ولكنها أقرت، فأنا أول من يرميها، فرماها بحجر، ثم رمى الناس وأنا منهم، فكنت والله فيمن قتلها، وفي لفظ لأحمد والبخارى أن عليا قال: جلدتها بكتاب الله، ورجمتها بسنة رسول الله (ﷺ)[٢٢٤]، وهذا الحكم القضائى اجتهاد لعلي، وهو مختلف فيه بين الفقهاء، وقال الجمهور بعدم الجمع بين الجلد والرجم[٢٢٥]، وجاء في رواية: فحفر لها حفرة بالسوق فدار الناس عليها أو قال بها، فضربهم بالدرة، ثم قال: ليس هكذا الرجم إنكم إن تفعلوا هذا يفتك بعضكم بعضا ولكن صفوا كصفوفكم للصلاة ثم قال: أيها الناس، إن أول الناس يرجم الزانى الإمام، إذا كان الاعتراف، وإذا شهد أربعة شهداء على الزنا أول الناس يرجم الشهود بشهادتهم عليه ثم الإمام ثم الناس ثم رماها بحجر وكبر، ثم أمر الصف الأول فقال: ارموا، ثم قال: انصرفوا، وكذلك صفا صفا حتى قتلوها[٢٢٦].

### ب- تأجيل رجم الحامل:

المرأة الحامل إذا ثبت عليها الزنا لا يقام عليها الحد حتى تضع حملها عند علي[٢٢٧]، فعنه رضي الله عنه قال: «إن خادمة للنبي (ﷺ) فجرت، فأمرنى أن أقيم عليها الحد، فوجدتها لم تجف من دمها، فأتيته فذكرت له فقال: «**إذا جفت من دمها فأقم عليها الحد، أقيموا الحدود على ما ملكت أيمانكم**» [٢٢٨]، وقد قام بهذا الحكم في خلافته.

### ج- المستكرهة على الزنا:

لا حد على المستكرهة على الزنا عند علي ولها مهر المثل بذلك [٢٢٩]، فقد قال: «في البكر تستكره نفسها أن للبكر مثل صداق إحدى نسائها وللثيب مثل صداق[٢٣٠] مثلها».

### د- زنا المضطرة:

إذا اضطرت امرأة على الزنا لإنقاذ حياتها من الموت فلم يدفع إلا بها سقط عنها الحد عند علي[٢٣١]، فقد جاء في رواية: «أن امرأة أتت عمر فقالت: إنى زنيت فارجمنى فردها

(٢٢٤) البخاري، ك الحدود (٤ / ٢٥٣).
(٢٢٥) تاريخ القضاء في الإسلام ص ١٥٢ .
(٢٢٦) مصنف عبد الرزاق ١٣٣٣٥، فقه الإمام علي (٢ / ٧٨٢).
(٢٢٧) فقه الإمام علي (٢ / ٧٨٣).
(٢٢٨) مسند الإمام أحمد رقم ١١٣٧ صحيح لغيره.
(٢٢٩) فقه الإمام علي (٢ / ٧٨٦)
(٢٣٠) مصنف عبد الرزاق ١٣٦٠٧ .
(٢٣١) فقه الإمام علي (٢ / ٧٨٨).

حتى شهدت أربع شهادات فأمر برجمها، فقال علي: يا أمير المؤمنين: ردها فاسألها ما زناها لعل لها عذرا؟ فردها فقال: ما زناك؟ قالت: كان لأهلي إبل فخرجت في إبل أهلي فكان لنا خليط[٢٣٢]، فخرج في إبله فحملت معي ماء ولم يكن في إبلي لبن، وحمل الخليط ماء وكان في إبله لبن، فنفذ مائي فاستسقيت فأبي أن يسقيني، حتى أمكنه من نفسي، فأبيت حتى كادت نفسي تخرج أعطيته، فقال علي: الله أكبر، فمن اضطر غير باغ ولا عاد، أرى لها عذرا [٢٣٣] وزيد في رواية: فأعطاها عمر شيئا وتركها [٢٣٤]، وقد ذكر الفقهاء، هذه الحادثة ضمن الإكراه على الزنا فلم يختلفوا في سقوط الحد بالإكراه [٢٣٥] ، ولكن الإكراه غير الاضطرار لأن الاضطرار فيه الإقدام على الفعل اختياراً أما الإكراه فلا إقدام فيه وإنما يساق إلى الفعل جبرا، بدليل أن الله (تعالى) ذكر الإكراه مستقلا عن الاضطرار كما في قوله (تعالى) ﴿إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦]: ﴿وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾ [النور: ٣٣] وقوله (تعالى): ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

وقد استدل علي رضي الله عنه بالآية الأخيرة ، ووجه الدلالة أن الاضطرار لإنقاذ الحياة يرفع العقوبة الأخروية عن المضطر فهو يسقط العقوبة الدنيوية من باب أولى في حقوق الله (تعالى)، ويؤخذ من هذه المسألة: عمل علي بقاعدة: الضرورات تبيح المحظورات[٢٣٥].

هـ- درء الحدود بالشبهات:

تدرأ الحدود بالشبهات عند علي، فعن الضحاك بن مزاحم عن علي قال: إذا بلغ في الحدود لعل وعسى فالحد معطل[٢٣٦]، وعن علي أن امرأة أتته فقالت: إني زنيت، فقال: لعلك أتيت وأنت نائمة في فراشك أو أكرهت؟ قالت: أتيت طائعة غير مكرهة قال: لعلك غصبت على نفسك، قالت: ما غصبت، فحبسها فلما ولدت وشب ابنها جلدها[٢٣٧]، لأنها لم تكن متزوجة ولذلك جلدت.

و- زنا النصرانية:

إذا زنت النصرانية فلا تحد بل تدفع إلى أهل دينها يقيمون عليها حسب دينهم عند علي[٢٣٨]، فعن قابوس بن مخارق أن محمد بن أبي بكر كتب إلى علي يسأله عن مسلم زنا

---

(٢٣١) خليط: الشريك الذي يخلط ماله بمال غيره.
(٢٣٢) كنز العمال ١٣٥٩٦، مغني المحتاج (٤ / ١٤٥).
(٢٣٣) المغني (٨ / ١٨٧).
(٢٣٤) إعلاء السنن (١١ / ٦٧١)، المغني (٨ / ١٨٧).
(٢٣٥) فقه الإمام علي (٢ / ٧٨٩).
(٢٣٦) مصنف عبد الرزاق ١٣٧٢٧، المغني (٨ / ٢١١).
(٢٣٧) فقه الإمام علي (٢ / ٧٦١).
(٢٣٨) فقه الإمام علي بن أبي طالب (٢ / ٧٩٩).

بنصرانية، فكتب إليه علي: أما المسلم فأقم عليه الحد وادفع النصرانية إلى أهل دينها(٢٣٩)، إن حد الزنا أمر تعبدي فيه التطهير من الإثم وذلك لا يناسب الخارج عن ملة الإسلام.

ز- الحد كفارة لذنب من أقيم عليه عند علي:

فعن أبي ليلى عن رجل من هذيل قال: وعداه من قريش سمعت عليا يقول: من عمل سوءا فأقيم عليه الحد فهو كفارة (٢٤٠)، وفي رواية عنه أيضا: كنت مع علي حين رجم شراحة فقلت: لقد ماتت هذه على شر حالها، فضربني بقضيب أو بسوط كان في يده، حتى أوجعني، فقلت: لقد أوجعتني قال: وإن أوجعتك قال: فقال: إنها لن تسأل عن ذنبها هذا أبدا كالدين (٢٤١)، ودليل ما ذهب إليه أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حديث عبادة بن الصامت حيث قال: كنا مع رسول الله (ﷺ) في مجلس فقال: «**ومن أصاب شيئا من ذلك فعوقب به، فهو كفارة له، ومن أصاب شيئا من ذلك فستره الله عليه، فأمره إلى الله، إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه**»(٢٤٢).

إن من مقاصد الشريعة حفظ العرض والنسب، فعدم حفظه يترتب عليه مفاسد حاصلة بسبب إهماله منها: انتهاكه ومعلوم ما يحصل من جراء ذلك من الحروب والتقاتل والفساد، واختلاط الأنساب، وقطع النسل لأن الزاني ليس له قصد في الولد، وإنما قصده اللذة الحاضرة فلو لم تحفظ الفرج لعزف الناس عن النكاح، وانتشار الفساد الخلقي وظهور جريمة الزنا، وما ينشأ عنها من مفاسد خلقية وصحية، ونزول المصائب وحلول الكوارث والمحن ولو لم يرد في ذلك إلا قوله (تعالى): ﴿**وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا**﴾ [الإسراء: ٣٢] لكان كافيا (٢٤٣). لذلك جاءت الشريعة الغراء بالتشريعات اللازمة لحفظ الأعراض والأنساب وقام الخلفاء الراشدون بتنفيذها.

٣- حد الخمر:

أ- شرب الخمر في رمضان:

عن عطاء عن أبيه أن عليًا ضرب النجاشي الحارثي الشاعر، شرب الخمر في رمضان فضربه ثمانين ثم حبسه فأخرجه الغد فضربه العشرين ثم قال له: إنما جلدتك هذه العشرين بجرأتك على الله (تعالى)، وإفطارك في رمضان(٢٤٤).

---

(٢٣٩) مصنف عبد الرزاق ١٣٤١٩ .
(٢٤٠) مصنف عبد الرزاق ١٣٣٥٥ .
(٢٤١) المصدر نفسه ١٣٣٥٣ .
(٢٤٢) مسلم، ك الحدود رقم ١٧٠٩ (٣ / ١٣٣٣).
(٢٤٣) مقاصد الشريعة لليوبي ص ٢٥٥ .
(٢٤٤) كنز العمال ١٣٦٨٧، فقه الإمام علي (٢ / ٨٠٧).

**ب- حكم الموت بإقامة حد الخمر:**

عن علي، قال: ما من رجل أقمت عليه حدًا، فمات فأجد في نفسي إلا الخمر، فإنه لو مات لوديته، لأن النبي (ﷺ) لم يسنه (٢٤٥).

وقد جاءت الأحكام الشرعية بالمحافظة على العقل الذي ميز الله به الإنسان وكرمه، فحرمت الخمر التي تذهب بالعقل وتغيبه كما قال (تعالى): ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ**﴾ إلى قوله: ﴿**فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ**﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١]. وقال رسول الله (ﷺ): «**كل مسكر خمر وكل خمر حرام**»(٢٤٦)، ولذلك شرع إقامة الحد على السكران، وحرم المخدرات والمفترات التي تؤثر على سلامة العقل(٢٤٧).

إن حفظ العقل مقصود في الشرع لما يترتب عليه من حفظ باقى الضرورات ولما يترتب على إهماله من مفاسد لا تعد ولا تحصى(٢٤٨).

**٤- حد السرقة:**

**أ- اشتراط الحرز:**

يشترط لقطع يد السارق أن يسرق المال من حرز مثله عند علي، فعن ضميرة قال: قال علي: لا يقطع السارق حتى يخرج المتاع من البيت(٢٤٩).

**ب- سرقة ما فيه شبهة ملك:**

لا تقطع يد سارق سرق من مال له فيه شبهة ملك كأن يكون له نصيب فيه عند علي(٢٥٠)، فعن زيد بن دثار قال: أتى علي برجل سرق من الخمس فقال: له فيه نصيب، فلم يقطعه، وعن الشعبى عن علي أنه كان يقول: ليس على من سرق من بيت المال قطع(٢٥١).

**ج - سرقة الحر:**

من سرق حرا صغيرا فإنه تقطع يده عند علي، فعن ابن جريج أن عليا قطع البائع - بائع الحر- وقال: لا يكون الحر عبدا(٢٥٢)، لأن الإنسان أقوم وأثمن من المال فهو الأولى أن

(٢٤٥) مسند أحمد رقم ١٠٢٤، إسناده صحيح على شرط الشيخين.
(٢٤٦) البخاري رقم ٥٥٨٥ .
(٢٤٧) الحكم والتحاكم في خطاب الوحي (١ / ٤٦٧).
(٢٤٨) مقاصد الشريعة لليوبي ص ٢٤٣ .
(٢٤٩) كنز العمال ١٣٩١١، فقه الإمام علي (٢ / ٨١٠).
(٢٥٠) فقه الامام علي (٢ / ٨١١).
(٢٥١) مصنف عبد الرزاق ١٨٨٧١ .
(٢٥٢) مصنف عبد الرزاق رقم ١٨٨٠٦ .

يقطع فيه[٢٥٣].

د- سرقة العبد مولاه:

لا تقطع يد عبد سرق من سيده عند علي، فعن الحكم أن عليا قال: إذا سرق عبد من مالي لم أقطعه[٢٥٤].

هـ- إثبات السرقة:

تثبت السرقة عند أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بشهادة شاهدين أو الاعتراف مرتين، نقل ذلك عنه ابن قدامة [٢٥٥]، وعن عكرمة بن خالد قال: كان علي لا يقطع سارقا حتى يأتي بالشهداء فيوقفهم عليه ويسجنه فإن شهدوا عليه قطعه وإن نكلوا تركه فأتى مرة بسارق فسجنه حتى إذا كان الغد دعا به وبالشاهدين فقيل: تغيب أحد الشاهدين فخلى سبيل السارق ولم يقطعه [٢٥٦]، وعن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه أن رجلا أتى إلى علي فقال: إني سرقت فانتهره وسبه فقال: إني سرقت، فقال علي: اقطعوا قد شهد على نفسه مرتين، فلقد رأيتها في عنقه[٢٥٧].

و- كشف السارق قبل أن يسرق:

لا تقطع يد السارق عند كشفه قبل أن يخرج المتاع من الحرز عند علي، فعن الحارث عن علي قال: أتي برجل قد نقب فأخذ على تلك الحال فلم يقطعه[٢٥٨]، وفي لفظ بزيادة: وعزره أسواطا[٢٥٩].

ز- تكرار السرقة:

من سرق قطعت يده اليمنى ثم إن سرق مرة ثانية قطعت رجله اليسرى فإن سرق ثالثة ورابعة يعزر ولا تقطع يده الأخرى أو رجله الثانية عند علي نقل ذلك عنه ابن المنذر وغيره[٢٦٠]، وعن عبد الله بن سلمة أن عليا أتي بسارق فقطع يده ثم أتي به فقطع رجله، ثم أتي به فقال: أقطع يده؟ فبأي شيء يتمسح وبأي شيء يأكل؟ ثم قال: أقطع رجله؟ على أي شيء يمشي؟ إني لأستحي من الله، قال: ثم ضربه وخلده السجن[٢٦١]، وعن المغيرة

---

(٢٥٣) فقه الإمام علي (٢ / ٨١٤).
(٢٥٤) مصنف ابن أبي شيبة (١٠ / ٢٠٢).
(٢٥٥) المغني (٨ / ٢٧٩).
(٢٥٦) مصنف عبد الرزاق ١٨٧٧٩، كنز العمال ١٣٩٠٨ .
(٢٥٧) مصنف عبد الرزاق رقم ١٨٧٨٤، المغني (٨ / ٢٨٠).
(٢٥٨) مصنف ابن أبي شيبة (٩ / ٤٧٧).
(٢٥٩) كنز العمال ١٣٩١١، فقه الإمام علي (٢ / ٨١٧).
(٢٦٠) المحلى (٣ / ٣٥٤)، المغني (٨ / ٢٦٤).
(٢٦١) البدائع (٩ / ٤٢٧٣)، المغني فقه الإمام علي (٢ / ٨١٨).

والشعبي قالا: كان علي يقول: إذا سرق السارق مرارًا قطعت يده ورجله ثم إن عاد استودعته السجن[٢٦٢]، وعن الشعبي قال: كان علي لا يقطع إلا اليد والرجل وإن سرق بعد ذلك سجن ونكل وأنه كان يقول: إني لأستحي من الله ألا أدع له يدا يأكل بها ويستنجي[٢٦٣].

**ح- قطع اليد وتعليقها:**

يستحب أن يحسم اليد ويعلق المقطوع في عنق المحدود عند علي[٢٦٤]، فعن حجية بن عدي كان علي يقطع ويحسم ويحبس فإذا برؤوا أرسل إليهم فأخرجهم ثم قال: ارفعوا أيديكم إلى الله فيرفعونها، فيقول: من قطعكم؟ فيقولون علي، فيقول: ولم؟ فيقولون سرقنا، فيقول: اللهم! اشهد، اللهم! اشهد[٢٦٥] وحسم اليد، فلكي لا ينزف الدم ويسرع البرء إليها ومخافة سريان الجرح إلى الجسم وتلفه[٢٦٦].

إن من مقاصد الشريعة الإسلامية حفظ أموال الناس التي هي قوام حياتهم، وقد حرم الإسلام كل وسيلة لأخذ المال بغير حق شرعي، وحرم السرقة وأوجب الحد على من ثبتت عليه تلك الجريمة، قال (تعالى): ﴿ **وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ [ المائدة: ٣٨] وقام الخلفاء الراشدون بالإشراف على تنفيذ تلك الأحكام.

**ثالثا: في القصاص والجنايات:**

جاءت شريعة الإسلام بأحكام القصاص للمحافظة على النفس ودرء المفاسد الناشئة عن شيوع القتل وسفك الدماء المحرمة، كما قال (تعالى): ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى** ﴾ [البقرة:١٧٨]، وقال (تعالى): ﴿ **وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ [البقرة: ١٧٩]، وقال (تعالى): ﴿ **وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً** ﴾ [الإسراء:٣٣] وهذه بعض المسائل المتعلقة بأحكام القتل والقصاص والجنايات:

**(١) الاشتراك في القتل العمد:**

إذا اجتمع جماعة على قتل شخص عمدا فإنهم يقتلون به جميعا عند علي[٢٦٧]، وقد روى عنه أنه قتل ثلاثة قتلوا رجلا[٢٦٨].

---

(٢٦٢) مصنف ابن أبي شيبة (٩ / ٥٠٩).
(٢٦٣) مصنف عبد الرزاق رقم ١٨٧٦٤ .
(٢٦٤) فقه الإمام علي (٢ / ٨٢١).
(٢٦٥) كنز العمال ١٣٢٦ .
(٢٦٦) فقه الإمام علي (٢ / ٨٢٦).
(٢٦٧) فقه الإمام علي بن أبي طالب (٢ / ٨٢٦).
(٢٦٨) المغني (٧ / ٦٧٢).

**(٢) من أمر عبده بالقتل:**

إذا أمر السيد عبده أن يقتل رجلا فقتله يقتل السيد عند علي ويحبس العبد، نقل ذلك عن ابن المنذر وغيره [٢٦٩]، وعن خلاس عن علي في رجل أمر عبده أن يقتل رجلا قال: إنما هو بمنزلة سوطه أو سيفه [٢٧٠]، وفي رواية: إذا أمر الرجل عبده أن يقتل رجلا فإنما هو كسيفه أو كسوطه يقتل المولى ويحبس العبد[٢٧١].

**(٣) المقتول في الزحام:**

من قتل في الزحام ولم يعلم قاتله فإن ديته على بيت مال المسلمين عند علي[٢٧٢]،وعن يزيد بن مذكور الهمداني أن رجلا قتل يوم الجمعة في المسجد في الزحام، فجعل علي ديته من بيت المال[٢٧٣].

**(٤) جناية السائق والقائد والراكب:**

في المسألة روايتان فعن علي: الرواية الأولى: سائق الدابة وقائدها وراكبها ضامنون إذا وطأت الدابة أو ضربت برجلها أحدا أو شيئا عند علي لنسبة التقصير وعدم التحرز والتثبت إليهم[٢٧٤]، فعن خلاس عن علي: أنه كان يضمن القائد والسائق والراكب[٢٧٥]، والحجة في ذلك، أن الراكب مباشر للقتل لأن الدابة كالآلة في يده، أما السائق والقائد فهما متسببان، يضمنون لعدم تحرزهم من الوقوع في الجناية وعدم تثبتهم من السوق والقود والركوب بصورة تمنع وقوع الجناية[٢٧٦]، والرواية الثانية: لا ضمان عليهم إذا ثبت عدم التقصير منهم عند علي، إذ روى عنه أنه قال: إذا قال: الطريق فأسمع فلا ضمان عليه[٢٧٧]، وعن علي أنه قال: إذا كان الطريق واسعا فلا ضمان عليه[٢٧٨]، والحجة أن وسع الطريق وتنبيه المارة هو التحرز والتثبت فإذا لم يبال المارة فهو تقصيرهم، فإن أصيبوا فقد جنوا على أنفسهم فلا ضمان لهم ولا منافاة بين الروايتين، لأن الأولى مع ثبوت التقصير، والثانية مع عدمه[٢٧٩]،

---

(٢٦٩) المغني (٧ / ٧٥٧).
(٢٧٠) مصنف ابن أبي شيبة (٩ / ٣٧١).
(٢٧١) فقه الإمام علي بن أبي طالب (٢ / ٨٣٦).
(٢٧٢) فقه الإمام علي (٢ / ٨٣٨).
(٢٧٣) الخلافة الراشدة، يحيى اليحيى ص ٥٠٢ .
(٢٧٤) فقه الإمام علي (٢ / ٨٤١).
(٢٧٥) مصنف ابن أبي شيبة (٩ / ٢٥٩).
(٢٧٦) فقه الإمام علي (٢ / ٨٤١).
(٢٧٧) فقه الإمام علي (٢ / ٨٤٢).
(٢٧٨) مصنف ابن أبي شيبة (٩ / ٥٥٩).
(٢٧٩) فقه الإمام علي (٢ / ٨٤٢).

وثبوت التقصير على المارة.

**(٥) ما أنشئت بتعد فأحدثت تلفًا:**

من حفر بئرا أو وضع شيئا أو بناه في مكان لا حق له فيه فسببت تلف إنسان كأن يقع في البئر أو يعثر بما وضعه فيموت فهو ضامن عند علي[٢٨٠]، فقد قال رضي الله عنه: من حفر بئرا أو عرض عودا فأصاب إنسانًا فهو ضامن[٢٨١].

**(٦) الخطأ في الشهادة:**

الخطأ في الشهادة يوجب الضمان عند علي فمن شهد على غيره خطأ في حد أو قصاص فأدى إلى تلف عضو أو نفس ضمن الدية عنده[٢٨٢]، فقد روى عن علي من طرق متعددة أنه: شهد رجلان بسرقة على رجل، فقطع علي يده، ثم جاء الغد برجل فقال: أخطأنا بالأول، هو هذا الآخر فأبطل شهادتهما على الآخر، وأغرمهما دية الأول[٢٨٣]، وفي رواية فقال: لو كنتما تعمدتماه لقطعتكما فأبطل شهادتهما عن الآخر وأغرمهما دية الأول[٢٨٤]، والحجة في ذلك أنهم تسببوا في الإتلاف والتسبب موجب للضمان كحافر البئر في الطريق[٢٨٥].

**(٧) اشتراك جماعة في قتل بعضهم بعضا خطأ:**

إذا اشترك جماعة في قتل بعضهم بعضا خطأ توزعت المسؤولية الجنائية على جميعهم كل واحد بقدر فعله مطروحا منه ما جناه الميت على نفسه[٢٨٦]، فعن خلاس قال: استأجر رجل أربعة رجال ليحفروا له بئرا فحفروها فانخسفت بهم البئر فمات أحدهم فرفع ذلك إلى علي ابن أبي طالب، فضمن الثلاثة ثلاثة أرباع الدية وطرح عنه ربع الدية[٢٨٧].

**(٨) من استخدم صغيرًا أو عبدًا بغير إذن:**

من استخدم صغيرًا بغير إذن وليه أو عبدا بغير إذن مولاه في عمل أو حمله على دابة فمات إثر ذلك فهو ضامن عند علي، فعن الحكم قال: قال علي: من استعمل مملوك قوم صغيرا أو كبيرا فهو ضامن[٢٨٨]، وقال علي: من استعان صغيرا حرا....فهو ضامن ومن استعان كبيرًا لم يضمن[٢٨٩].

---

(٢٨٠) فقه الإمام علي (٢ / ٨٤٢).
(٢٨١) مصنف عبد الرزاق ٨٤٠٠ .
(٢٨٢) فقه الإمام علي بن أبي طالب (٢ / ٨٤٣).
(٢٨٣) مصنف ابن أبي شيبة (٩ / ٤٠٩).
(٣٨٢) مصنف عبد الرزاق ١٨٤٦١ .
(٢٨٥) فقه الإمام علي (٢ / ٨٤٤). (٢٨٦) فقه الإمام علي (٢ / ٨٤٤).
(٢٨٧) المحلى (١٠ / ٥٠٥)، فقه الإمام علي (٢ / ٨٤٤).
(٢٨٨) مصنف ابن أبي شيبة (٩ / ٣٧٧).
(٢٨٩) المصدر نفسه (٩ / ٣٧٧).

(٩) الفعل المعنوى:

الفعل المعنوى كالإخافة والترويع ومشابهها إذا سبب قتل إنسان أو عطبه توجب المسؤولية الجنائيـــة عند علي[٢٩٠]، فعن ابن جـريج قال قلت لعطاء: رجل نادى صبيـا على جدار أن استأخر فـخر فمات؟ قال: يروون عن علي أنه قال يغرمـه ويقول أفزعه [٢٩١]، وإيجـاب المسؤولية على الفعل المعنوى إجمالا هو قول جمهور العلماء[٢٩٢].

(١٠) جناية الطبيب:

إذا خـالف الطبـيب أو البيطـري شروط المعـالجـة، فعطب الإنـسان أو الحـيـوان فهـو ضامن[٢٩٣]، فعن الضحاك بن مزاحم قال: خطب علي الناس فقال: يا معشر الأطباء البياطرة والمطببين من عالج منـكم إنسانا أو دابة فليأخذ لنفســه البراءة، فإنه إن عالج شيـئا ولم يأخذ لنفسه البراءة فـعطب فهو ضامن [٢٩٤]، وعن مجاهد أن عليا قـال في الطبيب: إن لم يشهد على ما يعالج فلا يلومن إلا نفسه، يقول: يضمن [٢٩٥].

(١١) الميت من القصاص والحد:

إذا أقيم حد أو قصاص على مستحق فمات فلا ضمان على المقتص عند علي[٢٩٦]، فقد قال رضي الله عنه: من مات بقـصاص بكتاب الله فلا دية له[٢٩٧]، وقال: من مات في حد فإنما قتله الحد، فلا عـقل لمن مات في حد من حدود الله [٢٩٨]، وقال أيضـا: إذا أقيم على الرجل الحد في الـزنا أو السرقة أو قـذف فمـات فلا دية له [٢٩٩]، والحـجـة في ذلك، أن القصاص واجب والواجب غيـر مشروط بالسلامة فيه فلا ضمـان في أدائه إذا لم يحصل فيه تقصير أو إهمال [٣٠٠].

(١٢) قاطع طريق ألقى القبض عليه:

إذا لم يأخذ مالا ولم يقتل نفسًا حبس حتى يتوب، وإذا أخذ مالا ولم يقتل نفسا قطعت يداه، ورجلاه من خلاف، إذا قتل وأخذ المال قطعت يداه ورجلاه من خلاف ثم صلب حتى

(٢٩٠) فقه الإمام علي بن أبي طالب (٢ / ٨٤٦).
(٢٩١) كنز العمال (٨٦ / ٤٠).
(٢٩٢) فقه الإمام علي (٢ / ٨٤٦).
(٢٩٣) فقه الإمام علي (٢ / ٨٤٧).
(٢٩٤) مصنف عبد الرزاق ١٨٠٤٧ .
(٢٩٥) مصنف عبد الرزاق ١٨٠٤٦ .
(٢٩٦) فقه الإمام علي ( ٢ / ٨٤٧).
(٢٩٧) فقه الإمام علي (٢ / ٨٤٨).
(٢٩٨) فقه الإمام علي (٢ / ٨٤٨).
(٢٩٩) مصنف ابن أبي شيبة (٩ / ٣٤٢).
(٣٠٠) فقه الإمام علي (٢ / ٨٤٨).

يموت وإن تاب قبل أن يؤخذ ضمن الأموال واقتص منه ولم يحد[٣٠١].

وقد تـاب الحارث بن بدر قـبل القدرة عليـه، وكان قـاطعًا للطريق، فـقبل علي توبـته وأسقط حد الحرابة عنه لأنه تاب قبل القدرة عليه[٣٠٢].

**(١٣) قاتل اعترف بالقتل لدفع التهمة عن متهم بريء:**

أتى برجل إلى أمـيـر المؤمنين علي من خـربة بيده سكـين ملطخة بدم وبين يـديه قتـيل يتشحط في دمه، فسأله، فقال: أنا قـتلته، قال: اذهبوا به فاقتلوه، فلما ذهب به أقبل رجل مسرعا فقال: يا قوم لا تعجلوا ردوه إلى علي، فردوه، فقال الرجل: يا أمير المؤمنين ما هذا صاحبه، أنا قـتلته، فقال علي للأول: ما حملك عل أن قلت أنا قـاتله، ولم تقتله؟ قال: يا أمير المؤمنين، ومـا أستطيع أن أصنع، وقد وقف العسس على الرجل يتـشحط في دمه، وأنا واقف بين يدى سكين، وفيهـا أثر الدم، وقد أخذت في الخربة، فـخفت ألا يقبل منى، وأن يكون قسامة، فأعترف بما لم أصنع، واحتسبت نفسى عند الله،فقال علي: بئس ما صنعت، فكيف كـان حديثك؟ قال: إنى رجـل قصاب، خـرجت إلى حانوتي في الغلـس، فذبحت البقرة وسـلختها، فبـينما أنا أسلخهـا، والسكين في يدى أخذنى البول، فأتيت خـربة كانت بقربى، فدخلتها لقضاء حاجتى، وعدت أريد حانوتي، فإذا أنا بهذا المقتول يتشحط في دمه، فراعنى أمـره، ووقفت أنظر إليـه، والسكين في يدي، فلم أشـعر إلا بأصحـابك قد وقـفوا علي، فأخـذوني،فقال الـناس: هذا قتل هذا، ما له من قـاتل سواه، فأيـقنت أنك لا تترك قولهم بقـولى، فاعترفت بما لم أجنه فـقال علي للمقر الثـانى: فأنت كيف كانـت قصتك، فقال: أغواني إبليس فـقتلت الرجل طمعًا في ماله، ثم سمـعت حس العسس فخرجت من الخربة، واستقبلت هذا القصاب على الحال التي وصفـها، فاستترت منه ببعض الخربة، حتى أتى العسس فـأخذوه وأتوك به، فلما أمـرت بقتله علمت أني سأبوء بدمـه أيضًا، فاعـترفت بالحق، فقال علي للحسن ما الحكم في هذا؟ قال: يا أمير المؤمنين، إن كان قد قتل نفسًا فقد أحيا نفسا، وقد قال الله (تعالى): ﴿**وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا**﴾ [المائدة: ٣٢]، فخلى علي عنهما، وأخـرج دية القتيل من بيت المال[٣٠٣]، ولعله فعل ذلك بعـد أن أسقط أولياء القتيل حقهم بالقصاص[٣٠٤].

**(١٤) امرأة قتلت زوجها يوم زفافها بحضور صديقها:**

حدث في عهد علي رضي الله عنه أن امرأة قتلت زوجها يوم زفـافها بحضور صديقها، فكانت العقوبة القتل قصاصا[٣٠٥] من الجناة.

---

(٣٠١) المحلى رقم ٢٥٢، عصر الخلافة الراشدة للعمري ص ١٥١ .

(٣٠٢) عصر الخلافة الراشدة ص ١٥١ .

(٣٠٣) الطرق الحكمية ص٥٦، القضاء في الإسلام ص ١٥٤ .

(٣٠٤) القضاء في الإسلام ص ١٥٤ .

(٣٠٥) المغني (٩ / ٣٦٢، ٣٧٦) الطرق الحكمية ص ٥٠، عصر الخلافة الراشدة ص ١٥٣ .

(١٥) بدل الإبل في دفع الدية، وكيف تدفع الدية؟

الإبل أصل في الدية ويجوز دفع بدلها إذا لم يتوافر الإبل عند علي، فعن عامر عن علي وعبد الله وزيد قالوا: الدية مائة من بعير [٣٠٦]، وعن الحسن أن عليًا قضى بالدية اثنى عشر ألفا [٣٠٧]، أى درهم من الفضة، وأما كيفية دفع الدية، فدية الخطأ وشبه العمد على العاقلة تدفعها مقسطا على ثلاث سنين عند علي [٣٠٨]، والحجة في ذلك ما روي عن المغيرة ابن شعبة قال: قضى رسول الله بالدية على العاقلة [٣٠٩]، وأما تقسيطها؛ فلأنها كثيرة يصعب أداؤها حالا فقسمت على ثلاث سنين بناء على التيسير الذي أمر به الإسلام [٣١٠].

(١٦) دية الكتابي:

دية الكتابى من اليهود والنصارى مثل دية المسلم [٣١١]، فعن الحكم بن عتيبة أن عليًا قال: دية اليهودي والنصراني وكل ذمى مثل دية المسلم [٣١٢].

(١٧) دية الصُلب:

دية العمود الفقري دية كاملة عند علي إذا كسر وفقد صاحبه القوة على الجماع، فقد قال علي رضي الله عنه: إذا كسر الصلب ومنع الجماع ففيه الدية [٣١٣].

(١٨) عين الأعور:

إذا فقأ إنسان عين الأعور فإن فيها الدية كاملة أو يقتص الأعور لنفسه فيفقأ عينًا للجانى ويأخذ نصف الدية عند علي، نقل ذلك ابن قدامة [٣١٤] لأن عين الأعور تعادل عينى البصير في منفعة البصر لذلك فيها الدية كاملة [٣١٥].

(١٩) دية الأصابع:

دية كل أصبع من الأصابع عُشر دية النفس عند علي أى عشر من الإبل، فعن عاصم بن ضمرة عن علي قال: في الأصابع عشر الدية [٣١٦]، وفي رواية: في الأصابع عشر العشر [٣١٧].

---

(٣٠٦) مصنف ابن أبي شيبة (٩ / ١٢٨).
(٣٠٧) الأم (٧ / ١٧٧).
(٣٠٨) فقه الإمام علي (٢ / ٨٥٣).
(٣٠٩) سنن ابن ماجه رقم ٢٦٣٣.
(٣١٠) فقه الإمام علي (٢ / ٨٥٤).
(٣١١) فقه الإمام علي (٢ / ٨٥٥).
(٣١٢) مصنف عبد الرزاق ١٨٤٩٤.
(٣١٣) مصنف ابن أبي شيبة (٩ / ٢٣١).
(٣١٤) المغني (٨ / ٥).
(٣١٥) فقه الإمام علي (٢ / ٨٦٠).
(٣١٦) مصنف ابن أبي شيبة (٩ / ١٩٣).
(٣١٧) مصنف عبد الرزاق رقم ١٧٦٩٣.

رابعا: في التعزير:

كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يؤدب العاصى ويردعه عن معصيته بالتعزير إذا لم يترتب على معصيته حد، ولما كان عقوبة التعزير على المعصية غير محددة، فإن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يذهب إلى الملاءمة بين العقوبة والمعصية فكلما تعاظمت المعصية كانت العقوبة أعظم، ولقد تعددت وسائل التعزير عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه حسب نوع المعصية وحال العاصي[٣١٨]، ومنها على سبيل المثال:

١ - الضرب باليد:

ومثال ذلك لما كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطوف بالبيت، وعلي رضي الله عنه يطوف معه، إذ عرض رجل لعمر فقال: يا أمير المؤمنين خذ حقى من علي بن أبي طالب، فقال: وما باله؟ قال: لطم عينى، فوقف عمر، حتى لحق به علي فقال: ألطمت عين هذا يا أبا الحسن؟ قال: نعم، يا أمير المؤمنين، قال: ولم: قال لأني رأيته يتأمل حرم المؤمنين في الطواف، فقال عمر: أحسنت يا أبا الحسن[٣١٩].

٢ - الجلد دون الحد:

وكان أكثر ما يعزر به، ومن ذلك جلده للنجاشي الشاعر الذي شرب الخمر، وأفطر في رمضان، فقال له: إنما جلدتك هذه العشرين لجرأتك على الله، وإفطارك في رمضان[٣٢٠].

٣ - التشهير:

لجأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى التشهير بالعاصى وتعريف الناس به، كما فعل بشاهد الزور، وفي ذلك مصلحة للمجتمع، لئلا يستشهد فتضيع الحقوق، عن علي بن الحسين قال: كان علي إذا أخذ شاهد زور بعثه إلى عشيرته فقال: إن هذا شاهد زور فاعرفوه وعرفوه ثم خلى سبيله[٣٢١]، وعن زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه أخذ شاهد الزور فعزره، وطاف به في حيه وشهره، ونهى أن يستشهد به[٣٢٢].

٤ - الحبس:

كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يعاقب بالحبس أحيانًا، ومن ذلك حبسه للنجاشي الشاعر الذي شرب الخمر وأفطر في رمضان[٣٢٣].

---

(٣١٨) منهج علي بن أبي طالب في الدعوة ص ٣٢١ .

(٣١٩) الرياض النضرة في مناقب العشرة (٢ / ١٦٥).ه

(٣٢٠) موسوعة فقه علي بن أبي طالب قلعجي ص ١٥٣ .

(٣٢١) موسوعة فقه علي ص ١٤٩ .

(٣٢٢) موسوعة فقه علي ص ١٤٨ .

(٣٢٣) مصنف ابن أبي شيبة (١٠ / ٣٦).

٥- التقييد في الحبس:

كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يقيد الدعار[٣٢٤]، بالحبس بقيود لها أقفال، ويوكل بهم من يحلها لهم وقت الصلاة من أحد الجانبين[٣٢٥].

٦- الغمس في الأقذار:

وجد رجل تحت فراش امرأة، فأتي به علي، فقال رضي الله عنه: اذهبوا به فقلبوه ظهرا لبطن في مكان منتن، فإنه كان في مكان شر منه[٣٢٦].

٧- القتل:

قد يصل التعزير عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى القتل، إذا كانت الجريمة قد تعاظمت، وكان لها أثرها البالغ الأهمية، كوضع الأحاديث على لسان رسول الله (ﷺ)، لأن هذا العمل يؤدى إلى إدخال شيء في الدين مما ليس منه وانحراف الناس عن دينهم الذي ارتضى الله لهم[٣٢٧]، لذا فقد كان يقول: من كذب على النبي (ﷺ) يضرب عنقه[٣٢٨].

٨- إتلاف أداة الجريمة وما يتبعها:

فقد ورد عن ربيعة بن زكار قال: نظر علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى قرية فقال: ما هذه القرية؟ قالوا: قرية تدعى زرارة[٣٢٩]، يلحم فيها ويباع فيها الخمر، فأتاها بالنيران فقال: أضرموها فيها، فإن الخبيث يأكل بعضه بعضا، فاحترقت[٣٣٠]، فقد أحرق أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه في هذه القرية الخمر وما يتبعه من مواد وأدوات تستخدم لصناعته[٣٣١].

لقد أثر أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في المؤسسة القضائية باجتهاداته في مجال القصاص والحدود والجنائيات والتعزير، كما أنه رضي الله عنه ساهم في تطوير المدارس الفقهية الإسلامية باجتهاداته الدالة على سعة اطلاعه وغزارة علمه وعمق فقهه وفهمه واستيعابه لمقاصد الشريعة الغراء.

---

(٣٢٤) جمع داعر، والدعارة هي الفسق والخبث.
(٣٢٥) موسوعة علي، قلعجي ص ١٥٦ .
(٣٢٦) موسوعة فقه علي ص ١٥٤ قلعجي.
(٣٢٧) منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله ص ٣٢٤ .
(٣٢٨) موسوعة فقه علي ص ١٥٤ .
(٣٢٩) محلة بالكوفة سميت بزرارة بن يزيد بن عمر من بني بكار.
(٣٣٠) كنز العمال رقم ١٣٧٤٤، أبو عبيد الأموال ص ١٠٣ .
(٣٣١) منهج علي في الدعوة إلى الله ص ٣٢٥ .

## المبحث الرابع
## حجية قول الصحابي والخلفاء الراشدين

تحدث الأصوليون عن مـذهب الصحابي وقالوا بأنه من الأدلة المختلف فيـها عند الكثير منهم، وحكى ابن القيم إجماع الأئمة الأربعة على الاحتجاج به [٣٣٢].

إن أصحاب النبي (ﷺ) وخصوصا ساداتهم تبـوؤوا مكانه عالية في الفهم والإدراك كما قال عنهم ابن مسعود رضي الله عنه: فإنهم كانوا أبر هذه الأمـة قلوبا، وأعمقها علما وأقلها تكلفا، وأقومها هديا وأحسنها حالا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، وإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعـوا آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المسـتقيم [٣٣٣]، والشاهـد من كلامه قـوله «أعمقهـا علما» فهم أعمق الأمة علما، وأكـثرهم فهما وإدراكا، ونسـبة علم من بعدهم إلى علمهم كنسبـة فضلهم إلى فضلهم [٣٣٤]، وإذا كان هذا من الوضوح بمكان بحـيث لا يحتاج إلى حجة وبرهان فإنا نشير إلى بيان الأسباب التي بوأهم الله بها هذه المكانة وهي:

**١- تلقيهم المباشر من النبي (ﷺ):**

وهذا له أثره في الفهم من عدة نواح:

**أ- صفاء المورد:**

إذ بتلقيـهم من النبي يتلقون الوحى غـضا كمـا أنزل، ويسمعـون كلام النبي (ﷺ) منه مبـاشرة، فليس علمـهم مشوبا بما يكدره، بـل هو محض الكتاب والسنة لـم يختلط به آراء الرجال، ولا غيره من العلوم التي فتح بابها من بعد على المسلمين كعلوم الفلسفة وغيرها.

**ب- دقة الفهم:**

حيث إن معلمهم رسول الله (ﷺ) أفصح الناس لسانـا وأبلغهم بيانا، وأقدرهم تفهما، فكيف إذا صادف ذلك آذانا صـاغية، وقلوبا واعـية، وسليقـة مواتية، تنـشد الحق، وتتلهف لسماعه ولا شك أن ذلك يجعلهم يفهمون ما يلقى إليـهم فهما دقيقا مطابقا لمراد الله ورسوله وهذا الأمر في غاية الوضوح إذ الناس في حياتهم وطلبة العلم في طلبهم يبحثون إبان تلقيهم عن أفضل العلماء علما وأحـسنهم تصويرا للمسائل، وأقدرهم تفهيـما وكم من تلميذ سطع نجمه، وعلا كعبه في العلم بفضل الله ثم بفضل حسن تعليم معلمه، ونحن نعلم أن أحدا لن يبلغ معشار ما بلغ إليه النبي (ﷺ) في حسن التعليم ولا أقل من ذلك وبهذا شهد معاوية بن

---

(٣٣٢) إعلام الموقعين (٤ / ١٢٠).

(٣٣٣) شرح السنة للبغوي (١ / ٢١٤، ٢١٥).

(٣٣٤) إعلام الموقعين (٤ / ١٤٧).

الحكم رضي الله عنه في حسن التعليم، حيث قال: «فبأبي هو وأمي ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه»(٣٣٥).

**ج- ما يحصل لهم من يقين بما سمعوا وفهموا:**

فعلومهم يقينية وعلوم من بعدهم يداخلها الظن في كثير من أحوالها.

**د- ما يحصل لهم من اطلاع على أسباب النزول وأسباب ورود الأحاديث:**

ومعرفة الناسخ والمنسوخ مما يعينهم على فهم المراد وإدراك المقاصد.

**هـ ما يحصل لهم من مشاهدة أفعال النبي (ﷺ):**

التي تفسر أقواله، وتشرحها، وتبين آيات القرآن وتوضحها، ويوقف بها على المراد.

**و- إمكانية السؤال عما أشكل عليهم، والحصول على الجواب.**

**٢- سليقتهم العربية:**

فهم يفهمون آي القرآن، وأحاديث النبي (ﷺ) بسليقتهم ويعرفون وجوه دلالتها على معانيها، فلا يحتاجون إلى ما يحتاج إليه من بعدهم من دراسة قواعد اللغة وقواعد الأصول.

**٣- إخلاصهم لله وتقواهم:**

فببركة إخلاصهم نالوا العلوم الكثيرة النافعة، في أوقات قليلة كما قال (تبارك وتعالى): ﴿ **وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ** ﴾ [البقرة: ٢٨٢]

فإذا تقرر هذا فكل هذه الأسباب شكلت فقها قويا متماسكا لدى أصحاب النبي (ﷺ) قال ابن القيم بعد أن ذكر مدارك اختصوا بها- كسماعهم من النبي (ﷺ) وسماعهم من بعضهم، وعلمهم بالعربية على أكمل الوجوه(٣٣٦)، قال: أما المدارك التي شاركتهم فيها من دلالات الألفاظ والأقيسة، فلا ريب أنهم كانوا أبر قلوبا وأعمق علما، وأقل تكلفا وأقرب إلى أن يوفقوا فيها لما لم نوفق له نحن، لما خصهم الله (تعالى) به من توقد الأذهان، وفصاحة اللسان، وسعة العلم، وسهولة الأخذ، وحسن الإدراك وسرعته، وقلة المعارض أو عدمه، وحسن المقصد وتقوى الرب (تعالى) فالعربية طبيعتهم وسليقتهم، والمعاني الصحيحة مركوزة في فطرهم وعقولهم، ولا حاجة بهم إلى النظر في الإسناد وأحوال الرواة وعلل الحديث والجرح والتعديل ولا إلى النظر في قواعد الأصول وأوضاع الأصوليين، بل غنوا في ذلك كله فليس في حقهم إلا أمران:

أحدهما: قال الله (تعالى) كذا، وقال رسوله كذا.

والثاني: معناه كذا وكذا.

وهم أسعد الناس بهاتين المقدمتين، وأحظى الأمة بهما، فقواهم متوفرة مجتمعة عليهما،

(٣٣٥) مسلم، ك المساجد رقم ٣٣ .

(٣٣٦) مقاصد الشريعة ص ٦٠٠ .

وأما المتأخرون فقواهم متفرقة وهممهم متشعبة، فالعربية وتوابعها قد أخذت من قوى أذهانهم شعبة، والأصول وقواعدها قد أخذت منها شعبة، وعلم الإسناد وأحوال الرواة قد أخذ منها شعبة، وفكرهم في كلام مصنفهم وشيوخهم على اختلافهم وما أرادوا به قد أخذ منها شعبة، إلى غير ذلك من الأمور فإذا وصلوا إليها بقلوب وأذهان قد كلت من السير في غيرها، وأوهن قواهم مواصلة السير في سواها فأدركوا من النصوص ومعانيها بحسب القوة(**)، وبما تقدم يتقرر أن أصحاب النبي (ﷺ) أدق فهما وعلما بما هيأ الله لهم من الأسباب المعينة على الفهم والعلم، فبناء على ذلك فهم أعلم بمقاصد الشريعة ومراميها من غيرهم ولكون من أهم الطرق المحصلة لمقاصد الشريعة: العلم بالكتاب والسنة وطرق الاستنباط منها، وهذا متوفر لدى الصحابة بلا شك على أكمل الوجوه وأحسنها[٣٣٧]. قال الشاطبي: السلف أعلم الناس بمقاصد القرآن[٣٣٨]، وقال عن الصحابة :هم القدوة في فهم الشريعة والجري على مقاصدها[٣٣٩].

هذا وقد تنوعت مذاهب العلماء في حجية قول الصحابي وانقسمت إلى خمسة أقوال مشهورة وقبل أن نذكر أقوال المذاهب نحرر محل النزاع فنقول:

١- اتفق الكل على أن مذهب الصحابي في مسائل الاجتهاد لا يكون حجة على غيره من الصحابة إماما كان أو حاكما أو مفتيا.

٢- إذا قال الصحابي قولا ووافقه الباقون فليس داخلا في محل النزاع لكونه إجماعا حينئذ.

٣- إذا قال قولا وانتشر ولم يخالف أحدا فهذا له حكم الإجماع السكوتي.

٤- اتفقوا على أن قول الصحابي ليس بحجة إذا خالفه صحابي آخر.

٥- اتفقوا على أن قول الصحابي إذا رجع إلى الكتاب أو السنة أو الإجماع فإن الحجة حينئذ فيما رجع إليه.

٦- اتفقوا على أن قول الصحابي إذا رجع عنه فليس بحجة ومحل الخلاف إذا قال الصحابي قولا في مسألة اجتهادية تكليفية ولا ظهر له مخالف ولا موافق، ولا ندرى انتشر أم لا؟ خالف أحد أم لا؟[٣٤٠].

(**) إعلام الموقعين (٤ / ١٤٩).
(٣٣٧) مقاصد الشريعة الإسلامية ص ٦٠١ .
(٣٣٨) الموافقات (٣ / ٤٠٩).
(٣٣٩) المصدر نفسه (٤ / ١٣٠).
(٣٤٠) مقاصد الشريعة الإسلامية ص ٥٩٦، ٥٩٧ .

**واختلف العلماء في ذلك على أقوال:**

القول الأول:

أنه حجة وهو قول مالك والشافعي في القديم، وأحمد في رواية عنه، وعليه أكثر الأصولين والفقهاء من الحنفية وابن عقيل من الحنابلة والعلائي [٣٤١]، والخطيب البغدادى من الشافعية، واختاره ابن القيم في إعلام الموقعين، والشاطبى في الموافقات وابن تيمية[٣٤٢].

القول الثاني:

إنه ليس بحجة وهو قول الشافعي في أحد قوليه اختارها الآمدي والرازي والغزالي وأحمد في رواية[٣٤٣].

القول الثالث:

إنه حجة إن كان مما لا مجال للرأي فيه فقط، وهو قول جماعة من الأحناف[٣٤٤].

القول الرابع:

قول أبي بكر وعمر حجة دون غيرهما[٣٤٥].

القول الخامس:

قول الخلفاء الأربعة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم حجة دون غيرهم[٣٤٦].

والراجح - والله أعلم - هو القول الأول وأدلة الترجيح في ذلك:

أولا: من كتاب الله (تعالى):

قال (تعالى): ﴿**وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [التوبة: ١٠٠].

روى الحافظ ابن جرير في تفسيره لهذه الآية بسنده عن محمد بن كعب القرظى قال: مر عمر بن الخطاب برجل يقرأ: ﴿**والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار**﴾ حتى بلغ ﴿**ورضوا عنه**﴾ قال: وأخذ عمر بيده فقال: من أقرأك هذا؟ قال: أبي بن كعب، قال: لا تفارقنى حتى أذهب بك إليه، فلما جاءه قال عمر: أنت أقرأت هذه الآية هكذا... قال:

---

(٣٤١) حقيقة البدعة وأحكامها (١ / ٣٢٠).

(٣٤٢) مجموعة الفتاوى (٥ / ٤١٣)، إعلام الموقعين (٤ / ١٢٠).

(٣٤٣) مقاصد الشريعة الإسلامية ص ٥٩٧.

(٣٤٤) حقيقة البدعة وأحكامها (١ / ٣٢١).

(٣٤٥) الأحكام للآمدي (٤ / ١٣٠)، حجية قول الصحابي ص ٤٠.

(٣٤٦) حجية قول الصحابي ص ٤٠.

نعم، قال: أنت سمعتها من رسـول الله (ﷺ) قال: نعم. قال: لقد كنت أظن أنا رفعنا رفعة لا يبلغها أحد بعدنا، فقال أبي: تصديق هذه الآية من أول سورة الجمعة: ﴿**وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [الجمعة: ٣]، وفـي سورة الحشر: ﴿**وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾[الحشر: ١٠] وفي الأنفال: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ [الأنفال: ٧٥]، وسبب سؤال عمر أنه كان يقرأ هذه الآية برفع الأنصار وبعدم إلحاق الواو في الذين كمـا أورد ذلك ابن جرير(٣٤٧)، ثم لما تبين له من أبي بن كعب الخـفض وإلحاق الواو قال: لقـد كنت أظن أنا رفعنا رفعة لا يبلـغها أحد بعـدنا، يقصد المهاجـرين وهذا القول منه رضي الله عنه يؤيد ما ذهب إليه أصحاب القول الأول القائلين بحجية أقوال الصحابة من غير تخصيص لبـعضهم، إذا اشترك الجـميع في وصف الثناء عليهم بكونهم سـبقوا في كل علم وفضل وجهاد وعمل، وهذه الآية احتج بهـا ابن القيم وجعلها من الأدلة الدالة على وجوب اتباع الصـحابة(٣٤٨)، وحكى احتجاج الإمـام مالك بها في هذا المعنى(٣٤٩)، وذكـر أن الآية تتضمن مدح الصحابة والثناء عليهم واستحقاقهم أن يكونوا أئمة متبوعين يقتدى بهم، وتؤخذ أقـوالهم، وأنها اقـتـضت المدح لمن اتبـعهم كلهـم، أو اتبع كل واحد منهـم ما لم يخـالف نصـا(٣٥٠)، ومن الأدلة: قولـه (تعالى): ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ [آل عمران: ١١٠]، روى ابن جرير بسنده عند تفسيره لهذه الآية عن الضحاك، قال: هم أصحاب رسول الله (ﷺ) خاصة (٣٥١)، قال ابن جرير بعد إيراده لـهذا الأثر مبينا معناه: يعني وكانوا هم الرواة الدعاة الذين أمر الله المسلمين بطاعتهم(٣٥٢)، واستشهد بالآية الشاطبي حين قرر أن: سنة الصـحابة رضي الله عنهم سنة يعمل عليهـا ويرجع إليها (٣٥٣)، فقـال: في الآية إثبات الأفضلية على سـائر الأمم، وذلك يقتضي باسـتقامتـهم في كل حال وجريان أحـوالهم على الموافقة دون المخـالفة (٣٥٤) وقد أفـاض الإمام ابن القـيم الجوزية في الاستدلال على حجية قول الصحابة بالآيات الكريمة ووجه استدلاله فأجاد وأفاد(٣٥٥).

---

(٣٤٧) تفسير الطبري (١٤ / . ٤٣٨).
(٣٤٨) إعلام الموقعين (٤ / ١٢٣).
(٣٤٩) المرجع السابق (٤ / ١٢٣).
(٣٥٠) إعلام الموقعين (٤ / ١٢٣ - ١٢٩).
(٣٥١) تفسير الطبري (٧ / ١٠٢).
(٣٥٢) المصدر نفسه (٧ / ١٠٢).
(٣٥٣) الموافقات (٤ / ٧٤).
(٣٥٤) المصدر نفسه (٤ / ٧٤).
(٣٥٥) إعلام الموقعين (٤ / ١٢٣- ١٣٥).

**ثانيا: أما الأدلة من السنة فهي كثيرة منها:**

قوله (ﷺ): «**خير الناس القرن الذي أنا فيه، ثم الثاني ثم الثالث**» [٣٥٦] فإخباره (ﷺ) بذلك يقتضي تقديمها في كل باب من أبواب الخير، ولا سيما في ظفرهم بالصواب[٣٥٧]، فهم أفضل من غيرهم في كل فضيلة، من علم وعمل وإيمان وعقل ودين وبيان وعبادة، وأنهم أولى بالبيان لكل مشكل، هذا لا يدفعه إلا من كابر المعلوم من الدين بالضرورة من دين الإسلام [٣٥٨]، وعن عبد الله بن مسعود قال رسول الله (ﷺ): «**ما من نبى بعثه الله (عز وجل) إلا كان له في أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره**» [٣٥٩]، وقد استشهد البيهقى بهذا الحديث على أفضليتهم ومنزلتهم [٣٦٠] العالية في كل علم وعمل وقصد[٣٦١].

**ثالثا: الأدلة من الآثار منها:**

ما روي عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه قال: يا معشر القراء خذوا الطريق ممن كان قبلكم، فوالله لئن استقمتم لقد سبقتم بعيدا، ولئن تركتموه يمينا وشمالا لقد ضللتم ضلالا بعيدا [٣٦٢]، روى الخطيب بسنده عن عامر الشعبى أنه قال: ما حدثوك عن أصحاب محمد (ﷺ) فخذه [٣٦٣].

**رابعا: من أقوال الأئمة والعلماء في حجية قول الصحابي:**

**١ - قول الشافعي:**

ما كان الكتاب والسنة موجودين فالعذر عمن سمعهما مقطوع، إلا باتباعهما، فإذا لم يكن ذلك صرنا إلى أقاويل أصحاب رسول الله (ﷺ) أو واحد منهم[٣٦٤]، وقال أيضا: لا يكون لك أن تقول إلا عن أصل، أو قياس على أصل، والأصل كتاب أو سنة، أو قول بعض أصحاب رسول الله (ﷺ) أو إجماع الناس[٣٦٥].

**٢ - وقال أحمد:**

لا تقلد دينك أحدًا من هؤلاء ما جاء عن النبي (ﷺ) وأصحابه فخذ به، ثم التابعين بعد، الرجل فيه مخير[٣٦٦].

---

(٣٥٦) مسلم (٢ / ١٩٦٥).
(٣٥٧) إعلام الموقعين (٤ / ١٣٦).
(٣٥٨) مجموع الفتاوى (٤ / ١٥٨).
(٣٥٩) مسلم، ك الإيمان (١ / ٦٩).
(٣٦٠) الاعتقاد للبيهقي ص ٣١٩ .
(٣٦١) حقيقة البدعة وأحكامها (١ / ٣٢٨).
(٣٦٢) حلية الأولياء (١٠ / ٢٨٠)، البدع لابن وضاح ص ١٠ .
(٣٦٣) حقيقة البدعة وأحكامها (١ / ٣٢٩).
(٣٦٤) الأم للشافعي (٧ / ٢٦٥).
(٣٦٥) مناقب الشافعي ص ٣٦٧ .
(٣٦٦) مسائل الإمام أحمد لأبي داود ص ٢٧٦ .

**٣- وقول الإمام مالك:**

ومذهبه في ترجيح عمل أهل المدينة مشهور ومعلوم، بيد أنه قد ذهب إلى أبعد من ذلك، حين اعتبر قول الصحابة، ولا سيما ولاة الأمر بعده محل احتجاج[٣٦٧].

**٤- قال ابن تيمية:**

ومن قال من العلماء: إن قول الصحابي حجة، فإنما قاله إذا لم يخالفه غيره من الصحابة، ولا عرف نصًا يخالفه، ثم إذا اشتهر ولم ينكروه، كان إقرارًا على القول، فقد يقال هذا إجماع إقراري إذا عرف أنهم أقروه، ولم ينكره أحد منهم وهم لا يقرون على باطل[٣٦٨]، أما إذا لم يشتهر فهذا إن عرف أنه خالفه فليس بحجة بالاتفاق[٣٦٩].

**٥- قال الشاطبي:**

عند شرحه لقول النبي (ﷺ): **«ما أنا عليه وأصحابي»**[٣٧٠]، فكأنه راجع إلى ما قالوه وما سنوه، وما اجتهدوا فيه حجة على الإطلاق، وبشهادة رسول الله (ﷺ) لهم بذلك خصوصا- إلى أن قال- فإذا كل ما سنوه فهو سنة، من غير نظير فيه بخلاف غيرهم[٣٧١]، وقال في الموافقات: سنة الصحابة رضي الله عنهم سنة يعمل عليها ويرجع إليها[٣٧٢].

• • •

---

(٣٦٧) إعلام الموقعين (٤ / ١٢٣)، ترتيب المدارك (١ / ٦٤).
(٣٦٨) مجموع الفتاوى (١ / ٢٨٣).
(٣٦٩) مجموع الفتاوى (١ / ٢٨٣).
(٣٧٠) السلسلة الصحيحة (١ / ١٢، ٢٥)(٣ / ٤٨٠).
(٣٧١) الاعتصام (٢ / ٢٦٣).
(٢٧٢) الموافقات (٤ / ٧٤).

# الفصل الخامس
# مؤسسة الولاة في عهد أمير المؤمنين
# علي بن أبي طالب رضي الله عنه

## المبحث الأول
## أقاليم الدولة

### أولا: مكة المكرمة:

توفي عثمـان رضي الله عنه وعلى مكة خالد بن سعيد بن العـاص، فأصدر علي رضي الله عنه قرارا بعزله وعين أبا قتادة الأنصاري واليا على مكة [١]، ويبدو أن فترة ولايته كانت قـصيـرة إذ أن عليـا رضي الله عنه عندمـا أراد الخروج من المدينة إلى الـعراق بعث قـثم بن العباس[٢]، واليا على مكة، وعزل أبا قتادة الأنصاري[٣]، وبهذا فإن ولاية أبي قتادة استمرت قرابة الشـهرين، ولم ترد عنها أخبـار تذكر، ومعظم المصادر التي تحـدثت عن ولاية قثم بن العبـاس على مكة ذكرت أن عليا ولاه على مكة والطائـف وأعمالهمـا في وقت واحد [٤]، ونقل الأخبار عن مكة في عـهد خلافة علي رضي الله عنه سوى مـا يتعلق بموسم الحج ومن كان واليًا عليه ،فعلي بن أبي طالب لم يرد أنه شهـد الحج أثناء خلافته بسبب انشغاله بالفتن التي قامت في أنحاء الدولة الإسلامـية، حيث لم تستقر الأوضاع فيـها، وكان خلال موسم الحج يبعث من يقود الحـجيج، ويبدو أن قثم بن العبـاس أقام الحج بالناس سنة ٣٧هـ فقط، بينمـا بعث علي رضي الله عنه على الحج عـبـد الله بن عبـاس سنة ٣٦ هـ وعـبيـد الله بن العبـاس، سنة ٣٨ هـ [٥] مع وجود اختلاف بين المصـادر في سنة حج كل منهما، وأما سنة ٣٩ هـ فقد بعث معاوية أحد قواد الشـام مع حجاج الشام وأمره أن يقيم الحج بالناس، فلما وصل إلى مكة تنازع مع قثم بن عباس وكاد أن يقع بينهما قتال لولا أن عمل بعض الصحابة بينهما بالصلح على أن يقيم الحج بالناس أحد بني شيبة وانتهي الحج بسلام ولم يقع قتال[٦]، وقد استمر قثم بن العباس في ولايته على مكة إلى أن قدم جيش معاوية بقيادة بسر بن أرطأة

(١) الولاية على البلدان (٢ / ٣)، تاريخ ابن خياط ص ٢٠١ .
(٢) سير أعلام النبلاء (٣ / ٤٤٠).
(٣) تاريخ اليعقوبي (٢ / ١٧٩).
(٤) الكامل في التاريخ (٣ / ٣٩٨)، الولاية على البلدان (٢ / ٤).
(٥) تاريخ خليفة ص ١٩١، ١٩٢، ١٩٨، الولاية على البلدان (٢ / ٤).
(٦) الولاية على البلدان (٢ / ٤)، تاريخ الطبري (٦ / ٧٩).

فخرج منها قـثم هاربا خائفا على نفسه، وبذلك انتـهت ولاية قثم، وخرجت مكة من ولاية علي بن أبي طالب، وقد بعث علي بعض أجناده لاسـتعادة مكة إلا أن استـشهاد علي رضي الله عنه حال دون إتمام المهمة(٧).

**ثانيا: المدينة النبوية:**

كـانت المدينة المنورة طيلة عـهد رسـول الله وخلفـائه الثلاثة من بـعده عـاصمـة الدولة الإسلامية، ويقيم فيـها الخليفة، ويتولى شؤونها بنفسه أثناء وجوده، أمـا في حالة السفر فإنه ينيب عليها من يتولى شؤونها، وقد اخـتلف الوضع بعد مبايعة علي رضي الله عنه بالخلافة، إذ دعته الحالة العامة والارتباك الذي حدث بعد قتل عثمان إلى مغادرة المدينة المنورة خصوصا بعد خروج طلحة والزبيـر وعائشة باتجاه العراق قبل مـوقعة الجمل(٨)، وقـد استـخلف علي المدينة سهل بن حنيف الأنصاري كـما تقول بعض الروايات(٩)، ولا نعلم المدة التي بقى فيـها ابن حنيـف واليا على المدينة والذي يـبدو أن ولايته قد استـمرت أكثر من سنـة، فقد ورد أنه كان على المدينة سنة ٣٧ هـ (١٠) ثم ولى علي تمام بن العباس على المدينة بعد أن عزل سهل ابن حنيف وقد ولى علي بن أبي طالب على المدينة بعد ذلك أبا أيوب الأنصاري الذي استمر واليا عليها إلى سنة ٤٠هـ، حيث قدم المدينة جيش من الشـام من قبل معاوية بقيادة بسر بن أرطأة(١١)، ففر أبو أيوب من المدينة، وتوجه إلى علي في الكوفة(١٢)، وبذلك خرجت المدينة من حكم علي بن أبي طالب رضي الله عنه ودخلت في حكم معـاوية، وهكذا تحولت المدينة في عهد علي من قاعدة للخلافة إلـى ولاية من الولايات، وأخذت الأحداث السياسية تدور بعيدا عنها، لذلك نجد المصادر التاريخيـة تكاد تهملها خلال تلك الفترة إلى أن استطاع جيش معاوية الاستيلاء عليها(١٣).

**ثالثا: ولاية البحرين وعمان:**

كانت البحـرين حين توفي عثمان رضي الله عنه تابعـة لإمارة البصرة، وكـان ابن عامر يولي عليها من عماله، وفي عهد علي رضي الله عنه عين علي على ولاية البحرين مجموعة من الأمراء كان من أهمهم عمر بن أبي سلمة(١٤) الذي خرج مع علي من المدينة أثناء سفره إلى العـراق، ثم بعثه علـي واليا على البـحرين (١٥)، لفـترة من الوقت ثم استـدعـاه علي

(٧) تاريخ الطبري (٦ / ٨٠)، الولاية على البلدان (٢ / ٥).
(٨) تاريخ خليفة بن خياط ص (٨)، الولاية على البلدان (٢ / ٢).
(٩) تاريخ ابن خياط ص ١٨١، ٢٠١، الولاية على البلدان (٢ / ٢).
(١٠) تاريخ الطبري (٦ / ٥٣)، الولاية على البلدان (٢ / ٢).
(١١) سير أعلام النبلاء (٣ / ٤٠٩)، الولاية على البلدان (٢ / ٢).
(١٢) تاريخ الطبري (٦ / ٨٠)، الكامل (٣ / ٣٧٣).
(١٣) الولاية على البلدان (٢ / ٣).
(١٤) تهذيب التهذيب (٧ / ٤٥٦).
(١٥) الكامل (٣ / ٢٢٢)، الولاية على البلدان (٢ / ٥).

لمصاحـبته في العراق بعـد ذلك، كما كـان من عمال علي في البـحرين قدامة بن العـجلان الأنصاري[١٦]، والنعمان بن العجلان الأنصاري[١٧]، وكذلك ذكر من ولاته على البحرين عبيـد الله بن العباس[١٨]، ويلاحظ أن عبيد الله بن عبـاس كان والي اليمن، فلعل البحرين ونجد كانتا تابعتين له في تلك الفترة، وهذا يوحى به تعبيـر الطبرانى، كما أن تعبير خليفة بن خياط يوحى بعدم معرفته لترتيب معين لهؤلاء الولاة[١٩]، وقد أوردت المصادر أسماء بعض العمال الذين وجـهم علي إلى عمان أحـدهم والي والآخر قائد جند لإخمـاد أحد الثورات التي قامت ضد عـلي في عمان[٢٠]، وكذلك كان هنالك عامـل على اليمامة[٢١]، ولعـله خاضع لإشراف والي البحرين[**].

**رابعا: ولاية اليمن:**

لما استشهد عـثمان وبويع علي بالخلافة ولى علي العهد عـبيد الله بن العباس رضي الله عنـه [٢٢]، وقد خرج ولاة عثمان من اليمن قبل وصول عـبيد الله بن عباس إليها، واشترك بعضهم في جيش الجمل مع طلحة والزبيـر، وكان لهم دور في تجهيز الجيش[٢٤]، وقد كـان عبيد الله بن عـباس على صنعاء وأعماله كمـا كان معه في الولاية سعيد بن سـعد بن عبادة الأنصاري[٢٤]، على الجند ومخالفيها [٢٥]، وكان مقتل عثمان له أثر بالغ على المسلمين في اليمن، وأحس القوم بالامتعاض والتبرم من هذا الجرم، وبقى بعض اليمنيين لم يبايع ويرغب في قتل قتلة عثـمان رضي الله عنه، ولما تأخر هذا راسلوا معاوية بعد التـحكيم، فأرسل بسر ابن أبي أرطأة، فاستطاع أن يستولى على اليمن بفضل مـساعدتهم، ولكن لفترة وجيزة[٢٧]، حيث استطاع علي استـرجاعها من جيش معـاوية فأعاد عبيد الله بن عبـاس إلى ولايتها مرة أخرى، واسـتمـر واليا عليـها إلى أن استـشهـد أميـر المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه[٢٧].

---

(١٦) الولاية على البلدان (٢ / ٥).
(١٧) الإصابة (٣ / ٥٦٢)، الولاية على البلدان (٢ / ٥).
(١٨) تاريخ الطبري (٦ / ٩٠).
(١٩) الولاية على البلدان (٢ / ٦).
(٢٠) تاريخ اليعقوبي (٢/ ٩٥) ، الولاية على البلدان (٢/ ٦).
(٢١) الولاية على البلدان (٢ / ٦).
(**) الولاية على البلدان (٢ / ٦).
(٢٢) تاريخ خليفة بن خياط ص ٦ .
(٢٣) مروج الذهب للمسعودي (٢ / ٣٥٧)، الولاية على البلدان (٢ / ٦).
(٢٤) الاستبصار لابن قدامة المقدسي ص ٩٩ الولاية على البلدان (٢ / ٦).
(٢٥) الولاية على البلدان (٢ / ٦).
(٢٦) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد علي ص ١٠٩ .
(٢٧) تاريخ الطبري (٦/ ٨٠ ، ٨١) ، الولاية على البلدان (٢/ ٧).

وقد روى أن بسرا قتل ابنين لعبيد الله بن عباس وبعض أنصار علي هناك ثم رجع إلى الشام، وكان أمير المؤمنين قد وجه جارية بن قدامة السعدى قيل: ففعل مثلما فعل بسر وقتل بعض محبى عثمان في اليمن(**)، قال ابن كثير: وهذا الخبر مشهور عند أهل السير وفي صحته عندي نظر (٢٨)،ولا شك أن قتل الأبرياء لم يحصل في تلك المرحلة حتى في أيام البصرة وصفين عندما قامت الحرب بين الطرفين، فكيف يقتل الأطفال والأبرياء في مرحلة الهدنة لذلك لا يمكن قبول هذه الأعراف المناقضة لأعراف المسلمين وقيمهم ودينهم(٢٩).

**خامسا: ولاية الشام:**

كان معاوية رضي الله عنه واليا على الشام في عهدى عمر وعثمان رضي الله عنهم، ولما تولى علي الخلافة أراد عزله وتولية عبد الله بن عمر فأبي عليه عبد الله بن عمر قبول ولاية الشام واعتذر في ذلك وذكر له القرابة والمصاهرة التي بينهم(٣٠)، ولم يلزمه أمير المؤمنين علي وقبل منه طلبه بعدم الذهاب إلى الشام، وأما الروايات التي تزعم أن عليا قام بالتهجم على عبد الله بن عمر رضي الله عنه لاعتزاله وعدم وقوفه إلى جانبه، ففي ذلك الخبر تحريف وكذب(٣١)، وأقصى ما وصل إليه الأمر في قضية عبد الله بن عمر وولاية الشام ما رواه الذهبى من طريق سفيان بن عيينة، عن عمر بن نافع عن أبيه عن ابن عمر قال: بعث إلى علي قال: يا أبا عبد الرحمن إنك رجل مطاع في أهل الشام، فسر فقد أمرتك عليهم، فقلت: اذكر الله وقرابتى من رسول الله وصحبتى إياه، إلا ما أعفيتنى فأبى علي، فاستعنت بحفصة فأبى، فخرجت ليلا إلى مكة (٣٢)، وهذا دليل قاطع على مبايعة ابن عمر، ودخوله في الطاعة، إذ كيف يوليه علي وهو لم يبايع؟ وفي الاستيعاب لابن عبد البر من طريق أبي بكر بن أبي الجهم عن ابن عمر أنه قال حين احتضر: ما آسى علي شيء إلا تركى قتال الفئة الباغية مع علي رضي الله عنه(٣٣)، وهذا مما يدل أيضا على مبايعته لعلي، وأنه إنما ندم على عدم خروجه مع علي للقتال، فإنه كان ممن اعتزل الفتنة، فلم يقاتل مع أحد، ولو كان قد ترك البيعة لكان ندمه على ذلك أكبر وأعظم ولصرح به، فإن لزوم البيعة والدخول فيها داخل الناس فيه واجب، والتخلف عنه متوعد عليه برواية ابن عمر نفسه أن النبي قال: «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»(٣٤) وهذا بخلاف الخروج للقتال مع علي، فإنه مختلف فيه بين الصحابة وقد اعتزله بعض الصحابة، فكيف يتصور أن يندم ابن عمر على

---

(**) تاريخ الطبري (٦ / ٥٥).

(٢٨) البداية والنهاية (٧ / ٣٣٤).

(٢٩) الإنصاف د. حامد ص ٥٧٥ .

(٣٠) المصنف لابن أبي شيبة (٧ / ٤٧٢) إسناده صحيح.

(٣١) استشهاد عثمان ووقعة الجمل، خالد الغيث ص ١٦٠ .

(٣٢) سير أعلام النبلاء (٣ / ٢٢٤) رجاله ثقات.

(٣٣) الاستيعاب (٦ / ٣٢٦) بحاشية كتاب الإصابة.

(٣٤) مسلم، ك الإمارة رقم ١٨٥١ .

ترك هذا القتال، ولا يندم على ترك البيعة لو كان تاركا لها، مع ما فيه من الوعيد الشديد، وبهذا يظهر بطلان قول بعض المؤرخين في زعمهم من ترك ابن عمر البيعة لعلي رضي الله عنه حيث ثبت أنه كان من المبايعين له بل المقربين منه، الذين كان يحرص على توليتهم، والاستعانة بهم، لما رأي فيه من صدق الولاء والنصح له(٣٥).

وبعد اعتذار ابن عمر من قبول ولاية الشام، أرسل أمير المؤمنين علي سهل بن حنيف بدلا منه، إلا أنه ما كاد يصل مشارف الشام حتى أخذته خيل معاوية وقالوا له: إن كان بعثك عثمان فحيهلا بك وإن كان بعثك غيره فارجع(٣٦)، وكانت بلاد الشام تغلى غضبا على مقتل عثمان ظلما وعدوانا، فقد وصلهم قميصه مخضبا بدمائه، بأصابع نائلة زوجه، التي قطعت أصابعها وهي تدافع عنه، وكانت قصة استشهاده أليمة فظيعة اهتزت لها المشاعر، وتأثرت بها القلوب، وذرفت منها الدموع، كما وصلتهم أخبار المدينة وسيطرة الغوغاء عليها، وهروب بنى أمية إلي مكة، كل هذه الأمور وغيرها من الأحداث والعوامل كان لها تأثيرًا على أهل الشام وعلى رأسهم معاوية رضي الله عنه، فقد كان يرى أن عليه مسؤولية الانتصار لعثمان والقود من قاتليه فهو ولي دمه، والله (عز وجل) يقول: ﴿**وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً**﴾ [الإسراء: ٣٣]، لذلك جمع معاوية الناس، وخطبهم بشأن عثمان وأنه قتل ظلما وعدوانا على يد سفهاء منافقين لم يقدروا الدم الحرام إذ سفكوه في الشهر الحرام في البلد الحرام، فثار الناس، واستنكروا وعلت الأصوات وكان منهم عدد من أصحاب رسول الله (ﷺ)، فقام أحدهم واسمه مرة بن كعب فقال: لولا حديث سمعته من رسول الله (ﷺ) ما تكلمت، وذكر الفتن فقربها، فمر رجل متقنع في ثوب، فقال: «هذا يومئذ على الهدى»، فقمت إليه، فإذا هو عثمان بن عفان فأقبلت عليه بوجهه فقلت: هذا؟ قال: نعم (٣٧) وهناك حديث آخر له تأثيره في طلب معاوية القود من قتلة عثمان ومنشطا ودافعا قويا للتصميم على تحقيق الهدف، وهو عن النعمان بن بشير عن عائشة رضي الله عنها قالت: أرسل رسول الله (ﷺ) إلى عثمان بن عفان فجاء فأقبل عليه رسول الله (ﷺ)، فكان من آخر كلمة أن ضرب منكبه فقال: «يا عثمان! إن الله عسى أن يلبسك قميصا فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني» ثلاثا، فقلت لها: يا أم المؤمنين فأين كان هذا عنك؟ قالت: نسيته والله ما ذكرته قال: فأخبرته معاوية بن أبي سفيان فلم يرض بالذي أخبرته حتى كتب إلى أم المؤمنين أن اكتبى إلى به، فكتبت إليه به كتابًا(٣٨) كان الحرص الشديد على تنفيذ حكم الله في القتلة السبب الرئيسى، في رفض أهل الشام بزعامة معاوية بن أبي سفيان بيعة علي بن أبي طالب بالخلافة، وليست لأطماع معاوية

(٣٥) الانتصار للصحب والآل ص ٥٠٧ .

(٣٦) تهذيب تاريخ دمشق (٤ / ٣٩)، خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد علي ص ١١٠ .

(٣٧) صحيح. سنن ابن ماجه (١ / ٢٤).

(٣٨) مسند أحمد، باقي مسند الأنصار رقم ٢٤٠٤٥، حديث صحيح.

في ولاية الشام، أو طلبه ما ليس له بحق إذ كان يدرك إدراكا تاما أن هذا الأمر في بقية الستة من أهل الشورى وأن عليا أفضل منه وأولى بالأمر(٣٩)، ودليل ذلك ما أخرجه يحيى بن سليمان الجعفي بسند جيد، عن أبي مسلم الخولاني أنه قال لمعاوية: أنت تنازع عليا، أم أنت مثله؟ فقال: لا والله إني لأعلم أنه أفضل مني، وأحق بالأمر مني، ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوما، وأنا ابن عمه، والطالب بدمه، فائتوه، فقولوا له: فليدفع إلى قتلة عثمان، وأسلم له، فأتوا عليا، فكلموه، فلم يدفعهم إليه (٤٠)، وفي رواية: فأتوه فكلموه فقال: يدخل في البيعة ويحاكمهم إليّ، فامتنع معاوية (٤١)، وأما الروايات التي تصور معاوية في خروجه عن طاعة علي بسبب أطماع ذاتية وأطماع دنيوية، وبسبب العداء والتنافس الجاهلي القديم بين بني هاشم وبني أمية وغير ذلك من القذف والافتراءات والطعن على أصحاب رسول الله، مما اعتمد عليها من الكتاب المعاصرين- كالعقاد في عبقرية علي، وعبد العزيز الدوري في مقدمة في تاريخ صدر الإسلام- وبنوا عليها تحليلاتهم الباطلة، فهي روايات متروكة مطعون في رواتها عدلاً وضبطًا(٤٢).

وقد استمرت ولاية الشام تابعة لنفوذ معاوية بن أبي سفيان طيلة خلافة علي رضي الله عنه، ولم يتمكن علي من السيطرة عليها أو تعيين العمال والأمراء فيها، وقد وقعت إلى الشرق من بلاد الشام بعض المناوشات بين جند علي وجند معاوية كان أهمها موقعة (صفين) والتي شهدها علي ومعاوية رضي الله عنهما في سنة ٣٧ هـ ولم تمنع هذه المعارك من استمرار سيطرة معاوية على الشام(٤٣).

**سادسا: ولاية الجزيرة:**

كانت الجزيرة إحدى الولايات التابعة للشام أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه، وبعد استشهاده كانت الشام بيد معاوية، والعراق بيد علي، مما جعل الجزيرة محل تنازع بين الفريقين، نظرا لموقعها الجغرافي واتصالها بالشام من جهة وبالعراق من جهة أخرى(٤٤)، وبالتالي سهولة السيطرة عليها من كلا الجانبين، وقد وقعت في الجزيرة العديد من المعارك بين أجناد علي وأجناد معاوية في محاولة من كلا الطرفين للسيطرة عليها، ويبدو أن عليا استطاع السيطرة عليها(٤٥)، لفترة من الوقت وعين عليها «الأشتر» وهو أشهر ولاة علي في الجزيرة(٤٦)، حيث ولاه عليها لأكثر من مرة فاستطاع أن يرتب أمورها، ثم اضطر علي رضي

(٣٩) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد علي ص ١١٢ .
(٤٠) فتح الباري (١٣ / ٩٢)، البداية والنهاية (٨ / ١٢٩).
(٤١) فتح الباري (١٣ / ٩٢)، استشهاد عثمان ص ١٦٠ .
(٤٢) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد علي ص ١١٢ .
(٤٣) الولاية على البلدان (٢ / ٨).
(٤٤) معجم البلدان (٢ / ١٣٥).
(٤٥) الأخبار الطوال للدينوري ص ١٥٤، الولاية على البلدان (٢ / ٨).
(٤٦) تاريخ خليفة بن خياط ص ٢٠٠ .

الله عنه لنقله لولاية مصر وذلك في سنة ٣٨هـ(٤٧)، فعاد الاضطراب مرة أخرى إلى الجزيرة ونشط أتباع معاوية في الاستيلاء عليها بعد ذلك فوقعت فيها العديد من المعارك(٤٨)، ويبدو أن معاوية استطاع في أواخر سنة ٣٩هـ أن يسيطر إلى حد ما على الجزيرة(٤٩)، وقد كانت الجزيرة ملجأ لبعض المعتزلين للحرب بين علي ومعاوية وهم الذين لم يبايعوا أيامها أثناء النزاع الناشب بينهما (٥٠)، ولعل موقعها في المنتصف بين الطرفين هو الذي دفعهم لاختيارها، وقد وردت أسماء بعض من ولي الجزيرة لعلي ومنهم شبيب بن عامر(٥١)، وكميل بن زياد وكان لهما دور في مقاومة جيوش الشام التي هاجمت الجزيرة، بل إنهما استطاعا الهجوم على الشام من قبل الجزيرة(٥٢).

**سابعًا: ولاية مصر:**

استشهد عثمان رضي الله عنه وعلى مصر محمد بن أبي حذيفة مغتصبا للولاية فيها، ولم يقره عثمان عليها، وبعد وفاة عثمان أقره علي على مصر فترة من الوقت لم تطل، حيث وجه معاوية جيشا إلى نواحي مصر فظفر بمحمد بن أبي حذيفة فقبض عليه ثم سجن وقتل(٥٣)، وقد ذكر أن عليا لم يعين محمد بن أبي حذيفة على مصر وإنما تركه على حاله حتى إذا قتل عين علي قيس بن سعد الأنصاري على ولاية مصر، فقال له: سر إلى مصر(٥٤) وليتكها واخرج إلى رحلك واجمع إليه ثقاتك ومن أحببت أن يصحبك حتى تأتيها ومعك جند فإن ذلك أرعب لعدوك وأعز لوليك، فإذا أنت قدمتها إن شاء الله فأحسن إلى المحسن واشتد على المريب وارفق بالعامة والخاصة فإن الرفق يمن(٥٥)، وقد ظهر ذكاء قيس وحسن تصرفه في العديد من المواقف فإنه حين توجه إلى مصر كان فيها مجموعة ممن غضبوا لمقتل عثمان، ومجموعة ممن اشتركوا في قتله ولقد لقيته خيل من مصر قبل دخوله إليها فقالوا: من أنت؟ قال: من فالة (٥٦) عثمان ، فأنا أطلب من آوي إليه فأنتصر به لله قالوا: من أنت؟ قال: قيس بن سعد، قالوا: امض فمضى حتى دخل(٥٧) مصر، وهذا الموقف الذي لقيس هو الذي مكنه من دخول مصر، ثم أعلن بعد ذلك أنه أمير، وربما لو أنه أعلن لهؤلاء الأجناد

(٤٧) تاريخ الطبري (٦ / ٥٤).
(٤٨) الفتوح لابن أعثم الكوفي (٤ / ٤٥)، الكامل (٣ / ٣٧٩).
(٤٩) الكامل (٣ / ٣٨٠).
(٥٠) سير أعلام النبلاء (٣ / ٤١٤).
(٥١) الولاية على البلدان (٢ / ٩).
(٥٢) الفتوح ابن أعثم الكوفي (٤ / ٥٠- ٥٢)، تاريخ الطبري (٦ / ١٩).
(٥٣) ولاة مصر للكندي ص ٤٢، ٤٣، الولاية على البلدان (٢ / ٩).
(٥٤) ولاة مصر ص ٤٤، النجوم الزاهرة (١ / ٩٤).
(٥٥) الكامل في التاريخ (٢ / ٣٥٤).
(٥٦) الفالة: الجماعة المنهزمون، لسان العرب (١١ / ٥٣١).
(٥٧) الولاية على البلدان (٢ / ١٠) نقلا عن نهاية الأرب في تاريخ العرب للنويري.

أنه أمير لمنعوه من دخول مصر أصلا، كما حدث لمن وجهه علي إلى الشام فمنعته أجناد الشام من دخولها حينما علموا أنه قد بعث أميرا على الشام[٥٨]، وحينما وصل قيس بن سعد إلى الفسطاط صعد المنبر وخطب في أهل مصر وقرأ عليهم كتابا من علي بن أبي طالب رضي الله عنه وطلب البيعة لعلي[٥٩]، وهنا انقسم أهل مصر إلى فريقين: فريق دخل في بيعة علي وبايعوا قيسا، وفريق توقف واعتزل، وكان قيس بن سعد حكيما مع الذين بايعوا والذين امتنعوا، حيث لم يجبرهم على البيعة وكف عنهم وتركهم في حالهم[٦٠]، ولم يكتف بذلك بل إنه بعث لهؤلاء أعطياتهم في مكان اعتزالهم، ووفد عليه قوم منهم فأكرمهم، وأحسن إليهم[٦١]، فساعدت تلك المعاملة الطيبة على تجنب الصدام بهم، وبالتالى ساعدته على هدوء الأوضاع بمصر، حتى استطاع قيس أن ينظم الأمور فيها، فوزع الأمراء ونظم أمور الخراج وعين رجالات على الشرطة [٦٢]، وبذلك استطاع أن يرتب ولاية مصر، وأن يسترضي جميع الأطراف فيها [٦٣]، وأصبح قيس بن سعد في هذا الموقع يشكل ثقلا سياسيا وخطرا عسكريا على معاوية بن أبي سفيان في الشام، نظرا لقرب مصر من الشام، ولترتيب قيس لها وتنظيمها، وما اشتهر عن قيس من حزم، وخوف معاوية من حركات عسكرية مناوئة له تخرج من مصر، ولذلك فإنه أخذ يراسل قيس بن سعد في مصر مهددا له، وفي الوقت نفسه يحاول إغراءه بالانضمام إليه، وكانت إجابات قيس على تلك الرسائل إجابات ذكية بحيث لم يستطع معاوية أن يفهم موقف قيس وما ينوى عمله، وقد تعددت بينهما الرسائل[٦٤]، وقد انتشرت الروايات الرافضية عن الرسائل بين معاوية وقيس بن سعد التي ذكرها أبو مخنف في كتب التاريخ وهي باطلة لا تصح، فقد انفرد بها هذا الرافضى التالف الذي ضعفه رجال الجرح والتعديل بها وفي متن تلك الرواية غرائب من أبرزها ما يلي:

١- خطاب علي إلى أهل مصر مع قيس بن سعد وفيه: ثم ولى بعدهما والي فأحدث أحداثا فوجدت عليه الأمة مقالا فقالوا ثم نقموا عليه فغيروا، وهذ يعنى أن الذين قاموا على عثمان رضي الله عنه رجال الأمة، وأن الأمة قد غيرت هذا المنكر بقتل عثمان، وعلي رضي الله عنه برىء من هذا القول، وهو يعلم أن الذين قتلوا عثمان هم أوباش الناس وأن قتله ظلم وفجور، وأقواله تدل على ذلك ومنها: ما رواه ابن عساكر أن محمد بن الحنفية قال: ما سمعت عليا ذاكرًا عثمان بسوء قط[٦٥]، وأخرج الحاكم وابن عساكر أن عليا رضي الله عنه

(٥٨) تهذيب تاريخ دمشق (٤ / ٣٩).
(٥٩) الكامل في التاريخ (٢ / ٣٥٤).
(٦٠) ولاة مصر ص ٤٤، الكامل في التاريخ (٢ / ٣٥٤).
(٦١) ولاة مصر ص ٤٤ .
(٦٢) الولاية على البلدان (٢ / ١١)، النجوم الزاهرة (١ / ٩٨).
(٦٣) الولاية على البلدان (٢ / ١١).
(٦٤) الكامل (٢ / ٣٥٥)، الولاية على البلدان (٢ / ١١).
(٦٥) تاريخ ابن عساكر ترجمة عثمان ص ٣٩٥ .

قال: اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان، ولقد طاش عقلي يوم قتل عثمان وأنكرت نفسي، وجاؤوني للبيعة فقلت والله إني لأستحي من الله أن أبايع قوما قتلوا رجلا قال له رسول الله (ﷺ): «**ألا أستحي ممن تستحي منه الملائكة**» وإني لأستحي من الله أن أبايع وعثمان قتيل على الأرض لم يدفن بعد، فانصرفوا فلما دفن رجع الناس يسألونني البيعة، فقلت: اللهم إني مشفق مما أقدم عليه، ثم جاءت عزيمة فبايعت، فلما قالوا: أمير المؤمنين فكأن صدع قلبي وانسكب[٦٦] بعبرة، وأقواله في هذا المعنى كثيرة [٦٧]، وقد جمعتها في كتابي، تيسير الكريم المنان في سيرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان[٦٨].

٢-قول قيس بن سعد: أيها الناس إنا قد بايعنا خير ما نعلم بعد نبينا (ﷺ) وهذا مردود، إذ أن الثابت تفضيل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، علي على رضي الله عنه كما صح عن علي نفسه أنه صرح بذلك وهذا لا يشك فيه أحد في ذلك الزمان من الصحابة وغيرهم وعليه فلا يصح نسبة هذا الكلام لقيس بن سعد رضي الله عنه ولا لغيره من الصحابة والتابعين، ولم يشتهر هذا إلا عند الشيعة الروافض المتأخرين [٦٩]، قال ابن تيمية: الشيعة المتقدمون كلهم متفقون على تفضيل أبي بكر وعمر[٧٠]، والأدلة في تفضيل أبي بكر وعمر كثيرة منها ما رواه ابن عمر رضي الله عنه قال: كنا نخير بين الناس في زمن النبي (ﷺ) فنخير أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان [٧١] والأحاديث في ذلك كثيرة[٧٢] ومشهورة وحقيقة الأمر كما مر معنا في الروايات الصحيحة السابقة أن معاوية طلب من أمير المؤمنين تسليمه قتلة عثمان ولم يتهم أمير المؤمنين علي به

٣- رسالة معاوية إلى قيس بن سعد: وإشارته فيها إلى كون علي طرفا في قتل عثمان، وهذا لا يصح صدوره من معاوية ذلك أن الأمر واضح فيه براءة علي رضي الله عنه كما مر في الفقرة السابقة وهذا لا يجهله معاوية رضي الله عنه فضلا أن يقره لقيس بن سعد رضي الله عنه، وهذا محمد بن سيرين من كبار التابعين ومن الذين عاصروا ذلك المجتمع يقول: لقد قتل عثمان وما أعلم أحدا يتهم عليا في قتله[٧٣]، ويقول أيضا: لقد قتل عثمان يوم قتل وإن الدار يومئذ لغاصة، فيهم عبد الله بن عمر، وفيهم الحسن بن علي في عنقه السيف، ولكن عثمان عزم عليهم ألا يقاتلوا[٧٤]، وأخرج ابن أبي شيبة بسند رجاله ثقات عن محمد

(٦٦) المستدرك (٣ / ٩٥، ١٠٣)، صحيح على شرط الشيخين.
(٦٧) مرويات أبي مخنف د. يحيى اليحيى ص ٢١١ .
(٦٨) عثمان بن عفان للصلابي ص ٤٠٧، ٤٠٩ .
(٦٩) مرويات أبي مخنف ص ٢١١ .
(٧٠) منهاج السنة (١ / ٤، ١١١٩).
(٧١) البخاري رقم ٣٦٩٧ .
(٧٢) مرويات أبي مخنف ص ٢١٢ .
(٧٣) تاريخ ابن عساكر ترجمة عثمان ص ٣٩٥، مرويات أبي مخنف ص ٢١٢ .
(٧٤) تاريخ ابن عساكر ترجمة عثمان ص ٣٥٠ .

ابن الحنفية أن عليًا قال: لعن الله قتلة عثمان في السهل والجبل والبر والبحر(٧٥)، والنصوص في هذا المعنى كثيرة جدا (٧٦)، مما يؤكد اشتهار كراهية علي رضي الله عنه لقتل عثمان(٧٧).

٤- وأما ما أورده من اتهام معاوية للأنصار في دم عثمان فهذا لا يصح من معاوية وهو يعلم أن الذي قام بالدفاع جميعا هم الأنصار، فقد أخرج ابن سعد بسند صحيح أن زيد بن ثابت رضي الله عنه جاء إلى عثمان رضي الله عنه وهو محصور فقال: هذه الأنصار بالباب يقولون: إن شئت كنا أنصار الله مرتين، قال: فقال عثمان: أما القتال فلا(٧٨).

٥- ما ذكره من اختلاق معاوية كتابا على لسان قيس بن سعد، فهذا من الكذب الذي لا يعقل صدوره من معاوية، ذلك أن العرب كانوا يعدون الكذب من أقبح الصفات التي يتنزه عنها الرجال الكرام، وهذه قصة أبي سفيان وهو يومئذ على الشرك فيما أخرجه البخاري في قصة سؤال هرقل عن رسول الله (ﷺ) يقول أبو سفيان: فوالله لولا الحياء من أن يأثروا علي كذبا لكذبت عنه (٧٩)، فهذه منزلة الكذب عند العرب، وعند المسلمين أشد وأخزى ولا يقول قائل: هذه خدعة، والحرب خدعة، فإن الخدعة ليس معناها الكذب كما هو معلوم من كلام العرب، ومعاوية رضي الله عنه أحذق من أن يفعل هذا(٨٠).

٦- رواية هذه الكتب الكثيرة بين قيس ومعاوية وعلي بهذا التسلسل وبهذه الدقة تدخل الشك والريبة على القارئ لجهالة المطلع والناقل لها(٨١).

يقول الدكتور يحيى اليحيى: إن ولاية قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنه على مصر من قبل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أمر مجمع عليه(٨٢)،وكل من ترجم لقيس لم يذكر هذه التفاصيل(٨٣) ـ أى التي ذكرها أبو مخنف في روايته- وحتى مؤرخو مصر المعتبرون لم يذكروا ذلك(٨٤)، هذا وقد نقل رواية أبي مخنف من الطبري بعد حذف واختصار كل من: ابن الأثير، وابن كثير، وابن خلدون، وابن تغري بردي (٨٥)، وقد أخرج الكندي أيضا عن عبد الكريم بن الحارث قال: لما ثقل مكان قيس علي معاوية كتب إلى بعض بنى أمية بالمدينة: أن جزى الله قيس بن سعد خيرا واكتموا ذلك، فإنى أخاف أن يعزله

(٧٥) المصنف (١٥ / ٢٦٨).
(٧٦) نقل ابن عساكر نصوص كثيرة تبين نصرة علي لعثمان ترجمة عثمان ص ٣٩٥ .
(٧٧) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ص ٢١٣ .
(٧٨) الطبقات (٣ / ٧٠) سنده صحيح.
(٧٩) البخاري رقم ٧ .
(٨٠) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ص ٢١٤ .
(٨١) المصدر نفسه ص ٢١٤ .
(٨٢) تاريخ خليفة ص ٢٠١، فتوح مصر ٢٧٤، ولاة مصر ٤٤٠، سير أعلام النبلاء (٣ / ١٣).
(٨٣) طبقات ابن سعد (٦ / ٥٢)، تاريخ بغداد (١ / ١٧٧)، سير أعلام النبلاء (٣ / ١٠٢).
(٨٤) فتوح مصر، وولاة مصر ـ مرويات أبي مخنف ص ٢٠٧ .
(٨٥) تاريخ ابن خلدون (٤ / ١٠٩٢)، النجوم الزاهرة (١ / ٩٧)، البداية والنهاية (٧ / ٢٥١).

علي إن بلغه ما بينه وبين شيعتنا، حتى بلغ عليـا فقال من معه من رؤساء أهل العراق وأهل المدينة: بدل قيس وتحول، فـقال علي: ويحكم، إنه لم يفعل، فدعونى، قالوا لتـعزلنه فإنه قد بدل، فلم يزالوا به حتى كـتب إليه: إنى قد احتجت إلى قربك، فاسـتخلف على عملك وأقـدم(٨٦)، وقد رجح هذه الرواية الدكتور اليحيي في كـتابه القيم مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري قال:

١- إنها من رواية مصري ثقة وهو أعلم بقطره من غيره.

٢- أخرجها مؤرخ مصري.

٣- خلوها من الغرائب.

٤- متنها مما يتفق مع سيرة أولئك الرجال.

٥- بينت تردد علي في عزل قيس حتى ألح عليه الناس فاستبقاه عنده، وهكذا القائد لا يفرط بالقيادات الحاذقة وقت المحن(٨٧).

**- تعيين محمد بن أبي بكر على ولاية مصر:**

تدخل بعض الناس للإفساد بين علي وقيس بن سعد لكي يعزله وفي نهاية المطاف طلب بعض مستشاري علي منه أن يعزل قيسا وصـدقوا تلك الإشاعات التي قيلت فيه، وألحوا في عزله، فكتب إليه علي: إنى قد احتجت إلى قـربك فاستخلف على عملك وأقدم(٨٨) وكـان هذا الكتاب بمثابة عزل لقيس عن ولاية مصر، وقد عين على مكانه الأشتر النخعي(٨٩)، على أكثر الأقوال، وقد التقى علي بالأشتر قبل سفـره إلى مصر، فحدثه حديث أهل مصر وخبره خبـر أهلها، وقـال ليس لها غـيرك اخـرج رحمك الله فإنـي إن لم أوصك اكتفـيت برأيك واستعن بالله على ما أهمك فاخلط الشدة باللين، وارفق ما كان الرفق أبلغ واعزم بالشدة حين لا يغنى عنك إلا الشـدة (٩٠)، وقد توجه الأشتر إلى مصـر ومعه رهط من أصحابه إلا أنه حينما وصل إلى أطراف (بحر الـقلزم)-البحر الأحمر- مات قبل أن يدخل مـصر، وقد قيل إنه سقى شربة مـسمومة من عسل فـمات منها، وقد اتهم أناس من أهل الخـراج أنهم سموه بتحريض مـن معاوية (٩١)، والتهمة الموجهة إلى مـعاوية في قتل الأشتر بالسم لا تثبت من طريق صحيح واستبـعد ذلك ابن كثير(٩٢)، وابن خلدون (٩٣). وسار على نهجـهم الدكتور

(٨٦) ولاة مصر ص ٤٥- ٤٦ وفيها المدائني وهو صدوق وبقية رجالها ثقات إلا أنها مرسلة.
(٨٧) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ص ٢١٠ .
(٨٨) ولاة مصر ص ٤٥- ٤٦ .
(٨٩) فتوح البلدان ص ٢٢٩، الولاية على البلدان (٢ / ١٢).
(٩٠) النجوم الزاهرة (١ / ١٠٣).
(٩١) النجوم الزاهرة (١ / ١٠٤)، سير أعلام النبلاء (٤ / ٣٤).
(٩٢) البداية والنهاية (٨ / ٣٠٣).
(٩٣) تاريخ ابن خلدون (٤ / ١١٢٥).

يحيى اليحيى[٩٤]، وملت إلى هذا القول.

هذا وقد مات الأشتر قبل أن يباشر عـمله في مصر، ومع ذلك فإن المصادر تتحدث عنه كأحد ولاة مصر لعلي بن أبي طالب وقد ولى بعده على مصر محمد بن أبي بكر[٩٥].

وقد سبق لمحمد بن أبي بكر أن عاش في مصر في عهد عثمان، وتدل الروايات على أن محـمد بن أبي بكر قد وصل إلى مـصر قبل أن يغـادرها الوالي الأول قيس بن سعـد، وقد دارت محاورة بين قـيس بن سعد ومحمد بن أبي بكر قـدم فيها قيس عدة نصـائح لمحمد، خصوصـا فيما يتعلق بالناس الغـاضبين لمقتل عثمـان، والذين لم يبايعوا عليا بعـده وقد قال قيس: يا أبا القاسم إنك قد جئت من عند أمير المؤمنين وليس عزله إياي بمانعي أن أنصح لك وله، وأنا من أمركم هذا على بصـيرة، ودع هؤلاء القوم ومن انضم إليهم- يقـصد الذين لم يبايعوا عليا ولا غـيره- على ما هم عليه، فإن أتوك فاقبلهم وإن تخـلفوا عنك فلا تطلبهم، وأنزل الناس على قدر منازلهم وإن اسـتطعت أن تعود المرضي وتشهد الجنائز فـافعل فإن هذا لا ينقصك[٩٦].

وقد حمل محمد معه عـهدا من علي رضي الله عنه فقرأه على أهل مصر وخطبهم[٩٧]، وقد كتب أمير المؤمنين علي لمحمد بن أبي بكر كتابا جاء عندما ولاه على مصر ولم يكن هذا الكتاب مقتـصرا على سياسة الولاية، بل يحوي دعوة مـحمد بن أبي بكر الصديق إلى الله، ومما جاء في هذا الكتاب: واعلم يا محمد! أنك وإن كنت محتاجا إلى نصيبك من الدنيا، إلا أنك إلى نصـيبك من الآخرة أحوج فإن عرض لـك أمران أحدهما للآخرة والآخـرة للدنيا، فابدأ بأمر الآخرة، ولتعظم رغبتك في الخيـر، ولتحسن فيه نيتك، فإن الله (عز وجل) يعطي العبد على قدر نيـته، وإذا أحب الخير وأهله ولم يعمله كان- إن شـاء الله- كمن عمله، فإن رسول الله (ﷺ) قال حين رجع من تبوك: «إن بالمدينة لأقواما ما سرتم من مسير، ولا هبطتم من واد إلا كانوا معكم، ما حبسهم إلا المرض، يقول: كانت لهم نية»[٩٨]، ثم اعلم يا محمد أني قد وليتك أعظم أجنادي: أهل مصر ووليتك ما وليتك من أمر الناس، فأنت محقوق أن تخاف فيه على نفسك، وتحذر فيه على دينك، ولو كان ساعـة من نهار، فإن استطعت ألا تسخط ربك لرضا أحد من خلقه فافعل، فـاشتد على الظالم، ولِن لأهل الخير وقربهم إليك واجعلهم بطانتك، وإخوانك والسلام[٩٩].

وبدأ محمد بن أبي بكر يمارس ولايته، وقد مضى الشهر الأول من ولايته بسلام، إلا أن الأمور بدأت تتغير بعد ذلك، فلم يعمل محمد بنصيحة قيس بن سعد، وبدأ يتحرش بأولئك

---

(٩٤) مرويات أبي مخنف ص ٢٢٤ .
(٩٥) النجوم الزاهرة (١ / ١٠٦).
(٩٦) ولاة مصر ص ٥٠، الولاية على البلدان (٢ / ١٣).
(٩٧) الكامل في التاريخ (٢ / ٣٥٦).
(٩٨) له أصل في صحيح مسلم، ك الإمارة (٣ / ١٥١٨).
(٩٩) تاريخ الطبري، منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله ص ٢٨٢ .

الأقوام الذين لم يبايعوا عليا، فكتب إليهم يدعوهم إلى المبايعة فلم يجيبوه فبعث رجالا إلى بعض دورهم فهدموها ونهب أموالهم وسجن بعض ذراريهم فعملوا على محاربته[١٠٠]، ثم إن معاوية أعد جيشا بقيادة عمرو بن العاص فغزا به مصر، وتحالف مع من قاتلهم محمد بن أبي بكر وكانت قوتهم كبيرة تصل إلى عشرة آلاف مقاتل وفيهم مسلمة بن مخلد ومعاوية بن خديج[١٠١] ووقعت بينهم وبين محمد بن أبي بكر معارك قوية انتهت بمقتل محمد بن أبي بكر واستيلاء أجناد معاوية على مصر وبذلك خرجت مصر من حكم علي بن أبي طالب رضي الله عنه سنة ثمان وثلاثين للهجرة [١٠٢]، وقد انفرد أبو مخنف الشيعي الرافضي برواية مفصلة ذكرها الطبري [١٠٣]. شوهت كثيرا من حقائق التاريخ والتي لم يخرجها غيره ثم ذكرها بعض المؤرخين على النحو التالي: اليعقوبي: ذكر قتال عمرو بن العاص لمحمد بن أبي بكر، وأن معاوية بن خديج أخذه وقتله ثم وضعه في جيفة حمار فأحرقه[١٠٤]، وأما المسعودي [١٠٥]، وابن حبان [١٠٦]، فقد أشارا إلى قتل محمد بن أبي بكر ولم يذكرا التفاصيل[١٠٧]، ونقل ابن الأثير [١٠٨] رواية أبي مخنف في الطبري باختصار بعدما حذف منها كتاب معاوية إلى محمد بن أبي بكر، ونص المكاتبات بين علي وابن أبي بكر، وحذف رد ابن أبي بكر علي معاوية وعمرو بن العاص، من رواية أبي مخنف في الطبري.

وقد ذكر النويري نحوا مما ذكره ابن الأثير [١٠٩]، وذكر ابن كثير، قريبا مما ذكره ابن الأثير والنويري، وأما ابن خلدون فأشار إلى معنى روايات أبي مخنف [١١٠]، واختصر ابن تغري بردى روايات أبي مخنف [١١١]، وكل هذه الروايات جاءت من طريق أبي مخنف وساهمت في تشويه التاريخ الإسلامي لتلك الحقبة وتناقلها الكتاب المعاصرون دون تمحيص وساهموا في نشرها واستقرت كثيرا من تلك الأكاذيب في أذهان بعض المثقفين، فأصبحت جزء لا يتجزأ من ضمن سلسلة المفاهيم المغلوطة التي نشروها بين الناس.

هذا وإن قتل معاوية بن خديج لمحمد بن أبي بكر قد ثبت من طريق صحيح فيما أخرجه أبو عوانة عن عبد الرحمن بن شماسة قال: دخلت على عائشة أم المؤمنين فقالت لي: ممن

---

(١٠٠) الكامل في التاريخ (٢ / ٣٥٧)، الولاية على البلدان (٢ / ١٣).
(١٠١) تاريخ الطبري (٦ / ١١).
(١٠٢) تاريخ خليفة بن خياط ص ١٩، تاريخ الطبري (٦ / ٥).
(١٠٣) تاريخ الطبري (٦ / ٧ إلى ١٨).
(١٠٤) تاريخ اليعقوبي (٢ / ١٩٤).
(١٠٥) مروج الذهب (٢ / ٤٢٠).
(١٠٦) الثقات (٢ / ٢٩٧).
(١٠٧) مرويات أبي مخنف ص ٢٤١ .
(١٠٨) الكامل (٢ / ٤٠٩ إلى ٤١٤).
(١٠٩) نهاية الأرب (٢٠ / ١٠٧- ١١٢).
(١١٠) تاريخ ابن خلدون (٤ / ١١٢٦- ١١٢٨).
(١١١) النجوم الزاهرة (١ / ١٠٧- ١١٢).

أنت؟ قلت من أهل مصر قالت: كيف وجدتم ابن خديج في غزاتكم هذه؟ فقلت وجدناه خير أمير، ما مات لرجل منا عبد إلا أعطاه عبدا، ولا بعير إلا أعطاه بعيرا، ولا فرس إلا أعطاه فرسا، قالت: أما إنه لا يمنعني قتله أخي أن أحدث ما سمعت من رسول الله (ﷺ) يقول: «**من ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم؛ فارفق به ومن شق عليهم؛ فشق عليه**»(١١٢).

وقد اشتملت روايات أبي مخنف في تاريخ الطبري حول ولاية محمد بن أبي بكر لمصر ومقتله على جملة من الغرائب أبرزها ما يأتي:

١-ما ذكره من مبايعة أهل الشام لمعاوية بالخلافة بعد التحكيم فهذا غير صحيح، فقد نقل ابن عساكر بسند رجاله ثقات عن سعيد بن عبد العزيز التنوخي أعلم الناس بأمر الشام(١١٣)، أنه قال: كان علي بالعراق يدعى أمير المؤمنين وكان معاوية بالشام يدعى الأمير فلما مات علي دعي معاوية بالشام أمير المؤمنين(١١٤). فهذا النص يبين أن معاوية لم يبايع بالخلافة إلا بعد وفاة علي وإلى هذا ذهب الطبري، فقد قال في آخر حوادث سنة أربعين: وفي هذه السنة بويع لمعاوية بالخلافة بإيليا(١١٥)، وعلق على هذا ابن كثير بقوله: يعني لما مات علي قام أهل الشام فبايعوا معاوية على إمرة المؤمنين لأنه لم يبق له عندهم منازع(١١٦)، وكان أهل الشام يعلمون بأن معاوية ليس كفأ لعلي بالخلافة، ولا يجوز أن يكون خليفة مع إمكان استخلاف علي رضي الله عنه، فإن فضل علي وسابقته علمه، ودينه، وشجاعته، وسائر فضائله كانت عندهم ظاهرة معروفة، كفضل إخوانه أبي بكر وعمر وعثمان، وغيرهم(١١٧)، وإضافة إلى ذلك فإن النصوص تمنع من مبايعة خليفة مع وجود الأول، فقد أخرج مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدرى قال: قال رسول الله (ﷺ): «**إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما**»(١١٨)، والنصوص في هذا المعنى كثيرة ومن المحال أن يقدم الصحابة على مخالفة ذلك(١١٩).

٢- قوله: إن عمرو بن العاص صالح معاوية علي أن له مصر طعمة ما بقى، فهذه القصة أخرجها ابن عساكر بسند فيه مجهول(١٢٠)، وذكرها الذهبى بصيغة التمريض وبالتالى تصبح ساقطة لا اعتبار لها.

---

(١١٢) مسند أبي عوانة (٤ / ١١٣)، مسلم (٣ / ١٤٥٨) مع اختلاف في بعض الألفاظ.
(١١٣) قال الحاكم هو لأهل الشام كمالك لأهل المدينة تهذيب التهذيب (٤ / ٦٠).
(١١٤) تاريخ دمشق (١٦ / ٣٦٠).
(١١٥) تاريخ الطبري (٦ / ٧٦).
(١١٦) البداية والنهاية (٨ / ١٦).
(١١٧) فتاوى ابن تيمية (٣٥ / ٧٣).
(١١٨) صحيح مسلم (٣ / ١٤٨٠).
(١١٩) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ص ٤١٢ .
(١٢٠) تاريخ دمشق (١٣ / ٢٦١).

٣- اتهام محمد بن أبي بكر بقتل عثمان رضي الله عنه بمشاقصه، فهذا باطل، وقد جاءت روايات ضعيفة في ذلك، كما أن متونها شاذة لمخالفتها للرواية الصحيحة التي تبين أن القاتل هو رجل مصري(١٢١)، وقد ذكر الدكتور يحيى اليحيى عدة أسباب ترجح براءة محمد ابن أبي بكر من دم عثمان، منها:

أ- أن عائشة رضي الله عنها خرجت إلى البصرة للمطالبة بقتلة عثمان، ولو كان أخوها منهم ما حزنت عليه لما قتل.

ب- لعن علي رضي الله عنه لقتلة عثمان رضي الله عنه وتبرؤه منهم، يقتضي عدم تقريبهم وتوليتهم، وقد ولى محمد بن أبي بكر مصر فلو كان منهم ما فعل ذلك.

ج- ما أخرجه ابن عساكر بسنده عن محمد بن طلحة بن مصرف قال: سمعت كنانة مولى صفية بنت حيي قال: شهدت مقتل عثمان وأنا ابن أربع عشرة سنة، قال: هل أندى محمد بن أبي بكر بشيء من دمه؟ فقال: معاذ الله، دخل عليه، فقال عثمان: يا ابن أخي لست بصاحبي، فخرج، ولم يند من دمه بشيء(١٢٢)، ويشهد لهذا ما أخرجه خليفة بن خياط والطبري بإسناد رجاله ثقات عن الحسن البصري، وكان ممن حضر يوم الدار(١٢٣)، أن ابن أبي بكر أخذ بلحيته، فقال عثمان: لقد أخذت مني مأخذا أو قعدت مني مقعدا ما كان أبوك ليقعده فخرج وتركه(١٢٤)، وبهذا يتبين لنا براءة محمد بن أبي بكر الصديق من دم عثمان براءة الذئب من دم يوسف، كما تبين أن سبب تهمته هو دخوله قبل القتل(١٢٥)، وقد ذكر ابن كثير- رحمه الله- أنه لما كلمه عثمان رضي الله عنه استحى، ورجع، وتندم، وغطى وجهه وحاجز دونه فلم تفد محاجزته(١٢٦).

د- ما ورد من تخويف معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه لمحمد بن أبي بكر بالمثلة، وما ذكر من جعل محمد بن أبي بكر في جيفة حمار وإحراقه، كل هذا لا يستقيم مع أحكام الشرع في القتلى، فقد ورد الزجر عن التمثيل بالكفار فكيف بالمسلمين، أخرج مسلم في صحيحه أن رسول الله (ﷺ) كان إذا أمر أميرا علي جيش أو سرية، أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا، ثم قال: «اغزوا باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا» (١٢٧)، وقال الشافعي: وإذا أسر المسلمون المشركين فأرادوا قتلهم، قتلوهم بضرب الأعناق ولم يجاوزوا ذلك إلى أن يمثلوا

---

(١٢١) فتنة مقتل عثمان (١ / ٢٠٩).
(١٢٢) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ص ٢٤٣ .
(١٢٣) المصدر نفسه ص ٢٤٤، تهذيب الكمال (٦ / ٩٧).
(١٢٤) المصدر نفسه ص ٢٤٤ .
(١٢٥) فتنة مقتل عثمان (١ / ٢٠٩).
(١٢٦) البداية والنهاية (٧ / ١٩٣).
(١٢٧) صحيح مسلم (٣ / ١٣٥٧).

بقطع يد ولا رجل ولا عضو ولا مفصل، ولا بقر بطن، ولا تحريق، ولا تغريق ولا شيء يعدو ما وصفت، لأن رسول الله (ﷺ) «نهى عن المثلة»(١٢٨)، وهل يظن بالصحابة الكرام مخالفة هذا وهم كما وصفهم ابن مسعود: خير هذه الأمة، أبرها قلوبا وأعمقها علما، وأقلها تكلفا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه (ﷺ)، ونقل دينه، فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم، فهم أصحاب محمد (ﷺ)، كانوا على الهدى المستقيم ورب الكعبة(١٢٩)، وقال عنهم ابن أبي حاتم: ندب الله (عز وجل) إلى التمسك بهديهم والجري على مناهجهم، والسلوك لسبيلهم والاقتداء بهم قال: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[النساء: ١١٥](١٣٠).

وأصح رواية جاءت في إحراقه ما أخرجه الطبراني عن الحسن البصري قال: أخذ هذا الفاسق محمد بن أبي بكر في شعب من شعاب مصر فأدخل في جوف حمار فأحرق(١٣١)، وهذه الرواية مرسلة إذ أن الحسن لم يشهد الحادثة ولم يسم لنا من نقل عنه، إضافة إلى أن النص لم يذكر من قام بإحراقه، وأيضا ما كان الحسن أن يرميه بالفسق وهو يعلم ثناء علي رضي الله عنه عليه وتفضيله له(١٣٢).

هـ- ما ذكره من قول علي رضي الله عنه: الفاجر ابن الفاجر يقصد معاوية، فهذا يستبعد صدوره من علي رضي الله عنه، إذ أن الخلاف مع معاوية دون أبيه، وأبو سفيان رضي الله عنه قد أسلم وحسن إسلامه ومات قبل مقتل عثمان رضي الله عنه فلم يدرك الفتنة(١٣٣)، والله (تعالى) يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [فاطر: ١٨]، والصحابة أعلم الناس بكتاب الله وأشدهم وقوفا عند حدوده، فكيف ينسب لهم مثل هذا الفعل(١٣٤).

و- ما ذكره من قول معاوية بن خديج رضي الله عنه لعمرو بن العاص لما طلب ابن أبي بكر وتلاوته لهذه الآية: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾[القمر: ٤٣] فهذا يعني تكفير محمد بن أبي بكر وغيره، وهذا لم يعرف من الصحابة وما كان بينهم لم يصل إلى درجة التكفير، وقد وضح سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه هذا بقوله: إن ما بيننا لم يبلغ ديننا(١٣٥). وأيضا فإن معاوية بن خديج من جند عمرو بن العاص رضي الله عنه وما كان له أن يرفض طلب قائده(١٣٦).

---

(١٢٨) الأم (٤ / ١٦٢) انظر آثار الحرب في الفقه الإسلامي ص ٤٧٩ .
(١٢٩) حلية الأولياء (١ / ٣٠٥).
(١٣٠) مقدمة الجرح والتعديل (١ / ٧).
(١٣١) المعجم الكبير (١ / ٨٤) ورجاله ثقات غير أمية بن خالد فهو صادق.
(١٣٢) الاستيعاب (٣ / ٣٤٨).
(١٣٣) سير أعلام النبلاء (٢ / ١٠٥)، مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ص ٢٤٨ .
(١٣٤) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ص ٢٤٧ .
(١٣٥) فضائل الصحابة (٢ / ٧٥١) وسنده صحيح، مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري ص ٢٤٨ .
(١٣٦) مرويات أبي مخنف ص ٢٤٨ .

ز - ما أورده من قول محمد بن أبي بكر: إن عثمان عمل بالجور ونبذ حكم الكتاب. لم أقف له علي أصل يثبت صحة نسبته إلى ابن أبي بكر، أما إظهار براءة عثمان رضي الله عنه من ذلك فأشهر من أن تذكر(١٣٧)، وقد توسعت فيها في كتابى، تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان.

**ثامنا: ولاية البصرة:**

أرسل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه عثمان بن حنيف الأنصاري أميرا علي البصرة بدلا من عبد الله بن عامر واليها السابق الذي تركها واتجه إلى مكة المكرمة، وقد كان عثمان بن حنيف الأنصاري صاحب خبرة في المنطقة إذ سبق أن عينه عمر علي مسح (السواد) وتقدير الخراج فيه، وقد سار عثمان بن حنيف إلي البصرة ودخلها بسلام(١٣٨)، إلا أن أهل البصرة انقسموا ثلاث فرق، فرقة بايعت ودخلت في الجماعة، وفرقة اعتزلت وقالت ننظر ما يصنع أهل المدينة فنصنعه، وفرقة رفضت الدخول في البيعة(١٣٩) ولم يلبث عثمان بن حنيف طويلا في الولاية، فقد قدم إلى البصرة جيش طلحة والزبير وعائشة قبل معركة الجمل ومعهم ممن خرج للمطالبة بدم عثمان- وتطورت وحدث قتال، وخرج عثمان ابن حنيف إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فلقيه في طريقه إلى البصرة قبيل وقعة الجمل، وبذلك انتهت ولاية عثمان بن حنيف وقد وصل علي بن أبي طالب إلى البصرة ومكث فيها بعضا من الوقت حدثت في أثنائه وقعة الجمل- التي سيأتي تفصيلها بإذن الله (تعالى)- وعندما أراد علي بن أبي طالب الخروج من البصرة ولى عبد الله بن عباس رضي الله عنه، وقد ولى علي مع عبد الله بن عباس زياد بن أبيه علي الخراج، وأمر ابن عباس أن يستشيره ويأخذ برأيه نظرا لما وجد علي عنده من خبرة في العمل وفطانة في السياسة(١٤٠)، وقدم علي بعض النصائح لابن عباس منها قوله: أوصيك بتقوى الله (عز وجل) والعدل علي من ولاك الله أمره، اتسع للناس بوجهك وعلمك وحكمك وإياك والإحن (١٤١)، فإنها تميت القلب والحق، واعلم أن ما قربك من الله بعدك من النار، وما قربك من النار بعدك من الله، واذكر الله كثيرا ولا تكن من الغافلين(١٤٢)، وقد بدأ ابن عباس يمارس عمله في ولايته وهو صحابي عرف بعلمه الواسع في الفقه والتفسير، وقد أثبت مهارة إدارية بتوطيد الأمن في سجستان وهي تابعة لولاية البصرة، وفي إقليم فارس حيث عين زياد بن أبي سفيان واليا عليها، كما أنابه حين خرج من البصرة فتمكن من ضبط الأمن فيها، ويعتبر عبد الله بن عباس من أهم

---

(١٣٧) المصدر نفسه ص ٢٤٨ .

(١٣٨) سير أعلام النبلاء (٢ / ٣٢٠).

(١٣٩) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد علي ص ١٠٧، تاريخ الطبري (٥ / ٤٩٢).

(١٤٠) تاريخ الطبري (٥ / ٥٨٠).

(١٤١) الإحن: الأحقاد.

(١٤٢) وقعة صفين للمنقري ص ١٠٥، الولاية على البلدان (٢ / ١٥).

رجالات أمـير المؤمنين علي وكان يرافـقه في الأحداث الخطيـرة، وينصح له، ويجادل عنه، وكان أميـر المؤمنين علي يعتمد عليـه ويستشيره وقـد استمرت ولاية ابن عبـاس علي البصرة حتى سنة ٣٩ هـ وكـان يعاونه صاحب الشرطة وصاحب الخـراج وقد استمـر ابن عباس في بعض الروايات علي البصرة حتى مقتل علي قـال الطبري في حوادث سنة ٤٠هـ وفيها خرج عبـد الله بن عبـاس من البصرة، ولحق بمكة، فـي قول عامـة أهل السيـرة، وقد أنكر ذلك بعضهم ورغم أنه لم يزل بالبصرة عاملا عليها من قبل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حتى قتل، وبعد مقتل علي صالح الحسن معاوية، ثم خرج إلى مكة(١٤٣).

إن شخصية ابن عـباس كانت شخصية قيادية جمـعت صفات القائد الرباني، من العلم والفطنة والذكاء والصبر، والحزم وغيرها من الصفات إلا إنه اشتهر بالفقه والعلم بسبب دعاء رسول الله له بالفـقه في الدين والعلم بالتأويل، وأخـذه عن كبار الصـحابة، وقوة اجتـهاده وقدرته علي الاستنباط، واهتمامه بالتفسير، ومنهجه المتميز في تعليم أصحابه، وحرصه علي نشر العلم، ورحلاته وأسفاره، وتأخر وفاته وقرب منزلته من عمر رضي الله عنه(١٤٤)، فقد حظى بعناية خاصة من الفـاروق عندما لمس فيه مخايل النجـابة والذكاء والفطنة، فكان يدنيه من مجلسه، ويقربه إليه، ويشاوره، ويأخذ برأيه فيما أشكل من الآيات، وابن عباس ما زال شابا غلاما، فكان لذلك الأثر البالغ في دفعه وحثـه علي التحصيل والتقدم، بل والإكثار في باب التفسيـر وغيره من أبواب العلم، فعن عامر الشعـبى عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال لى أبي: يا بنى إنى أرى أميـر المؤمنين يقربك، ويخلو بك، ويستـشيرك، مع أناس من أصحاب رسول الله، فاحفظ عنى ثلاثا: اتق الله لا تفشين له سرا، ولا يجربن عليك كذبة، ولا تغتـابن عنده أحدا (١٤٥). وكان عمر يدخله مع أكابـر الصحابة، وما ذلك إلا لأنه وجد فيه قـوة الفهم وجودة الفكر، ودقة الاستنبـاط، وقد قال ابن عباس رضي الله عنهـما: كان عمـر يسألنى مع أصـحاب محـمد (ﷺ)، فكان يقـول لى: لا تتكلم حتى يتكلمـوا، فإذا تكلمت قال: غـلبتمـونى أن تأتوا بما جاء به هذا الغـلام الذي لم تجتمع شـؤون رأسه(١٤٦)، وكان ابن عباس لشدة أدبه، إذا جلس في مجلس فيه من هو أسن منه لا يتحدث إلا إذا أذن له، فكان عمر يلمس ذلك منه فيحثه، ويحرضه علي الحديث تنشيطا لنفسه، وتشجيعا له في العلم(١٤٧)، وكان لعمر رضي الله عنه مجلس يسمع فيه الشباب ويعلمهم، وكان ابن عباس من المقدمين عند عمـر، فعن عبد الرحمن بن زيد قال: كـان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا صلى السبحـة، وفرغ دخل مربدا له (١٤٨)، فأرسل إلى فتيـان قد قرؤوا القرآن منهم ابن

---

(١٤٣) تاريخ الطبري (٦ / ٥٦).
(١٤٤) تفسير التابعين (١ / ٣٧٤- ٣٩٥).
(١٤٥) الحلية (١ / ٣١٨) تفسير التابعين (١ / ٣٧٦).
(١٤٦) المستدرك (٣ / ٥٣٩) قال الحاكم: إسناده صحيح ووافقه الذهبي.
(١٤٧) تفسير التابعين (١ / ٣٧٧).
(١٤٨) السبحة: الدعاء وصلاة التطوع، المربد: المكان يجعل فيه التمر.

عباس، قال: فيأتون فيقرؤون القرآن ويتدارسونه فإذا كانت القائلة انصرفنا، قال: فمروا بهذه الآية: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ * وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ * ﴾ [البقرة: ٢٠٦، ٢٠٧]، فقال ابن عباس لبعض من كان إلى جانبه: اقتتل الرجلان فسمع عمر ما قال، فقال: وأي شيء قلت؟ قال: لا شيء يا أمير المؤمنين، قال: ماذا قلت؟ اقتتل الرجلان؟ قال: فلما رأي ذلك ابن عباس قال: أرى ها هنا من إذا أمر بتقوى الله أخذته العزة بالإثم، وأرى من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله، يقوم هذا فيأمر هذا بتقوى الله فإذا لم يقبل، وأخذته العزة بالإثم قال هذا: وأنا أشترى نفسي، فأقتتل، فاقتتل الرجلان، فقال عمر: لله تلادك يا ابن عباس[١٤٩]، وكان عمر رضي الله عنه يسأل ابن عباس عن الشيء من القرآن ثم يقول: غص غواص[١٥٠]، بل كان عمر إذا جاءته الأقضية المعضلة يقول لابن عباس: يا ابن عباس قد طرأت علينا أقضية عضل، وأنت لها، ولأمثالها، ثم يأخذ برأيه، وما كان يدعو لذلك أحدا سواه إذا كانت العضل[١٥١]، وعن سعد بن أبي وقاص قال: ما رأيت أحدًا أحضر فهما، ولا ألب لبًا، ولا أكثر علمًا، ولا أوسع حلمًا من ابن عباس، ولقد رأيت عمر بن الخطاب يدعوه للمعضلات، ثم يقول: عندك قد جاءتك معضلة، ثم لا يجاوز قوله، وإن حوله لأهل بدر من المهاجرين والأنصار[١٥٢]، وكان عمر يصفه بقوله: ذاكم فتى الكهول، إن له لسانا سؤولا، وقلبا عقولا[١٥٣]، يقول طلحة بن عبيد الله: ما كنت أرى عمر بن الخطاب يقدم علي ابن عباس أحدا[١٥٤]، وكان ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ كثير الملازمة لعمر، حريصًا على سؤاله والأخذ عنه، ولذا كان ـ رضي الله عنه ـ من أكثر الصحابة نقلا ورواية لتفسير عمر وعلمه رضي الله عنه وقد أشار بعض أهل العلم إلى أن عامة علم ابن عباس أخذه عن عمر رضي الله عن الجميع[١٥٥]، لقد كان اهتمام عمر به مساعدا له علي المضى قدما في طريق العلم عامة والتفسير خاصة[١٥٦]، ولذلك تشرفت المدرسة المكية في عهد التابعين بحبر الأمة وترجمان القرآن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ[١٥٧]، وكان ابن عباس في عهد عثمان من المقربين إلى الخليفة وقد كلفه بالحج بالناس في العام الذي قتل فيه[١٥٨]، هذا وقد عمل بعض المتأثرين بمدرسة الاستشراق بتشويه صورة حبر الأمة ونسبوا إليه أباطيل وأكاذيب ألصقوها بسيرته علمًا بأن مدرسة الاستشراق فيما يتعلق بالعهد الراشدي وتاريخ

(١٤٩) تفسير الطبري (٤ / ٢٤٥)، الدر المنثور (١ / ٥٧٨).
(١٥٠) فضائل الصحابة لأحمد (١ / ٩٨١) رقم ١٩٤٠ .
(١٥١) تفسير التابعين (١ / ٣٧٩).
(١٥٢) طبقات ابن سعد (٢ / ٣٦٩).
(١٥٣) تفسير التابعين (١ / ٣٧٩)، فضائل الصحابة لأحمد رقم ١٥٥٥ .
(١٥٤) طبقات ابن سعد (٢ / ٣٧٠).
(١٥٥) تفسير التابعين (٢ / ٣٧٠).
(١٥٦) تفسير التابعين (١ / ٥٠٦).
(١٥٧) فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب للصلابي ص ٢٢٠ .
(١٥٨) تاريخ الطبري (٥ / ٤٢٥- ٤٣١).

صدر الإسلام امتداد لمؤرخي الرفض والشيعة الغلاة الذين اختلقوا الروايات والأخبار ولطخوا بها سيرة الصحابة الكرام، فجاء مؤرخو الاستشراق وأحيوا تلك الأخبار الكاذبة، والروايات الموضوعة، وصاغوها بأسلوب حديث ويرفعون شعار الموضوعية والبحث العلمي وكل هذا كذب وزور وقد تأثر به الكثير من الباحثين والأدباء والمؤرخين ولذلك تجد في كتب التاريخ والأدب المعاصر البعيدة عن منهج أهل السنة والموغلة في مناهج المستشرقين، تشويها عجيبا للصحابة، فمثلا، زعمت تلك الكتب بأن عبد الله بن عباس رضي الله عنه نهب أموال المسلمين بالبصرة، وغدر بابن عمه علي رضي الله عنه، وهرب بالأموال المسروقة إلى مكة، وتطلع للانضمام إلى معاوية [159] بعد أن كان مع علي ذكر ذلك دون حياء صاحب كتاب الفتنة الكبرى(علي وبنوه) الدكتور طه حسين والعبارات التي وردت علي لسان طه حسين في كتابه علي وبنوه:

١- قال: وكان لابن عباس من العلم بأمور الدين والدنيا، ومن المكانة في بنى هاشم خاصة وفي قريش عامة، وفي نفوس المسلمين جميعًا، ما كان خليقًا أن يعصمه من الانحراف عن ابن عمه [160].

٢- قال: رأي ابن عباس نجم ابن عمه في أفول، ونجم معاوية في صعود، فأقام في البصرة يفكر في نفسه أكثر مما يفكر في ابن عمه [161].

٣- قال: ولو نسى ابن عباس نفسه قليلا، ولكنه لم ينس نفسه قليلا ولا كثيرا، ولم يضعها بحيث كان يجب عليه أن يضعها منذ قليل، أن يكون واليًا لعلي على مصر من أمصار المسلمين [162]، وغير ذلك من الأكاذيب والترهات التي اعتمد قائلوها علي الروايات الضعيفة والموضوعة. ويكفي شرفا لابن عباس دعاء رسول الله (ﷺ) له: «**اللهم علمه التأويل وفقهه في الدين**» [163].

هذا وقد بدأ ابن عباس يمارس عمله في ولايته علي البصرة بعد خروج علي من البصرة إلى الكوفة، ولحق ابن عباس بعلي قبيل صفين واستخلف علي البصرة زياد بن أبيه [164]، وفي أثناء ولاية ابن عباس علي البصرة قام بالعديد من الأعمال أهمها ترتيب (سجتان) بعد أن قتل واليها علي يد مجموعة من الخوارج حيث بعث إليها ابن عباس بأمر من علي مجموعة من أجناد البصرة تمكنوا من قتل الخوارج فيها وترتيب أمورها وتأمين أهلها سنة ٣٦هـ [165]، كما كان لابن عباس ولأجناد البصرة دور مع علي بن أبي طالب في معركة

---

(١٥٩) أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ ص ١٩١ .

(١٦٠) الفتنة الكبرى ( علي وبنوه) ص ١٢١ .

(١٦١) المصدر نفسه ص١٢٢ .

(١٦٢) المصدر نفسه ص ١٢٦ .

(١٦٣) الطبراني رقم ١٠٥٧٨ ، إسناده صحيح، .

(١٦٤) تاريخ خليفة بن خياط ص ٢٠١ ، الولاية على البلدان (٢ / ١٦).

(١٦٥) الكامل في التاريخ (٢ / ٣٥١، ٣٥٢).

صفين(١٦٦)، كما قام ابن عباس بتنظيم شؤون بعض الأقاليم التابعة لولايته وعين عليها الأمراء من قبله، حيث وجه إلى فارس زياد ابن أبيه فرتبها واستطاع أن ينظم أمورها ويؤدب أهلها بعد عصيانهم (١٦٧)، وفي أيامه غدر أهل إصطخر فقام بغزوهم وتأديبهم (١٦٨)، وفي سنة ٣٨ هـ أرسل معاوية بن أبي سفيان رجلا إلى البصرة ليدعو له بين أهلها، إلا أن زياد ابن أبيه نائب ابن عباس علي البصرة تمكن من مقاومته ومدافعته حتى قتل الرجل في إحدى دور البصرة (١٦٩) وكان ابن عباس يرافق عليا في كثير من تحركاته في نواحي العراق، وإذا وقعت بعض الأشياء لابن عباس في البصرة كان علي يطلعه عليها بالكتب التي كان يرسلها إليه باستمرار ويأخذ رأيه في كثير من القضايا عن طريق المراسلة، كما كان ابن عباس أيضا يكتب لعلي عن شؤون ولايته، كما بعثه علي سنة ٣٨ هـ علي الحج نيابة عنه، وقد استمر ابن عباس في ولاية البصرة إلى استشهاد علي أخذا برأي الطبري في ذلك وقد وجد مجموعة من المساعدين لوالي البصرة أيام علي فيهم القاضي وصاحب الشرطة، وصاحب الخراج وغيرهم كما كانت تتبع ولاية البصرة مجموعة من الأقاليم في بلاد فارس، ومما سبق يتبين لنا أن علي بن أبي طالب بعد مبايعته بادر إلى عزل ابن عامر، والي عثمان علي البصرة، وعين مكانه عثمان بن حنيف ولكن حملة الجمل أحدثت ارتباكا في البصرة وبالتالي خرجت من سيطرة عثمان بن حنيف، فاضطر إلى مغادرتها حتى قدم علي وبعد موقعة الجمل عمل علي على تنظيم أمورها(١٧٠). كما وقعت بعض الاضطرابات في البصرة من جراء حركة الخوارج، وكذلك أثناء محاولة معاوية السيطرة عليها، إلا أن البصرة مع ذلك استمرت إحدى الولايات الإسلامية التابعة لخلافة علي طيلة عصره، ولم يتمكن خصومه من السيطرة عليها(١٧١)، وبرزت في البصرة قدرات ابن عباس القيادية، وقد انتفع بصحبته لعلي رضي الله عنه وتأثر به غاية التأثر وكان أمير المؤمنين علي يتعهده بالنصح والإرشاد والموعظة بين الحين والآخر حتى أن ابن عباس قال: ما انتفعت بكلام أحد بعد رسول الله (ﷺ) كانتفاعي بكتاب كتب به إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فإنه كتب إلي: أما بعد؛ فإن المرء يسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه، ويسره درك ما لم يكن ليفوته، فليكن سرورك بما نلت من أمر آخرتك، وليكن أسفك على ما فاتك منها، وما نلت من دنياك فلا تكثرن به فرحا، وما فاتك منها فلا تأس عليه حزنا، وليكن همك فيما بعد الموت (١٧٢)، وقد كان ابن عباس من أهل القيام، فعن ابن مليكة قال: صحبت ابن عباس من مكة إلى المدينة، فكان يصلي

---

(١٦٦) الولاية على البلدان (١ / ١٦)، تاريخ الطبري (٥ / ٥٩٥ إلى ٦١٥).
(١٦٧) تاريخ الطبري (٦ / ٥٢، ٥٣).
(١٦٨) الأخبار الطوال ص ٢٠٥، الولاية على البلدان (٢ / ١٦).
(١٦٩) الولاية على البلدان (٢ / ١٦)، نقلا عن تاريخ خليفة بن خياط.
(١٧٠) الولاية على البلدان (٢ / ١٧).
(١٧١) الولاية على البلدان (٢ / ١٧).
(١٧٢) صفة الصفوة (١ / ٣٢٧٠).

ركعتين، فإذا ترك، قام شطر الليل، ويرتل القرآن حرفا حرفا، ويكثر في ذلك من النشيج والنحيب(١٧٣)، وقد كان رضي الله عنه غزير الدمعة حتى أثر ذلك على خديه فعن أبي رجاء، قال: رأيت ابن عباس وأسفل من عينيه مثل الشراك البالى من البكاء(١٧٤)، وكان رضي الله عنه يصوم الاثنين والخميس، فعن سعيد بن أبي سعيد، قال: كنت عند ابن عباس، فجاء رجل، فقال: يا ابن عباس، كيف صومك قال: أصوم الاثنين والخميس، قال: ولم؟ قال: لأن الأعمال ترفع فيهما، فأحب أن يرفع عملى وأنا صائم(١٧٥)، وكان كريما جوادا يحفظ لأهل السبق، مكانتهم ومنزلتهم فقد تعرض أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه لأزمة مالية وأثقلته الديون، فنزل علي ابن عباس، ففرغ له بيته، وقال: لأصنعن بك كما صنعت برسول الله (ﷺ)، ثم قال: كم دينك؟ قال: عشرون ألفا فأعطاه أربعين ألفا، وعشرين مملوكا، وكل ما في البيت(١٧٦)، وكان من أبلغ الناس وله قدرة عجيبة علي تفهيم المستمعين فعن الأعمش قال: حدثنا أبو وائل قال: خطبنا ابن عباس، وهو أمير علي الموسم، فافتتح سورة النور، فجعل يقرأ ويفسر، فجعلت أقول ما رأيت ولا سمعت كلام رجل مثل هذا، لو سمعته فارس، والروم، والترك لأسلمت(١٧٧)، وكان رضي الله عنه من أجمل الناس وأفصح الناس، وأعلم الناس، فعن مسروق قال: كنت إذا رأيت ابن عباس، قلت أجمل الناس، فإذا نطق، قلت أفصح الناس، فإذا تحدث، قلت أعلم الناس(١٧٨)، وقال القاسم بن محمد ما رأيت في مجلس ابن عباس باطلا قط(١٧٩)، وقد أصيب رضي الله عنه ببصره قبل وفاته وقد قال في ذلك شعرا:

إن يأخذ الله من عينى نورهما ففي لساني وقلبى منهما نور
قلبى ذكى وعقلى غير ذى دخل وفي فمي صارم كالسيف مأثور(١٨٠)

وابن عباس رضي الله عنه نموذج رائع للعالم الربانى، والقائد المحنك والأمير العادل وهو أحد المؤثرين في الأحداث في عهده وهو باختصار من أفضل النماذج لورثة الأنبياء.

**تاسعا: ولاية الكوفة:**

استشهد عثمان رضي الله عنه وواليه علي الكوفة أبو موسى الأشعرى وبعد مبايعة علي بالخلافة أقر أمير المؤمنين علي أبا موسى الأشعرى علي ولايته، وقد أخذ له البيعة من أهلها

---

(١٧٣) سير أعلام النبلاء (٣ / ٣٥٢).
(١٧٤) المصدر نفسه (٣ / ٣٥٢).
(١٧٥) سير أعلام النبلاء (٣ / ٣٥٢) إسناده فيه ضعف إلا أن فعل ابن عباس ثابت عن النبي (ﷺ) حيث قال: «تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم» رواه الترمذي رقم ٧٤٧ حديث حسن.
(١٧٦) سير أعلام النبلاء (٣ / ٣٥٢) فيه انقطاع.
(١٧٧) المصدر نفسه (٣ / ٣٥١)، الحلية (١ / ٣٢٤).
(١٧٨) المصدر نفسه (٣ / ٣٥١). (١٧٩) المصدر نفسه (٣ / ٣٥١).
(١٨٠) المصدر نفسه (٣ / ٣٥٧).

وكتب له بموقف أهل الكوفة من بيعته، من حيث تقبل الكثير للبيعة (١٨١)، وعندما خرج أمير المؤمنين من المدينة للعراق كان يسأل عن أبي موسى خصوصا، ففي أثناء الطريق إليها لقيه رجل من أهل الكوفة، فسأله علي عن أبي موسى فقال: إن أردت الصلح، فأبو موسى صاحب ذلك، وإن أردت القتال، فأبو موسى ليس بصاحب ذلك، قال: والله ما أريد إلا الإصلاح حتى يرد علينا قال: قد أخبرتك الخبر (١٨٢)، وقد تبين فيما بعد ميل أبي موسى إلى الصلح والمسالمة وعدم القتال بين المسلمين، فقد بعث علي محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر والحسن بن علي وغيرهم في وفود مختلفة لاستنفار أهل الكوفة قبل موقعة الجمل- سيأتي الحديث عنها بالتفصيل لاحقا إن شاء الله (تعالى)- فسأل أهل الكوفة أبا موسى عن الموقف واستشاروه في الخروج فقال: أما سبيل الآخرة فأن تقيموا، وأما سبيل الدنيا فأن تخرجوا وأنتم أعلم (١٨٣)، وقد اقتنع العديد من أهل الكوفة بعد ذلك بالخروج مع الحسن رضي الله عنه بعد محاورات متعددة وطويلة بينهم وبين الحسن، قيل إنه خرج معه قرابة تسعة آلاف رجل (١٨٤)، وتميل العديد من الروايات إلى أن ولاية أبي موسى على الكوفة قد انتهت في هذه الفترة قبيل موقعة الجمل، حيث تذكر بعض الروايات أن الأشتر ـ وكان أحد قواد علي ـ قد طرد أبا موسى وغلمانه من قصر الكوفة وتغلب عليه(١٨٥)، كما ذكرت بعض الروايات أن عليا كتب إلى أبي موسى بعزله، وعين مكانه «قرضة بن كعب الأنصاري» واليا على الكوفة(١٨٦)، ثم إن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قدم الكوفة بعد موقعة الجمل حيث أصبحت الكوفة قاعدة الخلافة وبالتالي كان علي رضي الله عنه هو المسؤول مباشرة عن أحوال الكوفة وما يتبعها من ولايات، وأصبح لهما مكانة خاصة بقية عصره، حيث كانت عاصمة الخلافة ومنها يدير أمير المؤمنين علي مختلف أنحاء الدولة، وإليها تقدم الوفود، ومنها تخرج الأجناد، كما كان ذلك سببا في جذب السكان إليها، ولا شك أن هذا كان له دور كبير في تنشيط الحركة التجارية والعمرانية في الكوفة طيلة خلافة علي، وقد كان رضي الله عنه كثير الاهتمام بالكوفة ويتفقد أهلها بنفسه كما يحرص علي تعيين من ينوب عنه في ولايتها في حال غيابه، فحينما أراد علي الخروج إلى صفين ولى علي الكوفة «أبا مسعود البدري»(١٨٧) وحينما أراد التوجه لقتال الخوارج في «النهروان» (١٨٨)، ولى علي الكوفة «هانى

---

(١٨١) تاريخ الطبري (٥ / ٤٦٧).
(١٨٢) تاريخ الطبري (٥ / ٥١١).
(١٨٣) تاريخ الطبري (٥ / ٥٠٨).
(١٨٤) تاريخ الطبري (٥ / ٥١٧).
(١٨٥) تاريخ الطبري (٥ / ٥١٩).
(١٨٦) الاستبصار لابن قدامة ص ١٢٤، الولاية على البلدان (٢ / ١٩).
(١٨٧) سير أعلام النبلاء (٢ / ٤٩٣).
(١٨٨) هي كورة واسعة بين بغداد وواسط بها العديد من القرى وبها وقعة أمير المؤمنين علي مع الخوارج معجم البلدان (٥ / ٣٢٤).

ابن هوذة النخعي»[١٨٩]، فلم يزل بالكوفة حتى استشهد علي [١٩٠] رضي الله عنه ومما سبق نلاحظ أن الكوفة كانت تدار من قبل الولاة، حتى إذا اتخذها علي رضي الله عنه مقرا للخلافة أصبح هو المسؤول عن ولايتها وأخذ ينيب عنه من يتولى شؤونها في غيابه وأصبحت الكوفة ذات أهمية خاصة نظرا لإقامة أمير المؤمنين فيها [١٩١].

**عاشرا: ولايات الشرق:**

١- فارس: تذكر المصادر أن علي بن أبي طالب ولى علي فارس سهل بن حنيف الأنصاري رضي الله عنه، وقد استمر واليا علي فارس فترة من الوقت، ثم إن أهل فارس عصوا وأخرجوا سهل بن حنيف سنة ٣٧هـ تقريبا، فاتصل علي رضي الله عنه بابن عباس، وتباحث معه في شأن فارس، وكان ابن عباس على البصرة، فاتفق معه بعد استشارة مجموعة من الناس على أن يبعث ابن عباس مساعده زياد بن أبي سفيان علي فارس[١٩٢]، وهنا يبدو الارتباط واضحا بين ولاية البصرة وإقليم فارس، وإحساس ابن عباس بمسؤوليته عن ذلك الإقليم من خلال مباشرته لولاية البصرة، إذ اتفق ابن عباس مع علي علي بعث أحد معاونيه إلى ذلك الإقليم لضبطه وترتيب أموره، وقد توجه زياد إلى فارس يصاحبه أربعة آلاف جندي، فدوخ تلك البلاد وقضى على الفتنة فيها وتمكن من ضبطها [١٩٣] ، وقد اشتهر زياد بمقدرة سياسية فذة مكنته من إعادة الاستقرار إلى تلك البلاد بأقل الخسائر[١٩٤]، يقول الطبري: لما قدم زياد فارس بعث إلى رؤسائها فوعد من نصره ومناه، وخوف قوما وتوعدهم وضرب بعضهم ببعض، ودل بعضهم على عورة بعض، وهربت طائفة، وأقامت طائفة فقتل بعضهم بعضا، وصفت له فارس فلم يلق فيها حميا ولا حربا، وفعل مثل ذلك بكرمان [١٩٥]، ثم رجع إلى فارس فسار في كورها ومناهم فسكن الناس إلى ذلك فاستقامت له البلاد [١٩٦]، وقد قام زياد بتنظيم أمور فارس، وبنى فيها بعض الحصون، وقام بترتيب شؤون الخراج فيها، كما ضبط العديد من البلدان التابعة لولايته حتى أمنت البلاد واستقامت[١٩٧]، وقد استمر زياد واليا على فارس بقية خلافة علي رضي الله عنه، وكان زياد أشهر ولاة علي على فارس نظرا لسياسته وتمكنه من ضبطها [١٩٨]، وقد وجدت بعض

---

(١٨٩) الولاية على البلدان (٢ / ٢٠)، تاريخ خليفة. ١٨٧، ٢٠٢ .
(١٩٠) المصدر نفسه (٢ / ٢٠).
(١٩١) المصدر نفسه (٢ / ٢٠).
(١٩٢) تاريخ الطبري (٦ / ٧١).
(١٩٣) المصدر نفسه (٦ / ٥٣).
(١٩٤) ولاية البلدان (٢ / . ٢١).
(١٩٥) تاريخ الطبري (٦ / ٥٣).
(١٩٦) المصدر نفسه (٦ / ٥٢).
(١٩٧) تاريخ الطبري (٦ / ٥٣).
(١٩٨) الولاية على البلدان (٢ / ٢١)

التقسيمات الإدراية داخل إقليم فارس، فقد ورد ذكر بعض الولاة المختصين ببلدان معينة داخل الإقليم، فقد ذكرت اصطخر وذكر أنه كان من ولاتها المنذر بن الجارود(١٩٩)، وجرت بينه وبين علي بعض المكاتبات (٢٠٠)، كما أن زياد بن أبي سفيان سكنها وتحصن بها بعد مقتل علي رضي الله عنه (٢٠١)، كما ذكرت من بلدان فارس أصبهان التي تعد من أكبر كورها (٢٠٢)، وقد ذكر من ولاتها لعلي محمد بن سليم (٢٠٣)، كما كان من أشهر ولاة أصبهان لعلي «عمر بن سلمة»، وقد قدم بأموال وطعام من أصبهان إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (٢٠٤)، وقد ضربت الدراهم زمن علي في هذه المناطق الفارسية سنة ٣٩ هـ ولا يزال بعض منها محفوظا في المتحف العراقي وتحمل عبارات عربية إضافة إلى تاريخ ضربها(٢٠٥).

٢- خراسان: تعتبر خراسان ولاية واسعة، وقد ارتبطت بطريقة مباشرة أو غير مباشرة بولاية البصرة في عهد الخلفاء الراشدين، وفي خلافة علي رضي الله عنه ورد ذكر العديد من الحوادث التي وقعت في هذه الولاية خلال تلك الفترة، كما ورد بعض ولاتها، وبعض الأمراء على كورها وبلدانها، فقد ورد أن أول ولاة علي على خراسان عبد الرحمن بن أبزى(٢٠٦)، كما كان من ولاة علي على خراسان جعدة بن هبيرة بن أبي وهب (٢٠٧)، وقد بعثه علي رضي الله عنه إلى خراسان، بعد عودته من صفين سنة ٣٧هـ وكان أهل خراسان قد ارتدوا فحاول تأديبهم وتنظيم البلاد مرة أخرى (٢٠٨)، إلا أنه على ما يبدو لم ينجح، فبعث علي أحد قواده إلى خراسان، حتى تمكن من مصالحة أهلها، وضبط أمورها مرة أخرى(٢٠٩)، كما تعد سجستان أحد الأقاليم المجاورة لخراسان، وكلا الإقليمين مرتبطان إلى حد ما بوالي البصرة، وفي الغالب فإن هناك ارتباطًا إداريًا بين الإقليمين، وقد ورد ذكر بعض ولاة سجستان في عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومن هؤلاء عبد الرحمن بن جزء الطائي(٢١٠)، وقد بعثه علي رضي الله عنه إلى سجستان بعد موقعة الجمل، فقام ثوار من صعاليك العرب بقتله، وعاثوا فسادا في البلد، فكتب علي إلى ابن عباس في البصرة أن

---

(١٩٩) الطبقات الكبرى (٥ / ٥٦١) (٧ / ٨٧).
(٢٠٠) تاريخ اليعقوبي (٢ / ٢٠٣)، الولاية على البلدان (٢ / ٢٢).
(٢٠١) الأخبار الطوال ص ٢١٩، الولاية على البلدان (٢ / ٢٢).
(٢٠٢) معجم البلدان (١ / ٢٠٧).
(٢٠٣) الأخبار الطوال ص ١٥٣، الولاية على البلدان (٢ / ٢٢).
(٢٠٤) الكامل في التاريخ (٢ / ٤٤٢).
(٢٠٥) الدراهم الإسلامية للخلفاء الراشدين ص ٥- وداد القزاز.
(٢٠٦) فتوح البلدان ص ٣٩٩ .
(٢٠٧) تهذيب الكمال (١ / ١٩١)، الولاية على البلدان (٢ / ٢٣).
(٢٠٨) فتوح البلدان ص ٣٩٩، الولاية على البلدان (٢ / ٢٣).
(٢٠٩) تاريخ خليفة بن خياط ص ١٩٩، الولاية على البلدان (٢ / ٢٣).
(٢١٠) الولاية على البلدان (٢ / ٢٣).

يوجه أميرا آخر إلى سجستان فوجه ربعى بن كأس العنبرى، فاستطاع القضاء علي ثورة الصعاليك، وقتل زعيمهم وضبط أمور البلاد، واستقر بها إلى أن استشهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه [٢١١]، وكانت همدان: أحد الثغور الشرقية، وقد امتازت أثناء ولاية عثمان بوجود وال مستقل فيها، وتوفى عثمان وعليها جرير بن عبد الله البجلي، وبعد مبايعة علي بالخلافة، ووصوله إلى العراق بعث إلى جرير بن عبد الله في همدان بأمره بأخذ البيعة له بالخلافة على من قبله من الناس والقدوم إليه[٢١٢]، وبعث بالرسالة مع رجل يعتمد عليه وقال: إني بعثت إليك بفلان، فاسأله عن ما بدا لك واقرأ كتابى هذا علي المسلمين[٢١٣]، وقد قدم جرير إلى علي في الكوفة فبعثه إلى معاوية في الشام، ثم عاد مرة أخرى وتعرض للإهانة من قبل بعض أجناد علي، ومنهم الأشتر وغيره فلحق جرير بمعاوية في الشام، وترك ولايته وكان ذلك قبيل موقعة صفين[٢١٤].

٣- أذربيجان: كان الأشعث بن قيس عاملا على أذربيجان حينما توفي عثمان بن عفان، فلما بويع علي بن أبي طالب بالخلافة كتب إلى الأشعث بن قيس أن يبايع له، وأن يأخذ له البيعة على ما قبله [٢١٥]، ويبدو أن عليا رضي الله عنه استقدم الأشعث بن قيس فلحق بعلي في الكوفة، ثم شهد معه المشاهد حيث اشترك معه في صفين [٢١٦]، وفي قتال الخوارج، ويبدو أن عليا رضي الله عنه ولى على أذربيجان خلال هذه الفترة سعيد بن سارية الخزاعى، ثم أعاد الأشعث بن قيس مرة أخرى على أذربيجان، ويظهر أن عليا ضم إليه ولاية أرمينية، كما صرح بذلك البلاذرى[٢١٧]، وقد كانت للأشعث بن قيس بعض الأعمال الهامة أثناء ولاية أذربيجان لعلي ومن ذلك إنزاله مجموعة من العرب من أهل العطاء أردبيل[٢١٨]، وتمصيرها وبناء مسجدها بعد أن انتشر الإسلام بين أهلها [٢١٩]، وقد وردت بعض الأسماء لولاة علي في بعض بلدان المشرق الأخرى، من ذلك أسماء بعض الولاة في الأهواز، ومنهم الخريت بن راشد وقد كان واليا علي بعض بلاد الأهواز قبل صفين، فلما رجع علي من صفين أخذ الخريت يجمع الجنود، ويدعو إلى خلع علي، واستولى علي بعض الأماكن فبلغ ذلك عليا فوجه إليه جيشا تمكن من القضاء علي حركته وقتله [٢٢٠]، وسيأتى

(٢١١) فتوح البلدان ص ٣٨٧، الأخبار الطوال ص ١٥٣، الولاية على البلدان (٢ / ١٥٣).

(٢١٢) تاريخ الطبري (٥ / ٥٩٩).

(٢١٣) الفتوح ابن أعثم الكوفي (٢/٣٦٣) ، الولاية على البلدان (٢ / ١٦٧).

(٢١٤) تاريخ الطبري (٥ / ٦٠٠، ٦٠١).

(٢١٥) تاريخ الطبري (٥ / ٥٩٩).

(٢١٦) تاريخ خليفة بن خياط ص ١٩٣، الولاية على البلدان (٢ / ٢٤).

(٢١٧) فتوح البلدان ص ٢٠٧، الولاية على البلدان (٢ / ٢٤).

(٢١٨) أرديل من أشهر مدن أذربيجان وهي قاعدتها قبل الإسلام واشتهرت بذلك في صدر الإسلام وتقع حاليا على بعد ٦٤ شرق تبريز، معجم البلدان (١ / ١٤٥).

(٢١٩) فتوح البلدان ص ٣٢٤، الولاية على البلدان (٢ / ٢٥).

(٢٢٠) تاريخ اليعقوبي (٢ / ٩٥)، تاريخ الطبري (٦ / ٢٧- ٤٧).

الحديث عنها بالتفصيل بإذن الله (تعالى).

ومن الأمراء لعلي في الأهواز مصقلة بن هبيرة الشيباني [٢٢١]، وقد اشترى أسرى من بعض أجناد علي فأعتقهم، ولم يتمكن من تسديد كامل ثمنهم، ثم فر إلى معاوية في الشام[٢٢٢]، وقد أورد خليفة بن خياط والي لعلي على بلاد السند، وذكر أنه جمع جمعا أيام علي وتوجه إلى السند، بعد أن اجتمع إليه الناس، ولكنه فشل في إحدى المعارك ومن معه، ولم يبق من جيشه إلا عصابة [٢٢٣] يسيرة كما ذكر من ولاة علي (يزيد بن حجية التميمي) وقد استعمله علي على الري بعد صفين، ثم اتهمه علي رضي الله عنه بأنه أخذ من الخراج فحبسه في الكوفة، ثم فر إلى معاوية في الشام [٢٢٤]، وأما المدائن فقد كان عليها سعد بن مسعود الثقفي وقد كان له دور رئيسي في مجابهة الخوارج، ودارت بينه وبين علي وقواده العديد من المراسلات في شأنهم، حيث حاولوا الوصول إلى المدائن [٢٢٥]، وقد اشتهر عن سعد توليته ابن أخيه- المختار بن أبي عبيد الثقفي[٢٢٦]-، على المدائن في حالة غيابه، وقد غضب علي على المختار الثقفي نتيجة تصرفه تصرفا غير شرعي في أموال الخراج[٢٢٧]، ويعتبر سعد من قواد علي المشهورين، ولعل قرب ولايته من الكوفة كان السبب الرئيسي في اشتراكه مع علي في الكثير من المواقع، وقد أورد المؤرخ أبو حنيفة الدينوري بعض الأسماء لولاة علي في مناطق مختلفة [٢٢٨]، وهكذا رأينا فيما سبق أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه بذل جهدًا كبيرًا في تنظيم الولايات، وأنه عانى من الصعوبات والمشكلات الكثيرة في هذه الولاية، فقد خرجت العديد من الولايات من يده كاليمن والحجاز ومصر، كما أنه لم يفرض سيطرته ابتداء على بعض الولايات كالشام وفلسطين وما جاورها، وأما البلاد والولايات التي استمرت تحت حكمه العراق وفارس فقد عانى فيها من المشكلات الكثيرة وعلى رأسها مشكلة الخوارج الذين ظهروا في تلك المناطق خصوصا في السنوات الأخيرة من حكم علي، وبالتالي فإن الاستقرار في تلك المناطق لم يكن تاما، كما أن أهل البلاد الأصليين في بلاد المشرق كفارس وخراسان وسجستان قاموا بالعديد من الثورات التي قتل فيها بعض ولاة علي ومن أبرز المشكلات التي واجهها علي ما وقع له من خلاف مع بعض الولاة، وبالتالي تخلى عن ولاياتهم، كجرير بن عبد الله في همذان، ومفضلة بن هبيرة في الأهواز وغيرهم وهكذا يتضح أن عليا رضي الله عنه قضى مدة خلافته في جهاد داخلي مع

---

(٢٢١) الأنساب للسمعاني (٧ / ٤٣٨)، الولاية على البلدان (٢ / ٢٥).

(٢٢٢) البداية والنهاية (٧ / ٣١٠)، الولاية على البلدان (٢ / ٢٥).

(٢٢٣) تاريخ خليفة ص ٢٠٠، الولاية على البلدان (٢ / ٢٥).

(٢٢٤) نهاية الأرب (٢٠ / ١٩٧)، الولاية على البلدان (٢ / ٢٦).

(٢٢٥) تاريخ الطبري (٥ / ٦٩٠).

(٢٢٦) المصدر نفسه (٥ / ٦٩٠).

(٢٢٧) التمهيد والبيان ص ١٨٦، الولاية على البلدان (٢ / ٢٦).

(٢٢٨) الأخبار الطوال ص ٢٦ نقلا عن الولاية على البلدان (٢ / . ٢٦).

جبهات داخلية منعته في كثير من الأحيان من تنظيم شؤون تلك البلاد كما أراد، وواجهته العديد من العقبات التي بددت طاقته، واستنفدت جهوده رضي الله عنه، وقد شغلت هذه المشكلات اهتمام المؤرخين فركزوا عليها الأضواء وكان هذا على حساب رصدهم للشؤون التنظيمية والإدارية لهذه الولايات[٢٢٩].

(٢٢٩) الولاية على البلدان (٢ / ٢٧) جل هذا المبحث من كتاب الولاية على البلدان للدكتور عبد العزيز العمري وهو من أفضل ما اطلعت عليه في هذا الباب فجزاه الله خيرا.

## المبحث الثاني
## تعيين الولاة في عهد علي رضي الله عنه

بويع علي بالخلافة بعد مقتل أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه، وقد وقع الاضطراب في مختلف أنحاء الدولة نتيجة مقتل عثمان، وبالتالي فإن عليا رضي الله عنه بويع في ظروف صعبة بدأت الدولة الإسلامية خلالها تفقد الشيء الكثير من استقرارها ونشاطها وقد ظهر هذا الاضطراب واضحا في المدينة نفسها، وقد بدأت الأمور تضطرب في مختلف أنحاء الدولة وأحس المستشارون والنصحاء بخطورة ما يقع، فتقدم بعضهم بنصائح إلى علي فيما يمكن أن يفعله من البداية وخصوصا فيما يتعلق بالولاة على البلدان (٢٣٠).

**أولا: موقف علي من ولاة عثمان وتعيينه لأقاربه:**

١ - موقف علي من ولاة عثمان:

كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يدرك إدراكا كاملا، أن من الأسباب الرئيسية للفتنة، عدم رضا مجموعة من الناس عن ولاة عثمان رضي الله عنه، وذلك بسبب ما أشاعه رؤوس الفتنة ضد عثمان وولاته وليس لعجزهم أو ظلمهم، ولكن الكثير من الكتاب المعاصرين في حديثهم عن سياسة علي في تولية الولاة، يستفتحون بقولهم: إن عليا لم يكن ليرضي أن يبقى عمال عثمان علي ولايتهم ساعة واحدة بعد توليه الخلافة، يمنعه من ذلك دينه وأمانته (٢٣١)، وما أفظع هذا الاتهام الموجه ضد عثمان رضي الله عنه وضد عماله وقد نسفته في كتابي تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان وتحدثت عن حقيقة ولاة عثمان في مبحث كامل (٢٣٢)، فمن أراد المزيد فليرجع إليه.

لقد اعتمد من طعن في ولاة عثمان علي روايات واهية ومشهورة وهي: أولا من طريق الواقدي: أن ابن عباس قال: دعاني عثمان فاستعملني علي الحج ثم قدمت المدينة وقد بويع لعلي، فأتيته في داره، فوجدت المغيرة بن شعبة مستخليًا به فحبسني حتى خرج من عنده، فقلت: ماذا قال هذا؟ قال: قال لي قبل مرته هذه: أرسل إلى عبد الله بن عامر، وإلى معاوية، وإلى عمال عثمان بعهودهم تقرهم على أعمالهم، يبايعون لك الناس، فإنهم يهدئون البلادَ ويسكنون الناس، فأبيت ذلك عليه يومئذ وقلت: والله لو كان ساعة من نهار لاجتهدت فيها رأيي، ولا وليت هؤلاء ولا مثلهم يولَّى، قال: ثم انصرف من عندي وأنا أعرف فيه أنه يرى أنه مخطئ، ثم عاد إلى الآن فقال: إني أشرت عليك أول مرة بالذي

(٢٣٠) الولاية على البلدان (٢ / ٢٧، ٢٨).

(٢٣١) الخلفاء الراشدون للنجار ص ٣٧٤ .

(٢٣٢) عثمان بن عفان للصلابي ص ٢٦٤ إلى ٢٨٩ .

أشرت عليك وخالفتني فيه، ثم رأيت بعد ذلك رأيا، وأنا أرى أن تصنع الذي رأيت فتنزعهم وتستعين بمن تثق به، فقد كفي الله، وهم أهون شوكة مما كان، قال ابن عباس: فقلت لعلي أما المرة الأولى فقد نصحك وأما المرة الأخيرة فقد غشك، قال لي علي: ولم نصحني؟ قال ابن عباس: لأنك تعلم أن معاوية وأصحابه أهل دنيا، فمتى تثبتهم لا يبالون بمن ولي الأمر، ومتى تعزلهم يقولون: أخذ هذا الأمير بغير شورى، وهو قتل صاحبنا ويؤلبون عليك، فينقض عليك أهل الشام وأهل العراق، مع أني لا آمن طلحة والزبير أن يكرا عليك فقال علي: أما ما ذكرت من إقرارهم فوالله ما أشك أن ذلك خير في عاجل الدنيا لإصلاحهما، وأما الذي يلزمني من الحق والمعرفة بعمال عثمان فوالله لا أولي منهم أحدا أبدا، فإن أقبلوا فذلك خير لهم، وإن أدبروا بذلت لهم السيف، قال ابن عباس: أطعني وادخل دارك والحق بمالك بينبع، وأغلق بابك عليك، فإن العرب تجول جولة وتضطرب ولا تجد غيرك، فإنك والله لئن نهضت مع هؤلاء اليوم ليحملنك الناس دم عثمان غدا، فأبي علي، فقال لابن عباس: سر إلى الشام فقد وليتكها، فقال ابن عباس: ما هذا برأي، معاوية من بني أمية، وهو ابن عم عثمان رضي الله عنه وعامله علي الشام، ولست آمن أن يضرب عنقي لعثمان، أو أدنى ما هو صانع أن يحبسني فيتحكم علي، فقال له علي: ولم؟ قال: لقرابة ما بيني وبينك، وإن كان ما حمل عليك حمل علي ولكن اكتب إلى معاوية فمنه وعده فأبى علي وقال: والله لا كان هذا أبدا [٢٣٣].

ب- الرواية الثانية: وهي مثل الرواية الأولى في المعنى، وفيها زيادة واختلاف يثير الشك في صحتها، وهو أن ابن عباس قدم مكة بعد مقتل عثمان رضي الله عنه فلقى في طريقه الزبير وطلحة ومعهما فئة من قريش بالنواصف [٢٣٤]، يريد مكة وهذا يخالف الحقيقة، إذ أن عليا بويع بعد أن وصل ابن عباس من الحج وأن الزبير وطلحة قد بايعا عليا فإذا خرج في هذا الوقت يكون قد خرجا قبل البيعة وهذا خطأ واضح جلي [٢٣٥].

ج- الرواية الثالثة: رواية أبي مخنف، رواها بدون إسناد، بأن المغيرة بن شعبة أشار على علي أن يثبت معاوية على الشام، وأن يولي طلحة والزبير، البصرة والكوفة، فاعترض ابن عباس على رأيه لأن البصرة والكوفة عين المال ومصدره، فإذا ولاهما ضيقا على علي، وأن ولاية معاوية الشام لا تنفعه وقد تضره، فاستمع علي إلى رأي ابن عباس، ولم يقبل مشورة المغيرة بن شعبة [٢٣٦].

د- الرواية الرابعة: وردت رواية الواقدي الأولى بشيء من الاختصار عن ابن عبد البر [٢٣٧]، ولكن بدل ابن عباس، الحسن [٢٣٨] إن هذه الروايات يأتي خطرها من حيث إنها

---

(٢٣٣) تاريخ الطبري (٥ / ٤٦١ إلى ٤٦٣). (٢٣٤) تاريخ الطبري (٥ / ٤٦٣).
(٢٣٥) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد علي ص ١٠٣.
(٢٣٦) أنساب الأشراف (٢ / ٣٦). (٢٣٧) الاستيعاب (٢ / ٣٧١) بحاشية الإصابة.
(٢٣٨) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد ص ١٠٣ تاريخ الإسلام للذهبي عهد الخلافة الراشدة ص ٥٣٧.

الأساس الذي بنيت عليه أهم الدراسات المعاصرة، وخرجت منها بنتائج خطيرة تطعن في أكابر الصحابة أهل الشورى، في دينهم وفي عدلهم وأمانتهم، وتصورهم أفرادا ماديين همهم الثروة والسلطان ولو علي حساب دماء المسلمين، وما الفتنة التي أدت إلى مقتل عثمان وما حرب الجمل إلا بسبب هذه الأطماع الشخصية(٢٣٩) ويظهر الاضطراب والنكارة في متن هذه الروايات في جل فقراتها، فقوله: إن ابن عباس قدم المدينة بعد بيعة علي يخالف الروايات الموثوقة في أنه جاء قبل أن يبايع بالخلافة وقد تقدم وقوله: أشار المغيرة علي علي بأن يرسل إلى عبد الله بن عامر، وإلى معاوية، وإلى عمال عثمان بعهودهم يقرهم علي أعمالهم..... يخالف روايات أوثق منها تفيد أن معظم هؤلاء الولاة قد تركوا ولاياتهم واتخذوا سبيلهم إلى مكة، فكيف يرسل إليهم بإثباتهم وهم قد تركوا البلاد؟ قوله: أن عليا قال في هؤلاء الولاة: والله لو كانت ساعة من نهار لاجتهدت فيها رأيي ولا وليت هؤلاء، ولا أمثالهم يولى، يخالفه أن هؤلاء الولاة مؤهلون للإمارة والقيادة، فقد توسعت علي أيديهم الدولة الإسلامية، فعبد الله بن عامر وصلت فتوح البصرة في ولايته إلى كابل عاصمة أفغانستان أما معاوية فلو أنه لم يكن مؤهلا ما ولى عشرين عاما... وقد بينت أن عدم رضا مجموعة من الناس عن عمال عثمان هو بسبب ما أشاعه أهل الفتنة عنهم، وليس لعجزهم، والواقع التاريخي يثبت ذلك وتصور الرواية الواهية المغيرة بن شعبة بالمداهنة والغش، وعدم المبالاة بمصلحة المسلمين، وفي هذا الوقت العصيب بالذات، وهذا لا يوافق أخلاقه وسيرته قبل الفتنة وبعدها كما تصور عن حسن نية أن عليا رضي الله عنه بالجاهل في هذه الأمور السياسية وأن المغيرة وابن عباس هما العارفان بهذه الأمور(٢٤٠)، وأما رواية أبي مخنف، فإن ابن عباس يشير على علي بعزل معاوية وأن ولايته لا تنفعه «سياسيا» بخلاف روايات الواقدي وفيها أن الصحابيين الجليلين طلحة والزبير إذا ولاهما علي مصر والعراق، فسيستأثران بموارده المالية، ولن يراها (٢٤١) الخليفة. إن الروايات السابقة واهية من حيث السند، وهذا كافي في إسقاطها ثم هي مضطربة ومنكرة من حيث المتن، وهي روايات افتراضية إذا حدث كذا فسيحدث كذا، فهي لا تنقل الخبر التاريخي علي حقيقته وللأهواء، وتدخل الراوى بشخصه وميوله الرافضية أثر في ذلك (٢٤٢).

وما قام به أمير المؤمنين علي رضي الله عنه من تعيين ولاة جدد أدعى إلى بيعة الناس في تلك البلاد البعيدة، وليجدد بهم عهد الفتوحات، ويفسح المجال أمام العبقريات الجديدة أن تنطلق وتخدم دين الله (تعالى)(٢٤٣).

إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان يمتلك موهبة قيادية ومعرفة

(٢٣٩) علي وبنوه طه حسين إسلاميات ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٤، عبقرية علي ص ٥٣- ٥٥- ٧٥ للعقاد.
(٢٤٠) خلافة علي بن أبي طالب، عبد الحميد علي ص ١٠٥ .
(٢٤١) المصدر نفسه ص ١٠٦ .
(٢٤٢) المصدر نفسه ص ١٠٦ .
(٢٤٣) علي بن أبي طالب، عبد الستار الشيخ ص ١٧٦ .

بالنفوس والأوضاع القائمة وأنه أقال الولاة ليختار سواهم حسب ما يراه ملائما لتحقيق الانسجام الإداري والسياسي بين الخليفة وأعوانه وقد عزل عمر بعض ولاة أبي بكر، كما عزل عثمان بعض ولاة عمر وبالتالي من حق علي أن يعزل من يرى أن المصلحة متحققة بعزله وتعيين غيره [٢٤٤]، وقد جانب الصواب بعض المؤلفين المعاصرين في قضية عزل علي لولاة عثمان فاشتطت أقلامهم في تفسير هذا الموقف، فمنهم من حمله علي صلابة علي في الحق وضرورة التغيير، ومنهم من حمله علي ضعف خبرة علي السياسية، وأن الأولى سياسيا إبقاء الولاية وخاصة معاوية حتى تستقر الأوضاع وتؤخذ البيعة لعلي في الأمصار، هذه التفسيرات مدارها علي روايات واهية وأخبار ضعيفة تدور حول إبداء المغيرة بن شعبة رأيين متعارضين حول الموقف من الولاية [٢٤٥]، كما أن عليا رضي الله عنه إمام مجتهد له أن يعزل جميع عمال عثمان إذا رأي المصلحة في ذلك، وقد ولى رسول الله (ﷺ) وهو المعصوم خالد ابن سعيد بن العاص علي صنعاء وعمرو بن العاص علي عمان [٢٤٦]، فعزلهما الخليفة من بعده الصديق رضي الله عنه عزل خالد وولى مكانه المهاجر بن أبي أمية له صحبة وعزل عمرا وولى مكانه حذيفة بن محصن- له صحبة [٢٤٧]، وقد ولى أبو بكر رضي الله عنه القائدين العظيمين خالد بن الوليد والمثنى بن حارثة رضي الله عنهما فعزلهما عمر رضي الله عنه مع كفاءتهما [٢٤٨]، وولى الفاروق رضي الله عنه علي مصر عمرو بن العاص رضي الله عنه[٢٤٩]، وعلي الكوفة المغيرة بن شعبة رضي الله عنه [٢٥٠]، فعزلهما ذو النورين، وولى علي مصر ابن أبي سرح [٢٥١]،وعلي الكوفة سعد بن أبي وقاص[٢٥٢]،فهل ينتقد عاقل الصديق والفاروق وذا النورين في عزلهم هؤلاء العمال الأكفاء، إن لكل وقت أحوالا وظروفا تطرأ، فيحمل اللاحق علي ما لا يراه السابق من الاجتهاد، ويرى الشاهد ما لا يراه[٢٥٣] الغائب، وأما قول بعض الكتاب المعاصرين بأن أمير المؤمنين علي عزل جميع عمال عثمان، فإن العزل لم يتحقق إلا في معاوية بن أبي سفيان في الشام [٢٥٤]، وخالد بن أبي العاص بن هشام في مكة [٢٥٥]، وأما البصرة فخرج منها عبد الله بن عامر، ولم يول عثمان

(٢٤٤) عصر الخلافة الراشدة ص ١٢٩ .
(٢٤٥) المصدر نفسه ص ١٥٩ .
(٢٤٦) تاريخ خليفة بن خياط ص ٩٧ .
(٢٤٧) المصدر نفسه ص ١٢٣ .
(٢٤٨) المصدر نفسه ص ١٢٢ .
(٢٤٩) المصدر نفسه ١٥٥ .
(٢٥٠) تاريخ الطبري (٥ / ٤٦٧).
(٢٥١) سير أعلام النبلاء (١ / ٣٣)، الولاية على البلدان (١ / ١ / ١٧).
(٢٥٢) تاريخ الطبري (٥ / ٢٥١).
(٢٥٣) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (٢ / ٩٩).
(٢٥٤) المعجم الكبير للطبراني (١٢ / ٢٦١)، مصنف ابن أبي شيبة (١٥ / ٨١) رجاله رجال الصحيح.
(٢٥٥) تاريخ ابن خياط ص ٢٠١ الولاية على البلدان (٢ / ٣).

عليها أحدا،[٢٥٦] وفي اليمن أخذ أميرها يعلي بن منبه رضي الله عنه مال جباية اليمن وقدم مكة بعد مقتل عثمان وانضم إلى طلحة والزبير وحضر معهم موقعة الجمل، ووفد ابن أبي سرح عامل مصر واستناب ابن عمه عليها، فلما رجع إليها وجد ابن أبي حذيفة تغلب عليها فطرده عنها، فذهب إلى الرملة بفلسطين ومكث بها حتى مات[٢٥٧] وهكذا فإن أميرا اليمن والبصرة عزلا أنفسهما، وأمير مصر عزله المتغلب عليها ابن أبي حذيفة، وأمير الكوفة أقره علي رضي الله عنه في منصبه، فلم يرد العزل حقيقة إلا في حق معاوية والي الشام وخالد ابن أبي العاص والي مكة، كما أن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ولى أخيار الناس علي المسلمين، فمن الولاة الذين ولاهم علي الأقاليم سهل بن حنيف علي الشام وهو صحابي جليل شهد بدرًا وأحدًا، وثبت مع النبي (ﷺ) يوم أحد حين انكشف الناس وبايعه علي الموت، وجعل ينضح بالنبل عن رسول الله (ﷺ) وشهد أيضا الخندق والمشاهد كلها مع رسول الله (ﷺ) [٢٥٨]، وولي عثمان بن حنيف علي البصرة، وهو صحابي من الأنصار كان عاملا لعمر على العراق [٢٥٩]، كما ولى قيس بن سعد بن عبادة علي مصر[٢٦٠]، وكان صاحب شرطة النبي (ﷺ) وكان جوادا من ذوى الرأي والذكاء [٢٦١]، وولى عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب علي اليمن له صحبة [٢٦٢]، وهو أصغر من أخيه بسنة، وكان كريما[٢٦٣] ممدحا نبيلا، وأما قول بعض الكتاب: إنه عزل العمال قبل أن تصل إليه بيعة أهل الأمصار، فإن تولية الإمام العمال على الأمصار غير مشروطة بوصول بيعة أهلها له عند جميع المسلمين، فمتى بايع أهل الحل والعقد أي خليفة لزمت بيعته جميع البلدان النائية عن مركز خلافته شرعا وعقلا، ولو كانت تولية الخليفة العمال على الأمصار متوقفة علي وصول بيعة أهلها له ما تمت بيعة الصديق رضي الله عنه لأنه تصرف بإرسال بعث أسامة ومحاربة المرتدين ومانعى الزكاة قبل وصول بيعة أهل مكة والطائف وجواثي في البحرين، وكذلك الفاروق رضي الله عنه فإنه استهل خلافته بعزل خالد بن الوليد وتولية أبي عبيدة بن الجراح قائدا عاما علي جيوش المسلمين بالشام قبل وصول بيعة أهل اليمن وجيوش المسلمين بالشام والعراق إليه، وتصرف ذو النورين رضي الله عنه في أمور المسلمين أيضا قبل بيعة الأمصار إليه[٢٦٤].

---

(٢٥٦) سير أعلام النبلاء (٣ / ٣٥)، الإصابة ترجمة ٤٧١١ .
(٢٥٧) تحقيق مواقف الصحابة (٢ / ١٠٠).
(٢٥٨) الطبقات (٣ / ٤٧١).
(٢٥٩) التاريخ الكبير للبخاري (٣ / ٢ / ٢٠٩).
(٢٦٠) النجوم الزاهرة (٢ / ٩٤)، ولاة مصر ص ٤٤ .
(٢٦١) الإصابة (٣ / ٢٤٩)، تحقيق مواقف الصحابة (٢ / ١٠١).
(٢٦٢) تاريخ خليفة ص٢٠٠، تحقيق مواقف الصحابة (٢ / ١٠١).
(٢٦٣) سير أعلام النبلاء (٣ / ٥١٢).
(٢٦٤) تحقيق مواقف الصحابة (٢ / ١٠١).

٢- تعيين أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بعض أقاربه على الولايات:

تحدث الكتاب المعاصرون عن قضية تولية الأقارب على الولايات في خلافتي عثمان وعلي، حيث إن عثمان عين عددًا من الولاة وقد تم تبيين ذلك وكانوا خمسة من بني أمية من ثمانية عشر واليا وعندما توفي عثمان لم يكن من بني أمية من الولاة إلا ثلاثة وهم معاوية وعبد الله بن سعد بن أبي السرح، وعبد الله بن عامر بن كريز فقد عزل عثمان الوليد بن عقبة وسعيد بن العاص ولكنه عزلهما من أين؟ من الكوفة التي عزل منها عمر سعد بن أبي وقاص، الكوفة التي لم ترض بوال أبدا، إذ عزل عثمان رضي الله عنه لأولئك الولاة لا يعتبر مطعنا فيهم بل مطعن في المدينة التي ولوا عليها[٢٦٥]. ثم إن الولاة الذين ولاهم عثمان رضي الله عنه من أقاربه قد أثبتوا الكفاءة والمقدرة في إدارة شؤون ولاياتهم، وفتح الله على أيديهم الكثير من البلدان وساروا في الرعية سيرة العدل والإحسان، ومنهم من تقلد مهام الولاية قبل ذلك في عهد الصديق والفاروق رضي الله عنهما[٢٦٦]، وقد قام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه بالسير على منهج عثمان في تولية أصحاب الكفاءة والمقدرة والصلاح من الأقارب على الولايات وهم من أبناء عمه العباس بن عبد المطلب وهم على التوالي: عبد الله ابن عباس، وعبيد الله بن عباس وقثم وتمام ابنا العباس ومحمد بن أبي بكر ربيبه والتحقيق يثبت أن كلا من علي وعثمان عينا من يغلب على ظنهما كفاءته، وغيرهم ولا يتصور أنهما قدما الأقارب بسبب القرابة، وكانت الظروف التي تسود الولايات تقتضي اختيارًا دقيقًا للولاة من حيث القوة والأمانة، فلا تزال الفتوحات في الأقاليم الشرقية غير مستقرة، فضلا عن مشكلات الخوارج في خلافة علي[٢٦٧]، ولو تأملنا في أنساب ولاة علي لوجدنا أحد عشر واليا منهم من الأنصار من بين ستة وثلاثين واليا، وسبعة منهم من قريش- بينهم أربعة من أبناء العباس بن عبد المطلب وهذه قائمة بأسماء الولاة في خلافة علي[٢٦٨]:

١- سهل بن حنيف الأنصاري (المدينة).

٢- تمام بن العباس بن عبد المطلب (المدينة).

٣- أبو أيوب الأنصاري (المدينة).

٤- أبو قتادة الأنصاري (المدينة).

٥- قثم بن العباس بن عبد المطلب (مكة والطائف).

٦- عمر بن أبي سلمة (البحرين).

٧- قدامة بن العجلان الأنصاري (البحرين).

---

(٢٦٥) حقبة من التاريخ ص ٧٥، عثمان بن عفان للصلابي ص ٢٦٥، هناك تحقيق موسع في المسألة.

(٢٦٦) تحقيق مواقف الصحابة (١ / ٤١٧).

(٢٦٧) عصر الخلافة الراشدة ص ١٢٩ .

(٢٦٨) المصدر نفسه ص ١٢٩ .

٨- النعمان بن العجلان الأنصاري (البحرين).
٩- عبيد الله بن عباس (اليمن والبحرين).
١٠- سعيد بن سعد بن عبادة الأنصاري (الجند).
١١- مالك بن الأشتر (الجزيرة ثم مصر).
١٢- شبيب بن عامر (الجزيرة).
١٣- كميل بن زياد النخعي (الجزيرة).
١٤- محمد بن أبي حذيفة بن عتبة (مصر).
١٥- قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري (مصر).
١٦- محمد بن أبي بكر الصديق (مصر).
١٧- عثمان بن حنيف الأنصاري (البصرة).
١٨- عبد الله بن عباس (البصرة).
١٩- أبو الأسود الدؤلي (البصرة).
٢٠- هانى بن هوذة النخعي (الكوفة).
٢١- أبو موسى الأشعري (الكوفة).
٢٢- أبو مسعود البدري (الكوفة).
٢٣- قرظة بن كعب الأنصاري (الكوفة).
٢٤- سهل بن حنيف الأنصاري (فارس).
٢٥- زياد بن أبي سفيان (فارس).
٢٦- المنذر بن الجارود (اصطخر).
٢٧- عمر بن سلمة (أصبهان).
٢٨- محمد بن سليم (أصبهان).
٢٩- خليد بن قرة التميمي (خراسان).
٣٠- عبد الرحمن بن أبزى (خراسان).
٣١- جعدة بن هبيرة بن أبي وهب (خراسان).
٣٢- عبد الرحمن بن جزء الطائي (سجستان).
٣٣- ربعى بن كأس العنبري (سجستان).
٣٤- جرير بن عبد الله البجلي (همذان).
٣٥- الأشعث بن قيس الكندي (أذربيجان).

٣٦- سعيد بن سارية الخزاعي (أذربيجان).
٣٧- الخريت بن راشد الناجي (الأهواز).
٣٨- مصقلة بن هبيرة الشيباني (الأهوار).
٣٩- يزيد بن حجية التميمي (الري).
٤٠- سعد بن مسعود الثقفي (المداين).
٤١- الحارث بن مرة العبدي (السند) [٢٦٩].

إن عثمان وعلي رضي الله عنهما خلفاء راشدون يقتدى بهما، وأفعالهما تشكل سوابق دستورية في هذه الأمة، فكما أن عمر سن لمن بعده التحرج من تقريب الأقربين، فإن عثمان وعلي سنا لمن بعدهما تقريب الأقربين إذا كانوا أهل كفاءة [٢٧٠].

**ثانيا: مراقبة أمير المؤمنين علي لعماله وبعض توجيهاته:**

دأب أمير المؤمنين علي رضي الله عنه علي مراقبة ولاته وتتبع أحوالهم في ولاياتهم والسؤال عنهم، وقد اتبع لذلك عدة أساليب منها أنه كان يبعث مفتشيه إلى هؤلاء الولاة فيسألون عنهم الناس، وقد يسأل بعض العمال عن بعض ويأمرهم بتفقد أمورهم، فقد كتب إلى كعب بن مالك: أما بعد؛ فاستخلف علي عملك، واخرج في طائفة من أصحابك حتى تمر بأرض كورة السواد فتسأل عن عمالي وتنظر في سيرتهم [٢٧١]، كما كان علي رضي الله عنه يعتمد علي تقارير سرية يبعثها إليه مفتشوه علي هذه الولايات ولا يعرف الولاة مهمتهم [٢٧٢]، وقد يكون هؤلاء المراقبون من موظفي الوالي أو آخرين مجهولين وقد يكونون مقيمين في الولاية أو متنقلين من ولاية إلى أخرى، ويدل علي وجود هذه التقارير السرية ما كان يكتبه علي رضي الله عنه إلى هؤلاء الولاة ولعل تدخل بعض الأشخاص بين أمير المؤمنين وولاته هو السبب في ترك بعضهم للولاية ورفضهم للعمل، كتدخل الأشتر بين علي وجرير بن عبد الله البجلي، وتدخل بعض الناس بين علي ومصقلة بن هبيرة [٢٧٣]، وقد فتح علي رضي الله عنه الباب علي مصرعيه لأي شكوى تقدم إليه ضد أحد من ولاته، وكان إذا بلغه عن أحد منهم شكاية قال: اللهم إني لم آمرهم أن يظلموا خلقك أو يتركوا حقك [٢٧٤]، وقد قام رضي الله عنه بحبس أحد الولاة وتأديبه وضربه بالدرة حينما بلغته شكاية عنه [٢٧٥]، وثبتت التهمة وقد كان أمير المؤمنين علي دائم النصح لولاته، وقد نصح علي رضي الله عنه

(٢٦٩) عصر الخلافة الراشدة ص ١٣٠، ١٣١، ١٣٢.
(٢٧٠) الأساس في السنة وفقهها سعيد حوي (٤ / ١٦٧٥)، عثمان بن عفان للصلابي ص ٣٦٥.
(٢٧١) تاريخ اليعقوبي (٢ / ٢٠٤).
(٢٧٢) الولاية على البلدان (٢ / ٣٣).
(٢٧٣) تاريخ الطبري (٥ / ٦٠٠، ٦٠١).
(٢٧٤) الفتاوى (٢٨ / ١٥١).
(٢٧٥) الولاية على البلدان (٢ / ٣٤) نقلا عن الكامل لابن الأثير.

مجموعة من الولاة منهم قيس بن سعد، حين ولاه علي مصر حيث أوصاه: تأتيها ومعك جند، فإن ذلك أرعب لعدوك، وأعز لوليك فإذا أنت قدمتها إن شاء الله فأحسن إلى المحسن واشتد على المريب وارفق بالعامة والخاصة فإن الرفق يمن(٢٧٦)، ومن نصائحه إلى قيس بن سعد في إحدى رسالاته: أما بعد؛ فاقبل علي خراجك بالحق وأحسن إلى جندك بالإنصاف، وعلم من قبلك مما علمك الله (٢٧٧)، وقد كانت بعض العهود المرسلة للبلدان في تعيين الولاة تشتمل على بعض النصائح والتوجيهات، ومن ذلك عهد علي إلى محمد بن أبي بكر في ولاية مصر الذي قرأه على الناس، فقد كان يحتوى على جملة من النصائح للعامة وللوالي نفسه (٢٧٨)، وكانت تجري بين علي وبين ولاته العديد من الاتصالات سواء بالمراسلة الخطية أو الشفهية أو بالاتصال المباشر وبالدرجة الأولى أثناء قدوم هؤلاء الولاة إلى الكوفة لمقابلة أمير المؤمنين علي أو للاشتراك معه في قتال الخوارج وغيرهم ولم يؤثر عن أمير المؤمنين أنه حج واتصل بولاته في الحج بعد مبايعته، كما كان يفعل الخلفاء السابقون، وإنما كان ينيب عنه في ذلك بعض من يثق فيهم كأبناء العباس وغيرهم، وكان ولاة المشرق أكثر ولاة علي اتصالاً به، نظراً لقربهم من الكوفة وتكرار وفودهم إليها، وكان علي كثيراً ما يكتب أوامر تصدر على شكل نصائح تبين لهم طريقة العمل، وقد كان بعضها مكتوباً، وبعضها مشافهة، فقد جاء في أحد كتب أمير المؤمنين إلى عماله فإنكم خزان الرعية ووكلاء الأمة، وسفراء الأئمة، ولا تجشموا أحداً عن حاجته، ولا تحبسوه عن طلبته، ولا تبيعن الناس في الخراج كسوة شتاء، ولا صيف، ولا دابة يعملون عليها، وعبداً، ولا تضربن أحداً سوطاً لمكان درهم ولا تمس مال أحد من الناس مصلّ ولا معاهد(٢٧٩)، وتقدم بعض الدهاقين بشكوى إلى علي من أحد عماله فكتب إلى ذلك العامل: أما بعد فإن دهاقين أهل بلدك شكوا منك غلظة وقسوة واحتقاراً وجفوة ونظرت فلم أرهم لأن يدنوا لشركهم، ولا أن يقصوا ويجفوا لعهدهم، فالبس لهم جلباباً من اللين تشوبه بطرف من الشدة وداول لهم بين القسوة والرأفة وامزج لهم بين التقريب والإدناء، والإبعاد والإقصاء إن شاء الله(٢٨٠).

**ثالثاً: الصلاحيات الممنوحة للولاة في عهد علي رضي الله عنه:**

امتنع أمير المؤمنين علي على تسليم جميع السلطات بيد شخص واحد، فكان مبدأه توزيع السلطات وتحديد الصلاحيات فقد نصب ابن عباس واليًا على البصرة، ونصب زياد على الخراج وبيت المال، ولم يكتف بهذا بل أمر ابن عباس أن يسمع منه ويطيع(٢٨١)، وهذا قمة الضبط الإداري فزياد يطيع ابن عباس في إطار ولايته على البصرة وابن عباس يطيع زياد

(٢٧٦) الولاية على البلدان (٢ / ٣٦).
(٢٧٧) الولاية على البلدان (٢ / ٣٦).
(٢٧٨) تراث الخلفاء الراشدين ص ١٥٦ .
(٢٧٩) نهج البلاغة (٢ / ١٥٥).
(٢٨٠) نهج البلاغة (٢ / ١٥٥).
(٢٨١) تاريخ الطبري (٥ / ٥٨٠).

في إطار عمله في بيت المال والخراج، أما لشؤون القضاء فقد نصب أبا الأسود الدؤلي[٢٨٢].

ومن خلال عهد أمير المؤمنين علي الذي كتبه لمالك بن الأشتر يمكن أن نلاحظ الصلاحيات الممنوحة للولاة ونحاول أن نجعل الصورة أكثر وضوحًا مع التفصيل:

**١- تعيين الوزراء:**

يقول أمير المؤمنين في عهده لمالك بن الأشتر: إن شر وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيرًا ومن شركهم في الآثام فلا يكونن لك بطانة [٢٨٣]، فإنهم أعوان الأئمة، وإخوان الظلمة وأنت واجد منهم خير الخلف [٢٨٤]، ممن له مثل آرائهم ونفاذهم، ويبين عليه مثل آصارهم وأوزارهم [٢٨٥]، ممن لم يعاون ظالمًا علي ظلمه ولا آثمًا علي إثمه، أولئك أخف عليك مؤونة، وأحسن لك معونة، وأحنى عليك عطفًا، وأقل لغيرك إلفًا [٢٨٦]، ففي هذا النص الذي أورده أمير المؤمنين علي بصورة نصائح أورد فيه النقاط والحقائق الآتية:

أ- تعيين الوزراء من صلاحيات الوالي.

ب- الشروط التي يجب أن يختار الوالي وزراءه بموجبها.

جـ- طريقة التعامل والعلاقة المتبادلة بين الوالي والوزير.

د- وظيفة الوزير.

أما عدد الوزراء فلم يذكره أمير المؤمنين علي بل اكتفي بلفظ الجمع، ويظهر أن عددهم يرتبط بمقدار حاجة الوالي إلى المعاونين؛ لأن عمل الوزير هو مساعدة الوالي في وظائفه وهناك شروط حددها أمير المؤمنين علي: ألا يكون وزيرًا سابقًا للولاة الأشرار، وينتخب الوالي من مجموع وزرائه وزيرًا واحدًا يكون نائبه ومساعده في تمشية الأمور، ويجب أن يختاره من بين وزرائه علي أساس [٢٨٧] قول أمير المؤمنين: ثم ليكن آثرهم عندك أقولهم بمر الحق لك [٢٨٨]، وأقلهم مساعدة فيما يكون منك مما كره الله لأوليائه واقعًا ذلك من هواك حيث وقع [٢٨٩]، وأما وظائفهم فهي تدخل في دائرة (المساعدة)، وأما تحديد تفاصيل هذه الدائرة فيوكل إلى الوالي الذي يقرر وظائف وزرائه حسب الحاجة إليهم، ويكون ارتباط الوزراء بالوالي بصورة مباشرة [٢٩٠].

---

(٢٨٢) تاريخ خليفة بن خياط ص ٢٠٠ .

(٢٨٣) بطانة الرجل: خاصته والأئمة: جمع آثم، والظلمة: جمع ظالم.

(٢٨٤) الخلف: بمعنى البدل.

(٢٨٥) الآصار: جمع إصر وهو الذنب والإثم وكذلك الأوزار.

(٢٨٦) الإلف: الألفة والمحبة.

(٢٨٧) الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي د. محسن الموسوي ص ٢٦١ .

(٢٨٨) مرارة الحق: صعوبته على نفس الوالي.

(٢٨٩) نهج البلاغة شرح محمد عبده ص ٦٠٩ .

(٢٩٠) الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي ص ٢٦١ .

**٢- تشكيل مجالس الشورى:**

وذلك بالاستعانة بالعلماء والحكماء وهم أهل الحل العقد، وأهل الخبرة، فقد ورد في حقهم هذا النص: وأكثر مدارسة العلماء، ومناقشة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك وإقامة ما استقام به الناس قبلك[٢٩١].

وفي هذا النص التأكيد على جمع العلماء والحكماء في مجالس استشارية منتظمة ويمكن أن يجري تعيينهم من قبل الوالي أو يتم انتخابهم من قبل الناس، فليس هناك تحديد من أمير المؤمنين عن طبيعة تشكيل هذه المجالس بل اكتفي أمير المؤمنين بالمطالبة من واليه، وأكثر مدارسة العلماء ومناقشة الحكماء، أما كيف تم جمعهم، هل اجتمعوا بأمر من الوالي أو يتم انتخابهم من قبل الناس فهذا أمر لم يبت فيه أمير المؤمنين علي بل تركه متعلقًا حسب الظروف التي تتحكم في طريقة تعيينهم إما باختيار الوالي أو انتخاب الناس وأما وظيفة هذا المجلس فهو الدراسة والبحث لتحديد السياسات العامة بخصوص الأمرين:

**أ- تثبيت ما صلح عليه البلاد.**

**ب- إقامة ما استقام عليه الناس من قبل الوالي.**

وهذا يعني وضع الخطوط العريضة لكل ما يتعلق بإصلاح أوضاع البلاد والعباد، سواء كان ذلك في مصرف بيت المال أو تعيين الإداريين، أو تقديم الخدمات للأصناف من تجار وصناع ومزارعين، وهذا المجلس أشبه ما يكون بالمجالس المحلية التي تقام في الدول التي يقوم نظامها علي اللامركزية [٢٩٢]، وفي نص آخر يذكر أمير المؤمنين صفات هؤلاء المستشارين والمعاونين: ثم ألصق بذوي المروءات والأحساب وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة، ثم أهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة، فإنهم جماع من الكرم وشعب من العرف[٢٩٣]، وذكر أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أهمية الاهتمام بهم وتفقد أحوالهم وأمورهم فقال: ثم تفقد من أمورهم ما يتفقد الوالدان من ولدهما، ولا يتفاقمن في نفسك شيء قويتهم به[٢٩٤]، ولا تحقرن لطفًا تعاهدتهم به [٢٩٥]، وإن قل ؛ فإنه داعية لهم إلى بذل النصيحة لك وحسن الظن بك، ولا تفقد لطيف أمورهم اتكالاً على جسيمها، فإن لليسير من لطفك موضعًا ينتفعون به، وللجسيم موقعًا لا يستغنون عنه[٢٩٦].

**٣- إنشاء الجيش وتجهيزه:**

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لمالك بن الأشتر النخعي: وليكن آثر رؤوس جندك

---

(٢٩١) نهج البلاغة شرح محمد عبده ص ٦١ .

(٢٩٢) الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي ص ١٦١ .

(٢٩٣) نهج البلاغة شرح محمد عبده ص ٦١٢ .

(٢٩٤) تفاقم الأمر: عظم، فهم مستحقون لكل خير.

(٢٩٥) أي لا تعد شيئا من تلطفك معهم حقيرا فتتركه لحقارته فكل تلطف له موقع في قلوبهم.

(٢٩٦) نهج البلاغة شرح محمد عبده ص ٦١٣ .

عندك(٢٩٧) من واساهم في معونته، وأفضل عليهم من جدته بما يسعهم ويسع من وراءهم من خلوف أهليهم حتى يكون همهم همًا واحدًا في جهاد العدو، فإن عطفك عليهم(٢٩٨)، يعطف قلوبهم عليك (٢٩٩) والذي يظهر من هذا النص:

أ- لا بد من وجود قوة عسكرية تدافع عن الولاية.

ب- تشكيل هذه القوة وإعدادها من مسؤولية الوالي، ويجري الإنفاق عليها من بيت مال الولاية.

جـ- تعيين رؤساء الجند من مسؤولية الوالي، وهناك شروط على الوالي العمل بموجبها عند اختيار رؤساء الجند، فلا بد من رعايتهم والاهتمام بهم حتى يكون همهم هما واحدا في جهاد العدو(٣٠٠)، فإن عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك(٣٠١).

**٤- ترسيم السياسة الخارجية في مجال الحرب والسلم:**

يقول أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لواليه مالك بن الأشتر: ولا تدفعن صلحًا دعاك إليه عدوك ولله فيه رضى فإن في الصلح دعة لجنودك(٣٠٢)، وراحة من همومك وأمنا لبلادك ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه فإن العدو ربما قارب ليتغفل(٣٠٣)، فخذ بالحزم، واتهم في ذلك حسن الظن، وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة أو ألبسته منك ذمة(٣٠٤)، فحط عهدك بالوفاء وارع ذمتك بالأمانة واجعل نفسك جنة دون ما أعطيت (٣٠٥)، فإنه ليس من فرائض الله شيء الناس أشد عليه اجتماعا - مع تفرق أهوائهم وتشتت آرائهم - من تعظيم الوفاء بالعهود(٣٠٦)، وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استوبلوا من عواقب الغدر(٣٠٧)، فلا تغدرن بذمتك، ولا تخيسن بعهدك (٣٠٨)، ولا تختلن عدوك، فإنه لا يجترئ علي الله إلا جاهل شقي، وقد جعل الله عهده وذمته أمنًا أفضاه بين العباد برحمته(٣٠٩)،

---

(٢٩٧) أي أفضل وأعلى منزلة من واسى الجند وساعدهم.

(٢٩٨) أي على الرؤساء.

(٢٩٩) نهج البلاغة شرح محمد عبده ص ٦١٣ .

(٣٠٠) الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي ص ٢٦٥ .

(٣٠١) نهج البلاغة شرح محمد عبده ص ٦١٣ .

(٣٠٢) الدعة: الراحة.

(٣٠٣) قارب: أي تقرب منك بالصلح ليلقي عليك غفلة عنه فيغدر بك فيها.

(٣٠٤) الذمة: العهد.

(٣٠٥) أي الوقاية أي حافظ على ما أعطيت من العهد بروحك.

(٣٠٦) أي أن الناس لم يجتمعوا على فريضة من فرائض الله أشد من الوفاء بالعهود.

(٣٠٧) لأنهم وجدوا عواقب الغدر وبيلة أي مهلكة.

(٣٠٨) خاس بعهده: خان ونقضه، والختل الخداع.

(٣٠٩) أفضاه هنا بمعنى أفشاه.

وحريما يسكنون إلى منعته ويستفيضون إلى جواره (٣١٠)، فلا إدخال ولا مدالسة (٣١١)، ولا خداع فيه ولا تعقد عقدًا تجوز فيه العلل (٣١٢)، ولا تعولن علي لحن قول بعد التأكيد والتوثقة، ولا يدعونك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله إلى طلب انفساخه بغير الحق، فإن صبرك علي ضيق أمر ترجو انفراجه وفضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته وأن تحيط بك من الله فيه طلبة(٣١٣)، فلا تستقبل فيها دنياك ولا آخرتك(٣١٤).

**واستنادًا لهذا النص يقوم الوالي:**

١- عقد معاهدة الصلح مع الدول والأمم المجاورة.

٢- أخذ الاستعداد للحرب، وأخذ الحيطة عند الضرورة وبين هذين الأمرين تجري مفردات كثيرة من تبادل الرسائل، وتبادل الوفود، وتبادل الزيارات وعقد الحوارات (٣١٥).

٣- الوفاء بالعهد عند المسلمين قاعدة أصولية من قواعد الدين الإسلامي التي يجب علي كل مسلم أن يلتزم بها (٣١٦)، كما أن الوفاء بالعهود والمواثيق لم يكن عند أمير المؤمنين علي مجرد نظرية مكتوبة علي الورق ولكنه كان سلوكا عمليا في حياته بالوفاء بالعهود، وحذر الله من نقض الأيمان بعد توكيدها في كثير من الآيات القرآنية قال (تعالى): ﴿ **وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ** ﴾ [النحل: ٩١].

وقال (جل وعلا): ﴿ **وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً** ﴾[الإسراء: ٣٤].

**٥- الحفاظ علي الأمن الداخلي:**

وذلك بانتهاج السياسات السلمية، كتب أمير المؤمنين إلى بعض عماله: أما بعد؛ فإن دهاقين أهل بلدك شكوا منك غلظة وقسوة واحتقارا وجفوة، فالبس لهم جلبابا من اللين تشوبه بطرف من الشدة وداول لهم بين القسوة والرأفة، وامزج لهم بين التقريب والإدناء والإبعاد والإقصاء(٣١٧). وتأتي هذه السياسة للحفاظ علي الأمن الداخلي فإذا حدث ما يعكر هذه المهمة فإن مهمة الوالي هي محاولة حل المشكلة بطرق سلمية بعيدة عن استخدام القوة رافضا سياسة الاستقواء علي الشعب (٣١٨)، وفي رسالته إلى مالك بن الأشتر: فلا تقوين

---

(٣١٠) يستفيضون: أي يفزعون إليه بسرعة.

(٣١١) الإدخال: الإفساد، والمدالسة: الخيانة.

(٣١٢) نهج البلاغة ص ٦٢٧ .

(٣١٣) نهج البلاغة ص ٦٢٧ .

(٣١٤) المصدر نفسه ص ٦٢٧ .

(٣١٥) الإدارة والنظام الإداري عند الإمام على ص ٢٥٦ .

(٣١٦) منهج الإعلام الإسلامي في صلح الحديبية ص ٣٢٩ .

(٣١٧) الولاية على البلدان (٢ / ٣٧) نقلا عن شرح نهج البلاغة (٢ / ٢٣٠) طبعة أخرى غير محمد عبده.

(٣١٨) الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي ص ٢٥٧ .

سلطانك بسفك دم حرام، فإن ذلك مما يضعفه ويهونه، بل يزيله وينقله [٣١٩].

**٦- تشكيل الجهاز القضائي في الولاية:**

يقول أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك ممن لا تضيق به الأمور ولا تمحكه الخصوم [٣٢٠]، ولا يتمادى في الزلة، ولا يحصد من الفيء إلى الحق إذا عرفه [٣٢١]، ولا تشرف نفسه على طمع [٣٢٢]، ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه[٣٢٣]، وأوقفهم في الشبهات [٣٢٤]، وآخذهم بالحجج، وأقلهم تبرما بمراجعة الخصم، وأصبرهم علي تكشف الأمور، وأصرمهم عند انفتاح الحكم، ممن لا يزدهيه إطراء[٣٢٥]، ولا يستميله إغراء.. .وافسح له في البذل ما يزيل علته وتقل معه حاجته إلى الناس، ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك، فانظر في ذلك نظرا [٣٢٦] بليغا، من هذا النص يظهر لنا:

أ- من مسؤولية الوالي تعيين القضاة.

ب- على الوالي الالتزام بشروط صارمة في اختيار القاضي.

جـ- على الوالي رعاية القضاة رعاية كاملة حتى لا يشعروا بالحاجة إلى الآخرين[٣٢٧].

**٧- النفقات المالية:**

المصدر لتمويل النفقات في الولاية، أموال الزكاة والصدقات والغنائم والفيء والخراج والعشور وتوضع في بيت المال وهو المحل الذي يجتمع فيه بيت مال المسلمين، وهناك عامل في بيت المال يسجل كل ما يصله من أموال وكل ما يخرج من بيت المال، ولبيت المال وظيفة مهمة في الإدارة اللامركزية، فما يجتمع من الأموال يتم أولا إنفاقه علي شؤون الولاية من موظفين وعمال وقضاة، ومحتاجين، وإعمار... إلخ، وما تبقى يتم إرساله إلى عاصمة الخلافة، ويعتبر بيت المال قلب الولاية الذي يوزع الدم في شرايين الأجهزة العاملة[٣٢٨]، قال أمير المؤمنين علي: وانظر إلى ما اجتمع عندك من مال الله فاصرفه إلى من قبلك من ذوي العيال والمجاعة [٣٢٩]، وجزء من هذه الأموال مصدره الخراج- كما ذكرنا- وهو ما وضع

(٣١٩) شرح نهج البلاغة ص ٦٢٧ .
(٣٢٠) لا تحمله مخاصمة الخصوم على اللجاج والإصرار علي رأيه.
(٣٢١) أي: لا يضيق صدره من الرجوع إلى الحق.
(٣٢٢) الإشراف على الشيء: الاطلاع عليه من فوق.
(٣٢٣) لا يكتفي في الحكم بما يبدو له بأول فهم وأقربه دون أن يأتي على أقصى فهم.
(٣٢٤) الشبهات: ما لا يتضح الحكم فيها بالنص.
(٣٢٥) لا يستخفه زيادة الثناء عليه.
(٣٢٦) شرح نهج البلاغة ص ٦١٥ .
(٣٢٧) الإدارة والنظام الإداري ص ٢٥٨ .
(٣٢٨) الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي ص ٢٦٢ .
(٣٢٩) شرح نهج البلاغة ص ٦٤٧ .

لأخذه على الأرض المزروعة وهو المصدر الأول لتـغطية رواتب موظفي الولاية، وما زاد على ذلك يوزع على الفقراء والمسـاكين، يقول أمير المؤمنين علي: الناس كلهم عـيال على الخراج وأهله والمقصـود بالناس عامة الموظفين والمجـاهدين الذين قال عنهم أمـير المؤمنين رضي الله عنه: لا قـوام للجنود إلا بما يخـرج الله من الخـراج. وقد أرشـد أمـيـر المؤمنين علي إلى استثمـار الأرض أي عمارة الأرض فقد قال: ولـيكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمـارة، ومن طلب الخراج لغير عمارة أخرب البلاد وأهلك العـباد(٣٣٠)، فعمارة الأرض سيضيف موارد مـالية جديدة يمكن الاستفادة منها في مجال الرواتب والنفقات المتنوعة، وتتم هذه النفقات باستقلالية عن الأجهزة المركزية التي لها حصة من هذه الموارد بـعد أن يتم استخراج المقادير الضرورية للولايـة، وبعث البقية إلى العاصمة، يقول أمير المؤمنين: وما فضل عن ذلك فاحمله إلينا لنقسمه فيمن قبلنا(٣٣١)، كما أن من الإنفاقـات المهمة في الولاية إعـمار الأنهار، فقـد كتب أمـيـر المؤمنين علي لقرظة بن كعب الأنصاري: أما بعـد؛ فإن رجالا من أهل الذمة من عملك ذكروا نـهرا في أرضهم قد عفا ودفن وفيه لهم عمارة علي المسلمين، فـانظر أنت وهـم ثم أعمر وأصلح النهر، فلعمري لأن يعمروا أحب إلينا من أن يخرجوا، وأن يعـجزوا ويقصروا في واجب من صلاح البلاد، والسلام(٣٣٢).

### ٨- العمال التابعين للولاية ومتابعتهم:

قال أمير المؤمنين علي: ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختبارا (٣٣٣)، ولا تولـهم محاباة وأثرة، فإنها جماع شعب الجور والخيانة وتوخ منهم أهل التجربة والحياء أهل البيوتات الصـالحة والقدم فـي الإسلام (٣٣٤) المتقدمـة، فإنهم أكرم أخلاقـا وأصح أعراضا، وأقل في المطامع إشرافا، وأبلغ في عواقب الأمور نظرا، ثم أسبغ عليهم الأرزاق (٣٣٥)، فإن ذلك قوة لهم علي استصـلاح أنفسهم وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم، وحجة علـيهم إن خالفوا أمرك أو ثلمـوا أمانتك (٣٣٦)، ثم تفقد أعمـالهم، وابعث العيون (٣٣٧)، من أهل الصـدق والوفاء عليهم، فإن تعاهدك في السر لأمورهم حدوة لهم (٣٣٨) علي استعمال الأمانة والرفق بالرعية، وتحـفظ من الأعوان، فإن أحدا منهم بسط يده إلى خـيانة اجتمعت بـها عليه عندك

---

(٣٣٠) المصدر نفسه ص ٦١٧ .
(٣٣١) المصدر نفسه ص ٦١٨، الإدارة والنظام ص ٢٥٨ .
(٣٣٢) تاريخ اليعقوبي (٢ / ٢٠٣)، الولاية على البلدان (٢ / ٣٧).
(٣٣٣) أي الاختبار والامتحان قبل تولية الأعمال.
(٣٣٤) أي أهلها هم الأولون.
(٣٣٥) أكمله ووسع لهم فيه.
(٣٣٦) نقصوا في أدائها أو خانوا.
(٣٣٧) العيون الرقباء.
(٣٣٨) حدوة لهم: أي سوق لهم وحث.

أخبار عيونك [٣٣٩]، اكتفيت بذلك شاهدا، فبسطت عليه العقوبة في بدنه وأخذته بما أصاب من عمله، ثم نصبته بمقام المذلة ووسمته بالخيانة، وقلدته عار التهمة[٣٤٠].

وهنا يتحدث عن الموظفين التابعين للولاية والمحافظين علي المدن والقرى وجباة الصدقات، وعلي عاتقهم مسؤولية كبيرة لأن عملهم متصل بالناس بصورة مباشرة، ويتجلى في هذا النص أهمية هؤلاء في الجهاز الإداري لأنهم يمثلون السلطة التنفيذية الحقيقية، فكان لا بد من إشباع حاجاتهم حتى لا يطمعوا في مال غيرهم، ولا حقوقهم[٣٤١]، ويشير أمير المؤمنين علي إلى أهمية العيون الذين يقومون بأعمال الرقابة علي الإدارات والوحدات وبيت المال، ويتم تعيينهم من قبل الوالي ويكون ارتباطهم معه، وهناك شروط يجب أن تتوافر فيهم:

أ- أن يكونوا من أهل الصدق حتى تكون تقاريرهم واقعية صادقة.

ب- أن يكونوا من أهل الوفاء حتى يكون هدفهم هو الإخلاص للدولة، وبعد تقديم التقارير علي الوالي أن يثبت بدقة في هذه التقارير ولا يسرع في الحكم علي الأفراد، ومن أعمال هذا الجهاز فرض الرقابة علي التجار وذوي الصناعات لمنعهم من الاحتكار وإيقاع الضرر بالناس، وما قاله أمير المؤمنين في رسالته للأشتر في هذه الفقرة يشير إلى أن دولة الخلافة الراشدة تهتم بدوام المباشرة لأحوال الرعية، وتفقد أمورها، والتماس الإحاطة بجانب الخلل في أفرادها وجماعاتها، وهذا مبدأ قرآني بينه المولى (عز وجل) علي لسان سليمان عليه السلام: ﴿ **وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ۝ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ** ﴾[النمل: ٢٠، ٢١]، وتفقد الطير، وذلك بحسب ما تقتضيه العناية بأمور الخلافة والاهتمام بكل جزء فيها والرعاية لكل واحد فيها وخاصة الضعفاء، ولا شك أن القيادة تحتاج إلى لجان ومؤسسات وأجهزة حتى تستطيع أن تقوم لهذه المهمة العظيمة، إن سليمان (عليه السلام) كان مهتما بمتابعة الجند وأصحاب الأعمال وخاصة إذا رابه شيء من أحوالهم، فسليمان (عليه السلام)، لما لم ير الهدهد بادر بالسؤال ﴿ **مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ** ﴾ يعني أهو غائب؟ كأن يسأل عن صحة ما لاح له[٣٤٢]، ثم قال: ﴿ **أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ** ﴾ سؤال آخر ينم عن حزم في السؤال بعد الترفق، فسليمان عليه السلام أراد أن يفهم منه أنه يسأل عن الغائب لا عن شفقة فقط ولكن عن جد وشدة، إذا لم يكن الغياب بعذر[٣٤٣]، فعهد الخلافة الراشدة تطبيق عملي لمفاهيم القرآن الكريم، إن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أشار إلى أهمية الأجهزة الأمنية للدولة المسلمة التي تحرص أشد الحرص علي

---

(٣٣٩) اجتمعت عليه أخبار الرقباء.

(٣٤٠) شرح نهج البلاغة ص ٦١٦ .

(٣٤١) الإدارة والنظام الإداري عند علي ص ٢٦٦ .

(٣٤٢) تفسير الرازي (٢٤ / ١٨٩).

(٣٤٣) الحكم والتحاكم في خطاب الوحي (٢ / ٥٩٣).

الاهتمام بالأخبار والمعلومات حتى توظف لخدمة الدين، ونشر المبادئ السامية، والأهداف النبيلة، والمثل العليا، وتقضي على بذور الفساد في الأجهزة المتعددة التي يقوم عليها نظام الولايات.

**٩- أصناف طبقات المجتمع:**

قال أمير المؤمنين: واعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض ولا غنى ببعضها عن بعض، فمنها جنود الله، ومنها كتاب العامة والخاصة، ومنها قضاة العدل، ومنها عمال الإنصاف والرفق ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس، ومنها التجار وأهل الصناعات ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة وكلا قد سمى الله سهمه[٣٤٤]، ووضع علي حده فريضته في كتابه أو سنة نبيه (ﷺ)، عهدا منه عندنا محفوظا إلى أن قال: ولا قوام لهم جميعا إلا بالتجار ذوي الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم[٣٤٥]، ويقيمونه من أسواقهم ويكفونه من الترفق بأيديهم ما لا يبلغه رفق غيرهم، ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذي يحق رفدهم ومعونتهم[٣٤٦] ثم أوصى بالتجار وأصحاب الصناعة بهم خيرًا، فقال: ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات وأوص بهم خيرا المقيم منهم، والمضطرب بماله[٣٤٧]، المترفق ببدنه فإنهم مواد المنافع وأسباب المرافق وجلابها من المباعد والمطارح في برك وسهلك وجبلك، وحيث لا يلتم الناس لمواضعها[٣٤٨]، ولا يجترئون عليها، فإنهم بسلم لا تخاف بائقته[٣٤٩]، وصلح لا تخشى غائلته، وتفقد أمورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك، واعلم مع ذلك أن في كثير منهم ضيقا فاحشا وشحا قبيحا[٣٥٠]، واحتكارًا للمنافع وتحكما في البياعات وذلك باب مضرة للعامة وعيب على الولاية، فامنع من الاحتكار فإن رسول الله (ﷺ) منع منه، وليكن البيع بيعا سمحا، بموازين عدل وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع، فمن قارف حكرة بعد نهيك إياه[٣٥١]، فنكل به وعاقب في غير إسراف [٣٥٢]. ونلاحظ من كلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أن طبقة التجار من أهم شرائح المجتمع ولذلك أرشد الولاة إلى الاهتمام بهم من خلال وجود دائرة تتولى رعاية هذه الطبقة والإشراف على أعمالها حتى لا يظهر عليها المظاهر

(٣٤٤) أي نصيبه من الحق.

(٣٤٥) شرح نهج البلاغة ص ٦١١ .

(٣٤٦) رفدهم: مساعدتهم وصلتهم.

(٣٤٧) المتردد بأمواله بين البلدين.

(٣٤٨) يجلبونها من أمكنة بحيث لا يمكن التئام الناس واجتماعهم في مواضع تلك المرافق.

(٣٤٩) البائقة: الداهية.

(٣٥٠) الشح: البخل.

(٣٥١) قارف: خالط: حركة الاحتكار.

(٣٥٢) شرح نهج البلاغة ص ٦٢٠ .

السلبية كالشح والاحتكار وما شابه ذلك، وذوي الصناعات، ويلم بهم ما يلم التجار من أضرار ومشاكل، فكان لا بد من قيام جهاز لرعايتهم ومساعدتهم في إتمام أعمالهم[٣٥٣]، ومن هذه الطبقات أهل الخراج وهم العاملون علي الأرض من زراع وحراث وحافرين لآبار، وهم يحتاجون إلى الاهتمام وتشكيل لجان تكون موكلة بأهل الخراج لحل المشكلات التي تعترضهم لأن هذا الطريق هو السبيل إلى التنمية واستثمار الأرض ومن هذه الأصناف أهل الذمة الذين يعيشون في الدولة الإسلامية، ويعملون فيها، فلا بد من رعاية الدولة لهم وتفقد شؤونهم، من خلال جهاز يتولى شؤونهم الاقتصادية منها والاجتماعية[٣٥٤]، ومنها الطبقة السفلى من المساكين والمحتاجين وأهل البؤس والزمن، فإن في هذه الطبقة القانع[٣٥٥]، والمعتر[٣٥٦]، وتشمل هذه الطبقة أهل اليتم وذوي الرقة في السن ممن لا حيلة له، ولا ينصب للمسألة نفسه، فالدولة مسؤولة عن رعاية هؤلاء رعاية كاملة اجتماعية واقتصادية وتعليمية وكان علي الوالي أن يحدد وقتا للقاء بهم ليزيل عنهم مشاعر الحرمان ويتفقد أمورهم بنفسه وبصورة مباشرة وعليه أن يوفر الأجواء التي يستطيع بواسطتها هؤلاء المحرومون من التكلم أمام الوالي[٣٥٧].

**١٠- التربية بالعقاب والثواب:**

قال أمير المؤمنين علي: ولا يكون المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء، فإن في ذلك تزهيدا لأهل الإحسان في الإحسان، وتدريبا لأهل الإساءة على الإساءة وألزم كلا منهم ما ألزم نفسه[٣٥٨]، واعلم أنه ليس بشيء بأدعى إلى حسن ظن راع برعيته من إحسانه إليهم وتخفيفه المؤونات عليهم، وترك استكراهه إياهم على ما ليس قبلهم[٣٥٩]، فليكن منك في ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظن برعيتك، فإن حسن الظن يقطع عنك نصبا طويلا[٣٦٠]، وإن أحق من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده[٣٦١]، وهذه التربية بالعقاب والثواب تحدث عنها القرآن الكريم وتتضح معالمها جلية في قصة ذي القرنين في قوله (تعالى): ﴿ **قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا * وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا** ﴾[الكهف: ٨٧، ٨٨].

إن التربية العملية للقيادة الراشدة هي التي تجعل الحوافز المشجعة هدية للمحسن ليزداد

---

(٣٥٣) الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي ص ٢٦٣ .

(٣٥٤) الإدارة والنظام عند الإمام علي ص ٢٦٣ .

(٣٥٥) القانع: السائل.

(٣٥٦) المعتر: المتعرض للعطاء بلا سؤال.

(٣٥٧) الإدارة والنظام الإداري ص ٢٦٤ .

(٢٥٨) فإن المسيء ألزم نفسه استحقاق العقاب والمحسن الثواب.

(٣٥٩) قبلهم: بكسر ففتح- أي عندهم.

(٣٦٠) النصب: التعب.

(٣٦١) البلاء هنا: الصنع مطلقا حسنا أو سيئا انظر: نهج البلاغة ص ٦١ .

في إحسانه وتفجر طاقة الخير العاملة علي زيادة الإحسان وتشعره بالاحترام والتقدير وتأخذ علي يد المسيء لتضرب علي يده، حتى يترك الإساءة وتعمل علي توسيع دوائر الخير والإحسان في أوساط المجتمع وتضييق حلقات الشر إلى أبعد حدود وفق قانون الثواب والعقاب وهذا ما أرشد إليه أمير المؤمنين علي رضي الله عنه.

**١١- دور العرفاء والنقباء في تثبيت نظام الولايات:**

عرف المسلمون النقباء في بيعة العقبة الثانية حينما عين الرسول (ﷺ) اثني عشر نقيبا من الأنصار علي قومهم ثلاثة من الأوس وتسعة من الخزرج[٣٦٢]، واستمر تنظيم النقباء والعرفاء في الأجناد الإسلامية المختلفة في عهد عمر ومما ورد في ذلك تنظيم الناس في القادسية علي يد سعد بن أبي وقاص حيث اجتمعت القبائل فأمر أمراء الأجناد وعرف العرفاء فعرف علي كل عشرة رجلا، كما كانت العرافات أزمان النبي (ﷺ) وكذلك كانت إلى أن فرض العطاء وأمر علي الرايات رجالات من أهل السابقة وعشر الناس وأمر علي الأعشار رجالا من الناس لهم وسائل في الإسلام[٣٦٣]، ويعتبر عمر أول من نظم تقسيم الناس في الأمصار عموما، ففي زمانه برز العرفاء علي الناس في أمصارهم وأصبحوا مسؤولين أمام الوالي عن قبائلهم والمجموعات المنضمة إليهم حسب التقسيم المتبع ذلك الوقت[٣٦٤]، وقد استمر نظام العرفاء طيلة عصر عثمان رضي الله عنه وخلال عهد علي رضي الله عنه فكان يجمع النقباء ويعطيهم الأموال بحصصهم فيقسمونها علي من يتبعهم من الناس، وقد استفاد الولاة من العرفاء في إدارة الولايات في الشؤون المختلفة المدنية منها والعسكرية، فكانوا يساعدون في توزيع العطاء علي الناس،[٣٦٥] وفي السيطرة علي النظام داخل الولايات، وفي البحث عن المطلوبين للقضاء وغيره وفي سرعة تجنيد الناس حين الحاجة، وفي أخذ المشورة من الناس، كما كان للنقباء دور في معرفة من يضاف اسمه إلى العطاء ومن يحذف اسمه وغير ذلك من الأمور المختلفة، وهكذا كان العرفاء من أهم الموظفين للولاة في إدارة أمصارهم مع أن هؤلاء في الغالب لم يكونوا متفرغين لهذا العمل وحده، بل كانوا مجرد مساعدين وقت الحاجة، وكان في تقسيم العرفاء والنقباء في كثير من الأحيان شيء من التنظيم القبلي، حيث كان التقسيم أحيانا باعتبار القبيلة، إلى أن كثر الداخلون في الإسلام من الأعاجم وبدأوا يستوطنون الأمصار فبدأ هذا التقسيم يقل تدريجيا[٣٦٦] مع احتفاظه بقوته في معظم الأوقات خلال عهد الخلفاء الراشدين[٣٦٧]، وقد كان يتبع الولاة علي البلدان بعض كبار القواد الذين يتولون قيادة

---

(٣٦٢) السيرة النبوية لابن هشام (٢ / ٤٤٣).
(٣٦٣) الولاية على البلدان (٢ / ١٠٦)، تاريخ الطبري (٥ / ٨٧).
(٣٦٤) النظم الإسلامية، صبحي الصالح، الولاية على البلدان (٢ / ١٠٦).
(٣٦٥) الأموال، القاسم بن سلام ص ٣٤٥، الولاية على البلدان (٢ / ١٠٦).
(٣٦٦) الولاية عى البلدان (١ / ١٠٧).
(٣٦٧) المصدر نفسه (٢ / ١٠٧).

أقسام معينة في الجيش ويقومون بالفتوح المختلفة بتوجيه من أمراء الولايات، كما كانوا يصحبون الوالي وهو أمير الحرب في غزواته المختلفة ويساعدونه في تنظيم الجيش وقيادته[٣٦٨]، وقد كان أمراء التعبئة يلون الأمير والذين يلون أمراء التعبئة أمراء الأعشار، والذين يلون أمراء الأعشار أصحاب الرايات، والذين يلون أصحاب الرايات والقواد رؤوس القبائل[٣٦٩]، كما أن العرفاء يرفعون ما يراه قومهم من اقتراحات أو تظلمات جماعية ويوصلونها نيابة عنهم، ويتحدثون باسمهم ويدافعون عن حقوقهم أمام الوالي وغيره[٣٧٠].

**رابعا: من المفاهيم الإدارية عند أمير المؤمنين علي رضي الله عنه:**

**١ - التأكيد على العنصر الإنساني:**

كتب أمير المؤمنين إلى أحد عماله: أما بعد؛ فإن دهاقين أهل بلدك شكوا منك غلظة وقسوة واحتقارًا وجفوة.. فالبس لهم جلبابا من اللين تشوبه بطرف من الشدة وداول بين القسوة والرأفة، وامزج لهم بين التقريب والإدناء والإبعاد والإقصاء إن شاء الله [٣٧١]، فكان علي الرئيس ملاحظة الأوضاع النفسية لمرؤوسيه، وأن يضع استراتيجيته الإدارية على ضوء هذا الواقع، وأن يوازن بين ضرورات الضبط والتنظيم مع الضرورات الواقعية التي تفرزها الحالات الإنسانية والنفسية، فمن الخطأ أن تقوم النظرية الإدارية التنظيمية علي قواعد صارمة وثابتة لا تراعي العامل الإنساني، ولا تراعي تأثيرات الظروف وكأن التنظيم الإداري لأي مؤسسة أو منظمة أو حركة، أو حزب أو جمعية أو نادي... إلخ، يتحرك في فراغ بمعزل عن التأثيرات الخارجية والداخلية[٣٧٢].

**٢ - عامل الخبرة والعلم:**

في هذا النطاق يؤكد أمير المؤمنين علي رضي الله عنه علي أهمية أن يكون المسؤول صاحب خبرة وعلم، فإذا كان كذلك فله حق الطاعة، وإلا فإنه لا طاعة له، يقول أمير المومنين: عليكم بطاعة من لا تعذرون بجهالته[٣٧٣]، فإذا كان جاهلا فإنهم معذرون فلا طاعة للجاهل لأنه يأخذهم إلى الهلاك. ويقول أيضا: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق[٣٧٤]، والجاهل غير العارف بالأمور ينتهي أمره إلى معصية الخالق[٣٧٥]، بأمر مخالف.

(٣٦٨) الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة للزبيدي ص ٤١.
(٣٦٩) تاريخ الطبري، نقلا عن الولاية على البلدان (٢ / ١٠٨).
(٣٧٠) العرافة والنقابة للفاروقي ص ٨٠، ٨١، ٨٦، الولاية على البلدان (٢ / ١٠٨).
(٣٧١) نهج البلاغة ص ٥٣٩.
(٣٧٢) الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي ص ٢١٧.
(٣٧٣) نهج البلاغة ص ٧٠٠.
(٣٧٤) المصدر نفسه ص ٧٠١.
(٣٧٥) الإدارة والنظام الإداري ص ٢١٧.

٣- العلاقة بين الرئيس والمرؤوس:

هذه العلاقة لا يرسمها التسلسل التنظيمي والتدرج الرئاسي بل ترسمه المصلحة المشتركة بين الرئيس والمرؤوسين، يقول أمير المؤمنين علي لواليه عندما بعثه إلى مصر: ثم أمور من أمورك لا بد لك من مباشرتها، منها إجابة عمالك بما يعيا عنه كتابك، ومنها إصدار حاجات الناس يوم ورودها عليك بما تحرج به صدور أعوانك [٣٧٦]، ونحن هنا أمام حالة فيها إلغاء التسلسل الوظيفي إلغاءً تامًا وإذا لم يقدر الوالي علي القيام بهذه المهمة فإنه ينتدب بعض خلصائه لذلك، فيقول: وتفقد أمور من لا يصل إليك منهم ممن تقتحمه العيون وتحقره الرجال، ففرغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع، فليرفع إليك أمورهم[٣٧٧]، وهذا تجاوز واضح علي الإدارة البيروقراطية التي ترى أن كل شيء يجب أن يتم ضمن التسلسل الإداري ولا حق لأحد في إلغاء هذا التسلسل ومن يلغي ذلك يعتبر متجاوزا علي التنظيم، ثم بين أمير المؤمنين مضار التقيد غير المسؤول بالتسلسل الوظيفي فإن احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق وقلة علم بالأمور والاحتجاب عنهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه فيصغر عندهم الكبير، ويعظم الصغير، ويقبح الحسن ويحسن القبيح ويشاب الحق بالباطل[٣٧٨]، هذه هي مضار التسلسل الإداري والتقيد الحرفي به فتباطؤ الأمور بين هذه السلسلة الطويلة وانتقالها من مسؤول إلى مسؤول ومنه إلى مسؤول ثالث فرابع وخامس حتى وصولها إلى الناس العاديين، هذه السلسلة التي تجري بعيدا عن مباشرة الرئيس الأعلي قد تغير الأمور وتقلبها رأسا على عقب فيصبح الصغير كبيرا والحق باطلا، والحسن قبيحا والقبيح حسنا كما يقول أمير المؤمنين رضي الله عنه وهو ما تعاني منه التنظيمات البيروقراطية لأنها تعتمد على سلسلة تنتقل عبرها المسائل والقضايا، فتنحرف عن أهدافها ومراميها والعلاج كما يقدمه أمير المؤمنين علي هو ألا يحتجب المسؤول عن أفراده فاحتجابه يتسبب في تغيير قراراته أو تطبيقها في أحسن الظروف تطبيقا متحجرا بعيدا عن الأهداف التي طمح من أجلها ومهمة الرئيس ليست محصورة في لقاء المرؤوسين، بل عليه أن يوفر الأجواء المطمئنة التي تجعل المرؤوس قادرا على طرح مشاكله بطمأنينة وبدون خوف؛ لأن الغاية ليست هي المقابلات الفجة، بل الهدف هو أن يكون هذا اللقاء مفيدا فلا بد من خلق الأجواء المناسبة لهذه اللقاءات، يقول في ذلك: واجعل لذوي الحاجات منك قسما تفرغ لهم فيه شخصك وتجلس لهم مجلسا عاما فتتواضع فيه لله الذي خلقك وتقعد عنهم جندك وأعوانك من حراسك وشرطك حتى يكلمك متكلمهم غير متعتع[٣٧٩]، ويبعث إلى قثم بن العباس «ابن عمه» برسالة يقول فيها: ولا يكن لك إلى الناس سفير إلا لسانك ولا حاجب إلا وجهك[٣٨٠]، وهناك نصوص أخرى تؤكد على طبيعة العلاقة بين الرئيس والمرؤوسين وإنها لا

---

(٣٧٦) نهج البلاغة ص ٦٢٣ . (٣٧٧) نهج البلاغة ص ٦٢١ .
(٣٧٨) نهج البلاغة رقم ٥٣ ص ٦٢٤ .
(٣٧٩) نهج البلاغة ص ٦٢٢ .
(٣٨٠) نهج البلاغة ٦٤٧ .

تقوم عبر الوسائل ولا القيود الإدارية بل تقوم وجها لوجه عندما تستدعي الحاجة لذلك[٣٨١].

**٤- مكافحة الجمود:**

هناك بعض النظريات الإدارية واللوائح التنظيمية تسبب الجمود وإضاعة الوقت والجهد وإضاعة الحقوق، كما أن كثيرا من الأعمال لا يفكر بإنجازها أساسا لأنها تستغرق وقتا طويلا حتى يتم إقرارها عبر السلسلة الإدارية من هنا جاءت دعوة أمير المؤمنين رضي الله عنه: من أطاع التواني ضيع الحقوق[٣٨٢].

**٥- الرقابة الواعية:**

الرقابة مهمة في كل تنظيم إداري، فقد نوه أمير المومنين رضي الله عنه إلى هذه الوظيفة فقال: وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم، فإن تعاهدك في السر لأمورهم حدوة لهم علي استعمال الأمانة والرفق بالرعية[٣٨٣]، فالرقابة عند أمير المؤمنين هي عطف ونصرة للمراقب لمواصلة أداء الأمانة كما وأن الرقابة لا بد وأن تتم عبر وسائط من أهل الصدق والوفاء حتى يكون تقييمهم عادلا لا تتلاعب فيه أهواؤهم فالرقابة هنا عامل مساعد علي التقدم، وتدفع بالأفراد إلى الحركة، والإخلاص في العمل، إن القوانين الصارمة لا وجود لها في الفكر الإداري لأمير المؤمنين رضي الله عنه عندما تعيق هذه القوانين حركة الأفراد داخل التنظيم، وتصبح سببا لإضاعة الحقوق[٣٨٤].

**٦- التوظيف يتم عبر الضوابط وليس عبر الروابط الشخصية:**

في هذا المجال أكد أمير المؤمنين علي في عهده لواليه علي مصر: ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختبارا ولا تولهم محاباة وأثرة، فلا بد من إجراء الاختبارات الأولية علي الشخص الذي يراد استخدامه في عمل ما ويجب أن يبتعد الرئيس عن المعايير الشخصية في توظيف أو ترقية الأشخاص إلى المناصب العلية، ثم يقول: ثم انظر في حال كتابك، فول علي أمورك خيرهم[٣٨٥]. وليس أقربهم إلى قلبك وعائلتك، فلا مجال للروابط والعواطف فالمعيار هو الحق، وتتعلق هذه الميزة بخاصية أخرى هي الأمانة[٣٨٦].

**٧- الضبط:**

ففي كتاب أمير المؤمنين علي رضي الله عنه إلى الأشعث بن قيس يتبين هذا المفهوم: وإن عملك ليس لك بطعمة ولكنه في عنقك أمانة، وأنت مسترعى لمن فوقك[٣٨٧]، فقد

(٣٨١) الإدارة والنظام الإداري عند الإمام علي ص ٢١٨، ٢١٩ .

(٣٨٢) نهج البلاغة ص ٧١٤ .

(٣٨٣) نهج البلاغة ص ٦١٦

(٣٨٤) الإدارة والنظام الإداري ص ٢٢١، ٢٢٢ .

(٣٨٥) نهج البلاغة ص ٦١٨ .

(٣٨٦) الإدارة والنظام الإداري ص ٢٢٢ .

(٣٨٧) نهج البلاغة ص ٥٢٥ .

اعتبر أمير المؤمنين العمل الإداري في هذا النص أمانة ويجب علي المسؤول أن يرد هذه الأمانة كما هي وأن يحافظ عليها، وأنه مسؤول أمـام الله علي أدائها ومسؤول أيضا أمام رئيسه (من فوقه) اعتـرافا بأهمية التسلسل الوظيفي، وهذا عامل مـهم من عوامل إيجاد الضبط الإداري الذاتي الذي يمنع مظاهر التسيب والانحراف(٣٨٨).

**٨- المشاركة في صنع القرار:**

إذا ما أعدنا قـراءة النصوص عند أمير المؤمنين التي تحث علي المشـاورة لوجدنا أن الغاية من هذا الحث هو إيجاد مـقدار من المشاركة في صنع القرار وألا ينـفرد رجل واحد في صنع القرار سواء كـان هذا الرجل قائدا عسكريا أو مـاليا، أو مديرا أو مسؤولا فـي أي ميدان من الميـادين فـ«الشركـة في الرأي تؤدي إلى الصـواب»(٣٨٩)، لأنها مـشاركـة جمع من العـقول وإضافة آراء ذوي الخبرة والـتجربة، فالقرار الذي يأتي عبر مناقشـة مستفيضة ستـجتمع عليه الآراء فيكون أقـرب إلى الصواب(٣٩٠)، أما نجاح العمل فـالمشاورة تكفل هذا النجاح، يقول أميـر المؤمنين علي: شـاوروا ، فالنجاح فـي المشاورة(٣٩١)، لم يحدد أمـير المؤمنين كـيفـية وأسلوب المشاورة بل وضع أمامنا قاعدة عامة وذكـر لنا فوائد تطبيق هذه القاعدة، ولم يستثن ميدانا من الميـادين عن المشورة، وهذا يعني أنها ضرورية لكل عمل يقوم بـه الإنسان، وتشتد الضرورة عندما يكون هذا العمل مناطا بمجموعة من الأشخاص وليس فردا واحدا، وإذا أمعنا النظر في هذا الـنص: صـواب الرأي بإجـالة الأفكار(٣٩٢)، لاتضح لنا أهمـيـة المناقشـات المستفيضة من ذوي الشأن للوصول إلى القرار الصائب(٣٩٣).

**٩- حسن الاختيار لدى الوالي والضمانات المادية والنفسية لموظفي الدولة:**

إن حسن الاختيار يسد الطريق أمام المشـاكل التي قد تطرأ نتيجة ضعف الموظف أو عدم انسجـامه مع الجو العـام، وإذا ما أمعنا النظر في رسـالة أمير المؤمنين علي لمالك بن الأشـتر النخعي لوجـدنا الشروط المهمـة التي يضعهـا أمامه عند اختـياره لعمـاله: ثم انظر في أمور عمالك فـاستعملهم اختـبارا، ولا تولهم محاباة وأثرة فـإنها جماع من شعب الجـور والخيانة وتوخ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة، والقدم في الإسلام المتقدمة فإنهم أكرم أخلاقا، وأصح أغراضا، وأقـل في المطامع إسرافا وأبلغ في عواقب الأمور نظرا(٣٩٤)، فهذه شـروط متعددة غير مـحصورة بالكفاءة اللازمة في العـمل فقط، بل لا بد من ملاحظة

(٣٨٨) الإدارة والنظام الإداري ص ٢٢٣ .
(٣٨٩) المصدر نفسه ص ٢٢٩ .
(٣٩٠) المصدر نفسه ص ٢٢٩ .
(٣٩١) المصدر نفسه ص ٢٢٩ .
(٣٩٢) المصدر نفسه ص ٢٢٩ .
(٣٩٣) المصدر نفسه ص ٢٢٩ .
(٣٩٤) نهج البلاغة ص ٦١٦ .

(العامل) من النواحي النفسية والاجتماعية أيضا، حتى لا يأخذه الطموح ولا تتغير نواياه وأغراضه كما لا بد من ملاحظة سلوكه الاجتماعي وقدرته علي التكيف في المحيط الاجتماعي الجديد، عند ذلك تبدأ مسؤولية التوالي ثم أسبغ عليهم الأرزاق، فإن ذلك قوة لهم علي استصلاح أنفسهم، وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم، وحجة عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك [٣٩٥]. فعندما تجتمع تلك الخصال في فرد من الأفراد ثم يقابل بالمكافأة الجيدة فإن ذلك مدعاة له لأن يستقيم في عمله ويواصل جهده لترقية الولاية أو المؤسسة وفي مكان آخر يقول: وافسح له في البذل ما يزيل علته وتقل معه حاجته إلى الناس، وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك [٣٩٦]، وهذه عوامل تخص الموظفين الكبار من السقوط في طريق الرشوة أو شراءه بالمال:

أ- البذل الواسع الذي يكفل جميع حاجاته حتى يشعر بالغنى.

ب- المنزلة المرموقة حتى يشعر بالأمن والطمأنينة علي وظيفته وهذا ما يسمى بالأمن الوظيفي.

فماذا يريد الموظف بعد كل ذلك إذا كانت حياته مؤمنة، ووضعه الوظيفي مستقرا وهذه الضمانات لكبار موظفي الدولة يمكن إنزالها علي الشركات الكبرى والمؤسسات العملاقة وقادة الحركات الإسلامية، إنها كفالة كاملة تضمنها للموظف أفضل الأفكار الإدارية، فحتى الإدارة اليابانية لا تحيط الموظف بهذا الشكل من الرخاء الأمني والمعيشي، فالموظف يأخذ راتبا معينا، وقد يكون هذا الراتب غير كاف لتغطية جميع نفقاته فماذا سيعمل حينذاك يا ترى؟ قد تدفعه الحاجة إلى أعمال مشينة مخلة بالأخلاق، لكن المنهاج الإداري لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه يجب أن يؤمن الموظف حتى يصل إلى حد الغنى، أي لا يتم الاكتفاء بالراتب الشهري فقط، بل المعيار هو تأمين حاجاته، ومن ثم توفير الأمن الوظيفي له [٣٩٧]، وأعطه من المنزلة ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك [٣٩٨].

**١٠- مرافقة ذوي الخبرات:**

فذوو التجارب هم مصدر المعرفة الواقعية، ومن الطبيعي أن يستفيد المتعلم من أصحاب التجارب أكثر ممن يتلقى العلوم النظرية، وقد استفاد اليابانيون من هذه القاعدة عندما حولوا معاملهم إلى جامعات يستفيد منها العامل الجديد، فهو يتلقى الخبرة ممن سبقه، وقد جاءت هذه القاعدة علي لسان أمير المؤمنين: خير من شاورت ذوو النهي والعلم وأولو التجارب والحزم [٣٩٩]، وأفضل من شاورت ذوو التجارب [٤٠٠]، ويقول في مصاحبة أصحاب العلم

(٣٩٥) المصدر نفسه ص ٦١٦ .
(٣٩٦) شرح نهج البلاغة ص ٦١٥ .
(٣٩٧) الإدارة والنظام الإداري ص ٢٣١ .
(٣٩٨) شرح نهج البلاغة ص ٦١٥ .
(٣٩٩) الإدارة والنظام الإداري ص ٢٣٤ .
(٤٠٠) المصدر نفسه ص ٢٣٤ .

والتجربة: خير من مصاحبة ذوو العلم والحلم[٤٠١]، فهذه النصوص ما هي إلا قواعد غايتها إعـداد الإنسـان المسلم الناجح في الحـيـاة ومن ثم بناء المجـتـمع المتـصف بالتـقـدم والرقي المستمر[٤٠٢].

**١١- الإدارة الأبوية:**

الوالي هو أب قبل أن يكون صاحب سلطة، وهو يتعـامل مع موظفيه علي أنهم أبناؤه، فمثلما يتحمل الأب تربية أبنائه كذلك يتحـمل مسؤولية إعداد كبار موظفي الدولة، وهذا ما أخذت به التجـربة اليابانية، والذي نجد له مـصداقا في قول أميـر المؤمنين علي إلى مالك بن الأشتر فيوصيه بموظفيه: ثم تفقد من أمورهم ما يتفقد الوالدان من ولدهما[٤٠٣]، فيجب أن يتعـامل المسؤول مع أفراده معـاملة الوالد لولده يرعى أبناءه ويعفو عنه عندمـا يسيء وعندما يعاقبه فعقوبته هي تربية له. هذه بعض المفاهيم الإدارية عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

**تم الجزء الأول من كتاب أسمى المطالب في سيرة علي بن أبي طالب.**

(٤٠١) المصدر نفسه ص ٢٣٥ .

(٤٠٢) المصدر نفسه ص ٢٣٥ .

(٤٠٣) نهج البلاغة ص ٦١٢، الإدارة والنظام الإداري ص ٢٣٥ .

# محتويات الجزء الأول